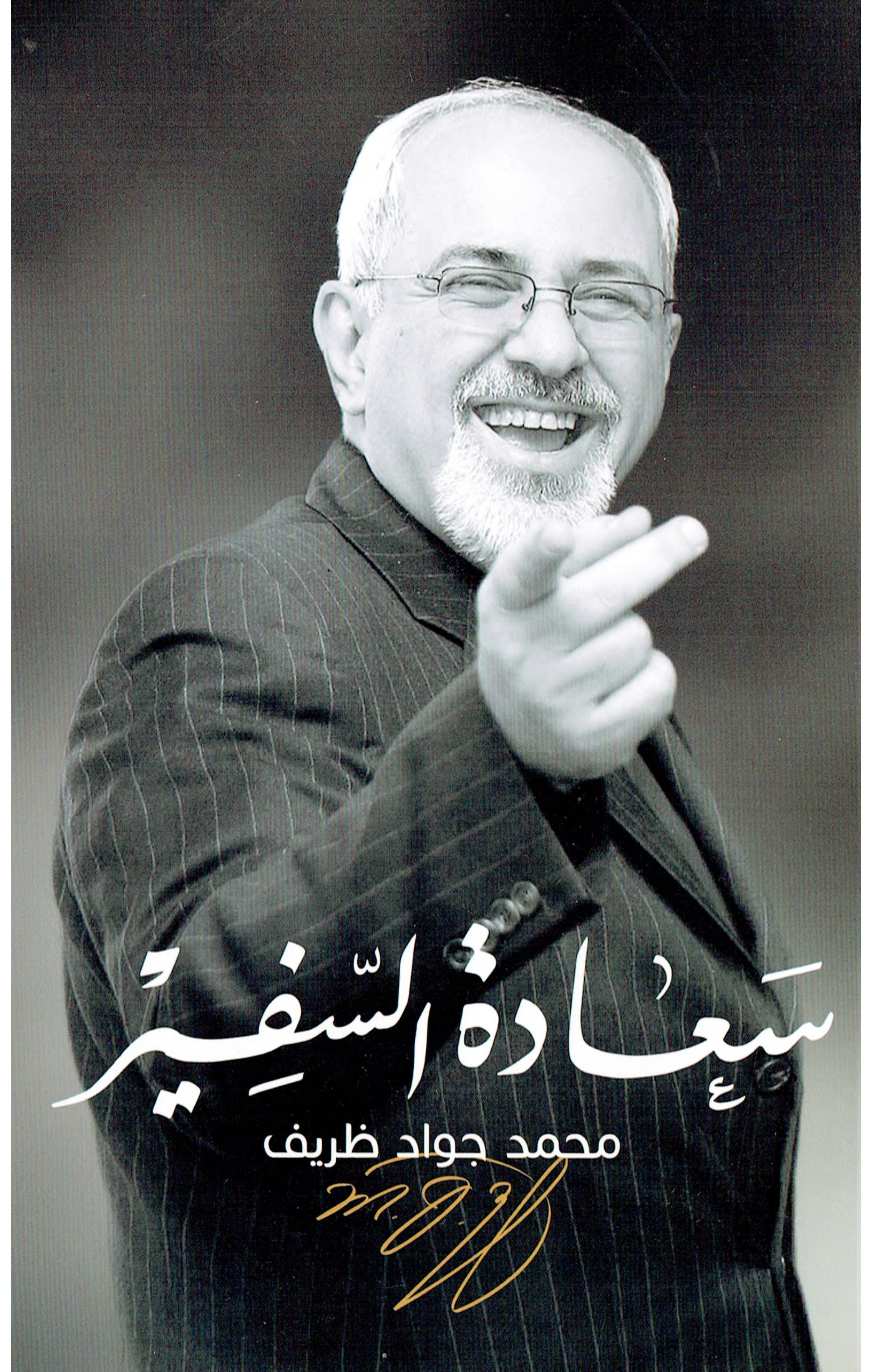

سعادة السفير
محمد جواد ظريف



اسم الكتاب: **سعادة السفير «محمد جواد ظريف»**

حوار: **محمد مهدي راجي**: من مواليد طهران في العام 1980. حائز على بكالوريوس في العلوم السياسية من الجامعة الإسلامية الحرة وماجستير في الدراسات الإقليمية من كلية العلاقات الدولية بوزارة الخارجية في إيران. تدرّج في الصحيفة الطلابية «السفير» إلى أن أصبح رئيس تحريرها، وله عدة مقالات في عدد من الصحف أبرزها «همشهري ديبلوماتيك» و « مهرنامه» و «مثلث» وفي دوريات منها « International Journal of Political Science».

ترجمة: **الدكتور محمد العطار**: من مواليد مدينة كاشان في إيران في العام 1984. حاز على شهادة في الطب العام من جامعة مشهد في العام 2011. قدّم عددًا من المقالات والمحاضرات في المجالين الطبي والثقافي.

الطبعة الأولى، بيروت 2017

www.awalcentre.com | info@awalcentre.com

ISBN 978 - 9953 - 0 - 3548 - 2

سَعادةُ السَّفيرِ

محمد جواد ظريف

حوار مع الدّكتور «محمد جواد ظريف»

السفير السابق لإيران في الأمم المتّحدة

حوار:

محمد مهدي راجي

ترجمة:

د. محمد العطار

الفهرس

مقدمة مركز أوال

«إلى عدوي المحترم محمد جواد ظريف»

لم يكن فخًا من ثعلب الدبلوماسية ووزير الخارجية الأمريكية الأسبق، هنري كيسنجر، بل كان إعجابًا وقعه إهداء في نسخة خاصة من كتابه «الدبلوماسية». إنها إحدى طرائف الدبلوماسيين الكبار التي تستحق أن تُحكى.

امتد مسار ظريف لأكثر من ربع قرن، حظي خلالها بألقاب عدة من بينها «عراب الاتفاق النووي» لفت انتباه الكثيرين، وجذب الصحافة الأجنبية، وأغاظ أحيانا صحافة بلده المحلية.

لم تجذب شخصية ظريف، وكذلك أداؤه وحضوره وعلاقاته في الولايات المتحدة وكذلك في الأمم المتحدة، اهتمام كيسنجر فحسب، بل دفعت نائب الرّئيس الأمريكي جون بايدن إلى وصفه

فـي إحـدى المـرات بأنـه «مدافـع شـرس، ولكنـه عملـي وحاسـم» فـي الوقـت ذاتـه. وبشـهادة الكثيريـن، كان دوره صعبًا، إذ عليـه أن ينجز ما لا يمكنـه إنجـازه، أن يحقـق المسـتحيل، مدفوعًـا بمقاربـة لا تخلـو من الصراحـة والجـرأة: «أعلـم أن مـا أقولـه ليـس ما يريـدون الاسـتماع إليه بالتّحديـد، لكنـي لا أرى أي مشـكلة فـي تحقيـق تواصـل مـع عـدد كبير مـن الأمريكييـن»[1].

يسـر مركـز أوال للدّراسـات والتّوثيـق، أن يقـدم تجربـة «سـعادة السـفير» للقـارئ العربـي، إنـه كتـاب لا يتناول فقط السـيرة الشّـخصية لمحمـد جـواد ظريـف، بـل يتجاوزهـا ليحيـط بالكثيـر مـن المعلومـات والمعطيـات التاريخية التي تفسّـر بعـض الأحداث الدّبلوماسـية الدّولية أو جـزءًا مـن ملابسـاتها، علـى مـدى أكثـر مـن ربـع قرن.

مـا هـو مـدوّن بيـن دفّتـي كتـاب «سـعادة السـفير»، قالـه السـيد ظريـف بيـن العاميـن 2010 و2012، لكـنّ القارئ سـيوليه حتمًـا أهمية كبـرى فـي أعقـاب تولـي ظريـف وزارة الخارجيّـة، وبعـد النجـاح الـذي حققـه الملـف النـووي الإيرانـي فـي فتـرة ولايتـه.

نأمـل، مـن خـلال تقديمـه للمكتبـة العربيـة، تسـليط الضـوء علـى مسـيرة امتـدت لحوالـي ربـع قرن، بـرزت فيهـا دبلوماسـية ظريف على نحـو مميـز وأدت إلـى إنجـازات هائلة على المسـرح السّياسـي الدّولي.

---

(1) انظر:
«Iran's voice at the UN speaks with an American accent», Warren Hoge, The New York Times, May 18 2007.

إنـه مفتـاح حقيقـي لإدراك كنـه شـخصية ظريـف، وتأويـل لمهنتـه التـي شـرح معاييرها بأسـلوبه الخـاص، إذ اختصر الدبلوماسـية كلها في تغريـدة لـه علـى تويتـر، نشـرها بعـد سـاعات مـن وصولـه إلـى طهران فـي أعقـاب إنجـاز الاتفـاق النّـووي: «إن فن الدبلوماسـي يكمـن في أن يخفـي دهـاءه كلـه خلف ابتسـامته».



مقدمة المترجم

سعادة السفير، هو حصيلة وثمرة حوار بين السيد محمد مهدي راجي والدكتور محمد جواد ظريف ـ أثناء دراسة راجي للماجستير- بين شتاء 2010 وربيع 2012؛ وقد مُنِع من النشر حتى نهاية دورة رئاسة أحمدي نجاد للجمهورية الإسلامية أي أغسطس/آب 2013م؛ لما أثاره من جدل تراوح بين التأييد المطلق والنقد اللاذع حد الاتهام بالخيانة، وعلى الرغم من ذلك فقد حظي الكتاب باهتمام واسع في إيران وخارجها، وقد طبع الكتاب سبع مرات حتى كتابة هذه المقدمة.

فقد جمع السيد راجي بين دفتين، كل حواراته مع السيد محمد جواد ظريف والتي تطرقت لأكثريّة القضايا المتعلقة بالسياسة الدوليّة المطروحة والمتداولة، وقد حاول السيد راجي ـ وهذا سيظهر في النص ـ الاستفادة من المعلومات الخاصة الموجودة في حوزة الوزير لتبيانها وتوضيح بعض الأحداث المبهمة، حيث نجح حينًا وأخفق أحيانًا.

غير أن الحوار، على شموليته، لم يتطرق إلى الكثير من الأحداث

الدائـرة فـي فتـرة إجرائـه، فعلـى سـبيل المثـال لا الحصـر، لـم يحـظَ الحـراك العربـي بـأي إشـارة فـي الحـوار بيـن الوزيـر ومحـاوره. وعلى كثـرة مـا كان الحـوار صريحًـا وشـفافًا، ومـع كل الاسـتفاضات التي قام بهـا ظريـف فـي الحديـث عـن زملائـه وأصدقائـه، حلفائـه وخصومـه، فـي الداخـل الإيراني ومـن أركان النظـام، نجد أنّ من أهـم الانتقادات التـي وجههـا القـارئ الإيرانـي للكتـاب أنّه لم يتطـرق للشـأن الداخلي الإيرانـي، إلا بمقـدار ارتبـاط وتأثيـر الحـدث مـع الجانب الدبلوماسـي الـذي يتناولـه ظريـف، وهـذه نقطـة تُسجل للرجل وتزيد مـن رصيده المهنـي والتخصصي.

ومـع ذلـك، فـإن أهميـة الكتـاب تنبـع مـن كونـه توثيقًـا للكثيـر من الأحـداث التاريخيـة، مـن أقرب المصـادر المتابعة والمشـاهدة لها لا بل مـن صانعهـا فـي بعـض الأحيان. لـذا فقراءة الكتـاب توفر للقـارئ دراية وفهـم فـي مجالات:

- فهـم السياسـة الخارجيـة للجمهوريـة الإسـلامية الإيرانيـة كنظام سياسـي مؤثـر عالميًـا وإقليميًّا؛
- فهـم علاقـة أنظمـة الهيمنـة بنـا كأنظمـة شـرق أوسـطية عبـر نمـوذج التجربـة الإيرانيـة الثريـة؛
- فهـم أعمـق للسياسـة والعلاقات الدوليـة بناء علـى تجربة غنية وحقيقة لخبير ـ بحسـب التوصيـف العلمي لا الألقاب المجانية

التـي يمنحهـا الإعـلام ـ أمضـى مـا يقرب مـن ثلث قـرن في هذا المجال.

عن هذه الترجمة:

تُعـدّ ترجمـة الكتـب التخصصيـة مـن أصعب أنـواع الترجمـات التي تتطلـب من المترجم إلمامًا خاصًا واسـتثنائيًا، وبحثًـا دؤوبًا عن العبارات العلميـة المسـتخدمة أو الرائجـة في هـذا المجال الذي يـدور في فلكه النـص المترجـم، وبمـا أنَّ الكتـاب الموجـود بيـن أيدينا كان نصًـا حواريًا مـع متخصصيـن، غلبت عليـه الألفـاظ والمصطلحات العلميّـة المتعلقة بالدبلوماسـية والعلاقـات الدوليـة، فـإن ترجمتـه إلـى العربيـة كانـت مهمّـة غيـر سـهلة علـى الإطلاق بلحـاظ النقـاط التالية:

- بعـض التعاريـف العلميّـة لا تزال غير محـددة أو غير رائجة في اللغـة العربيـة خاصّـة وأن اللغـة الفارسـيّة ولّادة للمصطلحـات التـي لا تجـد لهـا مرادفًـا في اللغـة العربية، وهنـا كان لا بدّ من الاسـتعانة ببعـض المعاجم الفارسـية الإنجليزيـة لمحاولة الربط بيـن المصطلـح الفارسـي ومرادفـه الإنجليـزي ليسـهل علينا أمر تحويلـه وترجمتـه إلى أقرب مـرادف باللغـة العربية.
- البحـث عـن المرادفـات العربيـة للكثيـر مـن الاسـتخدامات الثقافيـة كالأمثـال التـي لا يمكـن ترجمتهـا حرفيًـا؛
- أمـا بالرؤيـة النحويـة والصرفيّة: فـإن من طبيعة الحـوار الابتعاد

عـن العبـارات الطويلـة والبلاغيـة والإمتـلاء بالتكـرار والتداخـل، ويمكـن لنـا الادعـاء ان النـص المترجـم فـي كثيـر مـن الأحيـان يبـدو مضبوطًـا بشـكل بلاغـي أكبـر مـن أصلـه الفارسـي دون الإخـلال بالمعنـى، حيـث إن النـص الفارسـي لا يبـدو محـررًا بشـكل جيد.

- وفـي مجـال الرؤيـة الخطابيـة الأدائيـة: تـم توفيـر أدوات لهـذه الرؤيـة فـي الهوامـش المذكـورة في الكتـاب عوضًـا عـن التدخل فـي النـص، ولـم تغير بنيـة النـص الداخلية.
- تـمّ تحويـل التواريـخ مـن التقويـم الهجـري الشمسـي إلـى التقويـم الميـلادي، ونظرًا إلـى أنَّ بعضها غير محـدد، تمّ اعتماد تاريـخ تقريبـي.

وقـد تمـت الاسـتعانة أثنـاء ترجمة هـذا الكتاب بعدد مـن المصادر المتعلقـة بالسياسـة الخارجيـة للجمهوريـة الإسـلامية ومـن الطريـف أنّ الكثيـر منهـا افتقـر لدراسـة المصـادر الفارسـية الأصيلـة، ونتمنـى أن تقـدم هـذه الترجمـة قيمـة إضافيـة للمكتبـة العربيـة وتؤثـر في سـائر الدراسـات اللاحقـة فـي هـذا المجال.

مقدمة الطبعة الفارسيّة

هـذا الكتـاب ليـس سيرة ذاتيـة تهـدف لذكـر الجيـد والسَـيِّئ، وبالنتيجـة الحكـم علـى طبيعـة وعاقبـة صاحبـه، كمـا أنّـه ليـس تاريخًـا شـفهيًا كمـا هـو متعـارف عليـه اليـوم، والـذي يهـدف بشـكلٍ خـاص إلـى حفـظ ذكريـات الشـخصيات السياسـية، الثقافيـة أو الاجتماعيـة. وعلـى الرغـم مـن احتوائـه الكثيـر مـن هذيـن النوعيـن، إلّا أنّ القصـد الأساسـي منـه، هـو فهـم السياسـة الخارجيـة للجمهوريـة الإسـلامية الإيرانيـة علـى أرضيـة تجربتهـا التاريخيـة، تلـك التجربـة التـي تبـدو أحيانًـا متضـادة أو مبهمـة، مـا يبعـث علـى الكثيـر مـن الأسـئلة والإشـاعات. وقـد دفعنـي هـذا الأمـر إلـى حـوار مـع أحـد أقطـاب النظـام السياسـي الإيرانـي فـي مجـال الدبلوماسـية؛ لأطـرح عليـه التصـورات الموجـودة حـول السياسـة الخارجيـة كمـا أفهمهـا، أو أعتقـد أنّ المجتمـع يهفـو لمعرفتهـا، لا سـيّما وأنّ العلاقـات الخارجيـة للجمهوريـة الإسـلامية الإيرانيـة فـي التاريـخ المعاصـر مـرّت بمراحـل حسّاسـة وظـروف صعبـة، ولكنّهـا تمكّنـت، وبفضـل

الدبلوماسيين المخلصين والأكفاء، من تجاوز تلك المحن والوصول إلى برّ الأمان.

لعلّ أفضل من عبّر عن أهمية هذا الأمر هو العالم «هانس مورگنثاو» في كتابه «السياسة بين الأمم»[1]؛ حيث يعدّد ضمن عناصر القدرة الوطنية مثل: الجغرافيا، الموارد الطبيعية، القدرات الصناعية، الاستعداد العسكري، السكان، طبيعة الروح الوطنية وغيرها، معتبرًا الدبلوماسية أهم عنصر في القدرة الوطنية فيقول:

«يمكن الادّعاء أنّ سائر العناصر التي تحدد القدرة الوطنية ليست إلا موارد أولية لصناعة القدرة الوطنية، دبلوماسية الدولة هي التي تقوم بتركيب العناصر بشكل منسجم، وهي التي تمنحها الاتجاه والثقل، كما أنّها هي التي تنفث فيها روح القدرة الفعلية لتبعث فيها الحياة. قيادة المَهام الخارجية للدولة بواسطة الدبلوماسيين في فترة الصلح - من حيث القدرة الوطنية - تماثل المهام الاستراتيجية والفنون العسكرية التي يقودها الأمراء العسكريون في الحرب. الدبلوماسية هي فن ربط عناصر القدرة الوطنية - بأفضل شكل - مع الظروف الدولية المرتبطة بالمصالح الوطنية».

يحذر مورگنثاو حين يعبر بأنّ الدبلوماسية هي الفكر المدبر للقدرة

---

(1) مورگنتا، هانس. جي.: سیاست میان ملت ها، ترجمة حميرا مشيرزاده، دفتر مطالعات سياسي و بين المللي وزارت أمور خارجه، تهران، چاپ اول، 1374، ص 246-247.
العالم هانس مورگنثاو Hans Morgenthau (1904-1980) أحد منظري العلاقات الدولية، وأصل الكتاب هو «Politics Among Nations» وقد تُرجم للعربية بعنوان: «السياسة بين الأمم الصراع من أجل السلطان والسلام».

الوطنيّة، كما أنّ الروح الوطنية هي حياتها؛ فإن ضعفت بصيرتها، أو قدرتها على اتخاذ القرار، أو شلت إرادتها؛ فإنّ أيًّا من عناصر القدرة مثل الموقع الجغرافي، الاستقلال الغذائي، المواد الأولية والصناعات، الاستعداد العسكري أو عدد السكان وخصوصياتها لن تكون مفيدة على الأمد الطويل. فالشعب الذي يستطيع الافتخار بكلّ هذه الموارد مع فقدان الدبلوماسية المناسبة، قد يتمكن من الحصول على نجاحٍ مؤقت عن طريق الثروات الطبيعية، لكنّه على الأمد الطويل وبسبب الاستثمار الناقص المنقطع، وبالإسراف في هذه الثروات، سيواجِه الفشل في الوصول لأهدافه الدولية.

وبالمثل، من الواضح أنّه كان لبروز شخصيات معروفة على منصة العلاقات والسياسة الخارجية لإيران دور هام في حفظ المصالح وبقاء الهوية الوطنية، ما لا يدع مجالًا للشك في صدق الاعتقاد السابق. ومع ذلك، فإنّ ذكر بعض الأمثلة التاريخية بهذا الخصوص لن يكون خاليًا من الفائدة.

ناصر الدين شاه قاجار [حكم 1896-1848م]: بتشجيع من البعض أو بسبب مشاهداته الشخصية للتطور والترقي في أوروبا، كان يسعى بين الحين والآخر للإصلاح، وبهدف تحسين أوضاع البلاد كان يرجع لميرزا حسين خان القزويني الملقب بـ «مشير الدولة»، وبعدها بـ«سپهسالار».

عمل مشير الدولة كمسؤول مشتريات للدولة القاجارية في

بمبي، ثمّ كسفير في تفليس، وكنائب عن إيران في اسطنبول، كما أنّه أصبح وزير خارجية في دورة واحدة.

محمد علي فروغي [1877-1942م]: حداثوي، مترجم، أديب، صحافي وسياسي إيراني. عُرِف بشخصيته الموسوعية، وهو أول وآخر رئيس وزراء لرضا شاه. تولّى قيادة وزارة الخارجية، كما كان عضوًا ورئيسًا لهيئة إيران المنتدبة لمؤتمر الصلح في باريس بعد الحرب العالمية الأولى (1919م)، والهيئة المنتدبة لعصبة الأمم.

ونظرًا إلى أنّ السياسة الخارجية لأيّ بلد ترتبط بشكل وثيق مع السياسة الداخلية، ليس من المبالغة أن قلنا إنّ إشهر رئيسي وزراء لمحمد رضا شاه، أي «أحمد قوام السلطنة» و«الدكتور محمد مصدق»، كسبا معظم شهرتهما السياسية بسبب حكمتهما وأثرهما في مجال الدبلوماسية والسياسة الخارجية.

بانتصار الثورة الإسلامية واستقرار نظام الجمهورية الإسلامية، وبعد وقفةٍ قصيرة للسيطرة على الوضع، وبموازاة عزل الكثير من الموظفين والدبلوماسيين المنتسبين للنظام البهلوي، كان من الضروري الاستفادة من قدرات وتجربة جيل جديد من الشباب، الذين كان لهم دور علني أو سري في إسقاط النظام البهلوي وإقامة النظام الجديد. نظرًا للحاجة الملحّة لوجودهم، تمّ توظيف هذا الجيل من الشباب الثوري في الأجهزة التنفيذية والعلمية للنظام الحاكم الجديد بسرعة. هذا الكتاب رواية شفهية لأحد هؤلاء الشباب الثوريين الذين تشكّل سيرة

حياتهم السياسية جزءًا من تاريخ الدبلوماسية الإيرانية، ويمثل التأمل في سلوكهم الحرفي إحدى أفضل الطرق لفهم السياسة الخارجية للجمهورية الإسلامية الإيرانية.

هذا الحوار الذي امتدّ لأكثر من أربعين ساعة مع الدكتور محمد جواد ظريف ـ الدبلوماسي والسفير السابق لإيران في الأمم المتحدة ـ من التجارب التي لا يُحتمل تكرارها بسهولة. رواية جزئيات الدبلوماسية الإيرانية بلسان ظريف الذي يُعدّ بلا شك أحد أبطال هذا المجال في عصره، مِصداقٌ كامل للسهل الممتنع. سهلٌ؛ لأنّ ظريف يتمتع بشخصية عطوفة، مؤدّبة، بسيطة ومتواضعة، ويُظهر هذا العمل عند التعرف عليه سهلًا، لكنّه ممتنعٌ؛ لأنّ ظريف في مجال تخصصه الحرفي جاد، متابع، منظم، وملتزم بالقيم والأصول التي يعتقد بها.

أثناء الحوار، كان ظريف يتجاوب مع ما يرويه، تستشعر منه الإحساس بالأحداث، كأنّها اليوم، وليس بوصفها أحداثًا جرت منذ أمدٍ بعيد. فهو يحزن ويكتئب من تلك الأحداث التي يراها جانبت الصواب، أو أنّ النجاح فيها كان جزئيًّا، ويغضب لعدم استفادة الموظفين الجُدد في وزارة الخارجية من التجارب والأخطاء التي ارتكبها السابقون. وحين يأتي الحديث عن إيران وسيادتها ونجاحه وزملائه في الدفاع عن مصالحها الوطنية، يفرح بتواضعٍ لتلك الذكرى الباعثة للافتخار والغرور. وبحسب الضرورة، وبنظرة دقيقة، يناقش وينتقد الأحداث، ومنها ـ من دون استشعار الحرج ـ ما يتعلق بسيرته أو بالجهاز الدبلوماسي، وما كان يُعتقد في بداية العمل الدولي.

حضـور محمـد جـواد ظريـف فـي الأمـم المتحـدة لمـدة ربـع قـرن جعـل منـه شـخصية دوليـة ممتـازة. بدايـةً، كان هـذا الحضـور فـي السـنين الأولـى بعـد انتصـار الثـورة الإسـلامية، حينمـا كان طالبًـا فـي مرحلـة الدكتـوراه بجامعـة كولومبيـا، وجامعـة دنفـر كموظـف محلـي فـي البعثـة الإيرانيـة[1] بنيويـورك، حتـى أصبـح السـفير الأول والمنـدوب الدائـم للجمهوريـة الإسـلامية فيهـا. لـم يمنعـه عقـدٌ مـن عملـه فـي وزارة الخارجيـة كنائـب للوزيـر فـي الشـؤون الدوليـة مـن قطـع علاقتـه بأهـم مركـز دولـي. إن سـعي ظريـف الدولـي لاسـترجاع حقـوق إيـران إبّـان الحـرب المفروضـة، والمناقشـات المتعلقـة بالقـرار 598، وكذلـك المناقشـات المتعلقـة بالنشـاط النـووي الإيرانـي مـع الـدول الغربيـة، وأهميـة دوره فـي مناقشـات مؤتمـر بُـن[2] الأول فيمـا يخـص مسـتقبل أفغانسـتان، ثـمّ العـراق، قبـل وبعـد الغـزو الأمريكـي لهمـا؛ وعضويتـه فـي فريـق الشـخصيات البـارزة الرفيـع المسـتوى للأميـن العـام للأمـم المتحـدة فـي مشـروع حـوار الحضـارات، وترؤسـه للعشـرات مـن المسـؤوليات الجزئيـة أو المصيريـة دوليًـا، وحضـوره فـي المجتمـع الأمريكـي وقدرتـه علـى التأثيـر علـى الـرأي العـام والإعـلام فيهـا، وغيرهـا الكثيـر؛ جعلـت القاصـي والدانـي متحدثًـا ومقـدّرًا لـدوره.

(1) أي البعثة الدّائمة لإيران في الأمم المتحدة، للمزيد من المعلومات، انظر:
http://iran-un.org/en/

(2) مؤتمر بُن أو Bonn Conference: مؤتمر استضاف القادة الأفغان بعد سقوط نظام طالبان في مدينة بُن بألمانيا في ديسمبر/ كانون الأول 2001.

سعي ظريف الدؤوب للدفاع عن أهداف وقيم نظام الجمهورية الإسلامية، وقدرته على إقناع نظرائه، حاز مرارًا على تقدير السلطات العليا، ليس في إيران وحسب، بل إنّ كثيرًا من الإعلاميين والشخصيات الدولية كانت السبّاقة في ذلك. الاحتفال المهيب لتوديعه في مقرّ الأمم المتّحدة والصف المزدحم بزائريه الأجانب شاهدان على هذا المُدعى، بل إنّ الاحتفاء به وصل إلى أن يكتب «هنري كيسنجر» ـ وزير الخارجية السابق للولايات المتحدة الأمريكية ـ في الصفحة الأولى من كتابه «الدبلوماسية» حين إهدائه: «إلى عدوي المحترم محمد جواد ظريف».

دراسة سيرة ظريف والانتباه للجوانب الإيجابية والسلبية لعمله، تقدم نموذجًا قيّمًا لدراسة سلوك الدبلوماسيين الإيرانيين مع العالم الخارجي، ضمن إطار السياسة الخارجية للجمهورية الإسلامية الإيرانية. الخصال العامة والخاصة لعلاقة إيران بالعالم والتقارب والتباعد التاريخي في السياسة الخارجية والعنصر الجيوسياسي وتأثيره في القدرة الإقليمية لإيران والقراءة الثورية للأحداث الدولية والمستقاة من تعليمات التشيع والميزة الواضحة للدبلوماسيين والدبلوماسية الإيرانية عند مقارنتها بالمعايير العالمية ونظام الحوار الخاص ومستويات مختلفة من التباين والصراع حتى الاشتراك والتعاون، هي نقاط سترافق القارئ في رحلته في هذا الكتاب.

معظم جلسات هذا الحوار ـ عدا تلك التي كانت في جامعة آزاد

الإسلامية، حينما كان نائب الدكتور جاسبي[1] في الشؤون الدولية ـ كانت في غرفته بكلية العلاقات الدولية بوزارة الخارجية؛ من شتاء العام 2010 وحتى ربيع العام 2012. واختلفت مدّة الجلسات ـ بسبب الفرص المتاحة ـ بين أقل من ساعة وأكثر من ثلاث ساعات؛ إذ لم يكن من السهل الحصول على موافقة ظريف لهذا الحوار، حيث إنّه لم يقبل بأيّ حوار أو خطاب عام منذ رجوعه من آخر مَهمّة سياسية في نيويورك. فقد اقتصرت محاضراته ـ في كلية العلاقات الدولية بوزارة الخارجية ـ على تحليل المواضيع والأحداث من ناحية أكاديمية. وقد اشترط لبدء الحوار عدم تناول الوثائق السريّة وأسرار النظام، وخصوصًا ما تعلق بالمناقشات المرتبطة بالشأن النووي، ولم يكن من السهل تجنّب هذه القيود. فقبل كل جلسة حوار بأيام عدة، بحسب موضوع الحوار، كنتُ أقرأ وأُعدّ الأسئلة المناسبة، ومع أنّي كنت أسعى لأن يأخذ الحوار مجراه، إلّا أنّ الموضوع كان يترافق مع حواشٍ أرغب بل أصرّ على سماعها، فنخرج عن المجرى الأصلي للحوار.

يشمل الحوار شقين أساسيين:

1. الأحداث والذكريات بنظرة نقدية؛

---

(1) الدكتور جاسبي (نوفمبر/ تشرين الثاني 1944م): سياسي من التيار الإصلاحي، اقترح تأسيس الجامعة الحرة الإسلامية ثم أصبح رئيسًا لها منذ التأسيس عام 1982م حتى عام 2011م؛ ترشح لرئاسة الجمهورية الإسلامية الإيرانية مرتين؛ حاصل على شهادة الدكتوراه في الإدارة الصناعية والتقنية من جامعة آستون Aston بالمملكة المتحدة؛ كان له نشاط ثوري ضد نظام الشاه.

2. موضوعـات نظريـة فـي علـم العلاقـات الدوليـة والسياسـة الخارجيـة؛ بصفتهـا التخصـص الأكاديمـي لظريـف. لقـد كان الحجـم الأولـي لهـذا الكتـاب الضعـف، وفـي كل عمليـة تحرير أجريتهـا عليـه كنت أضيف أو أحذف شـيئًا مـا. وأحيانًا، افتقرت الموضوعـات للجاذبيـة التـي كنـت أتوقعها، فكنت أرتّـب حوارًا آخـر بمزيـد مـن الدقـة، وكان ظريـف دائمًـا نمـوذج الصبـر وحُسـن الخلـق، كمـا كان يبدي ملاحظاته ليخـرج العمل بأفضل حلّة .

كنـت أطـرح في الحوارات أسـئلةً ليُسـت ضمن اهتمامـي بالضرورة، لكنّهـا حتمًـا تهـمّ الجامعييـن أو بعض أطيـاف المجتمع الإيرانـي، ونظرًا لضـرورة الإجابـة عنها كنـتُ مجبـرًا علـى ذكرهـا. أما بعـض الأسـئلة والملاحظـات التـي كان مهتمًـا بهـا، ونظـرًا لبعـض القيـود، فلـم تُطـرَح أبدًا.

ختامًـا، أرى مـن الواجـب أن أتقـدم بالشـكر لـكل مـن كان له دور – بشـكل مباشـر أو غيـر مباشـر- فـي جميع مراحل إنتـاج هذا الأثـر؛ بدءًا بمسـؤولي دار «نشـر نـي» لدعمهـم اللامحـدود، كمـا أرى نفسـي ممتنًّا بأكثـر الشـكر فـي التحريـر النهائـي لمحاضـرات الدكتـور سـيد محمـد كاظـم سـجادپور بعنـوان «السياسـة الخارجيـة للجمهوريـة الإسـلامية الإيرانيـة»، وكذلـك لجهـود زوجتي السـيدة زهرا ميرغفـار، والتي قدّمت مـع كل قـراءة لهذا الكتـاب إصلاحات وملاحظات مفيـدة. وكذلك أتقدم بالشـكر مـن السـادة الدكتور رحيم خسـتو، والدكتور أحمـد بني جمالي

لمرافقتهـم العطوفـة فـي هـذا العمـل، ولتوفيرهـم فرصـة تعرفـي على دار «نشـر نـي». كمـا أتقـدم بالشـكر مـن الفضـلاء أصدقائـي الدكتـور محمـد علـي نوريـان، والدكتـور غـلا محسـين بنـي أسـدي، والدكتـور محمـود شـيخ، فقـد كان تذكيرهـم وملاحظاتهـم القيّمـة نبراسًـا ينيـر الطريـق. ولا شـكّ أنّنـي أتحمل وحدي مسـؤولية كل مـا يجانب الصواب فـي هـذا الكتاب.

محمد مهدي راجي

صيف 2012م

السيرة الذاتية

مـن الجيّـد بدايـةً أن نتعـرّف إليك، فمتـى وُلدت؟ وفـي أيّ مدينة؟ وكيـف كانـت طفولتك بشـكلٍ عام؟

وُلـدت فـي 8 يناير/كانـون الثانـي مِـن العـام 1960 في طهـران. أمي هـي ابنـة المرحـوم الحاج ميـرزا علي نقـي الكاشـاني، أحد كبـار التّجار في طهـران، وأبـي مـن التجـار المشـهورين فـي أصفهـان. انتقـل إلـى طهـران بعـد وفـاة زوجتـه الأولـى، ثـمّ تزوج مـن أمي.

لأبـي ابنـةٌ واحـدة مـن زواجه السـابق، ولأمي ابنـةٌ وابنٌ مـن زواجها السـابق. بعبـارة أخـرى، لـديّ أخـتٌ وأخٌ مـن جانـب الأم، وأخـتٌ مـن جانـب الأب. والحاصـل أنّنـي الابـنُ الوحيـد والأخيـر فـي عائلتـي، إذا اسـتثنينا أخـي الـذي توفّـي في الأشـهر الأولى مـن عمره، وكنـت عندها فـي السادسـة مـن عمـري. عائلتـي متديّنـة تقليديّـة، تنتمـي إلـى فئـة التّجـار مـن جهـة الأم والأب.

في أيّ منطقة من طهران كنت تقيم؟

كان منزلنـا يقـع بيـن شـارع كاشـان وشـارع كمالـي، خلـف حديقـة

الشاه سابقًا، وهو منزل كبير على النمط القديم، احتفظنا به بعد وفاة الوالد، إلى أن أصبح الاهتمام به صعبًا على والدتي.

عندما كنت في سنّ السادسة تقريبًا، انتقلنا إلى أصفهان لعدة أشهر، وبدأت الدراسة الابتدائيّة، لكن سرعان ما عدنا إلى طهران، وأكملت الدراسة الابتدائية بعد ذلك في مدرسة «علوي». ونظرًا إلى أنّني كنت من تلاميذ النظام التعليمي الجديد، فقد أمضيت الصف الإعدادي الأوّل في ابتدائيّة علوي، عِوضًا عن الصف السادس الابتدائي، ثم انتقلتُ إلى ثانوية علوي بدءًا من الصّفّ الإعدادي الثاني.

تزامنت السنة الأولى من دراستي في ثانوية علوي مع وفاة المرحوم «روزبه»[1]، وهو أحد كبار المجتمع الثقافي الإيراني ومدير ثانوية علوي، فعُهِد إليّ بإلقاء خطاب باسم التلاميذ في هذه المناسبة. في الحقيقة، لم أكن أعلم سبب اختيارهم لي، ولكن مذ كنتُ في الصف الابتدائي الثاني، كان مدير ابتدائية علوي السيد علي أكبر حسيني، والذي أصبح بعد الثورة نائبًا في مجلس الشورى، والمرحوم السيد علامة كرباسجيان مؤسّس ابتدائية وثانوية علوي،

(1) رضا روزبه (أبريل/ نيسان 1921 - نوفمبر/ تشرين الثاني 1973م): وُلد في عائلة متدينة في مدينة زنجان، والده محمود الخياط من تلامذة المرجع الديني ميرزا محمد تقي الشيرازي (1842-1920م). درس المعارف الدينية حتى مستويات عالية إلى جانب الدراسة الأكاديمية الكلاسيكية. بدأ دراسة الفيزياء في العام 1951م، وتخرج بدرجة امتياز. وعلى الرغم من إصرار البروفيسور محمود حسابي على تدريسه في الجامعة والابتعاث إلى الخارج، فقد قام بتأسيس مدرسة علوي، واشتغل بالتدريس فيها. كان يشرف على اختيار الطلبة والمدرسين (منهم الشهيد مطهري ومحمد تقي جعفري) والبرنامج الدراسي. ومن طلبة هذه المدرسة، السيد أكبر هاشمي رفسنجاني، الدكتور حداد عادل، والكثير من المشاهير. توفي رضا روزبه بعد إصابته بداء السرطان إثر تعرّضه لإشعاعات ذرية في المختبر.

لطيفين معي، حيث كان اختيارهما يقع عليَّ لإلقاء الكلمات في المناسبات والأعياد الدينية.

أعتقد أنّني ألقيت أوَّل خطابٍ في الصف الابتدائي الثاني لمناسبة عيد الغدير، وتلك كانت بدايات ممارستي للكتابة وإلقاء الخُطب.

هل كانا يستشعران لديك قدرةً خاصّةً على الخطابة؟

كنت الطّالب الأول في المدرسة دائمًا، بدءًا من الصّفّ الابتدائي الثاني ووصولًا إلى مرحلة الثانوية. لعلّ ذلك يرجع إلى التقدير الإلهيّ. وطيلة تلك الفترة، كنت ألقي الخطابات في المدرسة، وكان معظم الأطفال يعرفونني لهذا السّبب.

بطبيعة الحال، كنتُ كثير القراءة آنذاك، وأُصِبتُ بألم في العين وبالشقيقة بسبب كثرة القراءة، ولا زلت إلى الآن ـ بعد 40 عامًا ـ أعاني الصداع. في ذلك العام، تعرّضَتْ أمي لمرض شديد في الظهر، وأصيبَتْ بالسلّ في العظام، وخضعَت لعمليةٍ جراحيةٍ في بريطانيا، ثم أُجبِرَتْ على الإقامة فيها حوالي سبعة أشهر لاستكمال العلاج. كان هذا أوّل سفرٍ لي إلى الخارج، بصرف النّظر عن السّفر إلى العتبات المقدّسة حين كنت في الخامسة من عمري. في البداية، سافرَت أمي برفقة خالي إلى بريطانيا، ثمّ التحقتُ بها مع أبي بعد انتهاء العام الدراسي، وبقيتُ معها طيلة فترة الصيف الممتدة إلى ثلاثة أشهر. وقد عانيتُ صعوبةً في السّفر بسبب اشتداد مرض الشقيقة.

آنذاك، كان معظم طلبة مدرسة علوي من الذين ينشطون في

العمل السياسيّ، ينظّمون صفوفًا في التّمثيل وغيره، كما يقومون بتدريس الكُتب الممنوعة في تلك الفترة. أذكر أنّ أربعةً من الزملاء المشاركين في هذه الصفوف قد اعتُقِلوا، وكنتُ قلقًا من التعرّض للمشاكل، ذلك أنّني كنت ناشطًا في هذه المجالات أيضًا.

وبسبب تفاقم مرض الشَّقيقة، لم أتمكّن من متابعة الصّفوف الدراسيّة، ولم أخضع لامتحانات نهاية العام، ولكنّي اجتزتها بنجاح في الإعادة. وكان من لطف المدير والمعلمين أنهم ساعدوني، ذلك أنني كنت الطالب الأول في المدرسة.

بذلك، أنهيت الصف الثانوي الثاني، والتحقت بمدرسة الخوارزمي لثلاثة أشهر، وانتقلتُ أخيرًا بمساعدة أحد أصدقاء الوالد ـ الذي كان يتظاهر بالإيمان، ثم تبيّن أنّه متعاون مع جهاز الاستخبارات «السافاك» ـ إلى الولايات المتحدة الأمريكية، قبل التخرج من الثانوية، ولم أكن عندها قد بلغت السابعة عشرة من عمري. ونظرًا إلى معدلاتي الدراسية المرتفعة، كان قبولي في الجامعة أمرًا سهلًا[1]، وكان سفري بالدرجة الأولى طوق نجاة لي، خوفًا من الاعتقال في إيران.

وهناك، سعى أقاربي إلى تسجيلي في إحدى الثانويات في نيويورك أو سان فرانسيسكو. وقد انتقلت إلى سان فرانسيسكو، لأنّ مدارس نيويورك تأخّرت في قبول الطلب، واستغرق الحصول على

(1) يقصد الجامعات الإيرانية، حيث يتم قبول الطلبة بامتحان تنافسيّ.

التأشيرة فترة يومين أو ثلاثة، وكنت قد حصلت مسبقًا على جواز سفر بمساعدة صديق والدي المذكور. هذه خلاصة عن طفولتي.

ما هي مميّزات عائلتك؟ وما هي أعرافهم الدينيّة والسّياسيّة؟

بشكلٍ عام، يُعتبر أفراد عائلتي من المتديّنين التقليديين. لم يترك والدي صلاة الليل طيلة السنوات التي قضيتها معه. ورغم ذلك، كان مخالفًا للثّوريين وللجمهوريّة الإسلاميّة قبل الثورة، وبقي مخالفًا لها حتى وفاته.

كذلك، كانت والدتي، ولا زالت، من النساء المتدينات، وتعدّ عائلتها من العوائل المتديّنة والتقليديّة. بشكلٍ عام، كان مستوى العائلة المعيشيّ ممتازًا، وكنا نعيش حياةً مرفّهة، وقد اشتريت منزلي من الأموال التي ورثتها عن والدي، ووهبتني إياها والدتي.

هل لا زالت والدتك على قيد الحياة؟

نعم، وهي تبلغ من العمر 85 سنة.

متى توفّي والدك؟

توفي والدي قبل حوالى 28 سنة، وذلك في العام 1984م. عندها، كانت زوجتي حاملًا في الشهر الثاني. وللأسف، كنت في الولايات المتحدة الأمريكية، ولم أتمكّن من العودة إلى إيران لإقامة مجلس فاتحة على روحه.

ونظـرًا لرغبـة والـدي الشّـديدة فـي تعرّفـي إلـى الأمـور الدينيّـة، كنــتُ أدرس الحديــث قبــل الذهــاب إلــى المدرســة. وكنــتُ فــي الابتدائيـة حيـن بـدأتُ بدراسـة «جامـع المقدمـات». وفـي المنـزل، كنـتُ أدرس كتـاب «شـرح الأمثلـة» علـى يد أحـد العلمـاء الذيـن توفّوا حديثًـا؛ وهـذا الكتـاب هـو الجـزء الأول مـن «جامـع المقدّمـات».

فـي أحـد الأيام، جـاء المرحوم السـيد «علامة» مع بعـض المرافقين، وطلبـوا مـن والـدي إرسـالي إلـى الحـوزة العلميـة فـي قـم، ذلـك أنهـم كانـوا يعتقـدون أنّـه بمقـدوري أن أصبـح مرجعًـا للتقليـد ذات يـوم. رحّـب أبـي بهـذا الاقتـراح بشـدة، ولكنّ أمـي لم توافقـه الـرأي، فتوافقا علـى متابعتـي الـدروس الحوزويـة صباحًـا قبـل ذهابـي إلـى المدرسـة عنـد اثنيـن مـن العلمـاء. وقـد شـاركت مـع بعـض الأصدقـاء فـي هـذه الـدروس، أحدهـم هـو المرحـوم «مجيـد سـالم»، الـذي التحـق بالحوزة وحـاز درجـة «الاجتهاد»، كمـا التحق بالجامعـة وكان الطالب الأول فيها. كنـا نتعلّـم فـي هـذه الصفـوف الخاصـة اللغـة العربيـة وأصـول الفقـه، وقـد بدأنـا بكتـاب «الهدايـة». وكنـتُ والمرحـوم «سـالم» نُـدرِّسُ ظهـرًا بعـض الأصحـاب في مدرسـة علوي ما تعلّمنـاه صباحًا، ثـمّ تعلّمنا كتاب «شـرح ابـن عقيل».

كنـتُ أنـام باكـرًا لأسـتيقظ صباحًا للذّهـاب إلى المدرسـة. كان درس اللغـة العربيـة يبـدأ فـي السادسـة صباحًا، ويسـتمرّ إلى السـاعة الثامنة إلا رُبـع. والجديـر بالذكـر، أنّ كتـاب «شـرح الأمثلـة» كان مختصًّـا بمادّة الصـرف، فيمـا كان كتـاب «الهدايـة» يختصّ بمـادّة النحو.

هل درستَ شيئًا من الفقه، مثل كتاب «اللمعة»؟

لا، كنتُ في بداية درس الفقه حين أُصبت بألم في العين وبالشقيقة، فلم أستطع الذهاب إلى المدرسة أيضًا، وهو ما سبّب لي الكثير من الضغط النفسي، ولكنَّ المدرسة نفسها اقترحت عليّ الابتعاد عن البيئة الدراسية للنقاهة والراحة والسفر، فسافرت إلى أصفهان، ومكثتُ عند أختي لعدة أشهر.

كان البعض يعتقد أنّ كثرة صيامي دون سحور هو سبب وجع العين والشَّقيقة، حيث إنّي كنت كثيَر الصيام آنذاك، وكان البعض الآخر يرى أنّ السّبب في ذلك هو الضّغط النّفسيّ الّذي تعرّضت له عندما مرضَتْ والدتي.

كيف شُفيَتْ والدتك؟

شُفِيَتْ قبل أربعين سنة، عندما خضعت في بريطانيا لعملية جراحية استغرقت سبع ساعات، استخرجوا خلالها ثلاث فقرات من ظهرها، واستبدلوها بثلاث فقرات جديدة. كان يُقال إنّ هذه العمليّة لا يستطيع إجراءها إلا طبيب واحد، (وهو الذي أجراها لها).

ولكن مقارنةً بالمشاكل والضغوط التي كان الآخرون يتعرّضون لها، كانت حياتي مريحة وخالية من المشاكل، بيد أنني لم أكن قادرًا على تحمّل مرض والدتي، وهو ما سبّب لي الكثير من الضّغط النّفسيّ.

وهل شُفِيتَ من مرضِكَ؟

تحسَّنْتُ كثيرًا بعد أخذ قسط من الراحة. وعلى الرّغم من مراجعتي اختصاصيين في طبّ العيون، وأطباء نفسيين، وغيرهم، فلا زلتُ أعاني شقيقةً شديدةً، كما أنّني صرت حسّاسًا بالنسبة إلى الجوع، ولم أتمكّن من الصيام لعدة سنين. ومجدّدًا، أعاني ألمًا في العين كلّما صُمت.

ما التغيّرات السياسية والاجتماعية في إيران الّتي حدثت في طفولتك؟ هل تذكر شيئًا منها؟

كنتُ الطّفل الوحيد في المنزل، ولم يكن لديّ رفيق. ومن ناحية أخرى، كانت عائلتي محافظة بشدّة.

هل كانت عائلتك محافِظة من النّاحية السياسيّة؟

كانت عائلتي محافظة من كلّ النواحي، فلم يكن لدينا تلفاز في المنزل، ولكن كان لدينا راديو نستخدمه للاستماع إلى دعاء السَّحر في شهر رمضان فقط، ثم يُخبأ في الخزانة في بقية السّنة.

رغم أنّكم كنتم قادرين ـ ماديًّا ـ على شراء تلفاز!

نعم، كنا قادرين ماليًّا على شراء أكثر من هذه الأمور، ولكن انطلاقًا من العقائد التي كنّا نؤمن بها، لم نشترِ تلفازًا. أظن أنّني لم أذهب إلى السينما حتى الخامسة عشرة من عمري، ولكني شاهدت بعض الأفلام في مدرسة علوي، مثل الفيلم الكوميدي «الجحش اليتيم».

كذلـك، كان البعـض يمتلـك تلفازًا، مثـل عائلة المرحوم سـالم، ولكن ابنـه مجيـد أجبـره علـى التخلّص منـه. إضافةً إلـى هذه الأمـور، لم تكن الصّحـف تتواجـد فـي منزلنـا، ولم يكن يَسـمح لي والـديَّ بالتنقّل.

ماذا عن إقامة الصّداقات؟

لـم يكـن يُسـمح لـي بالتنقّـل مـع أيّ شـخص. كنـتُ أذهـب فقـط إلى المدرسـة فـي الصبـاح، بـل إنّ والـدي ـ ولمزيـد مـن الرقابة ـ أوصـى مزارع المنـزل بمرافقتـي إلـى محطّـة الحافلـة، ولهـذا كانت طفولتـي منعزلة عن المجتمـع. ولكـن نظـرًا إلـى قراءاتـي ورغبتـي الشَّـخصيَّة بالاطـلاع علـى الأحـداث، كنـتُ على علم ببعـض ما يجري. ففي تلك الفترة مثـلًا، افتُتِحَت «حسـينية أرشـاد»، وكان المرحوم «شـريعتي» يخطب فيها، فكنتُ أستفيد قـدر الإمـكان مـن كُتبه، كما كنت أشـتري الكثيـر من الكتـب، وكان بعضها ممنوعًـا، لذا كنـت أخفيها.

ذات مـرة، كان علـيّ الحديـث عـن السـيدة فاطمـة الزهـراء عليها السلام فـي مدرسـة علـوي القريبـة إلـى كليـة العلـوم الاجتماعيـة، واسـتطعت بطريقـةٍ مـا الذهـاب إلـى مكتبة الكليـة، واسـتعارة كتـاب «فاطمة هي فاطمـة»، للمرحـوم شـريعتي، وقـد ترافقـت قراءتـي لـه مـع إصابتـي بوجـع العيـن. وحيـن انتقلـت إلـى أصفهـان، لم يتسـنَّ لـي إرجاعه إلى المكتبـة، فأخفيتـه تحـت سـجادة غرفتـي وذهبـت.

فـي تلـك الظـروف، بـدأ اعتقـال أصدقائـي. وبداعـي قلـق والدتـي مـن هـذه الأخبـار، قامـت برفقـة أحـد الأقـارب الكثيـري الاهتمام بالشـأن

السياسـي بتفتيـش المنـزل، فعثـرا علـى عـدة كتـب لــ «صمـد بهرنگـي»، والمرحـوم «شـريعتي»، وعـدة كتب دينيـة، وقاما بإتلافها فـي خزان المياه فـي فنـاء منزلنـا الكبير.

مـع الأسـف، كان كتـاب «فاطمة هي فاطمة» الذي اسـتعرته من مكتبة كليـة العلـوم الاجتماعيـة من بيـن تلك الكتـب. وحين رجعت إلـى طهران، واكتشـفت الأمـر، غضبـتُ جـدًّا، وأخبرتهـم أن ما فعلـوه جعل للنـاس حقًّا على عاتقي.

والجديـر بالذكـر، أنّ قلـق عائلتـي علـيّ كان مـردّه إلـى الظروف الاجتماعيـة بشـكل أسـاس ـ نظـرًا إلى الوضـع الاجتماعـي الذي كان سـائدًا آنذاك ـ ثمّ أصبح سـببه سياسـيًّا، وهو ما دفعهم إلى إرسـالي إلـى أمريـكا. وقـد تبـدّد هـذا القلـق الَّـذي أدى إلـى حرمانـي مـن زيـارة أصدقائـي، فتـمّ تسـجيلي فـي مدرسـة خوارزمـي بدايـةً، ثـم إرسـالي إلـى أمريـكا فيمـا بعد.

إلـى أيّ قـوى سياسـيّة كانـت عائلتك تميـل في تلك الظـروف؟ هل كانـت تميـل إلـى المعارضيـن، مثـل جـلال آل أحمـد، والمرحـوم شـريعتي، والقوى الإسـلاميّة، مثل حزب المؤتلفة الإسـلامي، أو أنها كانـت تميـل إلـى القـوى الوطنية، مثـل الجبهـة الوطنيـة الإيرانيَّة؟

لـم تكـن عائلتـي تميـل إلـى أيٍّ مـن هـذه القـوى، فقد سـاعد جدّي المرحـومَ مصـدق اقتصاديًّـا إبّـان حكومته، كمـا كان قريبًا مـن المرحوم «كاشـاني»، وجمعتهمـا مـراودات وصـلات، ولا أعلـم إذا كان ذلك يرجع إلـى تشـابه عائلتيهمـا، أو أنّ ثمـة علاقـات عائليـة بينهما فعلًا.

وفـي أصفهـان، كان أبـي قريبًـا مـن العلمـاء التقليدييـن، مثـل: المرحـوم آيـة اللـه خادمـي، والمرحـوم آيـة اللـه شـمس آبـادي، اللذَيْن لـم تكـن تربطهمـا علاقـة جيّـدة بالثوريين، ولكنّنـي كنتُ في المدرسـة متعلقًـا بمـن كانـت لديهـم ميـول سياسـية، مثـل أبنـاء زعمـاء حسـينيّة أرشـاد، فكنـتُ أنتهـز أيَّ فرصـة لآخـذ منهـم كتبًـا.

كان المرحـوم مطهّـري يأتـي إلـى مدرسـة علـوي، ولكني لـم أوفّق للقائـه. كمـا كانـت أفـكار المرحـوم «غفـوري» و«بـازرگان» رائجة في مدرسـتنا، وكنّـا نتلقّاهـا باعتبارهمـا متديّنيْـن، وكان الشّـبّان الأكثـر انخراطًـا فـي الشـأن السياسـي يقـرأون كتبًـا للمرحـوم «طالقانـي»، لا أذكـر رواجًـا للأفـكار الوطنيّـة فيهـا.

إلى أيّ جهة كانت ميولك؟

كنـتُ أقـرأ الكتـب التّقليديّـة والكتـب الثوريّـة معًـا، وكنـتُ مـن الأشـخاص المعدوديـن فـي مدرسـة علـوي ممـن يحضـرون اجتماعـات «الحجتيـة»[1] والثورييـن.

---

(1) الجمعية الخيرية الحجتية المهدوية: منظمة أسسها الشيخ محمود حلبي في العام 1953م، بهدف الدفاع عن الإسلام في مقابل البهائية، وإعداد أرضية ظهور الإمام المهدي‌ﷺ.
من أهم عقائد الجمعية: 1) مخالفة الإسلام السياسي أو الحكومة الإسلامية وتدخّل علماء الدين في الشأن السياسي. ومما يعتمدون عليه في هذا الصدد، الرواية المأثورة عن الإمام الصادق: «كُلُّ رَايَةٍ تُرْفَعُ قَبْلَ قِيَامِ الْقَائِمِ، فَصَاحِبُهَا طَاغُوتٌ يُعْبَدُ مِنْ دُونِ اللَّه». 2) مخالفة العلوم العقلية، ولا سيما الفلسفة، معتقدين أنها دخلت إلى العالم الإسلامي بمؤامرة من الخلافة العباسية، تصديًا لفكر أئمة آل البيت وعلومهم. 3) لا يكفي لقيادة المجتمع الإسلامي مجرد العدالة، بل من الواجب عصمة القائد، ولا يكون هذا إلا للإمام.
تشكلت الجمعية هيكليًا من: 1) مجموعة التبليغ، وتتولى مناظرة مبلغي البهائية، والرد على شبهاتهم، ودعوة البهائية إلى الإسلام. 2) مجموعة التعليم، وتقوم بإعداد المذكرات الدراسية وتوزيعها على الطلبة، وكانت تُسترد منهم وتُتلف بعد أسبوع. 3) مجموعة الخطابة، وتتولى الخطابة في الاجتماعات الأسبوعية بمثل هدف مجموعة التبليغ. 4) مجموعة البحث، وقد عملت بهدوء =

كان فـي مدرسـتنا فريقـان؛ أحدهمـا فريـق الحجتيـة، وكان أفـراده يشـاركون فـي مجلـس المرحـوم حلبـي[1]، الـذي كان يقـام فـي منزلـه أحيانًـا، فكنـت أذهـب لحضوره، كما كنتُ أشـارك في مجالـس الثوريين. لـذا، أعتقـد أنّـي علـى اطـلاع علـى فكـر الفريقين.

إذًا، هـل يُحتمـل أن يكـون هدفـك هو التّعـرّف إلى فكـر الفريقين، لا الانتمـاء إلـى أحدهما؟

نعـم، بحمـد الله، لـم أرتبط يومًا بـأيّ حزبٍ من الأحـزاب الموجودة فـي البـلاد، ولا زلـت إلـى الآن غيـر منضوٍ فيهـا، ولن أنتمي إلـى أيٍّ منها في المسـتقبل، إن شـاء الله.

= ورويّة لاختراق البهائية، والوصول إلى مراتب عليا فيها. انتمى بعض أعضاء الجمعية الحجتية إلى البهائية، وأصبحوا من الدعاة فيها.

من مميزات الجمعية: 1) النشاط السري. 2) وجود هيكلية هرمية. 3) الاستفادة من أدوات التواصل الحديثة آنذاك، وكمثال، فقد كانوا أول من استبدل بالمنبر منصة وكراسي في صالة في شمال طهران، كما كان أعضاؤها يتميزون بهندام أفضل من سائر المتدينين.

نظرًا إلى سوء ظنّ مؤسسي الجمعية بالثورة، بحسب عقائدهم المذكورة آنفًا، فقدت الجمعية الكثير من المنتمين إليها بعد الثورة، وحُلّت في مارس/ آذار 1983م بعد قول الإمام الخميني: «ادخلوا في هذا التيار الشعبي الجارف، ولا تسبحوا خلاف التيار، وإلا كُسرت أجنحتكم». وقد حذّر البعض من عودة نشاط الجمعية وتغلغلها في نظام الجمهورية الإسلامية أو علاقتها ببعض المراجع.

للمزيد انظر: جعفريان، رسول. جريان ها وسازمان هاي مذهبي - سياسي إيران (از روي كار آمدن محمدرضا شاه تا پيروزي انقلاب إسلامي)، سال هاي 1320 –1357. خانه كتاب، 1391، أي «التيارات والمنظمات الدينية السياسية في إيران» (من محمدرضا شاه حتى انتصار الثورة الإسلامية) الأعوام 1940-1978م.

(1) محمود ذاكر زادة تولائي، المعروف بالشيخ محمود حلبي (8 سبتمبر/ أيلول 1900-16 يناير/ كانون الثاني 1998م): عالم دين شيعي، أسس الجمعية الخيرية الحجتية المهدوية. تلقى المعارف الدينية حتى مستويات عليا، وأصبح مدرسًا للفلسفة في الحوزة العلمية في مشهد، وتأثر بآية الله ميرزا مهدي الأصفهاني، وأصبح من مخالفي الفلسفة والتصوف والعرفان. مارس النشاط السياسي في الأعوام 1949-1953م، مدافعًا عن تأميم النفط، واعتزل السياسة بعد انقلاب 1953م على رئيس الوزراء المنتخب محمد مصدق بمؤامرة من جهاز الاستخبارات البريطاني والأمريكي.

في الولايات المتحدة الأمريكية

مـن الأفضـل أن ننتقل إلى موضـوع هجرتك إلى الولايـات المتّحدة الأمريكيـة. حبّـذا لـو حدَّثتنـا بدايةً عـن نيّتك للهجـرة، والّتي نتجت مـن ظـروف تحدّثـت عنهـا سـابقًا. أخبرنـا أولًا عـن المسـار الـذي اخترتـه أثنـاء دراسـتك الثانوية؟

اختـرت مسـار الرياضيـات (رياضيـات ـ فيزياء آنـذاك)، وكان معدلي التراكمـي فـي الصـفّ الأول ثانـوي يبلـغ 99.25 %، لـذا كنـتُ الطالـب الأول بيـن نظرائـي بفـارق كبيـر. وفـي العـام التالـي، كان معدلـي أكثـر مـن تسـعين فـي المئـة، لأنّنـي أجريـت الامتحانـات صيفًا.

كيف ولدت فكرة سفرك إلى الولايات المتّحدة الأمريكيّة؟

كنـت مصـرًّا علـى السّـفر، رغـم معارضـة والـديّ للفكـرة. وأذكـر أنّ جـدالًا حـادًا دار بيننـا، ذلك أنهما كانا مسـتعدين لإرسـالي إلـى بريطانيا ـ البلـد الأقـرب إلـى إيـران ـ إن اقتضت الضـرورة، ومُصرَّين على سـفري إلـى لنـدن، ولكننـي كنـت قلقًـا مـن حـدوث تأخير فـي السـفر. ولذلك، وافقـا على سـفري إلـى أمريكا.

أذكر أنّني كنتُ حادًّا مع والديّ، عفا الله عنّا جميعًا.

إذًا، كان السَّفر إلى الولايات المتحدة الأمريكيَّة فكرتك؟

كنت أقصد الخروج من إيران، ولم يكن يخطر في بال والديّ أنّ مكروهًا ما سيصيبني. وعندما ذهبتُ في أحد الأيام إلى مدرسة علوي لألتقي بعض الأصدقاء، رآني أحد المعلمين ـ ما يزال على قيد الحياة، أطال الله في عمره ـ فناداني ليطلب مني المغادرة، لئلّا أتسبّب في مشاكل لنفسي وللمدرسة.

كذلك، نصحني أحد المعلمين في مدرسة خوارزمي ـ خارج الصف ـ بأخذ المزيد من الحيطة والحذر. كان عمري آنذاك ستة عشر عامًا فقط، ومن الطبيعي أن تقلقني هذه الأمور، ولهذا كنت أصرّ على الذهاب إلى أمريكا.

في ذلك الحين، وافق أحد أقرباء أمي المقيمين في أمريكا، وقد كان يسكن مؤقتًا في طهران عندها، على تسجيلي في إحدى ثانويات سان فرانسيسكو. وفي الوقت نفسه، طلب والدي من عمّي المقيم في نيويورك، العمل على تأمين موافقة للدراسة في المدينة، ولكن موافقة ثانوية سان فرانسيسكو جاءت أسرع.

لقد كان أبي يفضّل أن أسكن في نيويورك، لكي أكون تحت رقابة عمي، لكن الأقدار شاءت أن أنتقل إلى سان فرانسيسكو.

إذًا، كان عمرك 17 عامًا عندما هاجرتَ إلى أمريكا، ولم تكن قد أكملْتَ الصّفّ الثانويّ الثالث!

كنت قد أكملت الصف الثانوي الثاني، ودرست ثلاثة أشهر من

الصف الثالث في مدرسة خوارزمي في منطقة تجريش. وغادرت إيران في يناير/كانون الثاني من العام 1977 إبان حكومة كارتر.

ألم تكن لديك مشكلة مع الجنديَّة؟

ساعدني صديق والدي ـ السابق الذكر ـ والذي كان متعاونًا مع جهاز المخابرات، على الخروج من إيران. ولو بقيت حتى شهر مارس/آذار من العام المذكور، لكنت مطلوبًا للجندية. عندما غادرت البلاد، لم يكن لديّ جواز طالب جامعي، إلا أنني سافرت في نهاية المطاف كطالب، وانتسبت إلى ثانوية Drew College Preparatory School.

كان مستواها أعلى بقليل من الثانوية، وعلى الرغم من أنّني كنت أحمل شهادات دراسية من الثانوية التي تعلمت فيها في إيران، فإنهم أخضعوني لامتحان. وبناءً عليه، حُدِّد لي درسان في اللغة الإنجليزية، ودرسان في العلوم الاجتماعية، ودرسان في التاريخ الأمريكي. وبعد خضوعي لهذه الدروس، واجتيازي الامتحانات، حصلت على شهادة الثانوية العامة.

كيف كان مستواك باللغة الإنجليزيّة آنذاك؟

نظرًا إلى قلق والديّ من تواجدي في المجتمع، لم أدرس اللغة الإنجليزية خارج المدرسة، رغم وجود معاهد من مثل «إيران وأمريكا» أو «شكوه إيران» آنذاك. ولكن لحسن الحظ، كان مستواي في اللغة الإنجليزية جيدًا، وحصلت على علامة 540 في امتحان TOEFL عند سفري إلى أمريكا، ذلك أنّي كنت أقرأ بعض الكتب باللغة الإنجليزية في الثانوية، مثل: كتاب الفيزياء

والكيمياء. ومن اللطيف، أنّ والدتي احتفظت بهذه الكتب، ولا زالت موجودة لديّ.

بعد ستة أشهر، وتحديدًا في شهر أكتوبر/ تشرين الأول، تخرَّجت من الثانوية، وكنت مجبرًا على التسجيل في الجامعة بشكل فوري، لئلّا تنتهي تأشيرتي الدراسية. كان موعد التّسجيل في الجامعات المرموقة مثل ستانفورد وبيركلي قد انتهى، لأنّها تفتح باب التّسجيل في شهر نوفمبر/تشرين الثاني لبدء الدّراسة في سبتمبر/ أيلول. وحيث إنّي تخرجت في شهر أغسطس/آب، كانت جامعة سان فرانسيسكو أول جامعة تقبل طلبي، وذلك في تخصص علوم الكمبيوتر. في نهاية المطاف، التحقت بالجامعة في سبتمبر/أيلول من العام 1978م، وبعد إنهائي فصلًا دراسيًّا، بدأت أفكر في الانتقال إلى جامعة أخرى، وذلك تزامنًا مع انطلاق الثورة في إيران.

ومن الجدير ذكره، أنّني زرت معلمي في مدرسة علوي قبل السفر إلى الولايات المتحدة الأمريكية، والتقيت السيد عدالتي (حفظه الله)؛ أحد المسؤولين في المدرسة، وأعطاني أرقام الهواتف الخاصة ببعض الخريجين الناشطين في الجمعية الإسلامية في أمريكا، مثل «حسين وهاجي»، الذي أصبح وزيرًا للتجارة بعد الثورة، فوضعتها في الحقيبة، ولكنّ والدتي أتلفتها بعد أن عثرت عليها أثناء تفتيشها.

قبل الثورة بخمسة أشهر أو ستة، عثرتُ على هؤلاء الأصدقاء، ولعلّهم هم الذين عثروا عليّ. وبذلك، انضممتُ إلى الجمعية الإسلامية للطلاب في أمريكا وكندا ـ فرع مدينة بيركلي. وكان من

أكثر الفروع شهرة فيها، وهو يضمّ أعضاء مثل «محمد هاشمي»[1]، «الدكتور جواد لاريجاني»[2]، «حسين شيخ الإسلام»[3]، «المرحوم نوربخش»[4]. أما مؤسس هذا الفرع والجمعية، فقد كان الدكتور مصطفى شمران.

كانت الجمعية تتفرَّع إلى أقسام تشمل المدينة والمنطقة والمحلة. وكنتُ أدرس علوم الكمبيوتر في الجامعة ضمن قسم المدينة، ولكنني كنت أمضي معظم الوقت في الاجتماعات والتظاهرات، فلم تكن الثورة قد انتصرت بعد، وكنّا منشغلين بالتنقل بين المدن ووضع الإعلانات على الجدران.

بعد انتصار الثورة، حدّثني السيد «شيخ الإسلام» قائلًا: «يستطيع

(1) محمد هاشمي رفسنجاني، المعروف اختصارًا بمحمد هاشمي (ديسمبر/كانون الأول 1940م): شقيق «أكبر هاشمي رفسنجاني». هو سياسي وعضو في مجلس تشخيص مصلحة النظام منذ العام 1997م. كان له نشاط ثوري في عهد نظام الشاه، أدى إلى القبض عليه ونفيه. يُعد من مؤسسي الجمعية الإسلامية للطلبة الجامعيين الإيرانيين المقيمين في الولايات المتحدة الأمريكية، كما كان من أعضاء مجلس الشورى المركزي لحزب الجمهورية الإسلامية. تولى عدة مناصب رئاسية في الجمهورية الإسلامية، مثل رئيس الإذاعة والتلفاز، نائب وزير الخارجية وغيرها. تخرج من جامعة بيركلي Berkeley في الولايات المتحدة الأمريكية.

(2) محمد جواد لاريجاني (1951م): سياسي وعالم رياضيات، وُلد في النجف بسبب هجرة والده إليها، إثر ضغوط الشاه على علماء الدين. بدأ بالدراسة الدينية (الحوزة العلمية)، ثم درس هندسة كهرباء في الجامعة شريف التقنية. كان نائبًا في مجلس الشورى الإسلامي، وتولى عدة مناصب، منها معاون في وزارة الخارجية، ورئيس مركز أبحاث العلوم الأساسية.

(3) الإسلام حسين شيخ (1952م): تخرج من جامعة بيركلي في هندسة الكمبيوتر. كان أمينًا في الجمعية الإسلامية للطلبة الجامعيين في أمريكا (1978-1979م). عمل في وزارة الخارجية كمعاون سياسي (1981-1997م)، كما كان سفيرًا لإيران في سوريا لخمس سنوات (1998-2003م)، ونائبًا في مجلس الشورى الإسلامي.

(4) محسن نوربخش (1948-2003م): كانت له علاقة برجال الدين قبل الثورة الإسلامية، وكان ينقل رسائل الشهيد بهشتي إلى الأحزاب والجماعات خارج البلاد، كما كان عضوًا في جمعية الطلبة الجامعيين في أمريكا. تخرج من جامعة كاليفورنيا (دافيس) UC Davis في تخصّص علوم الاقتصاد. أصبح وزير الاقتصاد (1989-1993م)، ورئيس المصرف المركزي (1981-1986) و(1994-2003).

الجميع التخصص في علوم الكمبيوتر، ولكنّهم لا يستطيعون جميعًا أن يصبحوا سياسيين جيّدين للجمهورية الإسلامية». بقوله هذا وإصراره، تغيّر مسار دراستي الجامعيّة ومسيرة حياتي.

بخلاف جامعة بيركلي التي كانت تميل إلى الشاه، كانت جامعة سان فرانسيسكو ليبرالية نوعًا ما، وكانت تبدو جيدة في تخصص العلاقات الدولية، كما أنّها كانت تضمّ عددًا من الأساتذة المرموقين الضليعين بهذا الاختصاص. كان الطلبة يُقبلون على تخصّصات العلوم السياسية، ولم تكن العلاقات الدولية مسارًا قديمًا حينئذ، وعندما حصلت على الماجستير، ذهبت إلى جامعة كولومبيا لمتابعة الدكتوراه، ولكن هذا التخصص لم يكن ضمن تخصّصاتها، ولذلك أكملت دراستي في دنفر.

والجدير بالذكر أيضًا، أنّ أعضاء الجمعية الإسلامية، من مثل الدكتور نوربخش، الدكتور مجتبى محزون ـ وهو الآن أستاذ في جامعة شيراز ـ والسيد شيخ الإسلام، وعدد آخر من الأصدقاء، كانوا يديرون السفارة في سان فرانسيسكو.

هل كانت لديهم مسؤوليّة مباشرة؟

لا، فقد كان نشاطهم ثوريًّا فحسب. ولم يكن السيد محمد هاشمي، أخو آية الله «أكبر هاشمي»، الذي كان يلقب بـ «الأب محمد»، وهو من أصدقاء فرع بيركلي، ومن أعضائه القُدامى ـ وبشكل عام فرع شمال كاليفورنيا ـ على علاقة جيّدة بالدكتور إبراهيم يزدي في تكساس.

وكان للسيد علي رضا نوبري، الذي أصبح رئيسًا للمصرف المركزي في حكومة بني صدر، توجهات وميول إلى الجبهة الوطنية الثالثة. أمّا بعض الأصدقاء، مثل السيد محمد هاشمي وجواد لاريجاني، فقد كانوا أقرب إلى علماء الدين.

كيف كان المرحوم مصطفى شمران؟

كان الدكتور شمران أحد أقدم أعضاء الجمعية، وكنت أحدثهم سنًّا. وكان بعض الأعضاء، مثل السيد نوربخش ولاريجاني، في مرحلة الدكتوراه، بينما لم أكن قد أكملت حتى البكالوريوس. وأعتقد أنّه كان قد غادر إلى لبنان حينها.

عندما انتصرت الثورة، عدت إلى إيران وتزوّجت. وبعد فترة وجيزة، أصبحت أمين الإعلام في الجمعية الإسلامية في أمريكا وكندا، وكان عمري آنذاك 21 عامًا، وربما كنت أصغر أمين للجمعية في ذلك الوقت.

هل كنت تحمل شهادة البكالوريوس عندما تزوَّجت؟

لا. كنت قد بدأت دراسة العلاقات الدولية، وكنتُ أريد أن ألقي خطبة لمناسبة ذكرى «17 شهريور»[1]. وأذكر أنّ أول خطبة ألقيتها بعد الثورة كانت في «سان هوزيه»، لمناسبة عيد النيروز. حينئذ، كانت حكومة المرحوم بازرگان تود إقامة حفل لهذه المناسبة،

(1) مذبحة الجمعة السوداء (8 سبتمبر/أيلول 1978م): حصلت في 17 شهريور 1357 بالتقويم الهجري الشمسي، حيث قمع الجيش المحتجين، ما أدى إلى سقوط الكثير من الشهداء. ويُعد هذا الحدث نقطة اللارجوع في أحداث الثورة في إيران.

ولكـن بعـض الثورييـن اعترضـوا علـى ذلـك الأمـر احترامًـا للشـهداء. وكانـت الجمعيـة الإسـلامية قـد قـررت أن تعـد برنامجًـا خاصًـا بهـا فـي هـذه المناسـبة، وكان مـن المقـرر أن ألقـي نثـرًا معروفًا في رثـاء الإمام الحسـين عليه السلام.

كانـت بدايـة النـص: «مـع صفيـر أول سـوط ارتفـع وسـقط علـى جلودنـا العاريـة ليرسـم عليها خطًّا مـن الدماء.. أي أُذنٍ سـمعت ذلك!».

لمن كان هذا النّصّ؟

لا أعلـم، ولكنـه أُلقـي سـابقًا في حسـينية أرشـاد، وكنت قد نسـخته من شـريط مسـجّل. يقول النصّ الطويل في نهايتـه: «ونحن المظلومون المنسـيون أبـد التاريخ، إن لم يكن شـهيدًا...»، ليبـدأ الحديث عن الإمام الحسـين عليه السلام. كنـت قـد نسـخت فقراتـه حتـى هـذا الجـزء، وألقيتهـا فـي المجلس.

كان رئيـس المجلـس يسـعى إلـى إنهـاء جميـع المحاضـرات بالصلاة علـى محمـد وآلـه، وعندما أنهيـت الجملة بعبارة: «وإن لم يكن شـهيدًا، والسـلام»، وقـف كل الحضـور البالـغ عددهـم ألفًـا وثلاثمائـة مصفقين، وهـو مـا كان خروجًا عـن المألوف.

كانـت الحكومـة آنـذاك تحـت إشـراف حركـة الحريـة «نهضـت آزادي»[1]، فيمـا كانـت وزارة الخارجيـة تحـت إشـراف الدكتـور يـزدي

(1) حزب سياسي إيراني تأسس في العام 1961م، على يد «مهدي بازرگان»، «يد الله سحابي»، و«السيد محمود طالقاني»، وبدعم من «محمد مصدق»، بهدف مقاومة الاستبداد والحصول على الحريات =

وإدارته. أنا ممتن لهذا الرجل، ولكنه لم يكن حينها محبًّا لفرع بيركلي الذي أنتمي إليه، ولهذا أرسل أحد أصدقائه، وهو السيد «علي خُرم»، إلى سان فرانسيسكو ليكون القنصل العام، وقد أصبح الأخير فيما بعد زميلًا لنا في وزارة الخارجية. عندما وصل إلى سان فرانسيسكو، ونظرًا إلى وجود خلافات قديمة في الجمعية الإسلامية، لم يُسمح له بالانضمام إلى فرع المدينة.

كان تنظيم الجمعية الإسلامية يعمل بشكل سريّ في أمريكا، وإلى الآن لم يعرف أحد أعضاء الجمعية والمعجبين بأفكارها. وكانت المشاركة في اجتماعات الجمعية مفتوحة أمام الجميع، ولكنّهم كانوا يختارون الأعضاء الأصليين.

كما كان السيد خُرم عضوًا في الجمعية ـ فرع شيكاغو، وقد جاء إلى بيركلي للمشاركة في الاجتماعات. وإثر الوفاق الذي تحقّق، تقرّر انضمامه إلى فرع الجمعية، وانضمّ ثلاثة أعضاء من الجمعية كمندوبين متطوّعين في السفارة، للتأكيد أنها لن تخرج عن المسار الثوريّ.

كان عمري آنذاك أقل من تسعة عشر عامًا، وكنت مندوبًا عن الجمعية الإسلامية، إلى جانب السادة «مهرداد باقري» و«علي كريم دلاوي»، ولهذا كان عليّ الذهاب إلى السفارة. وقد أصبحت مسؤول العلاقات العامة، ذلك أن لغتي الإنجليزية كانت جيدة.

= الأساسية المبنية على الهوية الإيرانية والإسلامية. من مؤسسي الحزب خارج إيران: «الدكتور علي شريعتي»، «مصطفى شمران»، «إبراهيم يزدي»، و«صادق قطب زاده»، ولكنّ الحزب متوقف عن العمل حاليًا.

وبعد حادثة الاختطاف، وبأمر من السيد كارتر، تمّ احتجاز الإيرانيين وإلغاء تأشيراتهم، ولذلك لم يكن متاحًا لأيّ شخص الرجوع إلى إيران. في ذلك الوقت، كنت متزوجًا، وقد مررنا بأيام عصيبة.

لِم لَم تختر العلوم السّياسية عوضًا عن العلاقات الدّوليّة؟

لقد اخترت التخصّص في العلاقات الدولية، لأنه كان اختصاصًا جيدًا في تلك الجامعة. وكان يدرّس فيها أساتذة مرموقون وبارزون.

هل وقع اختيارك على تلك الجامعة نظرًا إلى وضعها وإمكاناتها فقط؟ وهل كنت تعلم الفارق الجوهري بين التخصّصين؟

كنتُ أدرك الفارق بين التخصصين، ولم أكن أنوي البقاء في أمريكا كي أدرس العلوم السياسية، رغم أنّني اجتزت الكثير من الدروس في كلية الحقوق في جامعة كولومبيا وجامعة دنفر، ولكن الأمر لم يكن سببًا لاختيار هذا التخصّص، فقد كان من واجبي معرفة الحاجة إليه في إيران. ولهذا، واصلت دراسة العلاقات الدولية.

في صيف العام 1979م، رجعت إلى طهران، بعد أن اتصلتُ بأمي وأخبرتها أنّني أرغب في الرجوع إلى إيران بقصد الزواج. وبعدها بأسبوع، ذهبنا إلى أصفهان للقاء أختي التي تكبرني بخمسة عشر عامًا، والتي اقترحت أخت إحدى صديقاتها زوجةً لي، ذلك أنها كانت فتاة مؤمنة وثورية.

هذه الخطوبة كانت الأولى بالنسبة إليك؟

نعم، كانت المرّة الأولى والأخيرة. مكثت في إيران عندها مدة

ثلاثة أسابيع، وكنا في شهر رمضان المبارك، عندما دعت أختي شابتين إلى منزلها، لم أدقّق النظر إليهما، ولم أعرف أيًّا منهما هي المعنيّة.

في ذلك الوقت، كان والديّ في طهران، وبعد أخذ الإذن منهما، ذهبت مع أختي وزوجها لإتمام الخطوبة. كانت الشابة متدينة وثورية، وأذكر أنّني تلوتُ لها شيئًا من القرآن، وذكرت لها بعض الأحاديث الشريفة التي حازت على إعجابها.

عندما رجعنا إلى المنزل، طلبت من أمي القدوم إلى أصفهان لإكمال الإجراءات. وقد تزامنت مراسم خطوبتنا مع ليالي القدر. وفي تلك الليالي، كان ثمة شخص في أصفهان اسمه الشيخ مهدي مظاهري، يتلو دعاء أبي حمزة الثمالي ـ ولا يزال يتلوه ـ وكنّا نذهب جميعًا برفقة أخت زوجتي للاستماع إليه. هكذا مرّت فترة خطوبتي.

ونظرًا لاغتيال أحد الأقرباء ـ المرحوم «ميرزا محمد جعفر الكازروني» على يد مجموعة الفرقان[1] ـ جرى عقد الزواج بطريقة بسيطة جدًّا، وذهبنا إلى مشهد، ثمّ رجعت إلى طهران، ومنها إلى أمريكا، وعادت زوجتي إلى أصفهان، حيث كانت تسكن أمها.

---

(1) مجموعة الفرقان: تأسّست في أبريل/نيسان 1979م، بهدف القيام بعمليات ضد نظام الجمهورية الإسلامية. مؤسس المجموعة «أكبر گودرزي» كان من طلبة العلوم الدينية، لكنه انفصل عنها ليؤمن بوجود «تشيع علوي» خُط بالدم طيلة التاريخ، وآخر «صفوي» يحكم باسم الدين. كان گودرزي يقيم جلسات لتفسير القرآن في أنحاء طهران، ويقوم بجمع اتباعه من خلالها.
قامت المجموعة بعدد من عمليات الاغتيال للشخصيات الثقافية، مثل اغتيال «الشهيد مطهري»، إيمانًا منها بأن هؤلاء الضحايا هم «أئمة الكفر»، وهم يمثلون الآية: ﴿فَقَاتِلُواْ أَئِمَّةَ الْكُفْرِ إِنَّهُمْ لاَ أَيْمَانَ لَهُمْ لَعَلَّهُمْ يَنتَهُونَ﴾[التوبة: 12].

أما والد زوجتي، فقد توفي عندما كانت تبلغ من العمر اثني عشر عامًا. وعند زواجنا، كانت تبلغ سبعة عشر عامًا، وكنتُ في التاسعة عشرة من عمري حينئذٍ. ومن الطّريف أنّ ابني تزوج في التاسعة عشرة من عمره، وابنتي في سنّ السابعة عشرة. وأذكر أيضًا أنني عرفت فيما بعد أن زوجتي لا ترغب في السفر إلى أمريكا.

هل تحدّثتم عن الهجرة إلى أمريكا؟

لا، لم نتحدّث عن هذا الأمر، ذلك أن زوجتي لم تكن تمتلك جواز سفر وتأشيرة، في الوقت الذي كنت قد حصلت على تأشيرة «كثير السفر» قبل الثورة، ولذا لم تكن لديّ مشكلة في العودة إلى أمريكا. تتّسم عائلة زوجتي بسعة الصدر والهدوء، وقلّما كان القلق يتسلّل إلى قلوبهم.

كنتُ أقيم في أمريكا مع عدد من أصدقائي العازبين. وعند عودتهم ليلًا من العمل، كنّا نقيم دروس تفسير القرآن، وبعض الدروس الدينية الأساسية. في تلك الأيام، كتبتُ لزوجتي رسالة، وبإصرار مني، ذهبت إلى سفارة الولايات المتحدة الأمريكية في طهران للحصول على تأشيرة. وعندها، حازت الرقم ألف، الذي يشير إلى أن حصولها عليها سيستغرق سنتين على الأقل.

في الطريق إلى الولايات المتحدة الأمريكية، أخبرني شخص ممن تعرفتُ إليهم، أنّ السفارة الأمريكية في الدنمارك تمنح التأشيرة بسهولة. ولما كان السفر إلى معظم الدول الأوروبية ممكنًا من دون تأشيرة، طلبتُ منها السفر إلى الدنمارك، والتحقت بها من سان

فرانسيسكو. استغرق نيل التأشيرة يومًا واحدًا فقط، ورجعت إثر ذلك مع زوجتي إلى سان فرانسيسكو.

بعد مضيّ ثلاثة أسابيع على وصولنا إلى الولايات المتحدة الأمريكية، تمت السيطرة على السفارة الأمريكية في إيران، فألغى كارتر تأشيرة كل الإيرانيين المقيمين في الولايات المتحدة الأمريكية، ومنها تأشيرتنا ذات السنوات الأربع، وطُلِب من الجميع مراجعة إدارة الهجرة، لإثبات سبب وجودهم في هذا البلد، وكان علينا أيضًا أن نفعل ذلك.

تورّط الكثير من الإيرانيين حينها، فقد كان معظمهم من أبناء الطبقات الاجتماعية المتوسطة والدنيا، ممن يُرسلون المساعدات المالية إلى عائلاتهم في إيران. وكان عدد الذين يستلمون أموالًا من إيران للدراسة ـ مثلي ـ ضئيلًا جدًّا، ولذلك لم تكن لدينا مشكلة تتعلق بالإجراءات القانونية، فقد كنتُ أتابع دراستي الجامعية، بينما كانت زوجتي تدرس في المرحلة الثانوية. وفي السفارة الإيرانية، كُلّفتُ بمتابعة الحالة العامة للطلبة الجامعيين المعرَّضين للفصل، وبهذا دخلتُ مجال العمل الحقوقي.

في أيّ سنة تحديدًا حصل ذلك؟

تمّت السيطرة على وكر التجسّس في شهر نوفمبر/تشرين الثاني من العام 1979م، وبدأت عملي في يناير/كانون الثاني من العام 1980م. في تلك الأيام، أصبح الإيرانيون في الولايات المتحدة الأمريكية منبوذين. أذكر أنني كنت عائدًا ذات يوم من السفارة إلى

المنـزل، وتفاجأت بوجـود رجلين يحملان العصي في موقف السـيارات، فغـادرت المـكان مسـرعًا، وتوجهت إلى أقرب هاتـف عمومي، واتصلت بزوجتـي طالبًا منها وضع بعـض الأغـراض خلـف البـاب، لمنـع فتحـه عنـوة، ثـمّ عـدت مع عـدد مـن الأصدقاء إلـى منزلـي لإخراجها منه.

بسـبب هـذه المشـاكل، قررنـا الانتقـال إلـى سـكن جماعـي. كان أحـد المنـازل للصديـق السـيد «باقـري»، حيث يُقيـم وزوجتـه، والمنزل الآخـر يعـود إلـى زوج أختـه السـيد «حسـني». وقـد سـكن الرجـال في منـزل المرحوم السـيد «حسـني»، فيما سـكنت النسـاء في منزل السـيد «باقـري». فـي تلـك الظـروف، لـم أكـن أتمكّـن مـن لقـاء زوجتـي التـي كانـت بعيـدة عـن عائلتهـا، مـا سـبّب لهـا الكآبة.

انشـغلنا عندهـا بالدفـاع عـن الطلبـة الإيرانييـن ـ بمسـاعدة محامٍ ـ وبهجـوم الأمريكييـن على طبـس[1]، وقطع العلاقات بين إيـران وأمريكا. بعـد ذلـك، تمّ إغـلاق السـفارة الإيرانية. كنتُ الشـخص المدنـي الوحيد المرتبـط بعلاقـة مـع السـفارة، فـي حيـن كان الجميـع ـ أي الموظفيـن القدامـى فـي السـفارة وأعضـاء الجمعية الإسـلامية من الدبلوماسـيين.

مـع الأسـف، تـمّ طـرد السـيد «خُـرم» ومعـه كلّ الموظفيـن الدبلوماسـيين الرسـميين، وبهـذا أصبحـتُ مسـؤول السـفارة، بعـد أن عيّننـي الإيرانيـون فـي هذا المنصـب، لا الأمريكيون. وقد منحني السـيد

(1) عملية مخلب النسر أو Operation Eagle Claw: هي عملية عسكرية نفّذتها القوات الأمريكية المسلحة مع القوات الخاصة بتاريخ 24 و25 أبريل/نيسان 1980م، لتحرير الرهائن الأمريكيين المأسورين بسبب احتلال السفارة الأمريكية في طهران (4 نوفمبر/ تشرين الثاني 1979م). وقد فشلت العملية بسبب عاصفة رملية أدت إلى تصادم طائرتين أميركيتين.

«خـرم» وكالـة أدفـع مـن خلالهـا رواتـب الموظفيـن، وأهتـم بشـؤون السّـكن الراقـي فـي سـان فرانسيسـكو، والـذي جـرى شـراؤه فـي عهـد الشـاه.

هل قَبِل الأمريكيون بالوكالة؟

نعـم، فلـم يكـن لديهـم خيار آخـر، وكانـوا يبحثون عن شـخص تُلقى عليـه أعبـاء المسـؤولية. قـام الأمريكيـون بعـد الإجـراءات القانونيـة بمصـادرة المـكان وختمـه. وكانـت السـفارة مسـتأجرة فـي أحـد الأبراج المعروفـة فـي سـان فرانسيسـكو، وكان لهـا مقـر أيضًـا فـي نيويـورك وواشـنطن.

أمـا السـفارة الوحيـدة التي لـم يتصرفوا بهـا، فقد كانت سـفارتنا في الأمـم المتحـدة. وكان مـن واجبـي إيجـاد الحلـول لبعـض الأمـور، مثـل دفـع رواتـب الموظفيـن والمسـتحقات الماليـة. وبعـد أن أتممـت هذه الواجبـات، عـدتُ إلى دراسـتي.

هل كانت المبالغ المالية تصلك بسهولة من إيران؟

كانـت الأمـوال تصلنـي بصعوبـة بالغـة، ولكنّنـي كنـت أتلقاهـا فـي نهايـة المطـاف. كان بعـض أقربائـي مقيميـن فـي الولايـات المتحـدة الأمريكيـة، وكنـت أقتـرض المـال منهـم عندما يتأخـر وصوله مـن إيران. أنهيـت دراسـة البكالوريـوس بسـرعة، وبقيـت فـي الجامعـة نفسـها لمتابعـة الماجسـتير. فـي الفترة نفسـها، وعند انعقاد الاجتماع السـنوي للجمعيـة الإسـلامية فـي «سـان لويـس ميسـوري»، جـرى اختيـاري أمينًا للإعـلام فـي الجمعيـة الإسـلامية فـي أمريـكا وكنـدا.

هيكليًّا، كانت الجمعية الإسلامية تتكون من خمسة أمناء، هم: أمين التنظيم، أمين الإعلام، أمين الثقافة، أمين النشر وأمين العلاقات، ومن عشرة أعضاء في الشورى، كانت مُهمَّتهم الإشراف. وكان الاجتماع يُعقد مرة كل عام، بهدف اختيار الأمناء وأعضاء الشورى. بتعبير آخر، كانت الجمعية جمعية عامة من جهة، وتنظيمًا مغلقًا من جهة ثانية. في الأعوام 1981م، 1984م، و1985م، كنتُ رئيس مجلس الشورى في الجمعية لعامين، وأمينًا للجمعية لعام واحد.

في مرحلة الماجستير، تقدّمت إلى جامعة كولومبيا في نيويورك، وجامعة دنفر في كولورادو، وقُبِلتُ فيهما، ولكنني قررت الذهاب إلى جامعة كولومبيا الأكثر شهرة. كانت علاماتي في تلك المرحلة A، بخلاف علاماتي التي كانت أكثر تواضعًا في مرحلة البكالوريوس، التي تزامنت مع الثورة في إيران.

ما هو موضوع أطروحتك في مرحلة الماجستير؟

كانت أطروحتي تتمحور حول العقوبات في العلاقات الدولية، وكانت كل كتابتي تتعلق بإيران، بهدف مساعدة وطني. معظم الإيرانيين الذين حصلوا على الدكتوراه في الخارج، اختاروا موضوعاتٍ مغايرة، فقد كتبوا عن إيران بسبب ندرة المعلومات عنها، ولكونهم الأكثر إلمامًا بها، بيد أنّني لم أكتب عن إيران، بل اخترت الكتابة عن مصالحها.

كانـت أطروحتـي للدكتـوراه تتنـاول الدفـاع الشـرعي فـي الحقـوق الدوليـة، للمسـاعدة فـي إبـراز نظـرة الجمهوريـة الإسـلامية الإيرانيـة إلـى موضـوع العـدوان العراقـي. وقـد جـرت الاسـتعانة كثيـرًا بهـذه الأطروحـة فـي النـص الـذي قدمنـاه للأميـن العـام للأمـم المتحـدة لإثبـات اعتـداء العـراق. لـم يكـن موضـوع العقوبـات علـى إيـران مطروحًـا آنـذاك، بـل كان يخـصّ دولًا مثـل أفريقيـا الجنوبيـة وروديزيـا (زيمبابـواي حاليًّـا).

وقـد أشـرت سـابقًا إلـى أننـي سـافرت إلـى جامعـة كولومبيـا فـي نيويـورك، بصفتـي أميـن الإعـلام فـي الجمعيـة الإسـلامية لطلبـة أمريـكا وكنـدا، قبـل الالتحـاق بها للدراسـة، والتقيتُ السـيد «رجائي خراسـاني» منـدوب الجمهوريـة الإسـلامية فـي الأمـم المتحـدة. كان هـدف اللقـاء مناقشـة الخلافـات بيـن الجمعيـة الإسـلامية للطلبـة ووزارة الخارجيـة، وكنـا فـي الجمعيـة، نـرى أنّ مديـر الفـرع فـي واشـنطن غيـر مرتبـط بشـكل وثيـق بالثـورة الإسـلامية.

كان البعـض مثـل السـيد «سـعيد إمامـي» ومعظـم أعضـاء الجمعية، يتصرفـون بشـكل حـاد، وكان سـلوكهم ثوريًّـا بحـدة، بخـلاف مـا كنـت عليـه. ورغـم أنّنـا كنـا أصدقـاء، وكانـت تجمعنا زيـارات عائليـة، فإنّ كل فـرد منـا كان يمتلـك نهجًـا خاصًـا بـه. ثمـة أشـخاص يشـبهونني، كانـوا يعتقـدون بالسـلوك الهـادئ والإرشـادي، لكـنّ الآخريـن فضّلـوا سـلوكًا آخـر... فـي تلـك الأيـام، وصمونـي بالليبراليـة.

وقبل بداية الجامعة بثلاثة أشهر، التقيت السيد «رجائي خراساني»، بصفة أمين للجمعية الإسلامية، واقترح عليَّ مساعدته في أمور البعثة الإيرانية في الأمم المتحدة.

هل انتقلت إلى نيويورك بعد سان فرانسيسكو باستخدام التأشيرة الدراسية؟ وهل كانت حياتك طبيعية؟

لا، لم تكن حياتنا طبيعية. في إحدى المرات، استدعيت السباك لإصلاح سخان الماء، وبعد أن ألقى نظرة عليه، سألني إن كنت أنوي الانتقال من المنزل، فعلى الرغم من أن ميزانيتنا كانت جيدة، فقد كنا نعيش أجواء من التقشّف، وكانت زوجتي تشدد على عدم الإسراف، انطلاقًا من العقائد الثورية التي كانت تحملها.

بعد انتقالي إلى نيويورك بعشرة أيام، كان فتح خرمشهر. وقد ذهبت إلى البعثة، كما طلب مني الدكتور «رجائي». لم يكن هناك أي شخص يمتلك توجهات ثورية ويدرس الحقوق. كان الدكتور رجائي أحد أصدقاء المهندس «موسوي»، وقد كان يحمل الدكتوراه في الفلسفة، كما أنه كان متمكنًا جدًّا من اللغة الإنجليزية، وكان أستاذًا جامعيًّا ورئيسًا لجامعة تبريز، وسفيرًا لإيران لستِّ سنوات.

هل كان الرجل الوحيد في البعثة الإيرانية في الأمم المتحدة؟ ألم يكن لديكم زميل آخر؟

كان يتواجد مع عدد من الموظفين القدامى في البعثة. كانوا أشخاصًا محترمين، ولكنّهم لم يكونوا يعتقدون بنظام حكم الجمهورية الإسلامية، ولم يعد معظمهم إلى إيران مطلقًا.

العائلة الوحيدة التي قدمت إلى نيويورك بعدنا، هي عائلة السيد «فريدون كمالي»، وهي عائلة محترمة جدًّا. كان السيد كمالي أحد الموظفين القدامى الممتازين والشرفاء. عمل سابقًا كقائم بالأعمال في كينيا، وأُرسل إلى نيويورك للعلاج بسبب إصابته بالتهاب شديد في المفاصل، وكانت زوجته موظفة محلية في البعثة، وبقيت لفترة رئيسةً لمكتبي.

في فترة عمل السيد رجائي، عثروا في مكتب البعثة الإيرانية على كُتيّب من عهد الشاه حول المراسلات الدبلوماسية. أعطوني ذلك الكتيّب فقرأته، وكُنت من أوائل الأفراد الذين تعلموا كيفية المراسلات الدبلوماسية.

هل تعلّمت المراسلات من خلال الكُتيّب فقط، ومن دون الحاجة إلى أستاذ أو مُرشد؟

نعم، تعلمتُ بمفردي. كان الدكتور «عباس هيأت» يحضر معي إلى البعثة الإيرانية في الأمم المتحدة، وكان يتطرق إلى الأمور الاقتصادية فحسب، نظرًا لكونه حائزًا على دكتوراه في الاقتصاد.

في الأيام الأولى، طلب مني الدكتور رجائي أن أكتب حول الحرب، ولكن النصّ بقي مهملًا لدى أحد الموظفين القدامى. وبمتابعةٍ منه، سلمته له شخصيًّا. وحيث إنّ النص نال رضاه، فقد أمر بنشره كبيانٍ إعلامي للبعثة.

صدر أول قرار لمجلس الأمن بعد أسبوع من بدء الحرب بين إيران والعراق، في 28 أو 29 سبتمبر/أيلول من العام 1980م، ولكنه

لـم يذكـر أي شـيء عن الاعتـداء، ولم يطالـب بالانسـحاب. وكان مجلس الأمـن صامتًـا حتـى إعـادة فتـح خرمشـهر. وبعـد فتـح خرمشـهر، قرروا دعـوة إيـران إلـى اجتمـاع كأحـد أطـراف الحرب!

عندهـا، استشـارني السـيد رجائـي حـول المشـاركة فـي الاجتمـاع، وتوصلنـا إلـى قـرار يقضـي بمقاطعـة مجلس الأمـن، وبأن نسـألهم: «لمَ اسـتيقظتم بعـد أن حررنـا أرضنـا، وكنتـم قبل ذلـك صامتيـن؟». بالطبع، كان لدينـا سـبب آخـر لمقاطعـة مجلـس الأمـن، وهـو عـدم اتخـاذ قرار بهـذا الخصـوص داخـل البـلاد، ولـم نكـن نعلـم الإجابـات اللازمـة التـي ينبغـي أن نقدمهـا إلـى مجلـس الأمـن.

ولهـذا، كان القـرار تكتيكيًـا. قبلـه المسـؤولون فـي الداخـل، وأصبـح اسـتيراتيجية الجمهورية الإسـلامية لسـتٍّ سـنوات بعد ذلك. وقد قاطعنا مجلـس الأمـن في كلّ الأمـور المتعلقة بإيـران حتى اعتـداء أمريكا على الطائـرة إيربـاص [3 يوليو/تمـوز 1988م]، وكان السـيد رجائـي يذهـب إلـى مجلـس الأمـن لمتابعـة الأمـور المتعلقـة بفلسـطين وأفغانسـتان فقط .

هل كنتَ موظفًا رسميًّا لدى وزارة الخارجية في ذلك الحين؟

لا، لـم أكـن موظفًـا رسـميًّا حتـى 30 أكتوبر/تشـرين الأول مـن العام 1988م، وهـو مـا تسـبّب لـي بمشـاكل متعلقـة بالحصـول علـى التقاعد ـ سأشـير إليهـا لاحقًـا ـ ولـم أكـن أتقاضـى راتبًـا مـن السـفارة فـي سـان فرانسيسـكو. وعندمـا التحقـت بالبعثة الإيرانية، عملـت معهم كموظف محلـي، ولـم يكـن لـديّ جـواز سـفر دبلوماسـي. وعنـد رجـوع السـيد

«رجائـي خراسـاني»، وخَلَفـه ـ السـيد «محلاتـي» ـ بعـد تمـام مَهمَّتـه، كنـتُ القائـم بأعمـال المفوضية.

هل كانت وزارة الخارجية راضية عن عملك؟

نعـم، ولكنهـم لـم يسـتطيعوا توظيفـي، لأنّـي لـم أكـن قـد حصلـت علـى شـهادة الدكتـوراه بعـد، ولـم أكـن قـد اجتـزت الجنديـة أيضًـا.

أين قضيت فترة الجندية؟

كنـتُ أتمتَّـع حتـى ذلـك الوقـت بالإعفـاء الدراسـي، ولكـن بعـد أن حصلـتُ علـى شـهادة الدكتوراه في شـهر يوليو/تموز مـن العام 1988م، رجعـت إلـى إيـران. حينهـا، كانـت المفاوضـات بيـن إيـران والعـراق قد بـدأت. وقـد كتب الدكتـور «ولايتي» رسـالةً إلى السـيد الخامنئي؛ رئيس الجمهوريـة، ورئيـس المجلـس الأعلـى للدفـاع، كـي أُؤدي الخدمـة فـي وزارة الخارجيـة. وبهـذا، كُلِّفـت بقضاء الجندية فـي وزارة الخارجية منذ 30 أكتوبر/تشـرين الأول مـن العـام 1988م. وكنـت لا أزال جنديًّا عندما ابتُعِثـتُ كسـفيرٍ وكمرافـقٍ ثـانٍ للدكتـور كمـال خرازي إلـى نيويورك.

كان السـيد خـرازي قـد اشـترط، لذهابه إلـى نيويـورك، أن يتمّ تعييني كسـفير ومرافـق ثانٍ له، رغـم أنّي أخبرته أنني لا أرغـب في الذهاب معه لأسـباب عائليـة، ذلـك أننـي كنـتُ بعيـدًا عـن والدتي لفتـرة طويلـة، ولم أكـن أرغـب فـي تركها وحيـدة بعد وفـاة والدي فـي العـام 1984م. ولكن الدكتـور «ولايتـي» قـال لـي: «أنت جنـدي، تخيل أنّنا أرسـلناك إلى منطقة جيرُفـت (إحـدى المناطـق النائيـة)، هـل تسـتطيع عـدم الذهـاب؟ نحـنُ نرسـلك إلى نيويـورك لمهمة، ولا ينبغي حدوث مشـاكل بهذا الخصوص».

عـودٌ علـى بـدء، تعاونـي مـع البعثـة الإيرانية فـي العـام 1982م في نيويـورك، كان قـد بقي شـهران لبدء الدراسـة في الجامعـة، وكنت أعمل فـي البعثـة بـدوام كامـل. قبـل اجتمـاع الجمعيـة العامـة، تشـكّلت فـي الأمـم المتحـدة لجنـة لإنهـاء الاسـتعمار تُعـرف بلجنـة 24، كانـت إيران عضـوًا فيهـا منـذ عهـد حُكـم الشـاه، وكان ثمـة تعـادل فـي اللجنـة بين الشـرق والغـرب الـذي كانت إيـران حليفًا لـه قبل الثورة الإسـلامية. وقد طُلـب منّـي أن أشـارك فيها مـع إحدى الزميـلات (رحمها اللـه) ـ توفيت فيمـا بعـد بسـبب السـرطان ـ وكنـتُ مسـؤول اللجنـة حتى بـدء انعقاد الجمعيـة العامة.

دعـوتُ حينهـا المتدينيـن الذيـن كانـت دراسـاتهم متخصصـة فـي مسـار الآداب لمسـاعدتنا فـي البعثـة، وهـو مـا جعلهـا أكثر نشـاطًا من السـابق. وقـد دعـوتُ السـيد «أميـر زمانـي نيـا»، الطالـب المتديـن من كاليفورنيـا، والـذي كنـتُ أعرفـه مسـبقًا، وأصبح فيمـا بعد المديـر العام لـوزارة الخارجيـة وسـفيرًا فـي ماليزيـا، وكذلك السـيد «محمـد رضا أمير خيـزي»، الصديـق الـذي أصبـح فيمـا بعـد سـفيرًا فـي فيينـا، وهـو الآن متقاعد.

هـل كانـت البعثـة الإيرانيـة حتـى ذلـك الوقـت فـي يـد السـيد «رجائـي خراسـاني»؟

نعـم، كان السـيد رجائـي سـفيرًا حتـى نهايـة الحـرب بيـن إيـران والعـراق تقريبًـا، أي بيـن السـنوات 1981م و1987م، وذلك لمدة سـت سـنوات. دخلـتُ البعثـة فـي العـام 1982م كموظـف محلّـي، وتعرفـتُ

في العام نفسه إلى الدكتور ولايتي في الجمعية العامة، وكنتُ قد تمكّنت من إنجاز الأعمال، وتعلّمتُ كتابة النصوص.

وفي الجمعية العامة، طُلب مني الاشتراك في «اللجنة الرابعة» للجمعية العامة، التي كانت تُسمى لجنة مناهضة الاستعمار، وكذلك في «اللجنة الثالثة» الخاصة بحقوق الإنسان، إضافة إلى الاشتراك في «اللجنة 24». بدأتُ العمل في اللجنة الثالثة، وأوكلنا العمل في اللجنة الرابعة إلى الأصدقاء الجدد القادمين حديثًا من إيران.

كان موضوع حقوق الإنسان في إيران قد طُرح حديثًا في «اللجنة الثالثة»، فأصبحت المسؤول عنها، وكان السيد «سعيد إمامي» والسيد «سيروس ناصري» مرافقيَّ في الاجتماعات. في تلك الأيام، كنّا نُصرُّ على الرد على كل من يتحدث عن إيران بكلمة، واليوم أضرب هذا الأمر مثلًا في المحاضرات. كنا وحدنا العاملين بقوانين الأمم المتحدة.

في الحقيقة، كانت هذه القوانين هي آلية العمل، ولكنها كانت بحاجة إلى تعقل، كنا نغفله بسبب قلة الخبرة. من هذه القوانين: قانون «حق الرد»، الذي يسمح لك بالرد على من يتحدث عن بلدك لمدة عشر دقائق، ومن ثمّ تتاح له فرصة الرد عليك عشر دقائق أيضًا، ثمّ تخفض هذه المدة إلى خمس دقائق. لم يكن أحدٌ في الجمهورية الإسلامية يحيط علمًا بهذه القوانين، وكنّا نعتقد أنّ عدم استفادة الموظفين القدامى منها، يعود إلى عدم غيرتهم الوطنية. قد

يكـون هـذا صحيحًـا إلـى درجة مـا، ولكنّ حاجتنـا إلى الخبـرة كانت أيضًا واضحة.

حينـذاك، كان الأوروبيـون يتحدثـون عـن عشـرين دولـة، مـن بينهـا إيـران، وذلـك لمـدة دقيقـة واحدة. ولأننـا كنّا شـبانًا نبحث عن الشـهرة نوعًـا مـا، كنّـا نُصـرّ علـى الإجابـة والحديـث لعشـر دقائـق. لهـذا، كنتُ والسـادة «سـيروس ناصـري» و«سـعيد إمامـي» نسـتمع بدقـة إلـى مـا يُقـال فـي الاجتمـاع، لأجيـب عنـه بعـد ذلـك. ولكثرة مـا تحدثنا بـه، كنّا نتشـاور لإيجـاد الجديد.

كانـت النتيجـة هـي حديـث اللجنـة عـن إيـران لمـدة تزيـد علـى نصـف سـاعة، عوضًـا عن حديـث عابر لعـدّة دقائـق. وبهذا، كنـا نجرّها إلـى الحديـث عـن إيـران، ونحن نعتقـد خطأً أننـا ندافع بهـذه الطريقة عـن الجمهورية الإسـلاميّة.

كانـت هـذه التجربـة مُـرّة. نعـم، تعلَّمنـا منهـا، ولكـنَّ الثمـن كان باهظًـا، ولا يرغـب الأصدقـاء الجُـدد فـي أن يصدقـوا أنّنـا غيَّرنا أسـلوبنا، لا لضعـف العقيـدة والغيـرة، بـل بسـبب هذه التجـارب والخبـرات التي صقلـت عملنـا، وأنَّ عليهـم عـدم تكـرار هـذه الأمـور.

هل تنتقد الآن أسلوبكم السابق؟

نعـم، لـو كنـا نمتلك خبـرة، وكنّا نتصـرف بعقلانية، لمـا كان موضوع اللجنـة ليتطـرق إلـى إيـران أصـلًا، ولم يكـن ليصـدر أيّ قـرار عنها حتى عاميـن بعـد ذلـك. ولو كنّـا نتصرف بعقلانيـة أيضًا، لما كنـا جررنا اللجنة

إلى الحديث عن إيران، ظنًّا منا، وهمًا، أننا ندافع عن الجمهورية الإسلامية.

كان هدفنا مقدّسًا، ولكن لكل عمل طريقة مناسبة، وكنا مخطئين عندها.

ألم يكن في وزارة الخارجية من ينهاكم عن هذه الأمور؟

لا، لم يكن ثمة من ينبّهنا إلى هذه المسائل، ولم يكن أحد يهتم بكلام السابقين. طبعًا، لم يكن معظمهم مهتمًا بهذه الأمور أساسًا ليحذرنا. كانوا يعلمون أنّ هناك ثمنًا للسباحة عكس التيار، كما أنّني أدفع الثمن الآن أيضًا. وعندما كانوا يقولون شيئًا، كنّا نعتقد أنّهم في صف مخالفي نظام الجمهورية الإسلامية.

بطبيعة الحال، عندما التحقت بهذا العمل، كان معظم الزملاء القدامى لا يُصلّون، ولا يعرفون كيفية أداء الصلاة. لهذا كنت أعتقد أنهم مخالفون للجمهورية الإسلامية. لكن، ومن خلال تجربة هذه السنين، أنصح الأصدقاء الجدد بعدم الحُكم بهذه الطريقة.

في إحدى الجلسات، تحدث مندوب الولايات المتحدة الأمريكية، وكانت له كلمة عن إيران، فقررنا التصدي عندها «للاستعمار». وبعد مناقشة دارت بيننا، ارتأينا أن نردّ عليه بقصة الذئب والماعز؛ تلك القصة المعروفة، والتي يأتي فيها ذئب إلى منزل الماعز الصغار، ويدّعي أنّه أمّهم، فتطلب منه رؤية كفّه لتتأكّد من ادّعائه.

قصصنا هذه الحكاية في الاجتماع، وقلنا إنّنا نرويها لأطفالنا،

ليتعلموا منها مناهضة الاستعمار. والآن، نطلب من أمريكا أن تُرينا يدها من تحت الباب، لنرى دماء الشعبين الفيتنامي والفلسطيني، ونحن نعلم أنّ قلقها على حقوق الإنسان في إيران، مثل قلق الذئب.

هل كانت الحكاية مفهومة للحاضرين؟

نعم، كتبناها بشكل مفهوم. وعلّق على إثرها مندوب الولايات المتحدة الأمريكية، بأنّ مندوب إيران يقيم من الوزن لهذه اللجنة ما يجعله يروي الأساطير أمامها...

من الحوادث الأخرى في ذلك العام، كانت كلمة لي حول عالمية حقوق الإنسان في اللجنة الثالثة. ولُحسن الحظ، درستُ هذا الموضوع في الجامعة، وكتبتُ مقالًا حوله. أذكر أنني والسادة «سعيد إمامي» و«باقر أسدي» كتبنا الكلمة، ومن ثم قمتُ بإلقائها. كان السيد أسدي متمكنًا من اللغة الإنجليزية بشكلٍ منقطع النظير، وكتبنا بمساعدته نصًّا طرحنا فيه تساؤلًا مفاده: كيف يمكن للعالم الغربي أن يصف للعالم حقوق الإنسان، في الوقت الذي تحكم فيه الغرائز البشرية بشكل بدائي؟ لا زلتُ أذكر كلمات ذلك النص حتى اليوم.

ومن النصوص الأخرى الخالدة في ذاكرتي، نصٌّ كتبناه حول القرار 598؛ «قرار وقف الحرب بين إيران والعراق».

ومن الحكايات الأخرى، إغلاق الأمم المتحدة في المناسبات المحلية والعامة، مثل عيد الشكر، وهو عطلة رسمية في الولايات

المتحـدة، وقـد أصبـح عيـد الأضحـى أيضًـا عطلـة رسـمية أخيـرًا. كنـتُ فـي السـنة الأولـى مـن عملـي فـي البعثـة الإيرانيـة، حيـن أعلنـت أنني سـأعمل فـي «عيد الشـكر»، لأنّ المهاجريـن الأوائل قَتلوا الهنـود الحُمر فـي هـذا اليـوم. وفـي هـذه الذكـرى، أُقيـمَ حفـل «عيد الشـكر».

فـي الولايـات المتحدة الأمريكية تأريخان، فعيد الشـكر أقيم احتفالًا بالحصـاد بمشـاركة الهنـود الحُمـر، بحسـب البعـض. ولكـنّ المؤرخيـن الأمريكييـن الجُـدد يقولـون: إنّ هـذا اليـوم هـو احتفـال بقتـل الهنـود الحمـر. أمـا الأمريكيـون ـ الهنـود الذين كنـتُ أتواصل معهـم، وخصوصًا عندمـا كنـتُ أمينًـا للإعـلام فـي الجمعيـة الإسـلامية، فكانـوا يقولـون إنّ هـذا اليـوم كان احتفـالًا بإبادتهـم جماعيًّا.

فـي ذلـك العـام، كتبـتُ رسـالة رسـمية عـن البعثـة للأمـم المتحدة، مسـتنكرًا إغـلاق الأخيـرة [الأمـم المتحـدة]، ولكنهـم لـم يعيرونـا أي اهتمـام. لسـتُ متأسـفًا كثيـرًا علـى مـا فعلتـه عندهـا، ولكنّنـي تعلمت أنّ هـذه الأعمـال لا تأتـي بنتيجـة، ولهـذا، فـإنّ تجاهـل الـدول لهـا أمـر متوقع.

كيف كان ردّ فعلهم تجاه رسالتكم؟

أجابـوا عليهـا بشـكل طبيعـي، قائليـن: «يمكنكـم العمـل»، ذلـك أنّ مكتـب البعثـة الإيرانيـة ليـس فـي مقـرّ الأمـم المتحـدة. صحيـح أنّ المبنـى كان مغلقًـا، ولكـن الحارس كان يتواجد دائمًا، لـذا، ذهبنا للعمل فـي ذلـك اليـوم. فـي الواقع، لـو أرادوا إعلان عيد الأضحى عطلة رسـمية دون أن يكـون عيـد الشـكر كذلـك، لاعتـرض معظم المسـيحيين.

وعلى أي حال، فإننا كثوريين لم نكن نقبل بأن يكون يوم عيد الشكر عطلة رسمية بسبب تاريخه. بهذا الإحساس، وبنية الدفاع عن الجمهورية الإسلامية، أصبحت إيران موضوعًا للجنة حقوق الإنسان.

قبل أن نبتعد عن هذه المرحلة، ماذا حدث معك في الجامعة؟ وكيف انتقلت من كولومبيا إلى دنفر؟

كنتُ الناشط الوحيد في جميع المجالات في البعثة، لأنّني كنتُ أمينًا للجمعية، وكان لديّ نشاط سياسي ثوري سابق. وكما يقول الدكتور رجائي، فقد كنت أتمتع فعلًا بالتخصص والالتزام، لذا، كانت معظم أعمال البعثة ملقاة على عاتقي.

عندما فكَّرت في موضوع دراستي، التفتُّ إلى مضيّ شهرين على العام الدراسي، لم أحضر خلالهما صفًا واحدًا. كنت أدرس في كولومبيا العلوم السياسية، وكانت تكلفة الدراسة عالية، فقد كنّا ندفع أربعة آلاف دولار للفصل الواحد، أي ما يقدر باثني عشر ألفًا في السنة الدراسية. والآن، يكلّف العام الدراسي مبلغ أربعين ألفًا. كان يجب عليّ دفع هذا المبلغ، رغم أنني لم أتمكّن من حضور الصفوف الدراسية.

في جامعة كولومبيا، لا يستطيع الطلاب العمل، لأنّ موعد جميع الصفوف الدراسية في النهار، وكانت صفوفي عصرًا، ولم يكن السيد رجائي يسمح لي بالخروج من البعثة طيلة النهار. أذكر أنّني كنت أودّ حضور أحد الصفوف عند الساعة الخامسة، فالتقيت بالسيد رجائي

في المصعد. وعندما عرف أنني متوجه إلى الجامعة، لم يسمح لي بالمغادرة. وبهذا، أمضيت فصلين دراسيين دون دراسة.

في نيويورك، استبدلت بالتأشيرة العادية أخرى سياسية ـ بجواز السفر العادي ـ ذلك أنّ عمل الطلاب ممنوع، وقد كنت أعمل في البعثة، إضافة إلى أنّني كنت أستطيع العودة إلى إيران بالتأشيرة السّياسيّة سابقًا، بينما لم أكن أتمكَّن من ذلك بعد إلغاء كارتر للتأشيرة الطلابية، ولم نكن قد زرنا إيران لمدّة أربع سنوات.

في أوَّل فرصة بعد استبدال التأشيرة، أي في صيف العام 1983م، عدتُ إلى إيران. ولحسن الحظ، رأيت والدي قبل عام من وفاته، كما تمكّنت زوجتي من لقاء أهلها. في إيران، انتبهت إلى أنني لن أتمكن من الحصول على الدكتوراه في نيويورك، وكنت قد فقدت الإعجاب بجامعة كولومبيا.

كانت جامعة كولومبيا تقدم برنامجًا لاختصاص العلوم السياسية فقط، بيد أنني كنت أريد الحصول على الدكتوراه فيها. وكانت العلاقات الدولية تقع ضمن تخصصات العلوم السياسية، وينبغي عليّ تقديم امتحان في تخصصين من العلوم السياسية، بينما كنت أرغب في دراسة العلاقات الدولية، وفي تقديم امتحان في تخصصين «مرتبطين» به، مثل الحقوق الدولية أو المنظمات الدولية.

وفي الولايات المتحدة الأمريكية، عليك أن تقدّم امتحانًا في ثلاثة مسارات وثلاثة تخصصات في كل مسار. وبما أن العلوم السياسية هو

المسـار الـذي اخترتـه، فيجـب علـيّ تقديـم امتحـان العلاقـات الدوليـة كـدرس تخصصـي مـع السياسـة التطبيقيـة أو الفكـر السياسـي، ولكننـي لـم أكـن أرغـب في ذلك. مـن ناحية أخرى، كنـتُ على يقين بأنّ السـيد رجائـي خراسـاني لن يسـمح لي بالدراسـة بسـبب الحاجـة إليّ.

مـن جهـةٍ ثانيـة، كان والـدي يظهـر الشـوق لرؤيتـي، ويطلـب منـي البقـاء فـي إيـران، ذلـك أنـه لـم يرني مـذ كنت في السـابعة عشـرة من عمـري، أي منـذ هجرتـي إلـى أمريـكا قبل سـت سـنوات.

قـررت في النهاية الاسـتفادة مـن قبولي في جامعة دنفر في دراسـة العلاقـات الدوليـة، والـذي حصلـت عليـه سـابقًا بالتزامن مـع قبولي في جامعـة كولومبيـا. وبمـا أنّنـا رجعنـا فـي نهايـة الصيـف، لم تكـن هناك فرصـة للبحـث عـن جامعـة أخـرى، ذلـك أنّ التسـجيل للعام التالـي يتمّ فـي خريـف العام الدراسـي. لهذا، طلبتُ من السـيد رجائي السـماح لي بالذهـاب، فلـم يعتـرض على ذلك.

هل كان لديك عقد عمل مع البعثة الإيرانية؟

كان ثمـة عقـد أتقاضـى بموجبه راتبًـا، وكنتُ أعمـل معهم كموظف محلّـي، وأتقاضـى راتبًـا متواضعًـا. كان راتـب السـائق المحلـي للبعثـة 1200 دولار، بينمـا كنـت أتقاضـى 900 دولار، رغـم أنّـي كنـت أحمـل شـهادة ماجسـتير، وكنـت متزوجًـا، ولكنهـم كانـوا يقولـون إنّنـي أعمـل بـدوام جزئـي، بينمـا كان الواقـع أنـي أبيـت أحيانًـا فـي البعثة.

بعـد أن اتخـذت قـرار إكمـال الدراسـة وتـرك العمـل، طلبـتُ مـن

دائـرة الهجـرة اسـتبدال تأشـيرتي السـابقة بتأشـيرة طلابيـة، لأنني كنت أود الانتقـال إلـى دنفـر كطالـب. كان هـذا الأمـر ممكنًا بحسـب قوانين الولايـات المتحـدة الأمريكيـة. وبذلك، تركت وزوجتي نيويورك للدراسـة فـي الجامعـة بدنفـر، حيـث كنـت أدرس بشـكل دائـم، كمـا اسـتأنفت النشـاط فـي الجمعية الإسـلامية.

فـي منتصـف الفصـل الأول، اتصل بي السـيد رجائـي ليعلمني أنّه لم يتمكـن مـن إنجـاز الأعمـال اللازمة للجنـة الثالثة بسـبب مـرض زوجته، وطلـب منـي مسـاعدته. وعندمـا تحدثـتُ إلـى أسـاتذتي، سـمحوا لـي بالخضـوع للامتحانـات قبـل زملائي.

وبخـلاف أوروبـا التـي لا يلتحـق فيهـا طلبـة الدكتـوراه بصفـوف دراسـية، كان يتوجـب علـيّ حضـور صفـوف دراسـية موزعـة علـى ثلاثـة فصـول. وقـد أتممـت الفصـل الأول كيفمـا اتفـق، وذهبـت إلـى نيويـورك فـي نوفمبر/تشـرين الثانـي، وبقيـتُ فيهـا مـع زوجتـي حتـى نهايـة ديسـمبر/كانون الأول، أي بعـد انتهاء اجتماعـات الجمعية العامة، وشـاركت بشـكل خـاص فـي موضـوع حقـوق الإنسـان. ومـن ثـمّ عُدت إلـى دنفـر، وتابعـت فيها دروسـي حتـى نهايـة يونيو/حزيران مـن العام 1984م. وكان مـن عادتهـم إجـراء امتحـان أولـي عـام للطلبة، اسـتعدادًا لامتحـانٍ شـامل. وبعـد أن نجحـت فـي ذلـك الامتحـان، بـدأت الدراسـة للامتحـان الشـامل مـن يونيو/حزيـران حتـى ديسـمبر/كانون الأول مـن العـام 1984م.

فـي هـذه الفتـرة، حملـت زوجتـي وتوفـي والـدي. وعلـى الرغـم مـن أننـي طلبـت اسـتبدال التأشـيرة، إلا أنهـا لـم تكـن جاهزة فـي ذلك الوقـت. ولذلـك، لـم أتمكّـن من الرجوع إلـى إيران لحضـور دفنه. كانت صفوفـي الدراسـية قـد انتهـت، وأتيـت إلـى نيويـورك للقـاء الأصدقـاء، فأخبرونـي بهـذا الأمـر. توفـي والدي في صبيحة التاسـع عشـر من شـهر رمضـان، ودُفـن فـي مشـهد، في مقبرة فـي «صحـن آزادي»، الذي أصبح الآن «رواقًـا».

هل كانت وصيته أن يُدفن في مشهد؟

نعم، كان يرغب دائمًا في أن يُدفن في مشهد.

كيف كان حالك في ذلك الوقت؟

فـي الواقـع، لـم أكـن متفاجئًـا بمـوت أبـي. كان رجـلًا مسـنًّا، بينـي وبينـه خمسـون سـنة، كمـا أنّـه كان مريضًـا جـدًّا. لهـذا، لم يكـن عجيبًا انتقالـه إلـى رحمـة اللـه، ولكنّـي كنـتُ قـد فقدتـه.

هل أثّر الحدث في عملك؟

ليـس كثيـرًا، ذلـك أننـي كنـت قريبًـا مـن أصدقائـي فـي نيويـورك، فتمكنـت مـن اجتيـاز هـذه المرحلـة، كمـا أنّ زوجتـي كانـت حامـلًا.

رجعنـا إلـى دنفـر، وكنـت مجبـرًا علـى الدراسـة طيلـة الوقـت، مـن السـاعة السادسـة صباحًـا حتـى السـاعة السادسـة مسـاءً مـن كل يـوم، فالحصـول علـى الدكتـوراه فـي الولايـات المتحـدة أمـر صعـب، فـي حيـن أن الحصـول علـى شـهادتَي البكالوريـوس والماجسـتير ليس بتلك

الصعوبـة. فـي اعتقـادي، لا توجـد دولـة تُصعِّـب علـى الطلبـة الحصول علـى الدكتـوراه مثـل الولايـات المتحـدة الأمريكية. ولذلك، علـى العاقل أن يحصّـل البكالوريـوس والماجسـتير فـي الولايـات المتحـدة، ويذهب إلـى بريطانيـا للحصـول علـى الدكتـوراه، لأنّهـا أسـهل بكثيـر.

أُجرِيَ الامتحـان الشـامل فـي شـهر يناير/كانـون الثانـي مـن العـام 1985م، وكانـوا يعطوننـا الأسـئلة لنجيـب عنها في المنزل. كنا قد اشـترينا جهـاز كمبيوتـر حديثًـا، وكنـت أدخـل الملاحظـات فيه. وبعد عطلة شـهر يناير/كانـون الثانـي، أرسـلوا إلينـا الأسـئلة لنجيـب عنهـا خلال أسـبوع.

وُلـد ابنـي فـي اليوم الرابـع من الامتحـان، فكنت أتنقل بيـن المنزل والمستشـفى فـي اليوميـن الآخريـن منـه، وقـد أرسـلت الإجابـات فـي اليـوم التالـي لولادتـه. بعد أسـبوعين، كان موعد المناقشـة في الامتحان الشـامل، وعندمـا شـرحت لأسـاتذتي ظرفـي الخـاص، قالـوا إنهـم كانـوا يسـتطيعون ترتيـب موعـد مناسـب للامتحـان لـو علمـوا بذلـك مسـبقًا. ولحسـن الحـظ اجتزتـه بعلامة جيـدة، رغم أنّ النتيجة كانت على شـكل نجاح أو رسـوب.

بعـد عـدة أيـام، جـاءت رسـالة مـن دائـرة الهجـرة، مفادهـا رفـض تحويـل تأشـيرتي مـن تأشـيرة سياسـية إلـى تأشـيرة دراسـيّة. لـذا، كان علـيّ إمّـا تـرك الولايـات المتحدة وإما العـودة إلى نيويـورك والعمل في البعثـة حتـى أكمـل أطروحتـي للدكتـوراه. وبمـا أنّنـي كنـت قـد أنهيت الـدروس النظريـة واجتـزت الامتحان الشـامل، لـم يكن بقائـي في دنفر ضروريًّا.

وبناءً على أطروحتي، كان لحضوري في نيويورك والوصول إلى مكتبة ووثائق الأمم المتحدة ميزة خاصة، ولكنّي اكتشفت فيما بعد أن لهذا الأمر عيوبًا، فقد تسبّب في إطالة مدة كتابة الأطروحة حتى ثلاث سنوات. وفي أي حال، انتقلت إلى نيويورك في أوائل العام 1985م، حين كان عمر ابني أربعين يومًا.

من ناحية ثقافية، كيف تجانستَ مع الأمريكيين؟ وكإيراني-طهراني تقليدي متدين، كيف تصرفتَ مع المجتمع والثقافة الأمريكيين؟

عندما كنتُ في الثانوية، ذهبتُ إلى سان فرانسيسكو. حينها، كان حضور الإيرانيين في الولايات المتّحدة الأمريكية في ذروته، إذ كانت النسبة الأعلى للطلبة الأجانب في الولايات المتحدة تعود إلى الإيرانيين.

كان الإيرانيون متواجدين في كل مكان أذهب إليه ـ وخصوصًا كاليفورنيا ـ حتّى إنّني كنت أشعر بأنّي في مجتمع إيراني. وبغض النظر عن الاتجاه الديني، كان معي في الثانوية طلبة إيرانيون بما فيه الكفاية.

هل كان هناك طلبة من سائر الجنسيات؟

نعم، كان هناك صينيون، كما كان قدوم العرب إلى أمريكا في بداياته، ولكن الإيرانيين كانوا الأغلبية، فقد كانوا ينتشرون في كل مكان يتواجد فيه الأجانب، لهذا لم أحتك بالمجتمع الأمريكي. وعندما قَدِمتُ إلى الولايات المتحدة الأمريكية، استأجرتُ منزلًا خاصًا بي.

وبعد مدة، التحق بي أحد أصدقائي في مدرسة علوي، والذي انتقل معي إلى مدرسة خوارزمي أيضًا، ولا زلنا أصدقاء، ثمّ تعرفتُ إلى أعضاء الجمعية الإسلامية، وسكنتُ معهم إلى أن تزوجت. طيلة فترة دراستي الجامعية، دُعيتُ مرة واحدة مع أصدقائي إلى منزل معلمنا في الثانوية، ومرة واحدة إلى منزل أحد الأساتذة في الجامعة لتناول وجبة غداء. وبذلك، احتككت بالمجتمع الأمريكي مرتين فقط، وقد تناولنا لدى معلمنا في الثانوية بعض السلطة، ولدى أستاذنا في الجامعة - الذي كان يعرف عقائدنا الإسلامية - القليل من الجبن، ذلك أنّ سائر الأطعمة لم تكن مزكّاة.

كنت تعلم أنّ الأطعمة غير مزكّاة؟

نعم، ولهذا كانت علاقتي بالأمريكيين محدودة، وبقيت محدودة بهم بعد الزواج أيضًا، إلى أن أصبحت المندوب الدائم لإيران لدى الأمم المتحدة في نيويورك. عندها، وبطبيعة عملي، وانطلاقًا من ضرورة الاندماج في المجتمع الأمريكي، قررت وزوجتي إقامة علاقات بيننا وبين الأمريكيين وتبادل الزيارات مع بعضنا البعض.

وبما أنّني عشت ثلاثين سنة في الولايات المتحدة الأمريكية، فقد تشكلت لديّ معرفة جيدة بثقافتهم، حيث أمضيت معظم حياتي من عمر السابعة عشرة إلى عمر السابعة والأربعين في هذا البلد. وعندما كنت معاونًا للشؤون الدولية في إيران لمدة عشر سنوات، كنتُ بطبيعة عملي على علاقة وثيقة بالأمم المتحدة ونيويورك.

طبعًا، أنا بعيد عن الولايات المتحدة الأمريكية منذ ثلاث سنوات. ومن الطّريف، أنّ أكثر الإيرانيين في أمريكا يعرفون أسماء الأطعمة والبهارات باللغة الإنجليزية، ولكنني لم أكن أعرفها، وكذلك زوجتي.

ألأنّكما لم تعتادا الذهاب إلى المطاعم؟

كنا نذهب إلى مطاعم المسلمين، أو إلى المطاعم التي تبيع السمك والخضار، ولكننا لم نكن نذهب إلى بيوت الأمريكيين. أذكر أن ابنة أختي المتدينة التي سكنت في الولايات المتحدة، كانت تعرف أسماء كل البهارات بالإنجليزية، ولكن زوجتي لم تكن تذهب إلى بيوت الأمريكيين لتتحدث عن الأطعمة وأسماء البهارات.

وعندما كنت مفوضًا، وكنت أذهب إلى أمريكا، كنت أتعاطى الشأن السياسي فقط. لا أريد الرياء، ولكن ميولي الشخصية كانت كذلك. وفي إيران أيضًا، كانت علاقاتي محدودة، ربما لأنّني لستُ اجتماعيًّا.

هل تعني أنّ ميولك كانت متأثرة بالثقافة والنظام الاجتماعي المتضاد بين إيران والولايات المتحدة الأمريكية؟

ليس بالضرورة، فهناك الكثير من الأشخاص ممن أقاموا علاقات وثيقة مع المجتمع الأمريكي، ولكن ربما كان السبب أنّني اعتدتُ الوحدة منذ الطفولة، ولم أكن أرغب كثيرًا في المشاركة في المناسبات والأفراح، كما كنت أفضل الاستماع إلى الخطب الدينية في بعض المناسبات الدينية في المنزل.

ذكرت أنّك ذهبت إلى بريطانيا قبل الولايات المتحدة الأمريكية بسبب مرض والدتك، فهل سافرتَ إلى بلد آخر بعد إقامتك في أمريكا؟

لا، حتّى إنّني لم أسافر كثيرًا في إيران نفسها، فقد سافرت فقط إلى طهران وأصفهان ومشهد مع المرحوم والدي ووالدتي، وذلك خلال أشهر الصيف الثلاثة، وأمضيت في كلٍّ من أصفهان ومشهد شهرًا. كانت حياتي خلال السنوات الستة عشر في إيران تسير على هذا الشكل.

كيف هي علاقتك بالشعر والآداب والموسيقى، وبالفن والخيال عمومًا؟

تعدّ علاقتي بالشعر والآداب جيدة. ففي مدرسة علوي، ونظرًا إلى مستوى التعبير الجيد الذي تميزت به، أصبحتُ خطيبًا. ومنذ أن بدأت القراءة، كنتُ أقرأ الكتب بِنَهم، وأذكر أنّني قرأت ثلاث نُسخ من ديوان حافظ في صيف واحد، وكنتُ أكتب بعض الملاحظات لنفسي. ولا تزال لديّ نسخة قديمة من الديوان أحتفظ بها منذ الطفولة، كما كان لديّ ختم «مكتبة محمد جواد ظريف»، ولا يزال موجودًا أيضًا على بعض كتبي.

وقد كتبتُ على ديوان حافظ المذكور: «هذه أفضل نسخة لمن يرغب في دراسة حافظ». هكذا كانت قراءاتي. وكان المرحوم والدي يمتلك موهبة شعرية، فكان ينشد الشعر بحق آل البيت عليهم السلام، لهذا فإنّ للشعر بعض الخصوصية في عائلتي.

أمّا علاقتي بالموسيقى فلم تكن جيدة، لأنّهم كانوا يرونها حرامًا، فلم أكن أستمع إلى أي موسيقى حتى بلغت سن الـ15 - 16 عامًا. وعندما كانت الموسيقى تُبثّ في سيارات الأجرة، كنت أطلب إطفاءها. ولكننا تغيرنا بعد ذلك قليلًا، واستمعنا إلى بعض الموسيقى قبل الثورة. وبعد الثورة، كنّا نستمع إلى كل الموسيقى التي كانت تُبثّ.

بخلاف أبنائي، لم أرتبط بعالم الفن يومًا. أما ابنتي، فقد درست التصميم الداخلي وعزفت البيانو، وكان ابني كذلك يعزف القانون، وقد كانا متدينين حتى في الولايات المتحدة الأمريكية. كانت ابنتي محجبة، كما كانت زوجة ابني ترتدي العباءة. وكانت زوجتي مختصة بالشاعر «مولانا»[1]، ولديها أبحاث تخصصية في هذا المجال ـ شخصيًّا وليس أكاديميًّا ـ وكانت تلقي محاضرات حوله عندما كنّا في الولايات المتحدة، ولكنها تركت تخصصها الجامعي ـ التغذية ـ بشكل كامل.

ما كانت اهتماماتك في فترة الشباب؟ بماذا كنت تفكر؟

أعتقد أنّني كنتُ معنيًّا بالثورة وبمصالح الجمهورية الإسلامية مذ وعيت نفسي، وكنت دائم القلق والتفكير في الحرب وفي ظروف وطني. لقد كانت هذه المواضيع تشغل بالي مذ كنتُ في التاسعة عشر من عمري وإلى الآن.

---

(1) جلال الدين الرومي. هو محمد بن محمد بن حسين بهاء الدين البلخي (بالفارسية: جلال الدين محمد بلخي) (604-672 هـ، 1207-1273م)، عُرِف أيضًا باسم مولانا جَلَال الدِّين الرُّومي: شاعر، عالم ومتصوف (أي ترك الدنيا والتصنيف) كما يقول مؤرخو العرب. وهو صاحب المثنوي المشهور بالفارسية، وصاحب الطريقة المولوية المنسوبة إلى (مولانا) جلال الدين.

هـل انتقدتـك زوجتـك أو والدتـك أو والـدك علـى اختيـار هـذا التخصـص؟ وهـل أخبـرك أحـد مـا بأنـك لـو درسـت الكمبيوتـر وعملـت فـي شـركة، لـكان ذلـك أفضـل؟

بحمـد اللـه، لـم أكـن منزعجًا من هـذه الناحيـة، لأنّني كنـت مرتاحًا علـى الصعيـد المـاديّ. ولكنّـي كنـت أقضـي الكثيـر مـن وقتـي أمـام الكمبيوتـر، وكنـتُ أول مـن أحضـر جهـاز كمبيوتـر إلـى وزارة الخارجية، كمـا أن أول مسـؤول كمبيوتـر فـي وزارة الخارجية تَعرف إلـى الكمبيوتر الشـخصي pc عـن طريقي.

اشـتريت أول كمبيوتـر فـي العـام 1984م، عندمـا كان الكمبيوتـر الشـخصي يعمـل بقرصيـن مرنيـن، ولـم يكن يحـوي قرصًا صلبًـا. لا زلت أحـب علـوم الكمبيوتـر إلـى اليـوم، ولكـن هـذا لا يعنـي أنّنـي لا أحـب تخصصـي، بـل إنّ الاحسـاس بالحاجـة إلـى تخصـص العلاقـات الدوليـة والحقـوق الدوليـة، والشـعور بضرورته، همـا ما دفعني إلى دراسـة هذا الاختصاص.

فـي عهـد الدكتـور شـريعتي، كان كل الطلبـة الثورييـن يرغبـون فـي دراسـة علـم الاجتمـاع تقليـدًا له، وكنـت أحمل هـذه التوجهات، شـأني فـي ذلـك شـأن أقرانـي. ولهـذا، كان أول صـفٍّ لي فـي العلوم الإنسـانية فـي علـم الاجتمـاع. ولكننـي رغبـت فـي تخصصـي، لأنّ جامعـة سـان فرانسيسـكو كانـت مرموقـة فـي مجـال العلاقـات الدوليـة.

هـذا التخصـص حَمَّلَنـي مسـؤولية ثقيلـة. وأفكـر كثيـرًا أنّ الأخطـاء

التـي ارتكبتهـا أو ارتكبهـا أمثالـي فـي مجال السياسـة الخارجيـة، يحمل ثقلهـا سـبعون مليـون إيرانـي، حتّى إنّني أقلـق حيال الآخـرة، عوضًا عن الطمـع بالأجـر والثواب.

يحـدث أن يؤثـر سـلوك معلـم أو شـخص مـن العائلـة في شـخصية الفـرد، هـل أثـر أحـد ما فـي شـخصيتك بهذا الشـكل؟

بحمـد اللـه، كان فـي حياتـي أشـخاص مؤثـرون. بشـكل عـام، كان الطلبـة فـي مدرسـة علـوي يـرون أنفسـهم مختلفيـن عـن المجتمـع، ولكننـي لـم أكـن طالبًـا عاديًّـا فيهـا، بـل كنـت الطالـب الأول والممتـاز. ولهـذا، كنـت أعتـدّ بنفسـي كثيـرًا فـي ذلـك الوقـت.

ولكـن كان لـدي صديـق يسـتحقرني دائمًـا؛ هـذا الشـخص أسـدى إلـيّ أثمـن خدمـة، ودفعنـي إلـى أن أنـزل من ذلـك البرج، وأتواضـع قليـلًا. إن تحدَّثـتَ إلـى الآخريـن عنـي، أتمنـى أن لا يخبـروك أنّنـي كنـت أعيـش ذلـك الوهـم السـائد بيـن زملائـي في تلـك المدرسـة.

أمـي وزوجتـي أيضًـا أثّرتـا فـيّ كثيـرًا. حالـة أمـي معروفـة، فهـي لـم تـرث فقـط أمـوالًا طائلـة وأمـلاكًا كثيـرة مـن والدهـا، بـل حملـت ميـزة الإدارة وصفـة الاقتـدار التـي عُرِفَـت بهـا، وهـي الآن في الخامسـة والثمانيـن مـن عمرهـا.

بالنسـبة إلـى زوجتـي، فقـد تزوجنـا فـي سـن مبكـرة، حيـث كنـت فـي التاسـعة عشـر مـن عمـري عندهـا، وهـي

فـي السـابعة عشـرة، ثـم ذهبنـا إلـى أمريـكا. فـي العقـد الأول مـن زواجنـا، أمضينـا فـي إيـران سـنة واحـدة فقـط، ولهـذا فقـد ترعرعنـا بعيـدًا عـن العائلـة، وأثّـر كلّ منـا فـي الآخـر كثيـرًا. فـي بدايـة الـزواج، كانـت ثوريـة جـدًّا وغيـر مرنـة نوعًـا مـا، فلـم يكـن لدينـا تلفـاز فـي أمريـكا، نظـرًا إلـى اعتراضهـا علـى هـذا الأمـر. وبعـد مـدة، وبإصـرار منّـي، اشـتريت تلفـازًا مكسـورًا لمتابعـة الأخبـار فقـط.

عندمـا رجعنـا إلـى إيـران، كانـت زوجتـي تلميـذة المرحـوم الحـاج «إسـماعيل الدولابـي» [ت. 2003/1/29] لعشـر سـنوات. كان المرحـوم مـن أوليـاء اللـه، وصاحـب أثـر عظيـم فيهـا، حتّـى صـارت مليئـة بالهـدوء والتسـامح. بهـذه الأخـلاق والنظـرة الجديـدة، أصبـح لزوجتـي أثـر كبيـر فـيّ وفـي عائلتـي، وبذلـك، انتقلـت إلينـا بعـض الأنفـاس القدسـية التـي كان ذلـك العـارف العظيـم يمتلكهـا، وأصبحـت حياتنـا مختلفـة.

طبعًـا، لـم تؤثـر زوجتـي فينـا وحدنـا مـن خـلال المرحـوم دولابـي، فنظـرًا إلـى احتكاكهـا بالمجتمـع الأمريكـي، وتمكّنهـا مـن اللغـة الإنجليزيـة، اسـتطاعت الحضـور فـي الكثيـر مـن مجالـس الفئـات العليـا فـي المجتمـع الأمريكـي، لتطـرح كزوجـة مفـوض الجمهوريـة الإسـلامية هـذه النظريـات، حتـى صـار لديهـا ـ كمـا نقـول باللهجـة العاميـة ـ الكثيـر مـن المعجبيـن والمريديـن مـن أصحـاب النفـوذ والأثريـاء والناشـطين اجتماعيًّـا

في أمريكا والغرب، وهي ما تزال تُدعى حتى اليوم من مختلف أنحاء العالم، من مثل أمريكا وأوروبا والهند واليابان، بـ«مربية أخلاق».

في الأمم المتحدة

كيف بدأ عملك في الأمم المتحدة؟ وفي أيّ منصب؟

بـدأت العمـل فـي الأمـم المتحـدة فـي شـهر يوليو/تمـوز مـن العام 1982م. وكمـا ذكـرتُ سـابقًا، بعـد أن حصلـتُ علـى درجـة الماجسـتير، انتقلـتُ إلـى نيويـورك لمتابعـة الدكتـوراه. وبتنسـيق مسـبق مع السـيد رجائـي خراسـاني، دخلـتُ البعثـة الإيرانية.

حدِّثنا عن أولى المسؤوليّات والعقبات؟

عندمـا كنـتُ طالبًا، ولم أكن بعد موظفًا رسـميًّا فـي وزارة الخارجية، كنـتُ أتمتّع بالإعفـاء الطلابـي مـن الجنديـة، كمـا كنـتُ موظفًـا محليًّـا لـدى البعثـة بصفـة مستشـار المنـدوب حتـى شـهر أغسـطس/آب مـن العـام 1988م. كذلـك، تولّيـت منصـب «القائـم بالأعمـال» فـي أواخـر فتـرة عمـل السـيد رجائـي عنـد غيابـه، رغـم أنّنـي كنـتُ موظفًـا محليًّا. وقـد توليـتُ مناصـب أخرى من مثـل: منـدوب، نائب المنـدوب الدائم، مستشـار أول، مستشـار ثـانٍ، وغيـر ذلـك أيضًا.

كان لـدى البعثـة بدايـةً موظفـون محليـون فقط، من بينهـم الدكتور هيـأت وأنـا، ثـمّ انضـمّ إلينـا الدكتـور «زمانـي نيـا»، والدكتـور «أميـر خيـزي»، والسـيد «باقـر أسـدي»، وتـمّ توظيفنا كلنـا بصفة «مستشـار».

وفـي نهايـة فترة عمـل الدكتـور رجائي، ونظـرًا إلى اعتقـاده بعدم قدرة موظفـي البعثـة علـى إدارتهـا، جـرى اختيـاري «قائمًـا بالأعمال».

ولعـلّ مـن عجائـب تاريـخ الدبلوماسـيّة، اختيـار موظـف محلـيّ لا يحمـل صفـة رسـميَّة، ويتقاضـى أجـرًا أدنـى مـن كلّ الموظفيـن، بمـن فيهـم السـائق، قائمًـا بالأعمـال ورئيسًـا للبعثـة الإيرانيـة فـي غيـاب المنـدوب! كان مـن الواجـب التنسـيق مـع طهـران بهذا الخصـوص، ولم يعتـرض أحـدٌ علـى ذلـك، لمعرفـة الدكتـور ولايتـي بـي خـلال سـفراته السـابقة إلـى الجمعيـة العامـة. فـي الحقيقـة، كانـت أكبر مشـكلة لدى البعثـة فـي نيويـورك، الافتقـار إلى الـكادر السياسـي المتخصّـص، ولهذا كانـوا مُجبَريـن علـى توظيـف الموظفيـن المحلييـن لإنجـاز الأعمـال.

مـن المشـاكل الأخـرى فـي البعثـة، هـي «مشـاغبة» الموظفيـن القدامـى، فعلـى الرغـم مـن أنّ كل أعمـال البعثـة كانـت ملقـاة علـى عاتقنـا، فقـد تـم تقديمنـا إلـى الأمـم المتحـدة بصفـة «سـائق»، وكانت بطاقـة دخولـي إلـى الأمـم المتحـدة هـي بطاقـة سـائق. فـي إحـدى المناسـبات، كنـت أريـد إلقاء كلمة في الجمعية العامـة كقائم بالأعمال، ولـم يتعـرف إلـيّ الحـارس عنـد رؤيـة البطاقـة.

وفـي الأمـم المتحـدة، كان الموظّفـون يضعـون البطاقـات التعريفية علـى صدورهـم، ولكنّنـا كنّـا نخفـي بطاقاتنـا فـي جيوبنا خجلًا، بسـبب قيمتها البخسـة. ذات يوم، أوقفني الحارس قائلًا: «سنسـمح لك بتسـليم هـذه الأوراق إلـى رئيسـك، ولكن ارجع بسـرعة». من الطبيعـي أنّ هذه الحالـة خفضـت إنتاجيّتنا فـي العمل.

كان هؤلاء الموظّفون قد أخبروا الدكتور رجائي بأنّ قوانين الأمم المتحدة تجبرهم على ذلك، إلا أننا اكتشفنا لاحقًا خلاف ذلك، فقد كان بإمكان البعثة أن تُعَرِّف عني للأمم المتحدة كمستشار، حتى لو لم أحصل على جواز سفر سياسيّ، وهو ما قام به السيّد محلاتي فيما بعد، وقبلت الأمم المتحدة به.

في الواقع، لم تكن الولايات المتحدة الأمريكية تمنحنا حصانة دبلوماسية، لأن قوانينها تقيّد الحصانة بجواز السّفر. أما الأمم المتحدة، فكانت تمنح المنصب بحسب رسالة البعثة.

هل اقتصر سلوكهم على ذلك؟

كان سلوكهم مع كلّ الموظفين المحليين مشابهًا. وكانت مصداقية الموظفين المحليين في الأمم المتحدة شأنها شأن مصداقية عمال البعثة، وهو ما صعّب الكثير من أعمالنا. في الحقيقة، كنا نخفي بطاقات الهوية عند إنجازنا أعمالنا، عوضًا عن تحقيق الاستفادة المثلى منها.

كيف كانت بطاقاتكم التّعريفيّة؟

تتضمّن بطاقة مندوبي الدّول مثلثًا أحمر، فيما تتضمّن بطاقة السفير مثلثًا أصفر. تبيّن هذه البطاقة صلاحيات حاملها. أما موظفو الخدمات، فهم يحملون بطاقات تعريفية تتضمّن مثلثًا أحمر بخطٍّ أزرق، مرفقةً بعبارة «موظف غير دبلوماسي». كنّا نحمل بطاقة من هذا النوع، رغم أنّ عملنا كان دبلوماسيًّا.

ومـع الأسـف، فـإنّ كل الأصدقـاء الذيـن كانـوا يملكـون بطاقـات دبلوماسـية، لـم يكونـوا يعملـون فـي المجـال الدبلوماسـي.

هل استمرت هذه الحالة حتى فترة عمل السيّد محلاتي؟

نعـم، ففـي نهايـة فتـرة عمـل السـيد رجائـي خراسـاني، كنـتُ قائمًا بالأعمـال فـي البعثـة، وكانـت بطاقتي تحمـل الصفة التي ذكرتها سـابقًا، ولـم أكـن أعلـم آنـذاك أنّنـي أسـتطيع الحصـول علـى بطاقـة تعريفيـة بالرسـالة التـي قدّمتنـي كقائـم بالأعمال.

كانـت المشـكلة الثالثـة هـي الكميـة الهائلـة مـن الأعمـال الملقـاة علـى عاتـق البعثـة. لقد بـدأ عملنا في فتـرة الحرب بين إيـران والعراق، وكانـت الأمـم المتحـدة أهـم مـكان لمتابعـة هـذا الأمـر. فـي الواقـع، لـم نكـن قادريـن علـى تغطيـة شـؤون الحـرب بالـكادر الموجـود لدينا، إضافـةً إلـى أنّنـا، كبعثـة ثوريـة، كنـا نريـد المشـاركة والتحـدث في كل شـيء، الأمـر الـذي كان يسـتنزف الكثيـر مـن الوقت.

أمـا المشـكلة الرابعـة، فهـي عُزلـة إيـران دوليًّـا. ففـي فتـرة الحرب، كانـت إيـران منعزلة بشـدة فـي الأمم المتحـدة، وكان البعـض يتحدثون عـن تأييدهـم لنـا قلبًـا، ولكنهـم لـم يكونـوا حتـى ليتواجـدوا معنـا فـي صالـة أو فـي ممر لتنـاول كوب من الشـاي. طيلة المفاوضـات المتعلّقة بالحـرب، لـم نتمكّـن مـن التحدث إلّا مع أشـخاص معدوديـن، إما لأنهم لا يرغبـون فـي التحـدث إلينـا، وإمـا لأنهـم يخافـون ذلـك، وكان البعض منهـم دبلوماسـيين عربًـا، والبعض الآخـر دبلوماسـيين غربيين.

أذكر أننا عندما كنا نتفاوض حول القرارات، كنتُ أودّ مناقشة مسألة القنابل الكيميائية مع رئيس مجلس الأمن ـ السفير الفرنسي آنذاك ـ ولكنه أخبرني بكلّ صراحة أنّه لا يستطيع التحدث إلينا، لأن ذلك غير مسموح له. طبعًا، لم يكن سفيرًا محترفًا ودبلوماسيًّا جيدًا، وإلّا لما أدلى بهذه الإجابة. الخلاصة، أنّ عُزلتنا كانت شديدة إلى هذه الدرجة التي تطرقت إليها.

بالطبع، كانت المفاوضات المتعلّقة بالقرار 598 في مجلس الأمن قد غيّرت الوضع نوعًا ما. ولكن طيلة تلك المفاوضات، وخصوصًا بعد الموافقة على القرار وحتى قبول إيران به، كان عدد الذين تحدثوا إلينا محدودًا جدًّا. أذكر أنّ من تحدَّث إلينا، كان دبلوماسيًّا روسيًّا يدعى أسميرنوف، ودبلوماسيًّا صينيًّا يدعى وانك، وصحافيًّا عربيًّا يدعى خليل مطر. أمّا الآخرون، فقد كان من الممكن أن يبادلونا التحية فقط. قد يرغب الدبلوماسيون بالتحدث إلى نظرائهم عادةً، ولكننا كنا في معظم الأحيان ـ من الناحية الدبلوماسية (بحسب بطاقات التعريف) ـ دون ذلك.

في العام 1985م، قُدِّم قرار ضد إيران إلى الجمعية العامة، وكنتُ حينئذ مسؤول الوفد الإيراني في لجنة حقوق الإنسان، وبهذه الصفة طلبتُ وقتًا للقاء سائر الوفود. وفي أحد الأيام، اتفقنا مع السكرتيرة الأولى لهنغاريا على لقاء للتداول في قرار يتعلق بحقوق الإنسان، وقد ذهبنا بمظهر وملابس غير مألوفة. وعندما امتنعت عن مصافحتها، انزعجت وطلبت رؤية بطاقاتنا التعريفية. وبعد اطلاعها

علـى بطاقاتنـا التـي تحمـل صفـة «مستشـار»، قالـت لنـا: «ليـس لـديّ حديـث معكـم، فمجـرد طلبكـم موعـدًا لملاقاتـي إهانـة لـي. سـأقابل نظيـري إن لـزم الأمـر».

إذًا، العُزلـة، القيـود، والعقبات التي كنـا نعانيها، وعدم توفر موظّفين لأداء الأعمـال، كانـت كلهـا أسـبابًا لوقوعنـا فـي المشـاكل، والأسـوأ هـو أجورنـا المتدنيـة جـدًّا. فـي الواقـع، من كان عملـه مشـابهًا لعملي، مثل السـيد أمير خيزي، السـيد أسـدي، السـيد زماني نيا، والسـيد هيأت، كان يتمتـع بمسـتوى أكاديمـي أعلـى مـن بقيـة موظفـي البعثـة، الذين كان معظمهـم يحمـل شـهادة الثانويـة، وكان أقصـى مسـتوى دراسـي لديهم هـو شـهادة البكالوريوس.

إن كنـت تذكـر، كان الكثيـر من هـؤلاء قد حازوا شـهادة الثانوية من الخـارج، إلـى أن مَنَـعَ المهنـدس موسـوي، إبـان تصديه لرئاسـة الـوزراء، دراسـة الدبلوماسـيين هنـاك، ذلـك أنّ معظـم هـؤلاء لم يكونـوا يتقنون الإنجليزيـة بشـكل جيـد، وكانـوا فـي السـنة الجامعيـة الأولـى، ولكنهـم كانـوا يشـغلون منصـب سـفير أو سـكرتير الجمهوريـة الإسـلامية، وكان لـكل منهـم منصـب بديـل أيضًـا. ورغـم أنّنـا كنّـا نتمتـع بأعلى مسـتوى دراسـي، وكنّـا نقـوم بمعظـم أعمـال البعثـة، فقـد كنّـا نتقاضـى أدنـى راتب.

ورغـم أن عائلتـي تكفّلـت بمصاريـف معيشـتي حتـى اليـوم، فقـد كنـتُ مجبـرًا كغيـري علـى السـكن فـي منطقة بعيـدة عن البعثـة، وهو

ما كلّفني الكثير، ذلك أننا كنا نقيم على مسافة تبعد أكثر من أربعين كيلومترًا عنها، بهدف الاقتصاد في المصاريف، لأنّ نيويورك من أغلى المدن للحياة، وإن كنتُ أرغب في السكن في منهاتن، ولكن التكاليف كانت أعلى من راتبي البالغ ألف دولار.

لهذا، كنا مجبرين على مغادرة المنزل في الساعة السادسة صباحًا حتى لا نقع في الازدحام، وإذا تأخرت في عملي مساءً إلى ما بعد السابعة، كنتُ أبقى في البعثة، فيما تظل زوجتي وأبنائي في المنزل وحدهم.

وعلى الرغم من كلّ هذه المشكلات، حافظ أصدقائي على البعثة الإيرانية بكلّ إصرار، وأنجزوا كلّ الأعمال، وهو ما جعل البعثة الإيرانية في طليعة الأمم المتحدة.

هل عملتم على إيصال صوت مظلوميّة الجمهوريّة الإسلاميّة في الحرب المفروضة عليها للعالم؟ وما هو السلوك الأفضل والأسوأ للدول في الدفاع عن مصالح إيران؟

لم يكن هناك أفضل وأسوأ بينهم، ولكن باستطاعتي القول إنّ كلّ الدول عملت بشكل سيّئ. لقد قاطعنا مجلس الأمن بعد فتح خرمشهر، نظرًا إلى موقفه العدائي ضد إيران. وقبل فتح خرمشهر، كانت كل الدول تعتقد أنّ نظام الجمهورية الإسلامية سيسقط، ولهذا كان مجلس الأمن صامتًا طيلة سنتين، واكتفى بإصدار القرار 479 بتاريخ 28 سبتمبر/أيلول من العام 1980، أيْ بعد ستة أيام من الحرب، ولم يرد فيه تراجع القوى العراقية وخروجها من إيران.

لماذا؟

يرجع ذلك إلى الظروف التي شهدتها تلك المرحلة، فالاختطاف أخذ إيران نحو المجهول على المستوى الدولي. وبحسب بحثي، علمت أنّ السيد ماك هنري ـ سفير الولايات المتّحدة الأمريكيّة لدى الأمم المتحدة آنذاك ـ ذكر في المفاوضات غير الرسميّة في فترة إصدار القرار 479، أنّ المنطقة التي احتلّها العراق هي منطقة حدودية مختلف عليها، ويجب الانتظار إلى أن يبتّ أمرها في المفاوضات.

ولهذا، لم يكن في القرار 479 حتى طلب صوريّ لوقف إطلاق النار بين الطرفين والرجوع إلى الحدود الدولية. وبعد فتح خرمشهر، ونظرًا إلى احتمال دخول إيران إلى الأراضي العراقيّة، ذكروا في القرار الجديد الرجوع إلى الحدود الدولية المعروفة!

وقد قاطعنا مجلس الأمن، لا لأنّنا نرغب في خوض الحروب، بل لأنّ هذا المجلس كان يشكّل بيئة خانقة. حاولنا أن نحفظ بقاءنا فيه، ولكن ـ للأسف ـ كان سلوك العراق باعثًا لأن يجعل سبب وجودنا، هو مناقشة المسائل المتعلقة بالأسلحة الكيميائية، وحرب المدن، والاعتداء على ناقلات النفط. وقد كنا نرسل العديد من البعثات إلى إيران عن طريق أمانة الأمم المتّحدة.

كانت أولى البعثات بعد تحرير خرمشهر، وكنّا قد بلّغنا الأمم المتحدة أنّ العراق قام بتخريب المدينة قبل الخروج منها، وكان

ادعـاءً مهمًّـا. عندهـا، أرسـلت الأمـم المتّحـدة بعثـة للتقصّـي، وجاء في التقريـر أنّ المدينـة خُرِّبـت بأسـلوب ممنهـج، أي أنّ الخـراب لـم يكـن بفعـل الحـرب، بل بتخطيط مسـبق. كان هـذا أول تقريـر إيجابي لأمانة الأمـم المتحـدة عـن إيران.

عملنـا كثيـرًا حـول الأسـلحة الكيميائيّـة التـي اسـتخدمها العـراق في الحـرب، وكانـت التقاريـر حـول هـذا الأمـر تصلنـا قبـل أن تُنشـر فـي إيـران، لنقدمهـا إلـى أمانـة الأمـم المتحـدة، إلـى أن قبلـوا بإرسـال بعثة تقصـي حقائـق.

كذلـك، فـإنَّ حـرب المـدن أو هجوم صـدام على المـدن بصواريخ سـكود، والتـي بـدأت بدزفـول ووصلـت إلـى طهـران، كانـت مـن المواضيـع التـي كنّـا نتواصـل مـع الأمـم المتحـدة بشـأنها، ولـم نكن نقابلهـا بعمـل عسـكري.

مـن الموضوعـات الأخـرى التي كنّا نعمـل عليها في الأمـم المتحدة، هـي حقـوق الإنسـان، وكان عدد قليل مـن الدّول يقف إلـى جانبنا بهذا الخصوص.

هل يمكنك أن تذكر هذه الدّول؟

كان التأييـد يختلـف بحسـب كلّ حالـة. مثـلًا، بعـض الـدول أيّدتنـا فـي موضـوع حقـوق الإنسـان، لا لأنّ علاقاتها مـع إيران جيـدة، بل لأنّها كانـت قلقـة ممـا يصلهـا مـن أخبـار عنهـا، مثل مـا كان يقال عن سـلوك إيـران مـع البهائيين.

لـم تكـن لدينـا علاقـات جيّـدة مـع الأردن والعـراق، وفـي بعـض الأحيـان مـع السـعودية والإمـارات، لأنّ الأخيـرة قدّمـت رأيًـا ضـد إيـران فـي القـرار، فـي حيـن كانـت علاقاتنـا مـع الاتحـاد السـوفياتي منطقيّـة، عـدا الخـلاف حـول أفغانسـتان، حيـث كان موقـف إيـران هـو الأكثـر حـدّة بيـن الـدول، حتـى إنّ الباكسـتانيين دخلـوا فـي مفاوضـات مـع الـروس فـي جنيـف، فـي الوقـت الّـذي اخترنـا عـدم المشـاركة فيهـا.

لـم تكـن علاقاتنـا مـع الصيـن متكاملـة، ذلـك أنّهـا لـم تكـن لاعبًـا أساسـيًّا فـي العلاقـات الدّوليّـة آنـذاك، فـكان قـد مضـى علـى دخولهـا الأمـم المتحـدة 12 سـنة فحسـب، ولكـن لم يعـد بالإمـكان مقارنة دور الصّيـن الحالـي بمـا كان عليـه آنـذاك.

أذكـر أنّ موقـف سـفير غانـا كان مبدئيًّـا أكثـر بالنسـبة إلـى إيـران. وكانـت سـوريا وكوبـا مـن أصدقائهـا، فقـد كان الكوبيـون نشـطين، ولكـن لـم تكـن علاقتهـم بالعراق سـيئة، فكلاهمـا عضو فـي حركة عدم الانحيـاز.

كيف كانت مواقف جيران إيران؟

فـي موضـوع حقوق الإنسـان، كانـت باكسـتان الأكثر دفاعًـا عنّا، لأنّ علاقتنـا بهـا كانـت جيـدة، كمـا كانـت ترغـب بـأن يكـون لهـا دور فـي إيقـاف الحرب.

من أين أتت فكرة مقاطعة مجلس الأمن؟ يقال اليوم في نقد السياسة الخارجية، إنّ إيران لم تكن تتصرف بواقعية مع الأمم المتحدة، أو إنّ الجمهوريّة الإسلاميّة كانت على خصام مع الأمم المتحدة لمدة عقد من الزمن، فما رأيك في ذلك؟

في الحقيقة، لم تكن العلاقات بين الأمم المتحدة وإيران جيدة، وخصوصًا في موضوع الحرب. لقد ذكرتَ أنّ إيران لم تكن تتصرف بواقعية بالنسبة إلى مجلس الأمن، ولكنّ هذا السلوك طبيعي، فقد كنّا على خلاف وخصومة دائمين مع أحد الأعضاء الدّائمين فيها. ونظرًا إلى هذا الخصام وسوء الظن، تمّ اختطاف الدبلوماسيين. وهناك عضو دائم آخر قام باحتلال جارتنا أفغانستان. أيضًا، لم تكن علاقتنا جيدة مع بريطانيا، وكانت لفرنسا علاقات استراتيجيّة مع العراق.

على أيّ حال، كان سلوك مجلس الأمن من حيث الجوهر والمظهر، سيئًا للغاية. ويعدّ موقفه من الحرب بين إيران والعراق، ولا سيّما في بدايته، من الصّفحات السّوداء في تاريخه. ففي نهاية الحرب، لم يذكر أنّ العراق استخدم الأسلحة الكيميائية، بل إنّ أول قرار صدر ضد العراق بهذا الصّدد، اتخذ بعد انتهاء الحرب، وهو ما يظهر تجاهل مجلس الأمن لإيران.

من ناحية أخرى، يجب أن يكون العمل في منصة الدبلوماسية المتعدّدة الأبعاد، صحيحًا وعلميًّا، ولم يكن عملنا جيدًا بهذا الخصوص بعد الثورة، فقد كنا نقوم بأعمال ونشاطات تضرّنا، كما ذكرتُ سابقًا بالنّسبة إلى حقّ الردّ.

والجدير بالذكر، أنّه لم يكن أمامنا طريق آخر للتعلّم غير التجربة والخطأ. ما تعلمته وأمثالي كان ثمنه غاليًا، ومع الأسف، عندما أقول إنّنا ارتكبنا الأخطاء نفسها التي تُرتكب اليوم ويجب تجنبها، لا يستمع إلينا أحد. من مشاكل العالم الثالث، وخصوصًا بلدنا، عدم تراكم الخبرة المؤسساتية، لأنّنا نرى المعلومات قوة، وعندما لا نتمكّن من استخدام هذه القوّة مع الآخرين، نستعملها ضدّ زملائنا. وفي الوقت نفسه، نبقى غير مستعدين لنقل هذه المعلومات والتجارب إليهم، وهو ما يبعث على تعزيز البيروقراطية، بينما يُبذل اليوم الكثير من الاهتمام لنقل التجارب وتبادلها في أساليب الإدارة العالميّة حديثًا.

من أين أتت فكرة مقاطعة الأمم المتّحدة؟ هل أتت من وزارة الخارجيَّة أو من مكتب البعثة في نيويورك؟

أتت هذه الفكرة من مكتب البعثة، فقبل عدة أيام من دخولي إليها، وصل خبر فتح خرمشهر، وعلمنا أنّ مجلس الأمن يودّ ترتيب اجتماع، وقد كان للجمهوريّة الإسلاميّة موقف مبدئيّ يتمثّل بالتَّساؤل التالي: «لِم يتفاعل مجلس الأمن معنا بعد فتح خرمشهر؟».

من ناحية أخرى، لم تكن طهران قد قرَّرت قبول وقف إطلاق النار بعد، وكانت مشاركتنا في مجلس الأمن تعني تقديم بعض الإجابات. لهذا، كانت هذه الفكرة مجرّد تكتيك، ولم يكن واردًا اتخاذها كاستراتيجية للبلاد بالضرورة، وقد تسبّبت هذه الظّروف بعدم مشاركتنا في اجتماع مجلس الأمن.

فـي تلـك الأيـام، كانـت القـرارات الثورية والحادة تُسـتقبل بسـهولة، وتحوَّلـت هـذه الفكـرة مـن إجـراء تكتيكـي إلـى اسـتراتيجية، إلـى أن قبلنـا بالقـرار 598. فـي الحقيقـة، كانت بـذرة هذا القـرار فكرتي وفكرة الدكتـور رجائـي فـي الأيـام الأولـى من دخولـي إلـى البعثة.

هـل تعرّفـت إلـى الدكتـور رجائـي خراسـاني عـن طريـق الجمعيّـة الإسـلاميّة للطّـلاب؟

نعـم، كنـتُ فـي العاميـن 1981 و1982م أميـن الإعلام فـي الجمعية الإسـلامية لطلبـة أمريـكا وكندا، وكان السـيد رجائي ـ بحسـب اعتقادنا ـ أول سـفير «متديـن» فـي الأمـم المتحـدة، ذلـك أنّ الذين سـبقوه، وفقًا لرأينـا، لم يكونـوا متدينين.

آنـذاك، ذهبـت برفقـة أميـن التنظيم وأميـن الثقافة فـي الجمعية للقاء السـيد رجائـي خراسـاني فـي نيويـورك، وذكـرت لـه حينهـا أنّـي قُبِلـت في جامعـة كولومبيـا، ومـن المُقَـرَّر أن آتـي إلى نيويـورك، فاقترح علـيّ العمل معه.

عندمـا أصبحـتَ «قائمًا بالأعمـال» في فترة السـيد رجائي، هل كان لديك إبـلاغ بذلك؟

لـم يكـن لـديّ إبـلاغ مـن طهـران، ولكنّنـي قُدِّمـتُ إلـى الأمـم المتحـدة وإلـى البنـك بهـذه الصّفـة. ولمـا كانـت إحدى مهـام القائم بالأعمـال التوقيع على الشـيكات ورسـائل الأمم المتحـدة، كنت أوقّع فـي تلـك الفتـرة علـى الرسـائل التـي تقـدّم إلى الأمـم المتحـدة، في حيـن كنـت مستشـارًا وفقًـا للكتيّب الدبلوماسـي للأمـم المتحدة، أي

لـم تكـن لـديّ صفـة دبلوماسـية، حتـى بعدما أصبـح السـيد محلاتي سـفيرًا، إذ كنـتُ لا أزال موظّفًـا محليًّـا.

من كان أوّل مندوب لإيران في الأمم المتحدة بعد الثورة؟

كان السـيّد جمـال شـميراني هـو الشـخص الثانـي فـي بعثـة إيـران فـي عهـد الدكتـور فريـدون هويـدا. عندمـا غـادر هويـدا البعثـة، تولـى السـيد شـميراني إدارتهـا. بعـد ذلـك، أصبـح الدكتـور منصـور فرهنـك سـفيرًا ومندوبًـا دائمًـا لإيـران فـي البعثـة. كان السـيد فرهنـك أسـتاذًا جامعيًّـا ومعارضًـا ناشـطًا لحكومـة الشـاه مـن الحركـة الطلابيـة والأكاديميـة فـي أمريـكا، وبعـد مـدة ذهـب مـع بنـي صـدر[1].

أعتقـد أنّ السـيّد جمـال شـميراني تولـى مسـؤولية القائـم بالأعمـال لمـدة قصيـرة، ثـمّ أصبـح السـيد رجائـي سـفيرًا ومندوبًـا دائمًـا لإيـران مـن 1981م وحتـى 1987م. بعـد ذلـك، تولـى السـيد محمـد جعفـر (أميـر) محلاتـي منصـب القائـم بأعمـال البعثـة، وكان سـفيرًا فيهـا لمـدة قصيـرة. فـي هـذه الفتـرة، أصبحـت مستشـارًا فـي البعثـة، وكان هـذا المنصـب غطـاءً لعملـي، حيـث إنّنـي كنـت أقيـم فـي نيويـورك بجـواز سـفر عـاديّ. وقـد اسـتلمت أوّل جـواز سياسـيّ فـي سـبتمبر/أيلول مـن العـام 1988م.

(1) هو أبو الحسن بني صدر: كان الرّئيس الأول للجمهورية الإسلامية الإيرانية بعد الثّورة. صدر بحقه قرار بالعزل، ووافق عليه مرشد الثّورة الإسلامية آنذاك الإمام الخميني بعد التّصويت على القرار من قبل مجلس الشّورى الإسلامي.

هـل تقصـد أنّـك لـم تكـن موظفًـا رسـميًّا فـي وزارة الخارجية حتى ذلـك الوقت؟

لا، لـم أكـن موظفًـا رسـميًّا، وهذا ما سـبّب لـي الكثير من المشـاكل فـي الحصـول علـى التقاعـد، ذلك أنهـم لم يحتسـبوا السـنة التي عملت فيهـا فـي السـفارة فـي سـان فرانسيسـكو، لأنّني لم أكـن أتقاضـى أجرًا، كمـا لـم يحتسـبوا الفتـرة التـي كنـت أتـردّد فيهـا إلـى الأمـم المتحـدة، لأنّنـي كنـت موظفًـا محليًّـا. وبهـذا، تقاعـدت خـلال خمسـة وعشـرين سـنة، وهـو الحـد الأدنـى للتقاعد.

هـل حصلـت علـى تعليـم أو تدريب بخصـوص العمل في السـفارة أو فـي بعثـة إيـران في الأمـم المتحدة؟

العمـل فـي السّـفارة ليس لـه أيّ علاقة بالعمل في الأمـم المتحدة. عندمـا كنـت مجبـرًا علـى العمـل فـي السـفارة في سـان فرانسيسـكو، لـم تكـن لـديّ أيّ تجربـة فـي العمـل القنصلـي. وقـد صـادف دخولي إلـى السـفارة إغلاق وكر التجسّـس في إيـران، ولهـذا كان عملي يتمثل فـي حـلّ مشـاكل الإيرانييـن فـي الولايـات المتحـدة الأمريكيـة، ذلـك أنّ لغتـي الإنجليزيـة كانـت أفضـل مـن الآخريـن، كمـا كان تخصّصـي مرتبطًـا إلـى حدٍّ مـا بهـذا العمل.

أمـا عندمـا عملـت فـي الأمـم المتحـدة، فقـد كانـت دراسـتي فـي البكالوريـوس والماجسـتير فـي تخصـص العلاقـات الدوليـة. كمـا أنّنـي كنـت قـد قـرأت الكثيـر عـن المنظّمـات الدوليـة، وكانـت رسـالة الماجسـتير الخاصـة بـي تتمحـور حـول العقوبـات. ولهـذا، كنـت أعرف

بشكل ما كيفية العمل في الأمم المتحدة، ولكن ما قرأته في الكتب كان يختلف كثيرًا عن الواقع.

كان توفيقي بين العمل والدراسة الجامعيّة فرصة نادرة لي. وبعد سنة من العمل في البعثة، رأيت أنّ العمل والدّراسة معًا غير ممكنين، ولم أكن مخطئًا، فقد تخرّج أحد الأصدقاء الّذين قدموا إلى البعثة أثناء دراستي للماجستير، بعد عشر سنوات، وكان العمل مرهقًا في السنوات الأولى. بعد سنة من العمل في البعثة، ذهبت إلى دنفر، ودرست بشكل مكثف لمدة سنة ونصف السنة، ثم عدت إلى نيويورك لكي أعمل وأكتب رسالة الدكتوراه في آن واحد.

في العام 1983م، ونظرًا إلى كمية العمل التنفيذي، لم أبقَ في نيويورك، ورحلت إلى دنفر لإكمال الدراسة، حيث إنّي رأيت أنّ البقاء في نيويورك يعني إضاعة الوقت. وقد قررت وزوجتي العودة إلى إيران، باعتباره القرار الأفضل، إذ كان بقاؤنا في الولايات المتحدة بحجة الدراسة فقط. وكان من الممكن أن نحصل على شهادة دراسية مع كمّ هائل من العمل، ولكن الدراسة لم تكن ممكنة. ثمة فرق دائمًا بين الدراسة والحصول على شهادة دراسية.

على مدى عام كامل (من يوليو/تموز 1983م حتى سبتمبر/أيلول 1984م)، كانت كل أعمال البعثة ملقاة على عاتقي، ثمّ أتى بعد

ذلـك بعـض الرفـاق كموظفين محليين وقدموا المسـاعدة، رغـم أنّه كان لدينـا بعـض الموظفيـن الرسـميين فـي البعثـة قبـل ذلـك، إلا أنّهـم لـم يكونـوا يرغبـون فـي العمـل، ولـم يكونوا محـلّ ثقة.

لعـل قلـة مـن الموظفيـن القدامـى كانـوا مرتبطيـن بشـكل شـخصي، سياسـي أو عقائـدي، بالنظـام الجديـد، ولهذا، كانـت غالبيتهـم تمتنع عن العمـل. أمـا الأعضـاء الجُـدد، وكانـوا غيـر متخصّصيـن، فـكان 95% منهـم يحملـون شـهادة ثانوية أو شـهادة في المجال الهندسـي كحـد أقصى، ولا يجيـد اللغـة الأجنبيـة إطلاقًـا. أمّـا الدكتـور رجائـي خراسـاني، فقـد درس الفلسفة.

عندمـا ذهبـت إلى المفوضيَّة، كانت تضمّ ثمانية موظفين رسـميين: ثلاثـة منهـم قدامى وخمسـة جـدد. والآن، صـارت تضـمّ 28 موظفًا. كان أحـد الموظفيـن الخمسـة الجـدد، هو مسـؤول الشـيفرة والتلكس، ومن بينهـم أيضًـا الدكتـور رجائـي خراسـاني، الّـذي كان متمكّنًـا مـن اللغـة، ولكنّـه لـم يكـن متخصّصًـا في الحقـوق أو العلاقـات الدوليـة. ورغم أنّه لـم يكـن متخصّصًـا مـن النّاحية العلميّـة، فإنّه كان يتمتع بحس سياسـي جيـد. ونتيجـة لـكل ما سـبق، كانـت كلّ الأعمال السّياسـيّة، بـدءًا بكتابة الرسـائل، وصـولًا إلـى المشـاركة في الاجتماعـات المختلفـة، ملقاة على عاتقي.

بعـد ذلـك، انضمّ إليّ السـيدان زمانـي نيا وأمير خيـزي لمتابعة هذه الأعمـال. أمّـا السـادة الدكتـور هيـأت وباقـر أسـدي، فقـد كانـا ينجـزان

الأعمـال الماليـة للبعثـة. وحتـى فتـرة مفاوضـات الدكتـور ولايتـي، كان موضـوع الحـرب بيـن إيـران والعـراق مـن المسـؤوليات المهمـة لـديّ. وفـي فتـرة النيابة فـي وزارة الخارجيّـة، كنت دائمًا أحد المسـؤولين في الملـف العراقي.

وعندمـا قَدِم رئيـس الجمهوريّة والقائد الحالي «السـيد الخامنئي»[1] للمشـاركة فـي الجمعيّة العامّة فـي نيويورك، كنتُ موظّفًـا محليًّا وقائمًا بأعمـال البعثـة. فـي تلك الأيام، كنّـا نقوم بأعمال الترجمـة والمفاوضات للوفد الأول لرئيس الجمهورية، أي أنّ كلّ أعمال الاسـتعدادات التنفيذيّة كانت ملقـاة على عاتقنا.

لِـمَ لَـم يحضـر المزيد من الكـوادر؟ ولمَ لـم يتواجد معكـم مترجم علـى الأقل؟

لقـد أحضـروا معهـم مترجمًا، ولكننـي لاحظت أنه غريـب عن البيئة بشـكل كامـل، ومن الممكن أن تكون لغتـه الإنجليزية المكتوبة مقبولة، ولكنّهـا غيـر مفهومـة بالنسـبة إلى المسـتمع. لـذا، طلبت منـه الجلوس جانبًا لأتولـى الترجمة.

فـي العقـد الأول مـن الثـورة، كانـت وزارة الخارجيـة عاجـزة تمامًـا وخاليـة مـن الكـوادر، وكان أولئـك الذيـن يجيـدون اللغـة الإنجليزيـة يعـدّون علـى الأصابـع، وقلـة هـم مـن يعرفـون معنـى الأمـم المتحـدة أصـلًا؛ ليـس بشـكل تخصّصـي بـل كثقافـة عامـة. دخلـت أوّل مجموعـة

(1) في إشارة إلى مرشد الثورة الإسلامية في إيران، وقد استخدم السفير محمد جواد ظريف عبارة «السيد القائد» في حديثه عنه في الكتاب.

مـن المختصيـن إلـى وزارة الخارجيـة في العـام 1987م، وكانـوا خريجي الـدورة الأولـى والثانية مـن كلية العلاقـات الدولية فـي وزارة الخارجية.

ولعـلّ أفضـل الخريجيـن هـم طلبـة الدورتيـن أو الـدورات الثلاث الأولـى، ذلـك أنّهـم لم يدخلـوا الكلية مجبريـن، بل قُبِلوا فـي الجامعات الحكوميـة، وتـمّ اسـتقطابهم فـي كليـة وزارة الخارجيـة بسـبب إغـلاق الجامعـات إبّـان الثـورة الثقافيـة. كان هـؤلاء الخريجـون دبلوماسـيين ممتازيـن، مـن بينهـم الدكتـور البـرزي، كمـا أنّ معظـم من حصلـوا على مسـؤوليات عليـا كانـوا مـن هـذه الفئة.

هـل يعنـي ذلـك أنّ الموظفين السياسـيين فـي وزارة الخارجية منذ عهـد الشـاه بهلـوي الثانـي [1979م]، أي بعـد الثـورة، لـم يبقوا في عملهم ؟

بقـي القليـل منهـم، لأنّ أكثـر مـن 90% مـن هـؤلاء، لـم يكونـوا يحظـون بثقـة النظـام، ولـم يكـن لهـم دور فـي العمـل.

يبـدو أنّ توظيفـك فـي وزارة الخارجيـة كان في العـام 1988م. هل رجعـت إلـى إيـران في ذلـك الوقت؟

أنهيـت مناقشـة الدكتـوراه فـي شـهر يونيو/حزيـران مـن العـام 1988م، وحصلـت علـى الشـهادة فـي أغسـطس/آب مـن العام نفسـه. صـادف هـذا الأمـر الهجـوم علـى طائـرة الإيربـاص، وقبـول القـرار 589 بعـد ذلـك. كنـتُ أريـد الرجـوع إلـى إيـران فـور حصولـي علـى الدكتـوراه، ولهـذا سـلّمت منزلـي وسـكنت مؤقتًـا فـي مقـرّ سـفير الجمهوريـة الإسـلامية.

على مدى السنوات العشر بعد الثورة، كان المقرّ قد أصبح خرابًا، حتّى إنّ السفير لم يكن يقيم فيه، ومن ثمّ تمّ تحديثه. وقد استأجر السيد كمال خرازي شقة حتى إصلاح المقر، أي لمدة عامين. تُعدّ المباني الّتي مضى على بنائها ثمانين سنة، مبانٍ تاريخية في أمريكا، مثل مبنى مقرّ السفير. تمّ تحديث ذلك المكان مرتين؛ مرة في فترة السيد خرازي، ومرة عندما كنتُ سفيرًا. وعندما سلّمنا منزلنا، سكنّا في غرفة في ذلك المبنى لمدة ثلاثة أسابيع.

أذكر أنّني كنتُ عائدًا من التسوّق بلباسٍ غير رسمي في أحد أيام الآحاد ـ عطلة نهاية الأسبوع ـ حين رأيت الصحافيين أمام المقر، وسألوني عن رأيي في اعتداء أمريكا على الطائرة، فأجبتهم أنه نتيجة حضورها غير الشرعي في الخليج.

الخلاصة هي أنّني جهّزت تذكرة العودة إلى إيران بعد بدء مفاوضات 598، ولكن الدكتور ولايتي طلب مني البقاء في الولايات المتّحدة الأمريكيّة إلى أن يتمّ التوصّل إلى وقف لإطلاق النار، فعدتُ إلى إيران بعد القبول بالقرار، وكنت مستشارًا للوزير لأكثر من سنة، حيث كان عملي متعلقًا بالقرار 598، ثمّ أصبحت الشخص الثاني في الأمم المتّحدة، بصفة سفير ونائب مندوب.

كم بقيت في إيران؟

من أغسطس/آب في العام 1988م وحتى سبتمبر/أيلول من العام 1989م.

ما هي المشاكل الّتي واجهتك في بدء العمل في البعثة الإيرانية؟ وما هي الحوادث التي تعرّضت لها مع المسؤولين المحلّيين والإيرانيين المقيمين هناك؟

لم يكن لدينا عمل مع المسؤولين الأمريكيين أو الإيرانيين. بدأ العمل مع الإيرانيين في البعثة بعد عهد سفارة الدكتور كمال خرازي بشكل مستقلّ. كانت هذه الأمور تتمّ قبل ذلك عن طريق مكتب حفظ المصالح. أما قانونيًا، فكان عليها القيام بالأمور القنصليّة.

هل كان كلّ ذلك بسبب إغلاق السفارة الإيرانية في واشنطن؟ وكيف حدث ذلك؟

نعم، بعد هجوم أمريكا على طبس، قرّر السيد كارتر قطع العلاقات مع إيران. أظنّ أنّ ذلك كان في شهر مايو/أيار من العام 1980م، حيث غادر موظّفو القنصليات والسّفارة الولايات المتّحدة الأمريكيّة خلال 48 ساعة.

من سوء حظي، أنّني كنت أعمل في قنصلية سان فرانسيسكو بشكل تطوّعي، ولهذا لم أطرد، وأصبحت مسؤولًا عن تسيير أمور القنصليّة حتى إغلاقها بشكل رسميّ. كانت رواتب الموظّفين متأخّرة، وكان ثمة أمور تتعلّق بالمبنى، فمنحني السيّد خرم ـ القنصل في سان فرانسيسكو ـ تفويضًا لإنهاء هذه الأمور، ولم تعد لنا بعد ذلك سفارة.

كان لإيران جهاز سياسيّ عظيم في الولايات المتّحدة الأمريكيّة، يشمل السّفارة وعدّة قنصليات. كما كان لدينا قنصليّات في كلٍّ من

نيويورك، سان فرانسيسكو، شيكاغو، هوستن، واشنطن، إضافةً إلى السفارة القائمة في العاصمة واشنطن. وبعد قطع العلاقات بين البلدين، أصبح عملنا محصورًا في مكتبنا في الأمم المتحدة، وفي مكتب حفظ المصالح في واشنطن.

من كان يتولّى مكتب حفظ المصالح؟

كان ثمة عدد من الأشخاص يتولون هذا المكتب، لا أذكرهم بالترتيب، وهم السيد هادي صادقي، السيد علي سبزعليان، السيد فتح نجاد، السيد جزيني وبعدهم السيد رحماني. وكان على موظّفي مكتب حفظ المصالح أن يكونوا مقيمين في الولايات المتحدة الأمريكية، بحسب القانون الأمريكي، وكان الاتفاق فيما بيننا يقضي بأن يكون الموظف حاصلًا على البطاقة الخضراء على الأقل، أو أن يعتبر مواطنًا أميركيًا، فلا يمكن للدبلوماسيين التواجد في مكتب حفظ المصالح، لهذا لم يكن لدينا في البعثة عمل رسميّ مع الأمريكيين أو الإيرانيين. كان عملنا مع الأمريكيين ينحصر في منحنا التأشيرة وأمور من هذا القبيل.

قبلت أمريكا بتواجد بعثات الدول، مثل إيران، في مقرّ الأمم المتحدة بنحوٍ إجباريّ، ولهذا، وضعت قوانين خاصة لذلك. فمثلًا، لم نكن قادرين على مغادرة المدينة لمسافة أكثر من 25 ميلًا (40 كيلومترًا). وبخلاف كلّ الدبلوماسيين في العالم، كانت التأشيرة الممنوحة لنا تخوّلنا الدخول مرة واحدة، وهذه الحالة لا زالت قائمة حتى يومنا هذا. ولذا، فإنّ المناصب الدبلوماسية في نيويورك ليست

ميزة لأيّ إيراني، فإن كنت تريد إجازة، فعليك صرف آلاف الدولارات للخروج من أمريكا، مع شرط توفر تأشيرة العودة.

حين كنتُ طالبًا، سافرت إلى عدد من المدن الأمريكية، ولكن منذ أن غيرتُ تأشيرتي من تأشيرة دراسية إلى تأشيرة سياسية، لم أتمكّن من السّفر، ذلك أنه ينبغي الحصول على إذن للسفر في كل مرة من الحكومة الأمريكية، ولا يُمنح هذا الإذن في 95% من الحالات.

طيلة إقامتي في نيويورك كمندوب دائم، سافرت إلى واشنطن عدة مرات، وذهبت إلى جامعات مختلفة، من بينها جامعة برنستون، التي زرتها مرة واحدة فقط، ولكن واجهت بعض المشاكل للذهاب إلى جامعتي في دنفر.

من الطّريف أنّ السيدة كونداليزا رايس درست في جامعتي نفسها في دنفر، ولكنّها تخرجت قبلي بخمس سنوات، عندما كنتُ سفيرًا. وقد كانوا يعرفونها، ولكنّهم لم يتمكّنوا من الحصول على تصريح خاصٍّ بي للذهاب للجامعة والتحدّث إلى الأساتذة. لهذا، فإنّ عملنا مع الأمريكيين كان يقتصر على الأمور الإداريّة.

كيف كانت علاقتك بالأمناء العامين للأمم المتحدة؟

تدريجيًّا، أقمت علاقة جيّدة بالسيد خافيير بيريز دي كويلار، فعندما ذهبت مع الدكتور ولايتي إليه، تعرّفنا إلى بعضنا البعض. ويبدو أنّه طلب من الدكتور ولايتي ترشيحي للعمل في وظيفة

في الأمم المتّحدة، ولم أكن على علم بهذا الأمر إلى أن قرأته في أحد الكتب. وفي المفاوضات، قبل القرار 598 وبعده، أصبحت العلاقة أوسع. وبعد ذلك في موضوع تدخّل الأمم المتّحدة في تحرير المختطفين الأمريكيين في لبنان، كنا، الدكتور خرازي وأنا، نلتقي الأمين العام يوميًّا. في السّنوات الممتدّة من 1990 حتى 1992م، كان الدكتور خرازي مندوبًا دائمًا، وكنتُ نائب المندوب الدائم.

كنتُ أعرف السيّد بطرس غالي، ولكنَّ العلاقة الَّتي جمعتنا لم تكن وثيقة، لأنّني لم أكن منجذبًا إليه، كما أنّني عدت إلى طهران حين أصبح أمينًا عامًّا. ورغم أنّني كنت نائب وزير الخارجية في العلاقات الدولية، فقد اتصلت به مرات معدودة فقط.

كذلك، كانت علاقتي بالسيّد كوفي عنان وثيقة، فقد كنتُ أعرفه مذ كان موظفًا في سكرتارية الأمم المتحدة، وكنّا أصدقاء مذ كنت الشّخص الثّاني في البعثة، وكان ضيف البعثة في عدة حفلات خاصّة، مثل حفل الوداع الذي أقيم لي. وعندما أصبح الأمين العام، كنا نعمل معًا عن كثب، وقد كنتُ، في فترة تولّيه منصب الأمين العام، سفيرًا لدى الأمم المتّحدة.

وقبل ذلك، أي عندما كنتُ نائبًا في وزارة الخارجيّة، عملت معه عن قرب في موضوع حوار الحضارات، وموضوع العراق وأفغانستان،

حتى إنّه جعلني أحد أعضاء مجموعة الشخصيات البارزة الرفيعة المستوى للأمين العام للأمم المتحدة لحوار الحضارات، ولم تكن رتبة سائر الشخصيات أدنى من رئيس جمهورية أو الفائز بجائزة نوبل، ولعلّي كنتُ الأحدث سنًّا والأدنى رتبة بينهم، فقد كان متوسط عمر الشخصيات 70-65 سنة، بينما كان عمري أقل من 40 سنة. بعد انتهاء فترة توليه المنصب، كنا متقاربين فكريًّا في العديد من المواضيع.

بقيت في البعثة مدة قصيرة في فترة عمل السيد بان كي مون، وكانت علاقتنا محدودة، ذلك أنني كنتُ أجده من الناحية الشخصية متعلقًا بالغرب وأمريكا بشكل مفرط. ولهذا، لم يشكّل العمل معه فرصة يُستحق التوقّف عندها. كما أنّه اقترح عليّ عدة مرات في عهد السيد كوفي عنان العمل في منظمة الأمم المتحدة، وتولّي مناصب فيها، ولكنّني رفضت.

هل عُرِضَ عليك عمل من هذا النوع في هذه الفترة؟

حاليًّا، ليس هناك عرض، ولا أرغب في العمل مع شخص مثل السيد بان كي مون، علمًا أنه ليس لدي مشكلة مع السيد كوفي عنان، وخصوصًا بعد فوز السيّد أحمدي نجاد في الانتخابات، والهمس الّذي كان يدور حول انتهاء فترة بقائي في دوائر الجمهوريّة الإسلاميّة.

آنـذاك، اقتـرح علـيّ السـيد كوفـي عنـان مباشـرة العمـل فـي أمانـة الأمـم المتّحـدة فـي أيّ منصـب أختـاره، ولكنّـي رفضـت باحتـرام، لأنّ الحـدث قـد يُسـتغلّ سياسـيًّا فـي الداخـل والخـارج.

الحرب الإيرانية العراقية

بقيت عـدّة أمور قبـل أن ندخل عقد التسـعينيات. مـن الواضح أنّ سـنوات الحـرب كانـت قاسـية على الجميـع، ومنهم بعثـة إيران في الأمـم المتحـدة، وكان احتمـال سـقوط نظـام الجمهورية الإسـلامية باعثًـا علـى القلـق، فكيـف سـعيتم إلـى إحقاق حـقّ إيـران، وأثبتم أنّ العـراق بلـد معتدٍ؟

عندمـا ذهبـت إلـى الأمـم المتحـدة، لـم يكـن موضـوع سـقوط نظـام الجمهوريـة ممكنًـا. هـذا القلـق كان قائمًـا فـي الأيـام الأولـى مـن الحـرب، عندمـا كنـت أدرس فـي سـان فرانسيسـكو. أما السـنوات الخمـس ونصـف السـنة، أي معظـم السـنوات السـت التـي قضيتها في البعثـة، فكانـت بعـد فتـح خرمشـهر وحتـى القبـول بقـرار 598، أي الانتصـارات المتتاليـة للجمهوريـة الإسـلامية في سـاحة المعركة. لهذا، لـم تكـن حالتنـا سـيئة، ولكـن مـع الأسـف فـي الأشـهر السـت الأخيرة مـن الحـرب، عنـد سـقوط جزيـرة مجنـون والفـاو، واعتـداء المنافقين علـى إيـران، تغيّـرت حالتنا العسـكرية. وبشـكل عام، كانـت لدينا عدة مشـاكل مهمّـة.

المشـكلة الأولـى أن جميع الإيرانييـن المقيمين خـارج الوطن، كانوا

تحت ضغط نفسي هائل طيلة فترة الحرب، ذلك أن آباءهم وأمهاتهم وأقاربهم كانوا تحت القصف. كان الاتصال الهاتفي في إيران صعبًا جدًّا، ولم تكن خطوط الإنترنت والأقمار الصناعية متوافرة، وكان علينا محاولة الاتصال عدة ساعات حتى يتاح لنا خطٌّ حرّ، لأن الخطوط بين إيران والخارج كانت محدودة، لمنع التجسّس المحتمل آنذاك، كما كنا ننتظر عدة أيام لوصول الأخبار.

من ناحية أخرى، كنا نشعر في البعثة بالمسؤولية حيال جميع النّاس، فقد كنا نعلم أننا لا نؤدي إلى الشعب الإيراني حقّه، ليس لعدم رغبتنا في ذلك، بل لعدم قدرتنا عليه، ولم نكن نعلم ما الذي يتوجّب علينا القيام به. هذا الأمر كان يزيد الضّغط على عاتقنا.

هل تمتّع العراق بالدّعم الكامل من الغرب؟

لم يكن الدعم غربيًّا فحسب، بل إنّ العالم بأجمعه كان يدعم العراق.

هل كان الدّعم يعني الرغبة في انتصار العراق الكامل؟ ثمّة رؤية تقول إنّ الغرب وأمريكا كانا يريدان خسارة الطَّرفين، وفي النتيجة، إضعاف كلا البلدين. ما هو رأيك؟

من المؤكد أنّهم كانوا يرغبون في انتصار العراق الكامل في بداية الحرب، ولكن ذلك الانتصار لم يكن محتملًا إلا في الأيام الأخيرة للحرب، إذ كرّر الغرب الخطأ نفسه الذي ارتكبه في البداية.

آنذاك، كان السيّد شولتز ـ وزير الخارجية الأمريكية ـ قد طلب

مـن السـيد خافييـر دي كويـلار التمهّـل حتـى شـهر سـبتمبر/أيلول، بانتظـار الأحـداث الأخيـرة. كانـوا يعتقـدون أن الجمهورية الإسـلامية قد تسـقط إن طالـت الحـرب قليـلًا. وباسـتثناء هاتيـن الفترتيـن، لـم يكـن أحـد يعتقـد أنّ الجمهوريـة الإسـلامية ستسـقط.

ومـن المؤكـد أيضًـا، أنّهـم لـم يبـرزوا أدنى ردّ فعـل، علـى الرّغم من علمهـم الكامـل بـكلِّ جرائـم العـراق. كانـت أقسـى عبـارة اسـتخدموها فـي فتـرة الحـرب حول اسـتخدام العراق للأسـلحة الكيميائيـة، تلك التي أُطلِقَـتْ مـن مجلـس الأمـن: «ندين اسـتخدام الأسـلحة الكيميائيَّـة ضد الجنـود الإيرانييـن»، مـن دون ذكـر الطَّـرف الـذي اسـتخدمها، وكأنّنـا اسـتخدمنا الأسـلحة الكيميائيَّـة ضـدَّ جنودنا!

أعتقـد أنّ عمـل الجهـاز الدّبلوماسـيّ للجمهوريَّـة الإسـلاميّة لم يكن سـيّئًا فـي السَّـنوات الأخيـرة للحـرب، ولكنّـه لـم يكـن بالطّبـع جهـازًا محترفًـا، وبمسـتوى الشَّـعب، ولا زلنـا دون ذلـك أيضًـا.

لا بـدّ مـن أنّ الأيـام التي سـبقت الموافقـة على القـرار 598، كانت مليئـة بالمراودات والمراسـلات مـع وزارة الخارجيَّة. ما هي الأعمال الّتـي أثمـرت في تلـك الفترة، وكان لـك دور فيها؟

تمّـت الموافقـة علـى القـرار 598 فـي أوج انتصـارات الجمهوريّـة الإسـلاميّة. بعـد القـرار 479، تـمّ إعـداد جميع القـرارات لمنـع إيران من الانتصـار، بـل إنّ البعـض منهـا كان ضـد إيـران بشـكل صريـح. إن لـم أخطـئ، فـإنّ القـرار 540 كان يتعلّـق بالهجـوم علـى البواخـر، فقـد بـدأ العـراق بالهجـوم عليهـا، لكـن عندمـا ردّت إيـران بالمثـل، أصـدروا قرارًا

ضدّها يدين الاعتداء على بواخر طرف ثالث، رغم أنّ البواخر كانت تحمل نفط العراق. أعتقد أنّ سبب مفاوضات القرار 598، كان فتح الفاو، وقلقهم من سقوط العراق، وذلك حتى تغيير حالة الجبهات، عندما خسرنا الفاو وجزيرة مجنون، ودخل العراقيّون الأراضي الإيرانيّة.

ينصّ القرار 598 في إحدى موادّه على الوقف الفوريّ لإطلاق النار، والتراجع دون تأخير. وعندما قبلنا بوقف إطلاق النار، أصبح طلب التراجع طلبًا إيرانيًّا بعدما كان عراقيًّا. في فترة الموافقة على القرار 598، كان العراق يرغب في المفاوضات، ولكنّنا كنّا نطالب بوقف فوري لإطلاق النار.

من ناحية عمليّة، كانت رؤيتنا في فترة المفاوضات قبل الموافقة على القرار 598، الاستمرار في الحرب. ومن ناحية سياسيَّة، كان ثمة رأي يقول بمواجهة مجلس الأمن، ورأي آخر يقول بتخفيف التوتر، باعتبار أنّ مجلس الأمن يتّجه إلى مقاطعة إيران. ولهذا، كان البعض في وزارة الخارجية يفضّلون أن نكون لاعبًا دوليًّا ناشطًا أكثر، أي أن نبتعد عن مقاطعة مجلس الأمن، بينما يرى آخرون في الوزارة خلاف ذلك. في النّهاية، أصبح قرار وزارة الخارجيّة، بموافقة الإمام الخميني، هو أن ننتهج استراتيجيّة خاصَّة، ونواصل ممارستها بما يمنع مقاطعة إيران.

وفي هذا الشأن، كنا نسعى إلى طرح رؤى إيران، مثل المادة

6 من القرار، والتي تنصّ على تحديد المعتدي، والمادة 8 الَّتي تبيّن رؤيتنا تجاه أمن المنطقة، وحتى البند 5 الَّذي يحذّر القوى الأجنبيّة من ممارسة أيّ عمل يشعل الحرب، فقد كان يجيب عن قلقنا من تواجد القوى الأمريكية في الخليج الفارسي[1]. كان ينبغي أن يكون توفير الأمن في المنطقة في يد دول المنطقة، وقد تمّ تحديد المعتدي بناءً على رؤيتنا، علمًا أنّ البعض في إيران لم يكونوا موافقين على هذا الطّرح. ونظرًا إلى تردّد الدكتور رجائي الدائم إلى طهران، كنت أُنجِزُ معظم الأمور المتعلّقة بمفاوضات القرار 598.

بخلاف كلّ القرارات التي كنّا نرفضها، لم نقبل القرار 598 ولم نرفضه، إلى أن تولّى الدكتور جواد لاريجاني مسؤوليّة المفاوضات. كان أسلوبه في المفاوضات كسب الوقت، وقد استعنّا بطرق عدّة لتحقيق هذا الهدف. مثلًا، طلبنا من الأمين العام أن يكتب خطة تنفيذية للقرار 598، بحجّة أنّه مبهم وغير واضح، وقد تمّت الموافقة عليه في شهر يونيو/حزيران من العام 1987م.

أمّا الخطّة التّنفيذيّة للأمين العام، فقد جُهِّزت في شهر أكتوبر/

(1) هو المسطح المائي الذي يقع إلى الشّرق من شبه الجزيرة العربية، وإلى الغرب من إيران. وقد عُرِف بأسماء مختلفة على مدى التّاريخ، منها البحر الجنوبي والبحر السفلي وخليج البصرة، بالنّسبة لسكان بلاد الرّافدين قديمًا. وأول من أطلق عليه «بحر فارس» هو الإسكندر الكبير المقدوني بناء على المعلومة التي زوده بها قائده البحري نيارخوس في العام 326 ق. م. عند عودته بأسطوله من الهند عن طريق مضيق هرمز. وقد تسربت هذه التّسمية إلى كل دول وكيانات الغرب الأوروبي، وبقيت متداولة حتى عند بعض الرّحالة والجغرافيين العرب في تلك العصور. كان اسم الخليج الفارسي مستخدمًا في كل الخرائط وفي معظم المعاهدات والوثائق الدّولية الحديثة قبل العام 1960، إلا أنه في ستينيات القرن العشرين، استخدمت جامعة الدّول العربية اسم «الخليج العربي» بدلًا منه، وما تزال إيران تستخدم تسمية الخليج الفارسي.

تشرين الأول من العام 1987م، أي بعد حوالي ستة أشهر. قبلنا بالخطة، وطلبنا البدء بها، لأنّها كانت أقرب إلى رؤية الجمهورية الإسلامية، في حين أنّ العراق كان يقول إنّه لن يقبل بها إلا عندما توافق إيران على القرار 598.

هل يعني ذلك أنّ إيران لم تكن قد قبلت بعد بالقرار 598؟

لا، لم نكن قد قبلنا بعد بالقرار، ولكن قبلنا بالخطة التنفيذية. كانت إيران في ذروة قدرتها، ولم تكن الخطة التنفيذيّة تعني بالنسبة إلينا نهاية الحرب. كانت سياستنا الاستمرار في الحرب. أما في الداخل، فكان البعض يرى استمرار الحرب لفترة محدودة، بينما يرى آخرون ضرورة استمرارها حتى تحقيق النصر المبين.

لم أكن في أمريكا على علم بهذه الأمور. في الواقع، كانت سياسة نظام الجمهوريّة الإسلاميّة هي الاستمرار في المفاوضات وعدم قطع العلاقة بالأمم المتحدة، واستمرّ هذا الأمر حتى بداية العام 1988م، حيث بدأ الضّغط على إيران لتحدّد موقفها من القرار 598.

كان هذا القرار حول الحرب بين إيران والعراق أول قرار مبنيّ على الفصل السابع لميثاق الأمم المتحدة. وإضافةً إلى الفكرة الشائعة حول قرارات الفصل السابع للميثاق بأنّها لازمة التنفيذ، فإن لهذه القرارات ضمانة تنفيذية أيضًا، إذ إنّ كل قرارات مجلس الأمن لازمة التنفيذ. وعندما يُصدر مجلس الأمن قرارًا بناءً على الفصل السّابع، يمكنه البدء بالإجراءات المذكورة في الفصل نفسه، إن لم يُنفّذ هذا القرار.

هل كنا سنواجه عمليات عسكريّة ومقاطعة اقتصاديّة إن لم نقبل بالقرار؟

في تلك الأوضاع، كنّا نريد أن تُنَفَّذَ إجراءات مثل تحديد المعتدي، وهو ما طالبنا به قبل وقف إطلاق النار والتراجع، وكنّا قد اقتربنا مما نريد. في الخطة التنفيذية، كان عمل لجنة تحديد المعتدي سيبدأ مع وقف إطلاق النار، ولكنّنا كنا نطالب في المفاوضات ببدء عمل اللجنة بشكل غير رسمي، حتى تُعلن نتائجها تزامنًا مع وقف إطلاق النار. عندما انتبه العراقيون إلى هذا الأمر، طرحوا ضرورة قبولنا بالقرار، ووافقهم على ذلك الأمريكيون والفرنسيون والبريطانيون، وأخذوا بالضغط على إيران.

بدأت ظاهرة مجموعة الخمسة مع حرب إيران والعراق. انطلقت هذه الحرب في ذروة الحرب الباردة، أي هجوم السوفيات على أفغانستان، ولكن في آخر سنة من الحرب بين العراق وإيران. وعلى الرغم من الحرب الباردة، وبناء على اقتراح السيد دي كويلار، بدأت مفاوضات الأعضاء الدائمين. وكان القرار 598 ثمرة هذه المفاوضات، وقد شاع مصطلح P5 منذ ذلك الحين.

ورغم أنّ مجلس الأمن كان دخيلًا في مفاوضات 598، إلا أن الأعضاء الدائمين كانوا النواة، وكانت هذه الحالة هي الأولى في قرارات مجلس الأمن. في الحقيقة، كان ثمة نزاع حول حق النقض «الفيتو» بين القوى العظمى. لو راجعت الكتاب الذي ألفته مع

الدكتور سجادبور[1]، ستلاحظ أنّنا ذكرنا أنّ قرار 598 كان نقطة تحوّل في مجلس الأمن، لأنّها كانت المرة الأولى التي يتعاون فيها الأعضاء الدائمون، وهو ما قوي أكثر عند اعتداء العراق على الكويت، ثمّ توقف التعاون بينهم ليعود بعد عشر سنوات في الموضوع النووي الإيراني. من الطريف في تاريخ مجلس الأمن، أنّ هذا التعاون لم يحصل إلّا في موضوع يخصّ الجمهورية الإسلامية أو يتعلق بها.

منذ بداية العام 1988م، خُصِّصت عدة اجتماعات لمتابعة الشؤون المتعلّقة بالقرار 598. كان الأمريكيون يصرّون على قرار ثانٍ، لأنّ إيران لم تكن قد قبلت بالقرار 598. وعندما يصدر قرار بناءً على الفصل السابع، يحذر مجلس الأمن من تنفيذ الإجراءات اللاحقة في حال عدم تنفيذه، ثم يصدر قرارًا بعد ذلك. لو اطّلعت على كيفية عمل مجلس الأمن، ستلاحظ أنّهم كانوا يفعلون ذلك دائمًا. في الموضوع النووي، لدينا القرار 1696 الذي حذّرونا فيه، والقرار 1737، وهو ثاني قرار مبني على الفصل السابع. وبحسب القرار 1696، ذكروا أنّهم سيقومون بإجراءات وسينفّذون المقاطعة.

كان الأمريكيون قد أعدّوا مسودة القرار الثاني ضد إيران. ومن الطريف أنّهم كتبوا بعد المقدمة، في البند الأول، أنّ هذا البلد ـ وضعوا نقاطًا بدل ذكر اسم البلد، ولكن كان من الواضح أنّهم

---

(1) يقصد كتاب: ديپلوماسي چند جانبه؛ نظريه وعملكرد سازمان‌هاي منطقه‌اي وبين‌المللي. محمود جواد ظريف، سيد محمد كاظم سجادپور، انتشارات وزارت امور خارجه، تهران 1378. أي [الدبلوماسية متعددة الأبعاد، نظرية ونشاط المنظمات المحلية والدولية].

يقصدون إيران ـ قد خالف القرار 598، ثمّ ذكروا إجراءات اقتصادية واسعة شبيهة بالإجراءات التي صدرت ضد العراق فيما بعد.

في أوائل العام 1988م، كتب الأمريكيون قرارًا موسعًا، وعرضوه في اجتماع الأعضاء الدائمين. كان يتضمّن الكثير من الإجراءات السياسية والاقتصادية ضد إيران، تشمل خفض مستوى العلاقات وتقييد جميع العلاقات التجارية. بالطبع، خالف الروس والصينيون ذلك الأمر لمدة. أعتقد أنّنا كنا في أواخر شهر فبراير/شباط، حين قال لي مندوب السوفيات: «لدينا أمر من المركز بالتوقّف عن المقاومة في اجتماع يوم الاثنين، أي الاجتماع القادم للأعضاء الدائمين، وبهذا سيفعَّل القرار».

كنت مسؤولًا عن أمور الحرب في البعثة، وحتى عندما كان الدكتور رجائي أو السيد محلاتي موجودًا، كنت أفاوض في الدرجة الثانية بعد السفراء. وقد قمنا بإرسال تقرير إلى طهران حول ما سبق ذكره.

في طهران، تمَّت استشارة الإمام الخميني، واتُّخِذَ قرار بكتابة رسالة تشير إلى المعنى التالي: الموافقة على الخطة التنفيذية للأمين العام، مثل القبول بالقرار. في تلك الأيام، كانت طهران قد أرسلت، إضافة إلى السيد محلاتي ـ كسفير ـ سفيرَين آخرين، لأنّهم كانوا يريدون تعزيز دور البعثة والتعاون بشكل أكبر مع المنظَّمات الدولية. كان السفيران مهندسين، وكان أحدهما متمكّنًا من اللغة الفرنسية، أما الآخر، فلا يُتقن أي لغة أجنبية، وهما لا يزالان من أصدقائي الأعزاء. آنذاك، لم أكن الشَّخص الثاني، بل كان السفير الثاني يحمل هذا المنصب.

هل هناك سفير ثانٍ في البعثة الإيرانية؟

نعم، كنت سفيرًا ثانيًا في إحدى الفترات، وكان يعمل تحت إشرافي أربعة سفراء. وعمل أيضًا مع السيد خرازي خمسة سفراء، هم: السيد علي صادقي طهراني، السيد صادق خرازي، السيد خوشرو، وأنا. كان لدينا سفير، ونائب للمندوب الدائم، فيما كان البقية سفراء. في عهدي، كان السيد فدائي فرد سفيرًا ونائبًا للمندوب الدائم، أمّا السفراء البقية، فقد كانوا الدكتور كامياب والسيّد تابشيان. حتى ذلك الوقت، كان هناك ثلاثة سفراء تحت إشرافي.

بالعودة إلى السّؤال السّابق، أذكر أنّني كتبت رسالة مطوّلة في يوم الأحد، بتوقيع السيد مادرشاهي، الذي كان الشخص الثاني. وأذكر أيضًا أنّني خصَّصت الكثير من الوقت لهذه الجملة: «القبول بالخطة التنفيذية مثل القبول بالقرار».

في كلّ الرسائل، كنّا نذكر جرائم العراق، ونشير إلى أنّ مجلس الأمن أخطأ في حقّنا. وقد فكَّرتُ في كلمة مناسبة إلى ساعات متأخرة بعد منتصف الليل، ورجعت إلى القواميس للبحث عن كلمة تحمل معنى «قبول»، شرط أن لا تعني حقوقيًّا القبول بالقرار 598. وفي النّهاية، استخدمت كلمة «Tantamount»، بمعنى «بمثابة». عُرِفَت هذه الرسالة في القسم الدولي في وزارة الخارجية بـ «Tantamount Letter».

كان السيّد لاريجاني والسيّد محلاتي في البرازيل. ولهذا، أرسلتُ تلك الرّسالة، ليتابع أحد الأصدقاء الأمر مع الإمام الخميني. في صباح

يـوم الاثنيـن، واجـه أعضاء الأمم المتّحـدة موقفًا غير متوقّـع، كما تفاجأ الأمريكيـون بالأمـر، وادّعـوا فـي اجتمـاع الأعضـاء الدائميـن أنّ هـذه الرّسـالة مـن تحريـر البعثـة، وأنّ طهـران غير موافقـة عليها.

لماذا قاموا بهذا الأمر؟ هل كانوا يسعون إلى إصدار قرار ثانٍ؟

نعـم، وقـد دفعـوا ثمنًـا باهظًا بسـبب عملنا. كانـت سياسـة أمريكا منذ بدايـة الثّـورة هـي توريـط إيـران فـي مشـكلة المقاطعـة بقرار مـن مجلس الأمن. وفي هذا السـياق، كانت مسـاعيهم في موضوع الاختطاف وموضوع الحـرب بيـن إيـران والعـراق، لكنّهـم لـم يوفّقـوا. ومنـذ بدايـة المفاوضـات فـي الموضـوع النـووي، قالـوا إنّ هـذا الملـفّ يجـب أن يناقش فـي مجلس الأمـن، لأنّ وكالـة الطّاقـة الذّريّـة عاجـزة. بالطبـع، عملنـا عدة سـنوات دون تدخّـل مجلـس الأمن.

فـي العـام 2004م، وزع الأمريكيـون رسـالة على أعضـاء مجلس الأمن، ذكـروا فيهـا الأسـباب الموجبـة لنقـاش ملـفّ إيـران النـووي فـي مجلـس الأمـن. أحـد هـذه الأسـباب، أنّ الوكالـة لا يمكنهـا قانونيًّا إيقـاف برنامـج إيـران النـووي، بينمـا يسـتطيع مجلـس الأمـن أن يقـوم بذلـك. لـم نكـن نريـد لملـف إيـران أن ينتقل إلى مجلـس الأمن، ليس قلقًـا من المقاطعة فحسـب، بـل لأننـا لـم نكن نـرد أيضًـا أن يعلـن أحـد أنّ برنامجنـا النووي غيـر قانونـي. علـى أيّ حـال، لـم تعجـب الرسـالة أعضاء مجلـس الأمن.

وبالعـودة إلـى موضـوع السـؤال، فـي تلـك الفتـرة، حـدث أمـران أظنّهمـا جاذبيـن جـدًا لمـن يقـرأ تاريـخ إيـران:

الأول: إعـلان الأمريكيّيـن فـي المفاوضـات غيـر الرسـمية لمجلـس الأمـن، أنّ هـذه الرسـالة مـن تحريـر البعثـة، ولـم تسـمح الدولـة فـي إيـران بهـا، رغـم أنّ الإمـام الخمينـي كان قـد سـمح بهـا.

فـي يـوم الجمعـة، أعلـن شـخص بـارز فـي الثـورة، منتـمٍ إلـى التيار الإصلاحـي، وخطيـب قبـل صـلاة الجمعـة فـي طهـران، نيابـةً عـن الأمريكييـن، أنّ هـذه الرسـالة صـدرت عـن السـيد محلاتـي، ولـم توافق طهـران عليهـا.

هل تقصد السيّد محتشمي بور؟

نعـم. وقـد أعادوا السـيد محلاتي إلـى البلاد فيما بعـد، وقرر الدكتور ولايتـي إرسـالي كمشـرف علـى البعثة الإيرانيـة. قوبل هذا القـرار برفض مـن السـيد محتشـمي بـور، الـذي كان وزيـرًا للداخليـة، وقـال حينهـا فـي لجنـة الحكومـة: «إنّ هـذا الشـخص أميركـي، ولا يمكنـه الذهاب». عندهـا، أرسـلت إليـه رسـالة مفادهـا: «لا يمكننـي أن أفعـل شـيئًا فـي هـذه الدنيـا، ولكننـي لـن أسـامحك فـي الآخرة».

هل ما زلتَ على موقفك منه؟

نعـم، لا زلـتُ علـى الموقـف نفسـه، فالإنسـان يجـب أن يراقـب مـا يطلقـه لسـانه. مـن الطريـف أنّي لـم أقل، ولن أقول، للسـيد محتشـمي بـور إنـه أميركـي، لأنّه تحـدّث بما تحدّث بـه الأمريكيـون، ولكنني أقول فقـط إنّ الأمريكييـن لديهـم طـرق للتأثيـر غيـر المباشـر في الأشـخاص. للاتهـام حـدود أيضًـا، فـإن كنـت تعتقـد أنّ نظرتـي شـبيهة بنظـرة الأمريكييـن، قـل ذلـك، ولا تقـل إننـي أميركـي. علـى أيٍّ حـال، وعلـى

الرغم من رفضه، فقد كان من المقرّر أن أذهب قبل السيد خرازي، حتى إنّهم أصدروا لي جواز سفر كمشرف على البعثة.

وحين قال ما قاله، كان القرار قد اتُّخذ، ولم يكن بإمكانهم فعل شيء آخر. مع الأسف، بعد فترة وجيزة من ذلك، بدأت إخفاقاتنا، ولم يكونوا يرون فائدة في الضَّغط علينا.

الحدث الثاني، وهو الأكثر ظرافة، أنّ «الـ ك. ج. ب»[1]. أرسلت بعثة إلى إيران بعد ثلاثة أسابيع، لتقول لطهران إنّ مفوضيّتهم في نيويورك خانتهم، لأنّنا [نحن السوفيات] قلنا لهم إنّنا سنقاوم القرار الثاني، ولكنّهم أرسلوا لكم رسالة خلاف ذلك.

هل أقامت الـ ك. ج. ب. علاقة مباشرة مع السّلطات الإيرانيّة؟

أرسلت الـ ك. ج. ب. بعثة رسمية إلى إيران، وذكرت في لقاء رسميّ ما هو مخالف للحقيقة بنسبة 180 درجة.

هل كان المقصود إضعاف اللّجنة الإيرانيّة؟

نعم، كان الهدف إضعاف الفريق المنتج؛ الفريق الذي تمكّن من إيقاف قرار صادر عن البند السابع لمدّة عام. لم يكن العمل السّياسيّ سبب قبولنا بالقرار 598، ولكنه وفّر ذريعة للقبول به عند الحاجة العسكرية إليه.

كان الاتحاد السّوفياتيّ يريد إزاحة هذا الفريق، ولهذا جاؤوا إلى إيران بعد ثلاثة أسابيع ليكذبوا. كتبنا كثيرًا لنبيّن الحقيقة، ولكن

(1) لجنة أمن الدولة في الاتحاد السوفياتي.

مـع الأسـف تنتشـر هـذه الأمـور بسـرعة في إيـران. ففـي عهـد الدكتور ولايتـي، كانـت الـوكالات الأجنبيّـة تعلـم أنهـا لـو قامـت بتركيـب صورة لأحـد السّـفراء مـع امـرأة، ثـمّ أرسـلتها إلـى إيـران، لاسـتطاعت هـدم مسـتقبله السّياسـيّ. بالطّبع، عندمـا نظهر نقاط ضعفنـا للآخرين، فإنهم سيستغلّونها.

ماذا كانت نتيجة اللقاء؟

ضُغِـطَ كثيـرًا علـى السـادة لاريجانـي ومحلاتـي، وكان ذلـك مقدّمـة ليفقـدوا عملهـم. طبعًـا، مـن المحتمـل أن تكـون هنـاك عوامـل أخـرى سـاهمت فـي ذلـك، ولكـنّ هـذه الضّغوطـات كانـت الأسـاس فـي بـدء تهميـش هذيـن الرجليـن.

كيـف كانـت لقـاءات منـدوب الجمهوريَّـة الإسـلاميَّة ومنـدوب العـراق فـي الأمـم المتَّحـدة خـلال فتـرة الحـرب؟

كانـت علاقتنـا عدائيَّـة. فـي الأمـم المتحـدة، كان كل مـن السـيد رجائـي والسـيد قيسـي يحـدّث الآخـر بعبـارات غيـر لائقـة، فأحدهـم ينعـت صـدام بيزيـد الكافـر، والآخـر يتحـدّث عـن سـلطات البلـد الآخـر بـ «المـلا ولايتـي» و«الـرادود رجائـي».

والطّريـف أنّهـم كانـوا يطلقـون هـذه الكلمـات فـي الاجتماعـات الرسـمية، وباللغـة الإنجليزيّـة. بالطبع، لم يكن التحـدّث بكلام غير لائق مـن سـلوكي. لهـذا، قال السـيد القيسـي بعـد الحرب لأحـد الأصدقاء في إحـدى السـفرات الأولـى إلـى العـراق، إنّ بينـه وبين الجميـع مواجهات

لفظيـة، «عـدا السـيد ظريـف، فإنّـه لم يخرج فـي حوار معـه عن حدود الأدب»، بـل إنّـي كنت أسـلّم عليهـم أحيانًا.

كانـت قنـاة ABC News، إحـدى القنـوات الثـلاث الأساسـية فـي أمريـكا، تبـثّ برنامجًـا بعنـوان «هـذا الأسـبوع» (This Week). بـدأ السـيد ديفيـد برينكلـي بهـذا البرنامـج، وأظـنّ أنّ أول لقاء لـي كان فيه. كنـتُ أحـد أطـراف الحـوار، والطـرف الثانـي هـو سـفير العـراق السـيد عصمـت الكتانـي. ونظـرًا إلـى الخلافـات الموجـودة، ورغـم أنّنـا كنّا في الأسـتوديو نفسـه، فقـد كنـا نجلـس فـي غرفتيـن منعزلتيـن.

ومـن الطَّريـف أنّنـي وصلـت إلـى الأسـتوديو، وكان السـيّد عصمـت الكتانـي فـي صالـة الانتظـار، وعندمـا دخلـت، سـلَّم علـيَّ ورددت عليه التّحيّـة. بقينـا أصدقـاء حتـى وفاته، وأعتقـد أنّه لم يكن رجلًا سـيّئًا. كان كـرديّ الأصـل، وأصبـح من المغضـوب عليهم فيمـا بعد. في تلـك الأيام، كانـت علاقـة المندوبيـن قائمـة علـى تبـادل الحديـث غيـر اللائـق، أو الإعـراض علـى الأقـلّ، ولهـذا، فإن تبـادل التحيّة هـو مـن التفاصيل التي تبقـى فـي الذاكرة.

بشـكل عـام، مع مندوب أيّ مـن الدول كان العمـل مغريًا أو مريحًا بالنّسـبة إليـك؟ وهـل حـدث أن أقمـت علاقـة صداقـة مـع مندوب إحـدى الدول؟

الأمـر ليـس محصـورًا بتلك الفتـرة، فلم يحـدث قـط أن أقمت علاقة صداقـة وثيقـة مـع مندوب دولـة مـا. إنّ العمـل الدبلوماسـي صعـب

جـدًّا، وفـي الدبلوماسـية، يجـب أن تكـون واقعيًّـا، وأن لا تعتبـر أحـدًا صديقًـا، وفـي الوقـت نفسـه، يجـب أن تمثّـل دور الصديـق.

عندمـا كانـوا يريـدون الموافقـة علـى القـرار الأول ضـد إيـران فـي الشّـأن النّـوويّ، نشـرتُ صـورةً تجمعنـي بالسـفير البريطانـيّ وأنـا أبتسـم. كنـت أريـد إيصـال رسـالة مفادهـا أنّ عملهـم ليـس نهايـة العالـم بالنّسـبة إلينـا، ولا يعتبـر ذلـك ثقـةً بهـم أو اسـتمتاعًا بالعمـل معهـم، فقـد يسـتمتع الدّبلوماسـيّ فـي عملـه، لأنّـه يـرى أنّـه يعمـل لمصلحـة بـلاده، لكـن يبقـى أمامـه عمـل صعـب يحتـاج فيـه إلـى التّفكيـر والتقييـم الدائميـن، ولا سـيّما فـي الدبلوماسـية المتعـدّدة الأبعـاد، إذ يجـب أن تعمـل مـع 190 دولـة، وفـي كلّ موضـوع، يجـب أن تفكّـر علـى الأقـل فـي 15 بلـدًا أصليًّـا مـن الأصدقـاء والمعارضيـن والمنافسـين. ودائمًـا أسـعى إلـى تجنّـب كلمـة «عـدوّ».

قصـدت مـن السّـؤال أنّـك عندمـا ذهبـت إلى الغـرب كدبلوماسـيّ لـدى نظـام الجمهوريّـة الإسـلاميّة، كيـف كنـت تنظـر إلـى بقيّـة الـدول ومندوبيهـا؟ هـل كانـت نظرتـك أعـمّ مـن مسـألة غربيـة أو شـرقية؟ والأهـمّ مـن ذلـك، كيـف كانـت نظرتهـم إلـى إيـران وإلى ثقافتهـا وشـعبها؟ مـاذا يعرفـون عـن إيـران؟

بشـكل عـام، صـورة الشـرق الأوسـط فـي الغـرب غير صحيحـة. جزء مـن هـذا الأمـر سـببه الجهـل، وجـزء منـه مقصـود متعمّـد. إنّ الكتـاب المعـروف للسـيد إدوارد سـعيد حـول الاستشـراق Orientalism فـي

أمريـكا والغـرب، يحـوي موضوعًـا مطـولًا حـول النظـرة السـلبية إلـى العالـم الإسـلامي، وهـو حقيقـة وتجـارة. ويعـدّ، وفقًـا للبعـض، برنامجًـا مخططًـا، وليـس حدثًـا عشـوائيًّا، والحقيقـة أنّ بلدنـا ليس مسـتثنى من هـذا الأمـر، فالغربيـون لا يعرفـون إيـران.

كنـت طالبًـا فـي أمريـكا منـذ عهـد الشـاه. ولأنّـه كان صديقًـا للأميركييـن، كان سـلوكهم جيـدًا نسـبيًّا مـع الإيرانييـن. ورغم أنّهـم كانوا أصدقـاء للعـرب أيضًـا، فـإنّ سـلوكهم لم يكن مماثـلًا معهم، لأنّهـم كانوا يـرون أن الإيرانييـن أكثـر ثقافـة مـن العـرب، فالعـرب كانـوا قـد حصلوا علـى الأمـوال حديثًـا، وصـدرت عنهـم أفعال غيـر مقبولة، ولكـن الوضع تبـدّل بمجـرد حـدوث الثـورة. لا تنسَ أنّنـا نتحدث عن السـبعينيات من القـرن المنصرم.

كانـت هـذه الأمـور موجـودة فـي الأمـم المتحـدة أيضًـا، أي عـدم المعرفـة بنـا والمواقـف السياسـية الحـادة، إضافـة إلـى العلاقـات غيـر الجيـدة مـع إيـران. بالطَّبـع، إنّ ابتعـاد الدبلوماسـيين الإيرانييـن عـن الفنـون الدبلوماسـية، وعـدم إتقانهـم للغـة الإنجليزيـة، لـم يعـطِ صورة ناصعـة عنهـم.

كمـا أن ملابسـهم لـم تكـن ملائمـة. أذكـر أننـي ذهبـت فـي اليـوم الأول إلـى البعثـة فـي نيويـورك بسـترة، ولـم يكن معي معطـف [يقصد بـزّة رسـمية]، وكان البعـض يأتـي بمعطـف الجنديـة. وعندمـا تخلّوا عن معطـف الجنديـة، كانوا يأتون ببزّة متّسـخة، وبشـكل غير متناسـق، كما كانـوا يتركـون الياقـة مفتوحة.

أذكـر أيضًـا أنّ ثمـة ياقـةً بطـول ثلاثة سـنتيمترات، يُطلق عليها اسـم «ياقـة الملالـي»، أصبحـت موضـة فـي وزارة الخارجية، وهو مـا لم يكن مألوفًـا فـي نيويـورك. لـذا، طلبـت مـن زوجتـي فتقهـا وإصلاحهـا، حتى تصبـح شـبيهةً بياقـة ملابس الدبلوماسـيين.

فـي اليـوم الأول الـذي ذهبـت فيـه إلـى الأمـم المتحـدة بهـذه الملابـس، كانـت السـيدة موخرجـي، مندوبـة الهند، تجلس إلـى جانبي، وهـي ابنـة وزيـر الخارجيـة الأخيـر للهنـد، وكانـت آنـذاك موظّفـة فـي الأمـم المتحـدة، وأصبحـت مؤخـرًا سـفيرة الهند فـي الأونيسـكو. عندما رأتنـي قالـت لي: «هـذه هي المرة الأولـى التي تظهر فيها بشـكل لائق، وهـذا الأمـر فـي غاية الأهمية، ذلـك أنّ الآخرين لن يهتمـوا بعقائدك إن شـاهدوك بمظهـر غيـر مرتب». ومنـذ أن تقاعـدت وتوقّفت عـن ارتداء قمصـان بياقـة دبلوماسـية، صـرت أرتدي دائمًـا قميصًا بـأزرار ثلاث، كي لا أضطـر إلـى غلـق الياقة. على أي حال، يسـبّب المظهـر الغريب بعض المشـاكل، وقـد كانـت المـرة الأولى في تاريـخ الدبلوماسـية، التي تظهر فيهـا مجموعة سياسـية تتقيّـد بالحدود الشـرعيّة.

يبقـى مـن الضَّـروري أن أذكـر مسـألة مهمّـة، وهـي أنّ الدبلوماسـي يجـب أن يظهـر بشـكل لائق، لكن عدم جـدارة الدبلوماسـيين الإيرانيين كان سـببها عزلتهم. فمنذ أن أصبح دبلوماسـيونا جديرين، أصبح كلامهم فـي الاجتماعـات الدولية دقيقًا ومحسـوبًا. قد تظـنّ أحيانًا أنّك يجب أن تتوافـق مـع الأعـراف الغربية، ليسـتمع الغربيـون إليك ويقبلـوا نظرتك، ولكـنَّ الحقيقـة مغايـرة، لأنّنا سـنبقى مختلفين عن الغـرب دائمًا.

هـل كان هـذا الحال مماثلًا في عهد الشـاه أيضًا؟ هـل كنا مختلفين عن الغرب؟

أعتقـد أنّنـا كنّـا مختلفيـن فـي عهد الشـاه أيضًـا، ولكـنّ النظام كان تابعًـا للغـرب. المسـألة هـي لـو أنّـك طرحـت رأيـك فـي الاجتماعـات الدوليـة بشـكل منطقـي، وإن كان مخالفًـا لـرأي البقيـة، سـيبقى رأيك، لأنّـك تتحـدَّث عـن ذلـك الموضـوع تحديـدًا. أضـرب فـي المحاضـرات الدراسـية مثـالًا، رغـم أنّـه قـد يحمـل الإهانـة، ولكنـه مناسـب لإيصال المفهـوم، وللدلالـة علـى أهميـة المعرفـة بموضـوع النقـاش، فليـس مناسـبًا طلـب الخبـز مـن المطعـم، أو طلب وجبـة الطعام مـن الخبّاز، أو الذهـاب إلـى مغسـل الملابـس لطلـب وجبـة الطعـام. وذلـك هـو الأسوأ!

كانـت مشـكلتنا أنّنـا لا نتقـن الإنجليزيـة أولًا، ولا نحيـط علمًـا بموضـوع النقـاش ثانيًـا، وكنّـا نخفي كل جهلنا باسـم الاسـتكبار العالمي وتصدّينـا لـه. ولهـذا، منـذ أن اكتسـبنا تجربـة، وأولينـا الموضوعـات العالميـة أهميـةً، اسـتطعنا القيـام بعمل مـا، ليس بالضـرورة أن نتحدّث بمـا يريـدون، ولكنّهـم كانـوا مجبرين على أخذ مـا نقول بعيـن الاعتبار. لهـذا، لا أتحـدث عـن صديـق أو عن عدو أو عـن الاسـتمتاع بالعمل، بل أتحـدّث عـن الكفاءة.

كذلـك، إن الدبلوماسـية المتعـددة الأبعـاد تمنـح الـدول الشـاذة، أو الـدول الأضعـف، القـدرة علـى التأثير إن كانـت كفوءة. وكمثـال، يمكننا النظـر إلـى كوبـا، فقد تمكّنت دائمًا مـن التأثير في المناسـبات الدولية،

كما تمكنت الجمهورية الإسلامية الإيرانية من تقديم مشروع حوار الحضارات كحلّ عالمي.

إذًا، في هذه الفترة قبلنا بالقرار، ثم توقفت الحرب، ومن ثَمَّ تركّزت الجهود على إعادة العلاقات مع العراق. هل رجعت إلى طهران؟

نعم، رجعت إلى طهران، وأصبحت مستشار الوزير فيما يخصّ القرار 598، وكنت أرافقه في جميع المفاوضات.

إذًا، بدأت مفاوضات إيران والعراق منذ هذا الحين، حدّثنا عن ذلك.

كان السيد ولايتي مسؤولًا عن المفاوضات بقرار من الإمام الخميني، وكانت لديه لجنة ضخمة أتت إلى جنيف، وكانت المفاوضات من العيار الثقيل.

كان العراق يسعى إلى عدم قبول وقف إطلاق النار حتى تحقيق مطالبه، لأنّ له يدًا طولى في الحرب، أو كان يظن ذلك، ولكن حين أُعلن وقف إطلاق النار بحركة دولية لائقة منّا، قبلنا بالمفاوضات المباشرة بحضور الأمين العام.

هل كانت خطّة الأمريكيين المتعلّقة بإيران قد فشلت؟

كانت قد مضت فترة طويلة على فشل خطة الأمريكيين في مقاطعة إيران عبر مجلس الأمن، إلا أنهم كانوا يملكون خطة بديلة. عندما قبلنا بالقرار، كانوا يريدون تأخير وقف إطلاق النار حتى تخسر إيران الحرب، وفقًا لحساباتهم.

وقد أشار السيّد شولتز -وزير خارجية الولايات المتحدة الأمريكية- بعد موافقة إيران على القرار، وتهرّب العراق من وقف إطلاق النار، على الأمين العام للأمم المتحدة، البدء بالمفاوضات تزامنًا مع انطلاق اجتماعات الجمعية العامة، أي تأخير وقف إطلاق النار من يونيو/حزيران حتى سبتمبر/أيلول، لكن السيد خافيير دي كويلار تواصل مع السعوديين بهذا الشأن.

قُلتُ في كتابي: «على الأمين العام أن يعلم موقف الدول، وأن يستمع أكثر ممّا يتحدث، كي يكون قادرًا على التّأثير». كان السيد خافيير دي كويلار يتمتّع بهذه الميزة، وكان كثير الاستماع، أما السيد بطرس غالي، فقد كان سلوكه مغايرًا، إذ إنّه كان يتحدث بقدرٍ لا يسمح للطرف الآخر بالتحدّث، كما كان يبدي رأيه بشكل واضح وصريح، وكان يظنّ أنه أصبح رئيسًا لكلّ العالم.

ولهذا، وعلى الرغم من خبرته العميقة، فقد أخفق في كلّ المجالات في فترة رئاسته، مثل أفغانستان والبلقان، بينما عمل السيد دي كويلار بشكل جيد في حرب إيران والعراق، وفي مسألة كمبوديا وأفغانستان وأمريكا اللاتينية وناميبيا وغيرها، حتى إنَّ المكاسب التي حقَّقها دي كويلار في فترته، مثل إدارة الحالة الأفغانية بعد خروج القوى السوفياتية، استحالت إخفاقًا ومصيبةً في عهد بطرس غالي.

علي أيّ حال، كان السيد دي كويلار قد شعر في مفاوضاته أنَّ السعوديين قلقون من طموحات صدام. أمّا صدام الَّذي توهّم أنّه يسير في طريق النّصر، فأراد تأخير وقف إطلاق النار، كما أنّ عبارة

الإمـام الخمينـي «تَجـرُّع السّـمّ»، تشـير إلـى أنّنـا نقبـل بالقـرار 598 بالإجبـار. وبالنسـبة إلـى الأمريكييـن، فقـد كانوا يشـاطرون صـدام الرأي نفسه .

وبدعـوة مـن الأميـن العـام، قَـدِم طـارق عزيـز والدكتـور ولايتـي إلـى نيويـورك. وقـد طـرح الأوّل شـروطًا للقبـول بوقـف إطـلاق النـار، كمـا طلـب المفاوضـات المباشـرة بيـن إيـران والعـراق قبل ذلـك، وترك نيويـورك فـورًا. وللضّغـط علـى العـراق، اتّصـل السـيد دي كويـلار بداية بالسـيد شـولتز ليقبلـوا بوقـف إطـلاق النـار. ويبـدو أنّ السـيّد شـولتز أجـاب بـدون تأخـر: «سـنتحدّث عن الأمر فـي الجمعية العامة في شـهر أكتوبر/تشـرين الأول».

بعـد ذلـك، اتّصـل السـيد دي كويـلار مباشـرةً بولـي عهد السـعودية الأميـر عبداللـه، ذلـك أنـه انتبـه مسـبقًا إلـى قلـق السـعوديين مـن طموحـات صـدام وخططـه فـي المنطقة، فطلـب ولي العهـد من صدام إيقـاف الحـرب. وبذلـك، قبـل صـدام بالأمـر رغمًا عـن إرادته واسـتجابةً للضغـوط. كان السـيد طـارق عزيـز فـي رحلـة العـودة مـن نيويـورك عندمـا أصـدر صـدام بيانًـا أعلـن فيـه وقـف إطـلاق النـار.

أذكـر أنّ نقاشـات كثيـرة دارت فـي البعثـة الإيرانيـة برئاسـة الدكتور ولايتـي فـي نيويـورك، وكان القـرار فـي النهايـة يقضي بإعداد نـصٍّ أقرأه علـى مسـمع الصّحافييـن. وقـد أعلنـت بموجـب ذلـك النـصّ، فـي لقاء مـع قنـاة CNN، أننـا مسـتعدّون للمفاوضة تحت إشـراف الأميـن العام بعـد وقـف إطـلاق النـار. بهـذا، توقـف إطـلاق النـار بعـد فتـرة قصيرة،

وتقـرّر أن تكـون الجولـة الأولـى مـن المفاوضات بإشـراف الأميـن العام للأمـم المتحـدة ـ فـي جنيـف ـ بعـد وقـف إطلاق النـار بشـهر واحد.

فـي مفاوضـات جنيـف، طـرح العـراق شـروطًا للتراجـع. كانـت هـذه الشـروط ذريعتـه الوحيـدة، وكان يحتـلّ بيـن 1200 و2000 كيلومتـر مـن الأراضـي الإيرانيـة. ولأننـا كنّا نعلم بهذا الأمر، أكّدنا علـى الأمين العام، وبناءً علـى القـرار 598، ضـرورة التراجع عن الحـدود فور وقف إطـلاق النار، وقد وَعَدنـا أن يحـدّد زمـن التراجـع عنـد افتتاحه للمفاوضات الرسـمية.

افتتـح الأميـن العـام حديثـه فـي بدايـة المفاوضـات بإبـداء سـروره لوقـف إطـلاق النـار. وبحسـب الاتفـاق المسـبق، كان مـن المقـرر أن يتحـدث بعـد ذلـك عـن التراجـع، إلّا أنّ طـارق عزيـز ـ وزيـر خارجيـة العـراق ـ رفـع يـده وتحـدث عـن ضـرورة جـرف نهـر «أرونـد». لا أعلـم إذا حصلـت هـذه الخطـوة بالتّنسـيق مـع العراقييـن، أو أنهـا حصلـت مصادفـةً، لأنّ إجـراء مداخلـة عنـد حديـث الآخريـن هـو تصـرف غيـر مألـوف فـي الدبلوماسـية المتعـدّدة الأبعـاد. ويبقـى الأمـران محتملين، فمـن الطبيعـي أنّ الأميـن العام تحـدث إلى العراقيين كمـا تحدث إلينا، وقـد تكـون هـذه «الطبخات» غيـر المألوفة متفقًا عليها بشـكل مسـبق

أيًّـا يكـن، كان هدف العـراق نقض اتفاقية الجزائـر[1] (1975م). ومن

---

(1) اتفاقية الجزائر (6 مارس/آذار 1975) اتفاقية وقعت بين نائب الرئيس العراقي آنذاك صدام حسين، وشاه إيران محمد رضا پهلوي، بإشراف الرئيس الجزائري هواري بومدين، حول الحدود بين إيران والعراق. ألغى صدام حسين هذه الاتفاقية في العام 1980م، بعد سقوط الشاه، وهو ما أشعل حرب الخليج الأولى.

هـذا المنطـق، بـدأت الخلافـات فـي المفاوضـات، فعندمـا تحدّثوا عن الجـرف، ذكـر الدكتـور ولايتـي الاتفاقية، فحدثـت الخلافات.

من كان يتواجد معكم غير الدكتور ولايتي؟

كان معنا فريق كبير، إلا أنّ عددًا قليلًا منهم شارك في المفاوضات.

ما هو مستوى مسؤوليتك؟

كنـت والسـيد ناصري مستشـارَي الدكتـور ولايتي فـي المفاوضات. ولكـن مـن الناحيـة الرسـمية، كانـت البعثـة كبيـرة جـدًّا. كان عـدد مـن الـوزراء وآخـرون بالمسـتوى نفسـه مـع الدكتـور ولايتـي، مثـل السـادة الدكتـور حبيبـي، الدكتـور روحاني[1] (كان نائـب رئيس مجلس الشـورى ورئيـس لجنـة الدفـاع)، الدكتـور عطـاء للـه مهاجرانـي (نائب رئيـس الـوزراء)، الجنـرال جمالـي (قائـد القـوة البريّـة فـي الجيـش). كنـت والسـيد سـيروس ناصـري (السـفير الإيرانـي فـي جنيـف) نجلس إلـى جانـب الدكتـور ولايتـي. وعلـى الرغـم مـن أنّ البعثة كانـت تضمّ مترجمًـا رسـميًّا، فإنّنـي قبلـت بترجمـة أحاديـث الدكتـور ولايتـي، مراعـاةً للجزئيـات السياسـية والحقوقيـة، وقـد رحّـب الدكتـور ولايتـي بهـذا الاقتـراح. كان السـيد ناصـري يـدوّن الملاحظـات الضروريـة ويسـلّمها للدكتـور ولايتـي.

(1) الدكتور حسن روحاني: سياسي إيراني والرئيس السابع للجمهورية الإسلامية الإيرانية. ولد في يوم 12 نوفمبر/تشرين الثاني ،1948 وكان عضوًا في مجلس الخبراء منذ العام 1999 ، وعضوًا في مجلس تشخيص مصلحة النظام في إيران منذ العام 1991، وعضوًا في المجلس الأعلى للأمن القومي منذ العام 1989، كما كان رئيس مركز البحوث الاستراتيجية منذ العام 1992، وكان أيضًا كبير المفاوضين على البرنامج النووي الإيراني مع الاتحاد الأوروبي.

بعد المفاوضات الرسمية، كنت والسيد ناصري نقوم بالتنسيق اللازم، أي كنّا نتحدث إلى الأمين العام ومساعديه. أذكر أنّ الدكتور عباس ملكي، المدير العام لمركز أبحاث وزارة الخارجية، والذي أصبح بعد ذلك بعامين نائب وزير الخارجية، اشترك معنا ـ في حالة أو حالتين ـ في المفاوضات غير الرسمية.

هل كان بينكم وبين العراقيين حوار مباشر؟

لم نكن نتحدَّث مباشرة إلى العراقيين. يوجد في جنيف صالة تحتوي طاولتين متقابلتين، وخلف كل طاولة قاعة انتظار. كنّا ندخل مع الفريق العراقي في وقت واحد، ونجلس من دون أن نحيّي بعضنا البعض. وقد سعى السيد عصمت الكتاني إلى تلطيف هذه البيئة غير المناسبة. أعتقد أنّه ذهب إلى الدكتور شمس أردكاني وسلّم عليه.

في الواقع، لم نكن نتفاوض في هذه الاجتماعات، بل كنّا نتجادل. للأمانة، أبدى الدكتور ولايتي الكثير من المقاومة. ورغم أنّني كنت أختلف معه في بعض الأمور، إلا أنّه قاد المفاوضات بشكل جيّد، وأعتقد أنّ هذه المفاوضات هي التي وفرت أرضية لصدام للهجوم على الكويت، لأنّه ظنّ أنّ إيران لن تتنازل عن اتفاقيّة الجزائر (1975م)، وبهذا لن يتحقّق مُراد بلده في الوصول إلى المياه، فقرر الهجوم على الكويت.

بالتأكيـد، كانـت ثمـة أسـباب أخـرى وراء هجـوم العـراق علـى الكويـت!

نعـم، بالتأكيـد، هنـاك أكثـر من سـبب، ولكـن هذه الحادثة تسـببت بشـكلٍ رئيسـيّ بسـعي صـدام إلى الهجـوم. إنّ صدام شـخص ذكي، رغم أنّ حسـاباته كانـت خاطئـة بشـكل عـام، فقـد كان همـه أنّه لـن يتمكن مـن تلبيـة الحاجـة الاسـتراتيجية للمياه عن طريـق إيران.

بعـد المفاوضات، نشـأت علاقة بين السـيد ناصـري وبرزان (الأخ غير الشـقيق لصدام، سـفير العـراق في جنيـف). وباقتراح من بـرزان، بدأت جولـة أخـرى مـن المفاوضـات. كنـتُ عندهـا في نيويـورك مـع الدكتور خـرازي. أمّـا المفاوضـات بيـن السـيد ناصـري والسـيد برزان، فقـد أدّت إلـى مراسـلات بيـن السـيد هاشـمي وصـدام. أعتقـد أنّ العـراق قـرّر الهجـوم علـى الكويـت قبـل هـذه المفاوضـات، ذلـك أنّـه كان يـرى في الجمهوريـة الإسـلامية العـدو الأول حتـى آخـر رمـق، ولا يـزال الكثيرون فـي العـراق يـرون فـي إيـران خطـرًا وعـدوًا أساسـيًّا، ولـم تتغيـر نظـرة صـدام إلـى إيـران حتـى إعدامه.

أظـنّ أنّ نائـب الرئيـس جمهـور العراقـيّ زار إيـران بعـد ذلـك، هل هـذا صحيـح؟ وهـل زار طـارق عزيـز إيـران أيضًا؟

نعـم، جـاء السـيد عـزت إبراهيـم ـ نائـب رئيـس الجمهوريـة ـ إلـى إيـران، وكذلـك طـارق عزيـز فيمـا بعـد. ولـم نصل إلـى تلك الفتـرة بعد [يقصـد السـياق الزمنـي لسـرد الأحداث]. في هـذه الفترة، كنـا نتفاوض مـع العراقييـن بشـكل رسـمي بحضـور الأمين العـام للأمـم المتحدة كل

شهرين أو ثلاثة أشهر. وإن لم أكن مخطئًا، فقد حصلت المفاوضات الثانية في نيويورك بالتزامن مع انعقاد الجمعية العامّة.

كانت إيران تطالب بتراجع العراق إلى الحدود المتفق عليها في اتفاق الجزائر (1975م)، وكان العراق يطالب بجرف نهر «أروند» وتحرير الأسرى.

في موضوع الأسرى، لم يكن العراق قد صرّح عن عددٍ كبير من الأسرى الموجودين لديه، بينما كنّا قد صرّحنا عن عددٍ أكبر. ولهذا، كان العراق يطالب بتحرير كل الأسرى المصرّح عنهم، بينما كُنّا نُطالب بالتصريح عن الأسرى أولًا. وقد تحوّل هذا الموضوع إلى جدال عالمي حينذاك. ورغم أنّنا كنّا نعلم أنّ عدد الأسرى الإيرانيين أكبر، ولكننا كنّا مقيّدين، لأنّ الموضوع إنساني، وقد تبيّن بعد هجوم العراق على الكويت أنّنا كنّا على صواب.

في الحقيقة، كنا نعلن في فترة الحرب عن أعداد أكبر من الأسرى، ولم تكن هذه سياسة العراق. كمثال، أسر العراقيون وزيرًا إيرانيًّا، هو السيد تندكويان، ولكنهم لم يعلنوا عن ذلك. كان لدينا 49000 أسيرٍ مصرّحٍ عنهم، بينما كان العراق قد صرّح عن 19000 أسير فقط. ولكن عدد الأسرى الذين تمت مبادلتهم في النهاية كان متساويًا، أي أنّ العراق كان لديه 30000 أسيرٍ إيراني غير مصرّح عنهم .

هل كان هذا الأمر يُعزّز مكانة العراق في الاجتماعات العالميّة؟

نعـم، كان هـذا الأمـر يسـاعدهم. كان العراقيـون متمكّنيـن مـن القوانيـن الدولية بشـكل جيـد، وكانوا يعلمون أنّ الصَّليـب الأحمر، وبناءً علـى القوانيـن، يجـب عليـه تحرير الأسـرى المسـجّلين أولًا، ثمّ تشـكيل لجنـة تقصّـي حقائـق للأسـرى غيـر المصـرّح عنهـم. لهـذا، كان الصليب الأحمـر يدافـع عـن العـراق، ويطالـب بتحريـر الأسـرى المصـرّح عنهم.

ألم يُطرح موضوع تغريم العراق؟

لا، كان لدينـا أولويـات أخـرى، وكان من الواجـب أن يخرجوا أولًا من أراضينـا. كنّـا نقـول قبـل ذلـك، إنّنـا لـن نقبـل بوقـف إطـلاق النـار قبل تحديـد المعتـدي. ولكن بعد ذلك، وبسـبب الأوضاع، كنـا نطالب بوقف إطـلاق النـار والتراجـع إلى الحـدود. أعتقـد أنّ هذا الأمر اسـتمر إلى أن يئـس صـدام مـن المفاوضـات مـع إيـران، وقـرر إنهـاء موضـوع إيـران والعـراق، وفتـح بوابـة جيـدة هـي الكويت. علـى أي حال، خـرج العراق مـن الأراضـي الإيرانيـة، وتـم تحريـر بقيـة الأسـرى. هـذان الموضوعـان كانـا أكثـر أهميـةً وأولويـةً للبـلاد، فـي حيـن لـم نتـرك موضـوع لجنـة تحديـد المعتـدي أبدًا.

بعـد حـلّ الموضوعيـن السـابقين، ضغطـت إيـران علـى السـيد دي كويـلار كـي ينهـي موضـوع الحـرب قبـل اختتـام مسـؤولياته، وخصوصًا أنّ فتـرة تولـي منصـب الأميـن العـام كانـت سـتنتهي في العـام 1991م، وكانـت كل مفاوضـات القـرار 598 قـد تمّـت خـلال فتـرة ولايتـه.

في هـذه الفتـرة، كان لدينـا موضـوع إنسـانيّ آخـر، هـو المختطفين الأمريكييـن فـي لبنان، وكذلك موضوع المختطفيـن الإيرانيين واللبنانيين. كان الأسـرى اللبنانيّون في يد ميليشـا لحد ـ المتعاملة مع إسـرائيل ـ في سـجن «الخيـام»، حيـث يُعتقـل أسـرى حـزب اللـه وبقيـة قـوى المقاومة اللبنانيـة والفلسـطينية. هـذه الأمـور أجبرتنـي والدكتـور خـرازي في فترة توليـه السـفارة، علـى متابعـة أمريـن مختلفيـن مـع الأميـن العـام. الأمـر الأول هـو المختطفـون وتحريرهـم، والثانـي تحديـد مسـؤولية الحـرب، إضافـةً إلـى تنفيـذ الفصـل السـادس من القـرار 598، ونشـر تقريـر عنه.

اسـتغرقت هـذه المفاوضـات عدة أشـهر، وعمل الكثيـرون فيها. من جهة الجمهورية الإسـلامية، كنت والدكتور خرازي نعمل بشـكل مباشـر. كان أحدنـا يأتـي إلـى إيران للتنسـيق بمعـدل مرتين في الشـهر الواحد، كمـا سـافر السـيد بيكـو[1] مندوب الأميـن العام إلـى سـوريا ولبنان عدة مـرات للتفـاوض مـع الأفـراد والجماعـات التـي اختطفـت الأمريكييـن. وقـد نشـر تجربتـه فيمـا بعد في كتـاب اسـمه «رجل بلا سـلاح»[2].

لـم يكـن المختطفون من حزب الله، بل من فصائـل أخرى، ولكنّا كنّا نتوسـط ونسـهّل للأمـم المتحدة التفـاوض معهم. ونظرًا إلـى التعقيدات اللوجسـتية والأمنيـة، كان السـيد بيكـو يقيـم فـي دمشـق، ويذهب إلى

(1) جياندومينكو بيكو Giandominco Picco.
(2) انظر:
Picco G. Man without a gun: One diplomat's secret struggle to free the hostages, fights terrorism, and end a war. 1st Ed. New York, N.Y: Times Books/Random House; 1999. 334 p.

لبنان وفقًا للمفاوضات. وتزامنًا مع سفر بيكو إلى المنطقة، كنت أقيم في سفارتنا في دمشق، للقيام بالتنسيق اللازم عن قرب. وفي النهاية، ومن دون أي مفاوضات مباشرة أو غير مباشرة مع الأمريكيين أو «إسرائيل»، بل عن طريق العمل المركز مع الأمين العام للأمم المتحدة، ومندوبه الخاص السيد بيكو، قمنا باستعادة عدد من الأسرى والشهداء اللبنانيين من «إسرائيل». وفي المقابل، سلّمنا عدّة جثث لجنود إسرائيليين كانوا بحوزة اللبنانيين للأمم المتحدة. كما تمّ تحرير ثمانية مختطفين أميركيين في لبنان. بهذه العملية، تمّ تحرير المئات من الأسرى اللبنانيين في «إسرائيل»، وأُخلِيَ سجن الخيام تقريبًا.

من دلائل عدم التزام الأمريكيين بوعودهم، قولهم في المراحل الأخيرة، نظرًا إلى الانتخابات، إنهم لا يستطيعون الالتزام بوعودهم التي قالوا فيها إنّ حسن النية مستمرّ. هذه الجملة قالها السيد بوش في خطاب له، وقد أرسلوا عن طريق النائب الخاص للأمين العام، رسالة مفادها إنّهم لا يستطيعون الالتزام بوعودهم.

ماذا كنتم تتوقّعون منهم؟

لم نكن نتوقّعُ شيئًا، ولم نفاوضهم بشكل مباشر. عندما انتُخِب بوش (الأب)، وصلتنا رسائل عن طريق الأمين العام للأمم المتحدة، مفادها أنّنا لو ساعدنا في تحرير المختطفين، فإنّ الأمريكيين سيظهرون حسن النية. كان معنى حسن النية آنذاك، الإفراج عن أموال إيران المجمّدة وما شابه ذلك.

هل حُرِّر الأسرى الإيرانيون؟

شعر الإسرائيليون بأنّ الظروف ليست مؤاتية لهم، ولهذا ضغطوا على أمريكا حتى لا تفي بوعودها، لأنّ تدخّلها في لبنان، ووجود أسرى لها، يصبّ في صالح «إسرائيل». وعندما لم يتمكّنوا من إدخال أمريكا إلى لبنان بشكل مباشر، وبعد مقاومة حزب الله ببسالة، اضطروا إلى الخروج من لبنان.

أيًّا يكن، عندما حُرِّر ثلاثة من الرهائن الأمريكيين، أرسل المندوب الخاص للأمين العام في طهران رسالة إلى السيد هاشمي رفسنجاني، مفادها عدم تمكّن أمريكا من الالتزام بوعودها. ولكن، نظرًا إلى حسن نياتنا في الجانب الإنساني، عملنا حتى تحرير كلّ المختطفين. في الحقيقة، أصبحت «إسرائيل» عندها في عُزلة، وسعت إلى عرقلة عمل إيران في تحرير المختطفين.

هل تقصد بالمختطَفين الإيرانيين، الدبلوماسيين الأربعة؟ أي الحاج أحمد متوسليان، تقي رستكار مقدم، سيد محسن الموسوي، وكاظم إخوان؟

نعم، أقصد هؤلاء الأربعة.

هل كان موضوع الإمام موسى الصدر مطروحًا آنذاك؟

لا، كان موضوع الإمام موسى الصَّدر مع ليبيا، وليس مع الولايات المتحدة الأمريكية، ولم يكن بمقدور الأمريكيين القيام بشيء بهذا الخصوص، ولكن الأسرى اللبنانيين في الغرب، مثل الأسرى في ألمانيا، تمّ تحريرهم جميعًا. بشكل عام، كان عملنا فيما يخصّ لبنان ناجحًا.

مع الأسف، فيما يخصّ المختطفين الإيرانيين، وصلتنا أجوبة متناقضة. البعض ادّعى أنّهم استُشهدوا، والبعض الآخر قال إنّهم على قيد الحياة، فيما ادّعى الإسرائيليون أنّهم قُتلوا على يد ميليشيا انطوان لحد، ولم تصل المفاوضات إلى نتيجة.

كانت «إسرائيل» تدّعي سقوط طائرة لها في لبنان، وأسر طيارها المسمّى «رون آراد» من قبل إيران. وحيث إنّنا لم نكن نعترف «بإسرائيل»، ولم نكن نتحاور معها ومع الأمريكيين بسبب العلاقات السياسيّة، كنّا نحاور الأمم المتحدة. ونتيجة لهذه الجهود، تمّ تحرير المختطفين وعدد كبير من اللبنانيين.

بحسب الخطّة الّتي كنّا نعمل وفقها، صدر تقرير قبل انتهاء ولاية السيد دي كويلار، بأنّ المعتدي في الحرب هو العراق. في الحقيقة، لم يكن هذان الموضوعان مرتبطين، ولكنهما كانا في فترة واحدة، وكنا نعمل عليهما بشكل متوازٍ. كنا نريد الاستفادة من هذا الموضوع، ليقوم الأمين العام بواجبه، فلم يكن ثمة شكّ في أنّ العراق هو من بدأ الحرب، ولكن كان من الواجب أن تؤيد الأمم المتحدة هذا الأمر، وهو أمر صعب بحسب الظروف آنذاك. ولهذا، كان عملًا شاقًّا بذلنا فيه الكثير من الجهد.

إنّ أحد أفضل أوسمة الشرف في حياتي، هو تمكّني من إنجاز هذا الأمر، وأفضل نجاح سياسي للجمهورية الإسلامية في الحرب، هو الحصول على تقرير من الأمين العام يصف فيه العراق رسميًّا بأنّه المسؤول عن الاعتداء على إيران.

هـل تحدّثـتـم مـع دول أخـرى للوصـول إلـى هـذا الإنجـاز؟ وهـل قمتـم بمفاوضـات خلـف السـتار؟

تحدّثنـا إلـى الأميـن العـام فقـط، ولـم نتدخّـل فـي مفاوضاتـه مـع بقيـة الـدول، إن حدثـت. لقد كان تـداول هذا الموضوع فـي البلاد وفي الأمـم المتحـدة يتمّ فـي دوائـر ضيقـة، فقـد كان الأميـن العام والسـيد بيكـو ـ مندوبـه الخـاص ـ يعلمـان بمجـرى الأمـر، وكذلـك، كانـت دائـرة هـذا العمـل ضيقـة فـي إيران.

كانـت الأمـم المتحـدة تقوم بالتنسـيق اللازم، الذي لـم يكن لنا دور فيـه، وخصوصًـا فـي موضـوع تحريـر المختطفيـن والأسـرى اللبنانييـن. وكانـوا يسـتخدمون عـددًا مـن الطـرق في هـذا الصـدد، مثل الاسـتفادة مـن المعلومـات المتوافـرة لديهـم عـن جثـث الجنـود الإسـرائيليين الموجوديـن لـدى حـزب اللـه، أو سـائر المعلومـات بهـذا الخصـوص لتحريـر الأسـرى اللبنانييـن فـي «إسـرائيل».

وقـد شـارك فـي المفاوضـات الدكتـور خـرازي، والأميـن العـام للأمم المتحـدة، ومندوبـه فقـط، وأنـا. ولـم يكـن ثمة إيرانـي آخـر غيرنا نحن الاثنيـن، ولهـذا، أنـا علـى يقيـن بعـدم وجـود التنسـيق مع دولـة أخرى. وبطبيعـة الحـال، لـم تكـن ثمـة حاجـة للتنسـيق مـع دول أخـرى، فقـد كانـت مسـؤولية الاعتـداء واضحـة، ويجـب الاعتـراف بها.

هـل كان مـن الواجب أن يقبل الأمين العام بهـذا الموضوع (اعتداء العـراق) أو أن تقبـل به الجمعية العامة؟

كان مـن الواجـب أن يقبـل الأميـن العام به. في الفصل السـادس من

القرار 598، تمّ تفويض الأمين العام بهذا الأمر، وكان من الواجب أن يقوم به. ولكن، كان من الطبيعي أن يعمل في بيئة سياسية مؤاتية، ولم يكن بإمكانه ذلك قبل توفير هذه البيئة، وقد قام بتوفيرها بنفسه. ولهذا، كان كل ما يمكننا فعله هو المساعدة في تحرير المُختَطَفين، كعمل إنساني، والتفاوض بالتزامن مع ذلك.

في الحقيقة، كانت خطة الأمين العام تدريجية، وقائمة على عدة مراحل دُرِست مسبقًا بعناية. أولًا، توجه إلى المنطقة، وطلب في الوقت نفسه تقريرًا من إيران والعراق حول مسؤولية الاعتداء. ونظرًا إلى عجز العراقيين، فإنهم لم يقوموا بشيء في هذا الصدد، لكنّنا قدّمنا لهم تقريرًا بأدلة مقنعة، وقد كان الجزء الأكبر منه مبنيًّا على أطروحتي للدكتوراه.

كما أشرت سابقًا، كان موضوع أطروحتي يتمحور حول أصل الاعتداء والدفاع، وناقشت في جزء منه موضوع الحرب بين إيران والعراق. أمّا التقرير، فقد كتبته بمساعدة صديقين في وزارة الخارجية، هما السيد باقر أسدي والسيد دانش يزدي. واستعنّا بالوثائق والكتب التي نُشرت، وبتقرير من الدائرة الحقوقية في وزارة الخارجية. وبالتزامن، كنّا نتابع المفاوضات. وفي آخر أيام ولاية السيد دي كويلار، صدر تقرير حول مسؤولية المعتدي.

من جهةٍ، كان هذا الأمر يُعدّ أكبر نصرٍ سياسي لنا في الحرب، ومن جهةٍ أخرى، كنت أشعر، بتمام التواضع، بأنّي أسديت خدمة جليلة في هذا المجال.

لنعد إلى السؤال السابق. كنا قد وصلنا إلى قبولنا بالقرار في العام 1988م، ومررنا على دورك في تلك المفاوضات، ورجوع السيد محلاتي بعد تلك الأحداث إلى طهران.

جاء السيد محلاتي إلى نيويورك في فترة قبول القرار 598، وإن لم أكن مخطئًا، فقد صدر القرار في شهر يونيو/حزيران، وجاء رئيس الجمهورية ـ السيد القائد حاليًا ـ إلى نيويورك للمشاركة في الجمعية العامة. كنت آنذاك الشخص الثاني في البعثة، وفي الحقيقة، كنت موظفًا محليًا. كنت المسؤول عن تنسيق سفره، ومنذ ذلك الحين رآني أهلًا للمحبة.

كانت مَهمَّة السيد رجائي خراساني قد انتهت، فرجع معهم إلى إيران، وجاء السيد محلاتي بعده، أي بعد حوالى خمسة أشهر بعد صدور القرار 598، وربما بعد شهرين من مفاوضات وقف إطلاق النار بين إيران والعراق. كان السيد محلاتي سفيرًا، وقد عُزل بعد ذلك.

بعد العام 1989م، أي بعد القبول بالقرار، وحتى العام 1992م، عملتَ كنائب مندوب إيران لدى الأمم المتحدة، أخبرنا عما حدث في هذه الفترة.

بعد أن رجعت إلى طهران، أصبحت مستشار وزير الخارجية لمتابعة المفاوضات المتعلقة بالقرار 598. كما ذكرت، ذهب السيد محلاتي إلى نيويورك كمسؤول للبعثة، ثمّ أصبح المندوب الدائم. اسمه الحقيقي هو محمد جعفر محلاتي، ولكنّه مشهور باسم أمير محلاتي، وقد ارتدى لباس رجال الدين بعد وفاة والده.

هل هو ابن الشهيد محلاتي المعروف؟

لا، هـو ابـن آيـة اللـه مجـد الديـن محلاتـي، وكانـوا يسـكنون فـي شـيراز. بعـد وفاتـه، تعمّـم السـيد أمير محلاتـي على يد آية اللـه مكارم. وهـو يقيـم الآن عـدة أشـهر فـي الولايـات المتحـدة الأمريكيـة كباحث، وعـدة أشـهر فـي شـيراز كنائـب عـن والـده، ويبحث فـي مجـال العلوم الإسـلامية والحقـوق الدوليـة، ولكنـه غيـر معمّـم فـي أمريـكا. انتهـت مهمـة السـيد محلاتـي فـي الأمـم المتحـدة بشـكل مفاجـئ، لأسـباب لا أعلمها.

ذكـرت سـابقًا، أنّ سـفر بعثـة من الــ ك.ج.ب. تبعـه تهميش لبعض الشـخصيات، مثـل الدكتـور لاريجانـي والسـيد محلاتـي. ولا أعلـم إلـى الآن السـبب الـذي نُحّـيَ السـيد محلاتـي لأجلـه، وهـو الـذي كان منـذ بدايـة الثـورة مسـؤولًا دوليًّـا فـي وزارة الخارجيـة، وكان لفتـرة مـن الزمـن قائمًـا بالأعمـال فـي جنيـف، ولفترةٍ أخـرى مديرًا عامًا للشـؤون الدوليـة، ثـمّ أصبـح بعـد رجـوع السـيد رجائـي خراسـاني مسـؤول البعثـة، وبعـد ذلـك أصبـح سـفيرًا ومندوبًـا دائمًـا. بالطبـع، لـم يرجـع إلـى طهـران بعـد عزله، بل أكمل دراسـته فـي أمريكا حتّى نال شـهادة الدكتـوراه، وهـو يتنقّـل الآن بين إيـران والولايات المتحـدة الأمريكية. وقـد أخـذ علـى عاتقـه بجديـة مسـؤولية الأوقـاف التـي تركهـا والـده بعـد وفاته.

بعــد عزلــه، بقيــت البعثــة الإيرانيــة مــن دون مسـؤول. كان الدكتـور ولايتـي يصـرّ علـى أن أذهــب إلــى نيويـورك كمسـؤول

مؤقـت لهـا، ولكـنّ زوجتـي لـم تكـن ترغـب فـي هـذا الأمـر. كمـا أنّنـي كنـت قـد عـدت إلـى إيـران بعـد 13 عامًـا مـن الغربـة والبُعـد عـن العائلـة. فـي السـنين التـي تلـت وفـاة والـدي، كانـت أمـي وحيـدة، وكان ثمـة فرصـة للبقـاء إلـى جوارهـا، ولـم أكـن أريـد السـفر، ولكـنّ الدكتـور ولايتـي قـال لـي: «أنـت بمثابـة جنـدي، وكان بإمكاننـا أن نرسـلك إلـى جيرُفـت، ولكـنّ القـرار يقضـي بإرسـالك إلـى نيويـورك».

لهـذا، سـافرت لفتـرة قصيـرة إلى نيويـورك لإنجاز بعـض المفاوضات المتعلقـة بالقـرار 598، علـى أن أرجـع بعـد ذلـك، لأعـود ثانيـة إلـى زوجتـي وأبنائـي، وأتابـع عملـي كمسـؤول عـن البعثـة فـي نيويـورك.

في أيّ عام حصل ذلك؟

في بداية شـتاء العام 1988م. ولكن كما أشـرت سـابقًا، عندما عدت ألغـوا مهمّتـي. طلبنـي الدكتور ولايتـي، وعندما ذهبت إليـه كان يصلّي، وقـد كان معروفًـا بصلاتـه الطويلـة. وعندما لا تكون صلاتـه في جماعة، فإنهـا تطـول أكثر. كان لديه وسـواس عجيـب في الصلاة.

كان علـى سـجادة الصـلاة عندمـا قـال إن أحـد الـوزراء عـارض فـي اجتمـاع لجنـة الحكومـة ذهابـي إلـى نيويـورك، مدّعيًـا أنّـي أمريكـي. ولهـذا، قـرر المهنـدس موسـوي أن يرسـل الادعـاء إلـى المخابـرات للدراسـة. طلبـت مـن الدكتـور ولايتي إعفائي مـن هذا الأمـر، مهما كان جـواب المخابـرات، لأنّـي لـن أكـون قـادرًا علـى إنجـاز أي عمـل بوجود مثـل هـذه الآراء.

وكما قلت سابقًا، هذا الشخص الذي اتّهمني بأنّي أمريكي، هو الذي نطق بكلام الأمريكيين في رسالة 28 فبراير/شباط - رسالة Tantamount Letter. وبهذا، أُلغِي ابتعاثي إلى نيويورك كمسؤول للبعثة.

ماذا كان جواب وزارة المخابرات؟

لا أعلم. ويبدو أنّ وزارة المخابرات لم تعارض ذهابي، ولكنّ الموضوع انتفى بسبب رفضي الذهاب، وموافقة الدكتور ولايتي على ذلك.

أذكر أنّ الدكتور ولايتي، وتصحيحًا لما حدث، تناول القضية في حوار مع صحيفة «رسالت». ورغم أنّني لم أكن شخصًا معروفًا، فقد بالغ في الدفاع عنّي وفي تقديري.

من ذهب عوضًا عنك إلى نيويورك؟

لم يذهب أحد عوضًا عنّي. الأصدقاء الذين أُرسِلوا بعد الحرب لتعزيز دور البعثة، تولوا مسؤوليتها، إلى أن برز موضوع تعيين الدكتور كمال خرازي كمندوب دائم بعد شهرين تقريبًا. كان في ذلك الحين، رئيس وكالة أنباء الجمهورية الإسلامية.

أي أنّ الدكتور خرازي لم يعمل قبل ذلك في وزارة الخارجية!

في عهد الدكتور يزدي، كان الدكتور خرازي في بداية الثورة نائبًا سياسيًّا في وزارة الخارجية، ولكنّه فُصل أو استقال، في عهد السيّد قطب زاده. كان يريد الذهاب إلى نيويورك باستعداد كامل، ولهذا استشارني وطلب رأيي، وأقام اجتماعات مطوّلة في وكالة الأنباء في طهران، كما أنّه أرسل ابن اخيه السيد صادق إلى نيويورك لدراسة

الوضع عن قرب. قدّم السيد صادق تقريرًا كاملًا حول القوى البشرية، والحالة السياسية، وكذلك المباني والموارد. وقد قبل الدكتور خرازي هذه المسؤولية بشروط. من الطريف أنّ الدكتور ولايتي ـ الذي لا يقبل بشروط أحد ـ قبل بهذه الشروط.

أعتقد أنّه من الشروط الأولى للدكتور خرازي، هو أن أكون الشخص الثاني المُبتعث معه، كما كان من شروطه، وضع آلية للتعاون مع وزارة الخارجية، بحيث لا تقيّده النظم الإدارية فيها، وكان منها أيضًا طبيعة الارتباط مع رئيس الجمهورية. عندما برز موضوع نيابة الدكتور خرازي، كان الإمام الخميني حيًّا. ومن الطريف أيضًا أنّ الدكتور خرازي كانت لديه توصيتان، الأولى من رئيس الجمهورية آنذاك ـ السيد القائد حاليًّا ـ والأخرى من السيد هاشمي، كرئيس للجمهورية بعد وفاة الإمام الخميني.

لم أكن أرغب في هذه المَهمّة لأسباب شخصية، وبسبب التهمة التي ألصقها بي الشخص المذكور سابقًا. أذكر أنّ زوجتي بعدما يئست مني، اتصلت بالدكتور خرازي طالبةً منه إرسال شخص غيري معه، ولكنّه رفض. على أي حال، بعد وفاة الإمام الخميني بعدة أشهر، أي في سبتمبر/أيلول من العام 1989م، سافرت إلى نيويورك كسفير ونائب المندوب.

في تلك الأيام، كان السادة حسن زماني، مادرشاهي، وعلي خوشرو، سفراء في نيويورك. رجع هؤلاء السفراء الثلاثة إلى طهران،

ثـمّ أصبح السـيد مادرشـاهي سـفيرًا في المكسـيك، وصار السـيد زماني مسـؤول المعلوماتية فـي وزارة الخارجية، وقام بمكننـة وزارة الخارجية. وبقـي السـيد خوشـرو فـي نيويـورك، ثـمّ حـلّ مكانـي نائبًـا للشـؤون الدوليـة فـي وزارة الخارجيـة.

عندمـا ذهبنـا إلـى الأمـم المتحـدة، كانـت أولويـة إيـران هـي الحـرب. ومـع انتهـاء الحـرب، كانـت المفاوضـات قـد وصلـت إلـى طريـق مسـدود. كانـت القـوات العراقيـة لا تـزال فـي أرضنـا ولـم تنسـحب. وكمـا ذكـرت، كنـا نواجـه فـي موضـوع الحـرب مسـألتين: الانسـحاب ومبادلـة الأسـرى. كان هـذان الموضوعـان مـن مسـؤولية الدكتـور خـرازي أيضًـا. فيما بعـد، عندما بـدأت المفاوضـات مع برزان التكريتـي ـ شـقيق صـدام ـ أصبحـت معظـم مفاوضات إيـران والعراق فـي جنيـف، ولكـن كان مـن الواجـب المتابعة مـع الأمين العـام للأمم المتحـدة، لتواجـده فـي نيويـورك.

مـن الأمـور الأخـرى التـي كنّـا نعمـل عليهـا فـي البعثـة، حقـوق الإنسـان، رغـم أنّ أولويـة الدكتور خـرازي بعد الموضوعيـن المذكورين، كانـت إعـادة هيكلـة البعثـة، حيـث أحضـر معـه كـوادر متخصّصـة في القضايـا الإنسـانية مـن وزارة الخارجيـة للعمـل كموظّفيـن، حتـى إنّ بعضهـم كان يشـغل منصـب رئيـس قسـم! وهـو أمـر فريـد فـي تاريـخ وزارة الخارجيـة بعـد الثـورة، حيـث إنّ رؤسـاء الأقسـام لم يكونـوا أدنى مرتبـة مـن السـفراء أو النـواب فـي البعثـة.

رسـم الدكتـور خـرازي مسـؤوليات متعـددة لنفسـه، تشـمل الأمـور الثقافيـة والعلاقـات الثنائيـة، فقـد حصـل من السـيد القائـد علـى إجـازة للتحـاور مـع الشـخصيات الأمريكيـة غيـر الحكوميـة، وجلـب معـه أيضًـا السـيد صـادق خـرازي كملحق ثقافـي ـ وهو ملـمّ ومتمكّن ـ لمتابعـة أحـوال الإيرانييـن خـارج الوطـن. ورغـم أنّ متابعـة أحـوال الإيرانييـن فـي الخـارج ليسـت مـن الأعمـال الرسـمية للبعثـة، إلا أن السـيد صـادق قـام بعمـل جبـار فيمـا يخـص الإيرانييـن المقيميـن في أمريـكا، وحقـق نجاحًـا. بالطبـع، لا زال يُتابـع هـذا العمل حتـى اليوم، ولكـن بشـكل أضعـف.

كان الإيرانيـون علـى علاقـة بمكتـب حفظ المصالـح الإيرانية لإصدار الجـوازات وتجديدهـا وإصـدار الهويـات فقـط. والجديـر بالذكـر، أنّ المكتـب كان يـدار مـن قبـل مجموعة تتكـوّن من أربعيـن موظفًا محليًّا غيـر مختصيـن فـي الأمـور القنصليـة، لتلبيـة طلبـات مئات الآلاف مـن الإيرانييـن، البالـغ عددهـم حوالـي مليـون، بينمـا تواجـدت فـي عهـد الشـاه خمـس قنصليـات تديرهـا كـوادر أكثـر، علمًـا أنّ عـدد الإيرانييـن كان أقـل.

أيًّـا يكـن، فقـد كنـت المسـؤول الدولـي فـي البعثـة، وكنـت أؤدي الأعمـال الرسـمية. كان الدكتـور خـرازي يُشـرف علـى عملـي ويدعمنـي فـي الوقـت نفسـه. ولـولا دعمـه فـي الحـالات الضروريـة، لمـا اسـتمرّ العمل.

كما تعلم، تمّ تعيين مندوب خاص من قِبَل لجنة حقوق الإنسان للتقصي عن حقوق الإنسان في إيران، وذلك في العام 1984م. ونظرًا إلى ازدواجية المعايير في الأمم المتحدة فيما يخصّ حقوق الإنسان، لم تسمح الجمهورية الإسلامية لهذا المندوب بالسفر إلى إيران، وأصبحت البيئة حادّة جدًّا ضد إيران، كما كانت أداة لدى أعداء الجمهورية الإسلامية، ليوجهوا التّهم إليها في هذا المجال.

وبناءً على هذه الأمور، تبدّلت أولويات الدكتور خرازي لتصير تغيير هذه الحالة. بشكل عام، كانت أولوية الدكتور خرازي تحسين سمعة الجمهورية الإسلامية لدى الدول الأجنبية، فقد كانت الصورة السائدة زورًا عن الجمهورية سيئة للغاية، إذ بدأت بالاختطاف، واستمرّت بالحرب الإيرانية ـ العراقية. وكان موضوع حقوق الإنسان يزيد الأمر سوءًا، ولهذا قررنا التحدث إلى المندوب الخاص لتوفير الأرضية اللازمة لسفره إلى إيران. كان المندوب الخاص حينها السيد كاليندوبل من السلفادور. وكان أول مندوب يعيّن فيما يخص إيران، شخصًا يُدعى السيد آندراس آكيلار من فنزويلا، وقد أصبح قاضيًا في محكمة العدل الدولية فيما بعد. ونظرًا إلى أنّه شغل منصبًا آخر، وأصبح مندوبًا لبلاده في الأمم المتحدة، فقد استقال من منصب المندوب الخاص، وانتُخب السيد كاليندوبل عوضًا عنه.

بدأنا المفاوضات مع السيد كاليندوبل ومندوبي الدول الغربية، وكنت مسؤولًا عنها. وقد أثمرت في العام الثاني من تواجدنا في

الأمـم المتحـدة، أي فـي العـام 1990م. وبهـذا، تـمّ التنسـيق لسـفر السـيد كاليندوبـل إلـى إيـران. كان أول تقريـر لـه بعـد الرجـوع مـن إيـران إيجابيًّـا، إلـى درجـة أن البعثـة الإيرانيـة قامـت بطباعتـه، فاعترضـت الأمـم المتحـدة علـى ذلـك، قائلـةً: «لا يحـقّ لكـم طباعـة منشـورات منظمـة الأمـم المتحدة. إذا كانـت طباعته لازمة، فسـنتولى نحـن القيـام بهـا». لـم يكن التقريـر يحوي مدحًـا لإيران، وعلـى الرغم مـن انتقاداتـه للجمهوريـة الإسـلامية، إلا أنّـه كسـر الصـورة السـيئة عنها .

فـي تلـك الفتـرة، حـدث أمـرٌ مهـمٌ سـبّب تغييـرًا أساسـيًّا فـي المنطقـة، وهـو اعتـداء العـراق علـى الكويـت. كان العالـم الغربـي بحاجـة إلـى أن تتخـذ إيـران موقفًـا معتـدلًا إزاء هـذه القضيـة، وأن لا تتجـه نحـو العـراق، علـى الرغم من سـعيه وبعـض القوى فـي الداخل إلـى هـذا الأمـر.

بالطبـع، كنـا نـرى هـذا الموضـوع مـن الحاجـات الاسـتراتيجية للجمهوريـة الإسـلامية، لهـذا كان هجـوم العـراق علـى الكويـت مـن أسـباب نجاحنـا فـي الوصـول إلى اتفاق فـي تلك المفاوضـات، ولم تكن الدبلوماسـية الناجحـة التـي تمتعـت والدكتـور خـرازي بها هي السّـبب الوحيـد للنجـاح. بحسـب الظـروف الدولية، لم يصدر أي قـرار ضد إيران طيلـة عاميـن، علـى الرغـم مـن أنّ السـيد كاليندوبـل سـافر إلـى إيـران ثـلاث مـرات، وعـرض العديـد مـن المسـائل.

في الختام، وبسبب التغييرات السياسية في العالم، أو بسبب مخالفة إرادة البعض في الداخل للأسس الفكرية عند غيرهم، توقّف التعاون مع السيد كاليندوبل، وجرى استئناف عملية صدور البيانات ضد إيران في الأمم المتحدة، والتي استمرّت لفترة.

من أعمالنا الأخرى، موضوع حرب العراق والكويت. هذه الحرب منحتنا فرصة لنتواجد في الأمم المتحدة بشكل إيجابي، فاستفدنا منها حتى أصبح حضورنا بارزًا، إلى درجة أنّهم اقترحوا علينا العضوية في مجلس الأمن من المجموعة الآسيوية. ولكن، لأسباب عديدة، لم نتابع هذا الأمر، رغم أنّنا رشحنا أنفسنا له، ثمّ تنازلنا عنه لصالح باكستان.

تغيّر سلوكنا بعد مقاطعة مجلس الأمن بسبب تغير تعاملهم معنا من جهة، وتغيّر حاجات المجتمع الدولي من جهة أخرى. بالطبع، كان بإمكان إدارة سياسية غير مناسبة أن تتسبّب بعكس هذه الحالة، ولكن الإدارة السياسية والعمل كانا متناسقين. وكذلك، فإنّ السمعة البارزة للدكتور خرازي في إيران تمكنت من حماية هيكل البعثة المختص. وبهذا، أصبحنا من البلدان المؤثرة.

كما ذكرت في موضوع مفاوضات إيران والعراق، تبدّلت الولايات المتحدة عند انتخاب السيد بوش (الأب) كرئيس للبلاد، فقد ذكر في القسم الرئاسي، أنّه طلب من إيران المساعدة في تحرير المختطفين الأمريكيين في لبنان، وأشار

إلـى أنّ حسـن النيـات سـتقابل بحسـن نيـات مماثلـة. وبهـذا، قامـت البعثـة بطلـب الإذن مـن طهـران للدخـول فـي مفاوضـات مـع الأمـم المتحـدة بخصـوص تحريـر المختطفيـن فـي لبنـان. حمـل هـذا النشـاط معـه عـدة مواضيـع بشـكل مباشـر وموضـوع غيـر مباشـر. مـن المواضيـع المباشـرة، كان المختطفيـن الإيرانييـن والأسـرى والشـهداء اللبنانييـن والفلسـطينيين فـي «إسـرائيل»، أمـا الموضـوع غيـر المباشـر، فقـد كان مـا نتابعـه مـع الأمـم المتحـدة إلـى جانـب هـذه المفاوضـات، وهـو أن تـؤدي واجبهـا فـي تحديد المعتـدي فـي حـرب إيـران والعـراق.

مـن ناحيـة أخـرى، وبهجـوم العـراق علـى الكويـت، تـمّ حـلّ الموضوعيـن، أي موضـوع الأراضـي الإيرانيـة المحتلـة والمختطفيـن الإيرانييـن، لأنّ العـراق لـم يكن يريـد التورط في جبهتيـن. وبهذا، أصبح تحديـد المعتـدي مـن أولويـات الجمهوريـة مجـددًا.

تغيَّـرت حالتنـا كثيـرًا، بحيـث انتخبـتُ فـي العـام 1992م كرئيـس للّجنـة الحقوقيـة فـي الجمعيـة العامـة. يشـير هـذا الأمـر بوضـوح إلـى تغيـر حالـة الجمهوريـة الإسـلامية خـلال ثـلاث سـنوات؛ تغيرهـا من بلد مُقاطِـع للأمـم المتحـدة إلـى بلـد مرشـح لعضويـة مجلـس الأمـن مـن ناحيـة، ورئيـس لإحـدى أهـم اللجـان فـي الجمعيـة العامـة مـن ناحيـة أخرى.

كان هـذا أول نجـاح باهر للجمهورية الإسـلامية بعـد الثورة. في ذلك

العام ـ وهو آخر عام لتواجدي في نيويورك ـ أصبحتُ رئيس اللجنة السادسة في الأمم المتحدة. وبالطبع، لم أكن أعلم أنّها آخر سنة لمهامي في الأمم المتحدة.

كما تعلم، تتضمّن الجمعية العامة ست لجان تعمل بشكل متزامن، ويشترك فيها كل أعضاء منظمة الأمم المتحدة. يقال للجنة الحقوقية في الجمعية العامة «اللجنة السادسة»، وهي تهتمّ بالموضوعات المتعلقة بالحقوق الدولية والإرهاب والمحكمة الجنائية الدولية، وغير ذلك.

من الأمور المهمّة التي أنجزت في فترة رئاستي، هي طلبنا من لجنة الحقوق الدولية كتابة التشريع الأساس للمحكمة الجنائية الدولية. كنت في هذه المفاوضات وسيطًا بين الولايات المتحدة الأمريكية وأوروبا. كان الأمريكيون معارضين لتأسيس المحكمة، ولم ينضموا إليها إلى الآن، بعكس الأوروبيين الموافقين لها.

وكرئيس للجنة، ولكي أتمكن من إصدار أمر للجنة الحقوق الدولية، كان عليَّ التوسط بين الأمريكيين والأوروبيين. من الطريف أنّ السفير الأمريكي قال لي ذات يوم: «لو علمت واشنطن أنّ سفير إيران يتوسط بيننا وبين أقرب حلفائنا، لانتحرت».

من الأحداث الطريفة أيضًا في ذلك العام، إضافة إلى موضوع المحكمة الجنائية الدولية، موضوع اختطاف قوى مناهضة المخدرات الأمريكية لمكسيكي. كان المُختَطَف طبيبًا له دور في

تعذيب الأمريكيين الواقعين في قبضة عصابات توزيع المخدرات. ذهب به الأمريكيون إلى الولايات المتحدة الأمريكية وحوكم هناك.

الطريف في الأمر أنّ المحكمة العليا ـ أي الجهاز القضائي ـ كانت تجد الأمر قانونيًّا، فيما طلبت الدول الأورو- أمريكية، أي الدول الأوروبية والأمريكية ذات الأصل اللاتيني، ومنها إسبانيا، استشارة محكمة العدل الدولية بهذا الخصوص. ولكن لا يمكن إصدار طلب الاستشارة إلا عن طريق الجمعية العامة، وكان علينا في اللجنة السادسة القيام بهذا الأمر. هذا الموضوع من الأمور الطريفة التي قمنا بها في ذلك العام.

وفي الختام، ماذا كانت النتيجة؟

لم تتوصل المفاوضات إلى نتيجة، لأنّ الأمريكيين والأوروبيين لم يستطيعوا التوصّل إلى حل. في الختام، قامت الولايات المتحدة الأمريكية بتقديم اقتراح تنظيمي عن طريق تركيا ـ حليفتها الأقرب تلك الأيام ـ وبهذا منعت اتخاذ قرار في الجمعية العامة، وتوصّلت المفاوضات فيما يخص المحكمة إلى نتيجة.

كانت هذه نهاية فترة مهمتي في البعثة كنائب عن الدكتور خرازي، حيث أخبرني الدكتور ولايتي حين قدم إلى نيويورك للمشاركة في الجمعية العامة في سبتمبر/أيلول من العام 1992م، بشكل مفاجئ، أنّ مسؤولية النيابة الدولية في وزارة الخارجية

ستقع على عاتقي، عوضًا عن السيد متّكي، لأنّه سيشغل منصب القنصلية وشؤون مجلس الشورى في وزارة الخارجية. وحيث إنّي كنت أرغب في الرجوع إلى إيران، ولم أكن أطيق البقاء في أمريكا، قبلت بهذا الاقتراح. ولكن، ونظرًا إلى مسؤوليتي في اللجنة السادسة، كرئيس لها، كنت مضطرًا إلى البقاء في نيويورك حتى شهر نوفمبر/ تشرين الثاني. بهذا، كانت نهاية مسؤوليتي في اللجنة السادسة، نهاية مَهمَّتي في نيويورك.

السياسة الخارجية من الداخل

بين العامين 1992م و2002م، كنتَ المعاون الحقوقي والدولي في وزارة الخارجية في حكومة السادة هاشمي وخاتمي. حدّثنا عن تلك السَّنوات.

نعم، كان من المقرّر أن أكون المعاون الحقوقيّ والدّوليّ. تتشكَّل وزارة الخارجية من «المعاونية الدوليّة» و «المعاونية الحقوقية، والقنصلية، وشؤون المجلس». عندما اتُّخذَ القرار بأن أتولّى مسؤوليّة المعاونيّة الدّوليّة، ذكر الدكتور ولايتي أنّهم يريدون فصل الأمور الحقوقية عن القنصلية وعن شؤون المجلس، ودمجها مع المعاونيّة الدّوليّة.

ولكن حتى فترة بقاء السيد منوجهر متكي في إيران، بقي القسم الحقوقي في معاونية المجلس والقنصلية، ذلك أنّه ـ وخلافًا لرغبته ـ نُقل من «المعاونية الدوليَّة» إلى «المعاونية الحقوقية، القنصلية، والمجلس»، ورأى أنّ عزل جزء من عمله الجديد ليُنقل إلى المعاونية الدولية، لن يكون مناسبًا.

لذا، كنتُ لفترة سنتين أو ثلاث سنوات معاونًا دوليًّا في وزارة الخارجية، إلى أن ابتعث السيد متكي إلى اليابان كسفير. حينئذ، نُقِل القسم الحقوقي إلى معاونيتي، وأصبحت المعاون الحقوقي

والدولـي فـي وزارة الخارجية، وصـار المعاون التالي للسـيد متكي، وهو السـيد مرسـلي، معـاون شـؤون القنصليـة والمجلـس. ولا يـزال المجلس بهـذه الهيكليَّة.

فـي سـنوات إقامتـي فـي إيـران مـن العـام 1992م وحتـى العـام 2002م، حصـل عـدد مـن التغيّـرات السياسـية والاجتماعية فـي الداخل والخـارج؛ ففيمـا يتعلـق بالداخـل، كانـت فتـرة إصلاحـات اقتصادية مع تصـدي السـيد هاشـمي رفسـنجاني لرئاسـة الجمهوريـة. هـذه الفتـرة قامـت علـى عمـود التنميـة الاقتصاديـة، وإصـلاح الخـراب الذي سـبّبته الحـرب، وقـد تلتهـا مباشـرة تغييـرات سياسـية اجتماعيـة مـع تصـدي السـيد خاتمـي للرئاسـة.

وبشـكلٍ مـوازٍ، كان الخـارج يشـهد انهيـار الاتحـاد السـوفياتي؛ الجار الشـمالي لإيـران، وقائـد القطب الشـرقي. وكانـت نتيجة انهياره، تَشـكُّل الجمهوريـات المسـتقلة حديثًـا فـي آسـيا المركزيـة والقوقـاز. كذلـك، اعتـدى نظـام صـدام حسـين علـى الكويـت. وفـي أوروبـا، كانـت أزمـة البلقـان تخنـق المجتمـع الدولـي. وفـي أفريقيـا، كانـت أزمـة الصومـال والإبـادة الجماعيـة فـي رونـدا...

كيـف كنـت ترصـد تغيـرات العلاقـات الدوليـة فـي عالـم لـم يعـدّ ثنائـي الأقطـاب؟ وكيـف كان تحليلـك للبيئـة الدوليـة وللحـوادث الجاريـة؟

لسـت مختصًـا في الشـؤون الداخلية، كما أنّها ليسـت مجـال عملي، لهـذا أتجنّـب التطـرق إلـى هـذه المواضيـع. فـي تلـك السـنوات، كانت

رغبة الدكتور ولايتي جديّة بشأن التحاق المختصين بوزارة الخارجية. لعلّي من الشخصيات البارزة، في نظر الكثيرين، لإثبات هذا الأمر، إذ تمّ تعييني بشكل مفاجئ كمعاون في وزارة الخارجيّة، وأنا حديث السنِّ.

قضيت معظم عمري في الخارج، وكنت قد أمضيت حتى ذلك الوقت ثلاث سنوات فقط كموظف رسمي في وزارة الخارجية، منها ثلاثون شهرًا أمضيتها كجندي في وزارة الخارجيّة. وعندما أصبحت معاونًا للشؤون الدولية،كان قد مضى على انتهاء فترة جنديّتي ستة أشهر فقط.

وقد لاقى هذا القرار الكثير من الاعتراض داخل وزارة الخارجية. من الطّريف أنّ المعارضين لوجودي في هيكل وزارة الخارجية، من ناحية سياسية أو من ناحية تاريخي المهني، أصبحوا تدريجيًا من أصدقائي المقربين، وأبدوا الكثير من المحبة تجاهي، حتّى إنّ البعض منهم ممن تعرَّض لي بكلام غير مناسب، اعتذر عن كلامه، أو كتب مقالات أعاد النظر فيها في أقواله السابقة. لهذا، كانت فترة وزارة الدكتور ولايتي [سبتمبر/أيلول 1981م - أغسطس/آب 1997م] فترة جديرة بالاهتمام.

في قسم الشؤون الدولية، ولعلّه أكثر الأقسام تخصّصًا، بذلت كلّ جهدي كي يكون قسمًا علميًّا متخصصًا ومبنيًّا على أحدث التغييرات. هذا الجزء من العمل الدبلوماسي، والّذي يرتبط بشكل مباشر بالشرعية والقبول، أصبح لاحقًا من مجالات القوى الناعمة.

فـي السـنة الأولـى أو الثانيـة مـن عملـي، كتبـتُ موضوعًـا لمؤتمـر السـفراء حـول التغييـر الحـادث مؤخـرًا، حيث أصبـح الغرب يعتقـد أنّه رائـد العالـم، ويظـن أنّـه ربـح الحـرب البـاردة، وبـدأ حركـةً عظيمـةً في مجـال نشـر الأعراف الدوليـة؛ حركةً تهدف إلى ترسـيخ نجاحـه المؤقّت والعابر.

تكلمـتُ فـي كتابي عـن طريقة عمـل المنظمات الدوليـة بالتفصيل، ومـن أهمهـا صناعـة الأعـراف. ولـو لـم يكـن الموضـوع مهمًا إلـى هذه الدرجـة، لمـا كانـت الـدّول تنفق عليـه بهذا الكـمّ. تعمل الـدول لتبديل أعرافهـا إلـى عـرف مقبـول عالميًّـا، لأنّ العـرف فـي الحقيقـة نـوع مـن الشـرعية التـي تصنـع القـدرة، وبهذا فإنهـا ترسّـخ قدراتها.

ولذلـك، مـن أهـمّ التّغييـرات الدوليّـة بعـد الحـرب الباردة، النّشـاط الّـذي حـدث فـي مجـال صناعة الأعـراف. وعلى الرغـم مـن أنّ الولايات المتحـدة الأمريكيـة، كانـت القـوّة الأولـى فـي العالـم، وأنّ أوروبـا اسـتطاعت الشـعور بالانتصـار بفضـل أمريـكا، ولكـن الأوروبييـن عملـوا بشـكل أفضـل مـن الأمريكيين فـي هذا المجـال، علمًا أن قضيـة البلقان مثـال بـارز علـى أنّ الأوروبيين لا يسـتطيعون حلّ مشـاكلهم بمفردهم، وأنهـم تجـاوزوا هـذه المشـكلة بتدخـل أميركـي وباتفاقيـة ديتـون[1]، ولكنهـم تمكنـوا من وضع عرف، سـواء ضد الولايات المتحـدة الأمريكية أو معهـا.

---

(1) وقّعت القوى المشاركة في حرب البوسنة اتفاقية صلح في دايتون، أوهايو بتاريخ 21 نوفمبر/تشرين الثاني 1995م، توقّفت على إثرها الحرب الداخلية بين الإثنيات.

مـن هـذه الأعـراف، تأسـيس المحكمة الجنائيـة الدوليـة، على الرغم مـن المخالفـة الأمريكيـة التـي كانـت فـي ذروة قوتهـا. هـذه المسـألة مهمـة، ولا سـيّما للذيـن يريـدون معرفـة كيـف تسـتطيع الدبلوماسـية المتعـددة الأبعـاد تعديـل موازيـن القـوى، رغـم أنّهـا لا تتمكّـن مـن تغييـره. إنّ التوظيـف العقلانـي للمنظّمـات الدوليّـة، المؤسّسـات متعـدّدة الأبعـاد، والدّبلوماسـية متعـدّدة الأبعاد، يمكنـه العمل بفاعلية علـى تعديـل القـدرة وترسـيخها.

عندمـا قبلـتُ بالوظيفـة فـي وزارة الخارجيـة، قـرّرت المعاونيّـة الدّوليّـة أن ترسـل تقريـرًا لمؤتمـر السـفراء، ذلك أنّ سـفراءنا لـم يكونوا علـى درايـةٍ بالمواضيـع الدوليـة، أو أنّ فهمهـم كان قاصـرًا فـي هـذا الخصـوص. ولـو لاحظـتَ، لرأيـتَ أنّ المؤتمـرات الدوليـة، منـذ تأسـيس منظمـة الأمـم المتحـدة وحتـى بدايـة عقـد التسـعينيات، كانـت بعـدد أصابـع اليـد، ولكـن، وبشـكل مفاجـئ، بـدأت المؤتمـرات الدوليـة تقام منـذ التسـعينيات فـي المجـالات كافـة، مثـل تغييـرات الأرصـاد الجوية، السـكان، البيئـة، حقوق الإنسـان، حقـوق المرأة، وغيرها مـن المواضيع. وفـي كلّ هـذه المؤتمـرات الدوليـة، كانـت ثمـة أمـور مشـتركة تطـرح، مثـل: الديموقراطيـة، المشـاركة، الشـفافية، والمسـاواة بيـن الجنسـين. أعتقـد أنّ هـذه الحركة منظّمـة غربيًّا، وخصوصًا من جانـب الأوروبيين، لترسـيخ الأعـراف التـي يريدونهـا، وقـد وُفّقـوا فـي هـذا الأمر.

مـن أسـباب نجـاح الأوروبيين فـي هذا المجـال، هـو أنّ الأمريكيين، ولا سـيما بعـد الحـرب البـاردة، وفـي عهد بـوش (الأب)، كلينتـون، بوش

(الابـن)، سـعوا إلـى الحفـاظ علـى هيمنتهـم عبـر الأسـلوب العسـكري. وبخـلاف التصـوّر العـام، كان السـيد كلينتـون نشـطًا جـدًّا مـن الناحيـة العسـكرية. ففـي فتـرة رئاسـته للجمهوريـة، كانـت الولايـات المتحـدة الأمريكيـة تقـوم بعمليـة عسـكرية واسـعة فـي كل عـام تقريبًـا ضـد العـراق، السّـودان، الصومـال، وبـلاد أخـرى. ولكـن الولايـات المتحـدة الأمريكيـة اقتربـت مـن الطريقة الأوروبية فـي نهاية تولّي بوش لرئاسـة الجمهوريـة، وبدايـة عهـد السـيد أوبامـا.

فـي الحقيقـة، يُعـدّ أوبامـا مظهـرًا مـن مظاهـر التغييـر، كمـا أنـه يسـتفيد مـن لـون بشـرته كأداة للإشـارة إلـى تغيّـر السياسـة الأمريكية. لهـذا، وعلـى الرغـم مـن أنّـه لا يتمتّـع بشـعبيّة عاليـة فـي الداخـل الأمريكـي، فإنّـه يحظـى خـارج بـلاده، وفـي الغـرب تحديـدًا، بشـعبية تفـوق نسـبة 85%، بـل قـد تصل إلـى 90%. يشـير هذا الأمر إلى فشـل الولايـات المتحـدة فـي الهيمنـة بالطـرق العسـكرية، وضـرورة تدخلهـا فـي صناعـة الأعـراف.

إنّ خطـاب أوبامـا في بـراغ والقاهرة، وتغيير الموقـف الأمريكي في اجتمـاع العـام 2010م حـول معاهـدة حظـر انتشـار الأسـلحة النوويـة، وتغييـر أسـلوب مفاوضـات 5+1 مـع إيـران، وغيرهـا مـن الأعمـال المختلفـة، كانـت تصب كلّها في خانة تقليل الشـرعية المكتسـبة بطرق عسـكرية سـابقًا، لتتّجـه نحو صناعـة العرف وتثبيـت القدرة بالاسـتعانة بهـذا الأسـلوب والأسـلوب العسـكري معًا.

في بداية عقد التسعينيات، فهمنا هذا الأمر في القسم الدولي، وكنّا نريد المشاركة بفعالية في هذا المجال على الرغم من صعوبته، ففي مؤتمر التنمية والسكان، الذي عقد في القاهرة في العام 1993م، ذكرت عدة دول، مثل السعودية، أنّها ستقاطع المؤتمر، لأنّه سيتحدث عن الإجهاض. ناقشنا المسألة في الداخل، وتوصَّلنا إلى أن مقاطعتنا للمؤتمر ستساعد في ترسيخ الفكر الغربي بهذا الخصوص فقط، ولن تؤثر مطلقًا، بل سيتمّ اتخاذ القرارات من دوننا.

كما أنّ الكثير من قوانين حقوق الإنسان، والتي عُرفت كقوانين دولية، صيغت دون مشاركة دول العالم الثالث، ولا سيّما العالم الإسلامي. على أيٍّ حال، اقتنع الداخل بهذه الفكرة، وأرسلنا بعثة برئاسة آية الله التسخيري للمشاركة في المؤتمر في القاهرة. ولحسن الحظ، وُفّقنا في منع ترسيخ بعض المفاهيم المخالفة للأديان.

من الطريف أنّنا شكّلنا ائتلافًا مع الدول المتديّنة، مثل الفاتيكان والدول الكاثوليكية القريبة منه. كانت رؤية الفاتيكان فيما يخصّ تنظيم السكان متطرفة جدًا، ويمكنني الادّعاء أنّ نظرتنا كانت أكثر اعتدالًا في هذا المجال.

هكذا، تمكنّا من المشاركة والبروز في سائر المؤتمرات. في الحقيقة، كانت ثمة علاقة بين تخصّص القسم الدولي في وزارة الخارجية والمشاركة في هذه المؤتمرات، بمعنى أنّنا لو أردنا

المشـاركة فـي هـذه المؤتمرات، فمـن الواجب أن يكون القسـم الدولي متخصصًـا بشـكل أكبـر.

وفـي ظلّ المشـاركة فـي هـذه المؤتمـرات، راكمنـا الكثيـر مـن الخبـرات، مـا دفـع البعـض إلـى الاعتقـاد بأننـا نعمـل بشـكل عصابـة. وعندمـا أصبـح الدكتـور خـرازي وزيـرًا، اكتملـت «العصابـة»، كمـا يحلو للبعـض أن يسـميها، وهـو مـا عبّـر عنـه أحـد أسـاتذة جامعـة طهـران بـ «عصابـة نيويـورك». وقـد بدأت المشـاكل مـع عصابة نيويـورك ـ كما يصطلحـون عليهـا ـ مـذ كنـتُ معاونًـا فـي وزارة الخارجيـة.

فـي الحقيقـة، لا يمكـن للقسـم الدولـي أن يوظّـف شـخصًا مثلمـا توظّـف الأقسـام الإداريـة والماليـة محاسـبًا، فهـذا القسـم تخصّصـي. لـو قـرأتَ الكتـاب الـذي ألّفتُـه والدكتـور سـجادبور، للاحظـتَ الهـوة الهائلـة بيـن الدبلوماسـية المتعـددة الأبعـاد والدبلوماسـية الثنائيـة الأبعـاد. قـد يكـون بينهمـا تشـابه فـي الأساسـيات والأمـور العامـة، ولكنهمـا مختلفتـان جـدًّا فـي الأسـاليب.

إن كنّـا نريـد ممارسـة دور حقيقـي في البيئـة الدوليـة، فيجب علينا أن نعمـل بتخصّـص في هذا القسـم، وأن نحدّد الأعمال بحسـب المهام، لا بحسـب الأفـراد، وفـي الوقـت نفسـه، أن نخصّـص الأشـخاص بحسـب المهـام، لا أن نخصص المهام بحسـب الأشـخاص.

هل تعني أنّكم استفدتم من شخصيّات معيّنة؟

استفدنا من الأشخاص الموهوبين والمتمكّنين.

إذًا، لـم تكـن النظـرة إلـى الأشـخاص سياسـية. هل كانـت صداقاتك السـابقة عامـلًا في هـذا الأمر؟

لا. ولكـن، بالطّبـع، قـد يكون فـي وزارة الخارجية أشـخاص متمكّنون وجديـرون بالعمـل، غيـر أننـي لـم أتمكّـن مـن التعـرف إليهـم. ومـع قدومـي إلى إيـران، دعتنـي وزارة الخارجية للبدء بتدريس الدبلوماسـية المتعـددة الأبعـاد، فكنـت أتعـرّف إلـى الطلبـة الموهوبيـن خـلال هذه الـدروس، وقـد كان لـديّ طلبـة متفوقـون، ولكننـي كنـتُ أعتقـد أنّهـم لـن يكونـوا موظفيـن دولييـن مناسـبين. لهـذا، كنـتُ أقتـرح عليهم عدم القـدوم إلـى القسـم الدولي.

أذكـر أنني كنتُ مشـرفًا على أطروحة ماجسـتير أحـد هؤلاء الطلاب، والـذي أصـرّ علـى الالتحاق بالقسـم الدولـي. يومها، لم أعتـرض، ولكنني قلـت لـه: «بحسـب اطلاعـي علـى سـلوكك، ومعرفتـي بخجلـك، أعتقـد أنـك لـن تتمكّـن مـن العمل بكفـاءة في القسـم الدولي». وقـد جاء إلى هـذا القسـم، وأضـاع عدة سـنين مـن عمره دون جـدوى، ثـمّ انتقل إلى القسـم الثنائـي، وتمكّـن من البـروز فيه.

حتـى الآن، وعلـى الرغـم مـن أن الحكومـة الحديثة [يقصـد حكومة أحمـدي نجـاد] سـعت بشـدة إلـى تخريـب الهيـكل النخبـوي الـذي كنّا نُنتقـد مـن أجلـه، فقد بقـي الهيكل متخصصًـا نخبويًّا بسـبب ضروريات العمـل. ونظـرًا إلـى علاقـة الدكتـور ولايتي بالإمـام الخمينـي، وبعد ذلك بالسـيد القائـد، ونظـرًا إلى قربه من السـيد هاشـمي، كانـت إدارة وزارة الخارجيـة من الداخـل طريفة.

اقترنـت انتخابـات مايو/أيـار مـن العـام 1997م [فـاز بهـا السـيد خاتمـي]، باجتمـاع رؤسـاء منظمـة المؤتمـر الإسـلامي فـي إيـران. لهذا، كنـا معنييـن بالمؤتمـر الإسـلامي، ولـم ننتبـه إلى الحالـة الداخليـة. كما أنّ التحـزّب فـي وزارة الخارجيـة ممنـوع، إذ ورد فـي القانـون الأساسـي لـوزارة الخارجيـة: «مـن ينتـمِ إلـى أي حـزب سياسـي، يُعـدّ معفيًّـا مـن منصبـه فـي وزارة الخارجيـة»، أي أنّـه سيُفصَل بشـكل تلقائـي مـن الـوزارة. أعتقـد أنّ محافظـة وزارة الخارجيـة على المصالـح الوطنية أمر جيـد، كمـا أن أضـرار تحـزّب وزارة الخارجيـة أكبـر من نفعـه، ويجب أن تبقـى غيـر حزبيـة دائمًا.

كانـت وزارة الخارجيـة غيـر حزبيـة فـي الانتخابـات، ولكـن، مـع الأسـف، وقّـع بعـض المعاونيـن في الأيام الأخيـرة قبل جمـع الآراء، بيانًا أيّدوا فيه مرشـحًا خاسـرًا. وبصفتـي المعاون الحقوقي لـوزارة الخارجية، ونظـرًا إلـى أنّ واجبـي يقضـي بحراسـة القانون الأساسـي، أرسـلتُ إليهم تحذيـرًا يفيـد بـأنّ سـلوكهم يعـدّ اسـتقالة مـن وزارة الخارجيـة. فـي الختـام، خـرج هـؤلاء مـن وزارة الخارجيـة، نظـرًا إلـى تغيـر الظـروف، وليـس بسـبب تلـك الرسـالة.

كما أشـرت سـابقًا، سـعى الدكتور ولايتي إلى تحويل وزارة الخارجية إلـى مؤسسـة مختصـة توظّـف الكفوئيـن. بغـض النظر عـن الملاحظات السياسـية علـى إدارتـه، فكان أحد الانتقـادات الموجهة إليـه، أنهّ طبيب مختـص فـي صحـة الأطفال، ومـن الطبيعـي أن لا يكـون ملمًّا بالشـؤون السياسـية والدولية. فكيف كان يسـتطيع تشـخيص الأمور بشـكل سليم؟

كما أنّني لم أحصل على إجابة واضحة في ما يخص السؤال السابق، هل أدّى تفكك الاتحاد السوفياتي إلى تغيير واضح في الجهاز الدبلوماسي في البلاد؟ وكيف كانت نظرة وكلاء السياسة الخارجية الإيرانية في تلك البيئة؟

بالنسبة إلى الموضوع الأول، من الضروري أن يكون وزير الخارجية على علم بالسياسة الخارجية، ولكن من الواجب أن يكون موثوقًا أيضًا في الداخل. إن المختصّ في السياسة الخارجية، إن لم يكن موضع ثقة من السلطات في الداخل، فسيعمل بشكل أضعف بكثير من مختص غير موثوق.

بالطبع، ليس بالضرورة أن يكون غير المختصّ جاهلًا بالسياسة الخارجية. إنّ الدكتور ولايتي كان، ولا يزال، يهوى الموضوعات التاريخية، وهو باحث بشغف في هذا المجال. لا يعني ذلك بالضرورة أنّ دراسة التاريخ مفيدة في مجال السياسة الخارجية، ولكن هذه المعرفة تبقى نافعة. ولدى الدكتور ولايتي معرفة جيدة نسبيًّا بالسياسة الخارجية.

بشكل عام، لا أعتقد أنّ عهد وزارة الدكتور ولايتي، ولا سيما في الفترة الأخيرة منه، كان غريبًا عن السياسة الخارجيّة. لقد سعيت إلى طرح مواضيع جديدة، نظرًا إلى عضويتي في مجلس المعاونين، مثل ضرورة كتابة استراتيجية. وقد كتبت مسودتها بالاستعانة بطريقة التخطيط السياسي (policy paper)، الذي درسته في الولايات المتحدة الأمريكية.

تُدرّس هذه الطريقة في الخارج، ويشير إليها البعض في إيران بدرس منهج البحث. من أهداف التخطيط السياسي، أخذ جميع الخيارات بعين الاعتبار، لأنّ السلوك الفردي في المؤسسات، أو البيروقراطيات، يتّجه نحو نظرة الرؤساء. في الحقيقة، يسعى الموظّفون إلى الوصول إلى رؤى الرئيس.

للوقاية من هذه الحالة، وبالاستعانة بالتخطيط السياسي، نجبر الأفراد على أخذ جميع الاحتمالات بعين الاعتبار، مع الاهتمام بفوائد كل احتمال ومضاره، والتخطيط له بحسب النظرة الفرديّة. بغير هذه الطريقة، من الممكن أن لا يُعْجَب الرئيس بالخيارات، لأنّ الموظفين لم يذكروا أدلّتهم لاستحسانها، وبالتالي لم يطّلع على ميزاتها أو مخاطرها، وبذلك، فإنّه سيملي رأيه.

في الحقيقة، تنصّ القاعدة على جمع آراء الموظفين من دون حذف أيٍّ منها، وتؤدي هذه العملية إلى نشاط فكري، لئلّا يتجه الموظفون إلى خيار واحد فقط، أو تصدر عنهم اقتراحات حمقاء. فمن الواجب عليهم تقديم خيارات عقلانية ومختلفة، مع الأخذ بعين الاعتبار فوائد كل منها وأضرارها. بعد تحرير الخيارات، تُقدَّم إلى المسؤول الأعلى ليختار الأصلح منها بحسب علمه الأشمل. كتبتُ استراتيجية بهذا الخصوص، وكانت تُنفَّذ في عهد الدكتور ولايتي، واستمرّت حتى عهد الدكتور خرازي، وأظنّ أنّها كانت عملًا ممتازًا.

في عهد الدكتور ولايتي، قمنا بتأسيس مجلس استراتيجي تَعزّزَ

فـي عهـد الدكتـور خـرازي. وأصبح هـذا المجلـس محلًا لاجتمـاع جميع المعاونيـن، ودُرِسـت جميـع المواضيـع فيـه. أذكـر أنّنـي قدّمـتُ أول استراتيجية فـي موضـوع حقوق الإنسـان كمثال للتخطيط الاسـتراتيجي للمجلـس. كنـا نسـتخدم مصطلـح «اسـتراتيجية»، وفـي عهـد الدكتـور خـرازي، بدأنـا باسـتخدام المعـادل الفارسـي «راهبـرد».

لـذا، للإجابـة عـن سـؤالك، عليّ أن أقـول: «صحيـح أنّ البعـض انتقد تخصّـص الدكتـور ولايتي العلمي كطبيب، ولم ينتقد السّياسـة الخارجيّة، ولكـن ثمـة انتقـادًا أهـمّ قـد طُرِح، هـو احتياطـه السّياسـيّ». فـي الحقيقـة، من أسـاليب إزالة الاحتياط السياسـي، عرض جميـع الخيارات، ليقـوم جهـاز السياسـة الخارجيـة بأداء عملـه دون التأثـر بالضغوط، لأن السـلطات الَّتـي تتخـذ القرار، تقرّر ذلـك بعد العلم بالفوائـد والتكاليف.

أمّا السـؤال الثاني، أي انهيار الاتحاد السـوفياتي والتغييرات الحاصلة بعـد ذلـك، فيجـب أن أذكـر أنّ ثمـة تشـابهًا ثقافيًّـا بيـن إيـران والاتحاد السـوفياتي، فقـد قـام مكتـب الدراسـات السياسـية والدوليـة فـي وزارة الخارجيـة بجهـود جمـة فـي هـذا الصـدد، وكان مـن كوادره شـخصيات بـارزة. لهـذا، كنّـا علـى علـم بموضـوع انهيـار الاتحـاد السـوفياتي والجمهوريـات الاشـتراكية، ولأنّنـي لسـت مختصًا في هـذا المجال، فقد كنـت شـاهدًا فقط.

فـي الحقيقـة، كانـت ثمـة أزمـات أهـمّ فـي تلـك الأيـام ضمـن أولوياتنـا، مثـل أزمـة حقـوق الإنسـان، التـي كان تتّجـه إلـى الصـدام،

وأزمة ميكونوس[1] التي لم يكن لي دور مباشر فيها، ولكن لأنّها تتعلق بالإرهاب الذي يختص به قسم العلاقات الدولية في وزارة الخارجية، أصبحنا معنيين بها. كذلك أزمة آميا في الأرجنتين[2]، وموضوع تفجير الخُبر في السعودية[3].

من المواضيع المطروحة أيضًا، مجموعة عقود متعلّقة بنزع السّلاح، مثل الاتفاقيّة الكيميائية. ونظرًا إلى المشاكل الأساسية فيها، والتي كانت المنظّمات الدولية تعمل على تحريرها ـ وقد كنا نعلم أنّ القواعد الدولية يمكن أن تشكّل فرصة وتهديدًا للجمهورية الإسلامية ـ رأينا أن نشارك في هذه المواضيع بشكل متناسق. من حسن الحظ، حصول التنسيق بين الأجهزة المختلفة للدولة، مثل جهاز الاستخبارات والأجهزة الصناعية وغير ذلك.

أذكر أنّ الدكتور ولايتي حمّلني مسؤولية اللجنة الحقوقية لبحر قزوين. ولأنّ هذا الموضوع لم يكن بمعزل عن علاقاتنا الثنائية مع

(1) عمليّة اغتيال ميكونوس: حدثت في العاصمة الألمانية برلين في 17 سبتمبر/أيلول 1992م، وقُتِل على إثرها عدد من قادة المعارضة الشيوعية والديموقراطية الكردية. اتُهمت إيران بتنفيذ هذه العملية التي أثرت في العلاقات بينها وبين الاتحاد الأوروبي.

(2) تفجير آميا أو AMIA bombing: عملية تفجير الرابطة الإسرائيلية الأرجنتينية المشتركة بتاريخ 18 يوليو/تموز 1994م. نتج منها مقتل 85 يهوديًّا أرجنتيني الأصل، وجرح أكثر من ثلاثمائة. اتُهمت إيران بالتخطيط، فيما اتُهم حزب الله بتنفيذ العملية، ولكن إيران أنكرت الاتهام، نظرًا إلى عدم وجود أدلة تثبت ذلك، وبسبب فساد الجهاز القضائي الأرجنتيني، معتبرةً أن التهمة مؤامرة سياسية. أدت العملية إلى توتر العلاقة بين إيران والأرجنتين، وتسبّبت بأزمة داخليّة في الأرجنتين.

(3) تفجير سيارة مفخّخة قرب مجمع سكني للقوات العسكرية الأمريكية في 25 يونيو/حزيران 1996م. نتج منه مقتل 19 شخصًا وإصابة 498 آخرين. اتُهمت إيران و«حزب الله الحجاز» والقاعدة بتنفيذ العملية. وقد عبّر وزير الدفاع الأمريكي وليام بري في العام 2007م عن اعتقاده بأن القاعدة هي المسؤولة عن هذه العملية.

الدول المحيطة ببحيرة خزر، وحيث إنّ المقاومة السياسية كانت شديدة، لم نتمكَّن من متابعة هذا الموضوع بشكل وافٍ.

عُقِدَت جلسة واحدة مع المديرين الحقوقيين للدول المحيطة بالبحيرة برئاستي، ولكنّ هدفها كان إنجاز أهم عمل يخص العلاقات الثنائية في مجال البحيرة وانهيار الاتحاد السوفياتي. بشكل عام، أعتقد أنّ عمل وزارة الخارجية بعد انهيار الاتحاد السوفياتي، كان بعد الاطّلاع على الموضوع وحيثياته، ولم يكن لدينا تحليل خاطئ في هذا الخصوص.

في الحقيقة، كنّا نظنّ أنّ النظام العالمي الثنائي الأقطاب قد انهار، وسيكون في مرحلة مخاض. وفي هذه المرحلة، سيكون أحد هذه الأقطاب أقوى، ولكن المنافسة ستكون شديدة ومليئة بالفرص والمخاطر. في فترات المخاض، تنهار الدول التي تخطئ، أي أنّ قيمة الأخطاء تكون باهظة. لم نكن نعتقد أنّ قدرة أمريكا وسيطرتها ستكونان دائمتين، ولكن كنا نعلم أنّها ستكون القوة الأولى في العالم لفترة طويلة، من دون أن يكون العالم أحادي القطب.

في مجال صناعة الأعراف، والذي يقع بشكل أساس في مجال العلاقات المتعددة الأبعاد، تتوفر الفرص والمخاطر بشكل خاص في مراحل المخاض. لحسن الحظ، انتبهنا إلى هذا الأمر باكرًا، وتمكنّا من حصد الكثير من فرص النجاح، وخصوصًا في البلقان. وفي المؤتمر الإسلامي أيضًا، تمكنّا من إنجاز أعمال مفيدة. وفي موضوع نزع السلاح، كنا موفّقين نوعًا ما.

أظنّ أنَّ وزارة الخارجيَّة لم تعمل بشكل مناسب في بعض المجالات. الأولى في قضية الشيشان، إذ لم يصدر عنها ردّ فعل كما حصل عند دفاعنا عن المسلمين في فلسطين ولبنان، وكذلك أحداث رواندا، التي يعتقد الكثيرون أنّها كانت إبادة بشرية بكلّ معنى الكلمة، وكان لبلجيكا وفرنسا علاقة بها بشكل ما. حتى إنّ فرنسا في عهد الرئيس ميتران [1981-1995م]، منعت إجماع مجلس الأمن على إصدار قرار لتدخل الأمم المتحدة لحماية الضحايا الروانديين. يعتقد البعض أنّ هذا الحدث كان أفضل فرصة للجهاز الدبلوماسي والسياسة الخارجية للجمهورية الإسلامية لتندّد بعدم مراعاة العالم الغربي لمعايير حقوق الإنسان، ولتفضح جرائمهم بشكل مؤثر.

إن كنّا نريد التحدّث بحسب التسلسل التاريخي للأحداث، فعندما حدثت قضيّة رواندا، كنّا نركّز على البوسنة ومنطقة البلقان. في الحقيقة، البلقان من المناطق التي تمكنّا من لعب دور جيّد فيها.

كيف؟ وفي أيّ مجال؟

في عدة مجالات. في الحقيقة، حركنا منظمة المؤتمر الإسلامي بخصوص موضوع البلقان، وكان أول موضوع يعمل فيه المؤتمر الإسلامي بشكل متناسق، علمًا أنّ المؤتمر، ونظرًا لاختلاف الرؤى، لم يعمل بشكل متناسق في موضوع فلسطين. في ملف البلقان، اتفقت مصالح الدول الإسلامية لعدة أسباب. كان لتركيا والسعودية وماليزيا مصالح في هذا الخصوص. وبعض الدول، مثل السعودية ومصر، تدخّلت في هذا الموضوع لمنع إيران من التفوق.

لا شكَّ في أنّ الجمهوريّة الإسلاميّة كانت رائدة في هذا الموضوع في المؤتمر الإسلامي وحركة عدم الانحياز، فقد أسّسنا مجموعة تواصل في المؤتمر الإسلامي ومجموعة لمساعدة البوسنة. كانت إيران والولايات المتحدة الأمريكية تساعدان البوسنيين عسكريًّا. وعلى الرغم من مقاطعة الأمم المتحدة، كانت مساعداتنا العسكرية في البلقان أكثر من أمريكا التي كانت تراقبنا. وبالرغم من أنّ هذه المساعدات كانت مخالفة لقرارات مجلس الأمن، فقد تمكنّا من إيجاد بيئة لا تعتبر عملنا غير شرعي، بل أُعلِن أنّ قرار مجلس الأمن حول الحظر على البوسنة غير قانوني. خلال عامين متتاليين، أصدرنا في الجمعية العامة قرارات تطالب بإلغاء الحظر على البوسنة.

في الحقيقة، كنا نشطين في موضوع البوسنة، وكان لنا دور مهمّ، بل إنّ إيران كانت البلد الوحيد الممثل بسفير مقيم فيها. كان السيد طاهريان السفير الأجنبي الوحيد في البوسنة، وقد أصبح فيما بعد سفير إيران في أفغانستان. عندما ذهبت إلى سراييفو، انتبهت إلى مكانة إيران في البوسنة، حيث إنّ الشخصيات كانت تسافر إلى سراييفو بطائرات الناتو، ولعدم وجود علاقات بيننا وبين الناتو، سافرت بالسيارة. والطريف أنّ وزير الخارجية البوسني قال لي عندما علم بالطريق الذي سلكته للوصول إلى سراييفو: «الحمد لله على وصولك بخير، وبقائك حيًّا، فقد جئت من بين الصرب». بالطبع، كان سفيرنا يسلك أسبوعيًّا هذا الطريق.

أمّا رواندا، فلم تكن ضمن أولوية سياستنا الخارجية، ولم يكن

لدينا أيضًا كوادر بشرية لذلك. وفي موضوع الشيشان، كانت ذروة الموضوع في عهد حكومة السيد خاتمي ورئاسة إيران للمؤتمر الإسلامي. شكّلنا لجنة خاصة، وسافرنا عدة مرات إلى روسيا، حتى إنّني كنت مسؤول اللجنة بأمر من رئيس الموتمر الإسلامي في إحدى الرحلات، والتقيت عدة وزراء روس. سافر السيد خرازي بعدي على رأس لجنة من قبل المؤتمر الإسلامي أيضًا.

في هذا الموضوع، عملنا على توحيد العالم الإسلامي قدر استطاعتنا. ولكن المشكلة الأصلية في الشيشان، كانت العلاقة الوثيقة بين الشيشانيين والقاعدة وطالبان، فالتيارات المتطرفة في الشيشان، حالت دون تواجدنا فيها، كما في فلسطين والبلقان. في الحقيقة، كان الرأي العام في الشيشان متطرفًا.

إذًا، لم تكن ثمّة ملاحظات حول روسيا أثّرت في هذا الأمر؟

لم أكن أتدخل في هذا المجال، لكن لا بدّ من أنّ الملاحظات أُخِذت بعين الاعتبار. إن أهم ملاحظة لدينا، كانت بشأن التطرف في الشيشان، وعلاقتهم بطالبان والمتطرفين الوهابيين. كانوا يقومون بأعمال تثير الاشمئزاز، مثل الاعتداء على المدارس، كما كانت لديهم علاقات وثيقة مع المجموعات غير المشروعة التي ترتكب الجرائم.

لهذا، رسمت معظم الدول الإسلامية حدودًا فيما يخصّ هؤلاء. كما أنّ الدول التي لم تكن لديها ملاحظات من حيث العلاقة الثنائية مع الروس، وضعت حدودًا لتعاملها مع الشيشان. ومن الطبيعي أن ينشأ تساؤل حول سبب اختلاف تعامل الجمهورية الإسلامية في الشيشان

عـن تعاملهـا مـع فلسـطين، ولكـن الموضوعيـن يظـلان مختلفيـن كليًّـا من الأسـاس.

لـو افترضنـا عـدم وجـود علاقـة وثيقـة بين المسـلمين الشيشـانيين والمجموعـات المتطرّفـة، فـي رأيـك، كيف كانت سـتكون سياسـتنا الخارجيـة؟ هـل سـتتمثل فـي الدفـاع عـن هـؤلاء المسـلمين مـع الاسـتعداد للتضحيـة بمصالحنـا الاسـتراتيجية مـع الـروس؟

لدينـا ملاحظـات متعـدّدة فـي مجـال علاقاتنـا بهـم، نلتفـت إليهـا جميعًـا. كمـا أنّ كلّ الـدول تعمـل بهـذه الطريقـة. والأمـر نفسـه فـي موضـوع كشـمير، من حيث علاقتنـا بالهند وباكسـتان، وموضوع الأتراك فـي علاقاتنـا مع اليونـان وقبرص. وكذلـك موضوع قره بـاغ[1] في علاقتنا مـع آذربيجـان وأرمينيا.

إنّ السياسـة الخارجيّـة لـكلّ الـدّول تضـع مصالحهـا الوطنيـة فـي الأولويـة.

مـن الشّـائع عـن السّياسـة الخارجيّـة الإيرانيّة في الدّاخـل والخارج، اهتمامهـا الزائـد بالمصالـح الأيديولوجيّـة فـي مقابل المصالـح الوطنية (علـى افتـراض علمنـا الدقيق بتعريـف المصالح الوطنيّـة). ما هو رأيك فـي الأمر؟

مـن الممكـن أن تخطـئ الدولة أحيانًا في تعريـف المصالح الوطنيّة.

(1) حرب ناجورنو قرة باغ: صراع مسلّح وقع بين العام 1988 و1994 في جنوب غرب آذربيجان. سبب الصراع هو ادّعاء أرمينيا أنّ المنطقة تعود إليها، لأنّ أغلبية سكانها من الأرمن. وقد نتج من هذا الصراع عملية تطهير عرقي أدت إلى مقتل أكثر من 45000 شخص، وهجرة الآلاف.

وقد توَصّل أصحاب الرؤية الواقعية إلى أنّ فهمنا للمصالح الوطنية هو ما يحدّد سلوكنا. ولعلّ فهم أصحاب القرار بهذا الخصوص لا يتشابه بالضرورة، ولو تناقشت مع المعتقدين بالسياسة الخارجية الفعلية للجمهورية الإسلامية، لرأيت أنّهم يرون أنّ هذه السلوكيات هي عين المصالح الوطنية، أي أنّ المصالح المثالية تصبّ في اتجاه المصالح الوطنية نفسها.

من النّاحية النّظريّة، أعتقد أنّ المصالح المثالية يمكن أن تكون في اتجاه المصالح الوطنية. كما ذكرت سابقًا، فإنّ صناعة الأعراف والشرعية من قواعد السّلطة، كما أن تتّبع المصالح المثلى بشكل صحيح، يمكن أن تكون أساسًا للمضي قدمًا بالمصالح الوطنية. كما أنّ متابعة المصالح المثالية لدى الآخرين تسبّبت في أن نكون بلدًا مؤثرًا في العراق ولبنان. طبعًا، من الممكن أن تكون السياسات الخاطئة مؤخرًا قد تسبّبت بركود نفوذنا في المنطقة، ولكن ذلك لن يكون سببًا للفصل بين المصالح المثالية والمصالح الوطنية، بل إنّ التصور المتصلّب عن المصالح الوطنية هو العائق، فمثلًا، عندما يطرح موضوع القوة الناعمة، يجب أن ننظر إلى المصالح الوطنية من منظور واسع، كي نتمكّن من متابعتها على المدى الطويل.

لهذا، أعتقد في المحصّلة، أنّ السياسة تتشكّل على أساس تصوّر السَّاسة عن المصالح الوطنية. ومن الممكن أن يكون اعتقاد سياسي في الدّاخل خاطئًا بالنّسبة إلى المصالح الوطنيّة، أو أن يكون منطلقًا من معلومات غير وافية.

عندما تنظر إلى السّياسة الخارجيّة من وجهة نظرك، لا يمكنك الادّعاء أنك أخذت بعين الاعتبار جميع الأبعاد. حتى أنا كمحلّل للسّياسة الخارجية، لا أتمكّن من ملاحظة بعض الأمور، بينما يمكن لصاحب قرار ذي رتبة عالية أن يرى الأبعاد الاقتصاديّة العسكريّة والأمنية في رسم السياسة الخارجيّة.

اسمح لي بالعودة إلى فترة عملك في طهران في العام 1992م، عندما كان السيّد كمال خرازي المندوب الدائم لإيران لدى الأمم المتَّحدة. هل استمرّ هذا الوضع حتى نهاية حكومة السيد هاشمي؟

نعم، كان السيد خرازي المندوب الدائم. ووفقًا للهيكل الإداري لوزارة الخارجية، يُعدّ معاون الشؤون الدولية مسؤولًا عن البعثة في نيويورك. لهذا، عرض الدكتور ولايتي مسؤولية إدارة الشؤون الدولية على السيد خرازي، لكنّه رفضها، ثم عُرِضت عليّ.

إنّ الدكتور خرازي شخص جليل. كان يرعاني بلطف طيلة تلك الفترة، أي أنّه لم يتعامل معي قط كموظّف سابق لديه، وحفظ منصبي كمعاون للشؤون الدولية في وزارة الخارجية. وإضافةً إلى مشاركتي في الجمعية العامة، ونظرًا إلى مسؤولياتي، كنتُ كثير التردّد إلى نيويورك، فكما ذكرتُ سابقًا، كنت رئيس اللجنة السّادسة.

إذًا، استمرّ عملك مع الأمم المتّحدة؟

نعم، طيلة السنوات العشر التي كنت أشغل فيها منصب معاون الشّؤون الدّوليّة، كنتُ أتردّد إلى الأمم المتحدة بمتوسط ثلاث إلى أربع مرات كلّ عام، وكانت لديّ علاقة وثيقة بها.

وعندما رجعت إلى طهران، اتّسعت هذه العلاقة أكثر. لم تكن نيويورك وحدها ضمن مسؤولياتي، بل شمل عملي فيينا وجنيف وجدة، إذ كنتُ أتابع شؤون المفوضيات فيها. ونظرًا إلى سيرتي السابقة، كانت نيويورك تحتلّ مكانة خاصّة لديّ.

كما تعلم، وقعت حادثة اغتيال ميكونوس في عهد حكومة رفسنجاني، حيث قُتل أربعة أكراد إيرانيين في مطعم ميكونوس في ألمانيا، وشهدت العلاقات الإيرانيّة مع الاتحاد الأوروبيّ فترة مظلمة ومليئة بالضغط. كيف تأثّرت وزارة الخارجيّة بهذا الحدث؟

كانت مسؤوليَّة ميكونوس تقع على عاتق قسم العلاقات الثنائية في وزارة الخارجية، وقد حصل نقاش حول هذه القضية عندما كنت المعاون. وكان ثمة علاقة صداقة تربطني بالسيّد محمود واعظي - معاون شؤون أوروبا وأمريكا - مذ كنتُ عضوًا في الجمعيّة الإسلاميّة للطلبة في أمريكا وكندا.

عندما رجعت إلى إيران، وحملت مسؤوليّة معاونيّة الشّؤون الدوليّة، كان الدكتور واعظي يستشيرني في المواضيع الّتي تخصّ عمله، ومنها الشؤون المتعلقة بأمريكا. كان أحد أعمالي عندما كنت المعاون، كتابة الرسائل الموجّهة إلى الأمريكيين، والتي كنّا نرسلها عن طريق السفارة السويدية، على الرغم من أنّ هذا العمل لم يكن ضمن واجباتي، إلّا أنّ الدكتور واعظي كان يطلبه منّي، نظرًا إلى دراستي في أمريكا وسكني فيها واطّلاعي عليها، فكان يرسل مدير مكتبه إلى مكتبي لصياغة الرّسائل معًا. في

قضيّة ميكونوس، وقضيّة تفجير «مركز اليهود» في الأرجنتين، المعروفة بقضيَّة آميا، كنت أساعده أيضًا بشكل ما في الأمور المتعلّقة بمجال عمله.

مع الأسف، حدثت عدة أمور في نهاية عهد حكومة السيد هاشمي، اسمح لي بالإشارة إلى أهمها. أحدها، تفجير الخُبَر في السّعودية، وهي المنطقة التي يقيم بها الأمريكيون. ورغم أنّ جميع الشّواهد تشير إلى تورّط القاعدة في التفجير، ونظرًا إلى عدم استعداد الحكومة السعودية لمواجهتها، فقد اتجهت إلى اتهام الشّيعة بشكل غير مباشر. في هذا الموضوع، توترت العلاقات بين إيران وأمريكا بشدة. وهذه القضية، إلى جانب قضيَّتيْ ميكونوس وآميا، جعلت إيران موضع تهديد عسكريّ، وتهديد سياسيّ (قطع العلاقات مع أوروبا)، وتهديد دوليّ.

عندما طُرِح موضوع آميا أو «مركز اليهود» في بوينس آيرس، كانت الأرجنتين عضوًا في مجلس الأمن، وقد سعى وزير خارجيتها إلى جرّ الموضوع إلى مجلس الأمن. لهذا، كنّا مجبرين على العمل الدبلوماسي في هذا الصّدد. في قضيتيْ الخُبَر وآميا، كان لديَّ دور أكثر بروزًا، لمنع تحول هذه القضايا إلى تهديد عسكري ودولي على إيران. أما قضية ميكونوس، ونظرًا إلى أنّها كانت تخصّ العلاقات مع الاتحاد الأوروبيّ والعلاقات الثنائيّة مع ألمانيا، فكان دوري فيها أقلّ بروزًا.

حدِّثنا عن البيئة الَّتي شَهِدَتها تلك الفترةُ؟

كانـت بيئـةً حـادّةً. كمـا ذكـرت، كنـا نعيـش أزمـةً وتوتـرًا فـي المجـالات السياسـيّة والعسـكريّة والدوليّـة. وعندمـا أصبـح الدكتـور خـرازي [أغسـطس/آب 1997 ـ أغسـطس/آب 2005] وزيـرًا للخارجيّـة، لـم يتواجـد أيّ سـفير مـن سـفراء الاتّحـاد الأوروبـيّ في إيـران، كما كان سـفراؤنا فـي دول الاتحـاد الأوروبـي متواجديـن فـي طهـران، ولـم تكن ظروفنـا مؤاتيـة.

الانفراج السياسي

هكذا استعرضنا، ولو بشكل مختصر، الفترة الممتدة حتى نهاية حكومة السيد هاشمي. مع بداية عهد حكومة السيد خاتمي، اتجهت السياسة الخارجية الإيرانية نحو تطبيع العلاقات الإيرانية مع جيرانها، وبشكل أعم مع العالم، وهو ما يُعَبَّر عنه بمبدأ الانفراج.

يعتقد الكثير من المحللين للسياسة الخارجية الإيرانية، أنّ سياسة السيد خاتمي كانت استمرارًا لما بدأ في عهد السيد هاشمي. هل أنت موافق على هذا التصنيف؟

نعم، أصبح الانفراج مبدأً لسياسة الجمهورية الإسلامية الخارجية بعد الحرب مع العراق. بالطبع، كان أحد آثاره رفع الشبهات عن إيران، لأنّنا كنا على قطيعة مع العالم في فترة الحرب. بعد الحرب، انتبهنا إلى أنّ العالم يحمل صورة غير صحيحة عنّا. ولكن مع اتضاح الصورة الحقيقية لصدام، كان بإمكاننا فتح صفحة جديدة من العلاقات، وبالطبع كانت بعض القصورات جديّة.

كانت إيران تتعرَّض لضغوط حقيقية، كما أنّ موضوع التعاون في المنطقة لحماية الأمن في الخليج الفارسي، والذي بدأ في السنين

الأخيـرة مـن الحـرب باقتـراح مـن إيران، تعـزَّز عنـد الحرب بيـن العراق والكويـت، لينقطـع مـع بـروز مشـكلة الجـزُر. هـذه الأحـداث وقعـت عندمـا كانـت إيـران تمـارس دورًا إيجابيًّـا فـي المنطقـة والعالـم. كانت الأمـور مشـابهة فـي الموضـوع النـووي، وتحديـدًا عندمـا بـرزت إيـران كقـوة لهـا دور فـي اسـتقرار المنطقـة وأمنها.

أذكـر أنّنـا كتبنا مشـروعًا حول الاسـتقرار والأمن في الخليج الفارسـي فـي العـام 1987م، كرسـالة للأميـن العام للأمـم المتحدة، وهـو ما أصبح أساسًـا للمادة 8 مـن القرار 598.

بعـد اعتداء العراق علـى الكويت، اجتمع وزراء خارجية دول مجلس التعـاون الخليجـي مـع إيـران فـي مقـرّ البعثـة الإيرانيـة فـي نيويـورك. وفـي العـام التالـي، اجتمعنـا فـي مقـرّ إقامة السـيد سـعود الفيصل في نيويـورك مـع وزراء خارجيـة دول مجلـس التعـاون الخليجـي. فـي هـذا الصـدد، أعددنـا إعلانًـا حول بـدء نظام أمنـي وتعاون جديد فـي الخليج الفارسـي. فـي العاميـن الثاني والثالث لحكومة السـيد هاشـمي، أي في العـام 1992م، عُـرض موضـوع الجُـزر بشـكل مفاجئ. وقـد تعطّل النص الـذي اتفـق عليـه الجميع فـي الاجتماع بسـبب وزير خارجيـة الإمارات، ذلـك أنـه حـوّل المجلس إلى جلسـة غيـر لائقة.

كنـت أرى أنـه يتوجـب علينا إصـلاح علاقاتنا مع العالـم بعد الحرب، وتلـك كانـت سياسـة السـيد هاشـمي أيضًـا. فـي عهـد حكومـة السـيد هاشـمي، كانـت الاتجاهـات متعـددة، فكان ثمـة اتجاه حـاد، وآخر أقل حـدة، وآخـر معتـدل. فـي مجـال السياسـة الخارجيـة فـي تلـك الأيـام،

كانت الأمور مغايرة تمامًا [عهد السيد أحمدي نجاد]، أي أنّ التيار المحافظ كان معتدلًا أكثر من التيار اليساري الأكثر حدةً. ورغم أنّني لم أكن أبدًا ضمن التيار المحافظ، فقد كانت علاقة شخصيات من التيار الإصلاحي معي ومع أمثالي سيئة، نظرًا إلى مواقفي المعتدلة. والأكثر غرابةً أنَّه، حتى في عهد السيد خاتمي، حين اتّخذ الأصدقاء في التيار اليساري مواقف أكثر اعتدالًا في السياسة الخارجية، لم تتغيّر علاقتهم بشخصيات مثلي. في عهد السيد هاشمي، كان الأصدقاء المنتمون إلى الخط الفكري للسيد خاتمي مخالفين لسياستنا المعتدلة، وعندما انضموا إلى الحكومة تحت راية السيد خاتمي الإصلاحي، قبلوا بسياسته.

في عهد السيد هاشمي، كنا نرتجف عند ذكر صحيفة «سلام». في إحدى المرّات، كتبت هذه الصحيفة رسالة لوزير الخارجية، مفادها أنّ «ظريف» تحدث عن أمريكا [بطريقة إيجابية]، وعلى وزارة الخارجية أن تبيّن موقفها منه، وإلا ستنشر [الصحيفة] فضيحةً في اليوم التالي.

ما الذي كانوا يريدونه؟

كانوا يريدون مناهضة أمريكا. إنّ أغلب المتطرفين منذ وكر التجسّس وقضية مكة وقطع العلاقات مع مصر، كانوا ضمن التيار الإصلاحي. مازحت السيد خاتمي بجدٍّ في أحد الأيام قائلًا له: «خالفنا أصدقاؤك يومًا لأنّنا كنّا نتحدث باعتدال، ورغم أنهم يتحدثون اليوم بحديثنا نفسه، فلا يزالون مخالفين لنا». كمثال على ذلك، ما حصل

في الدورة الثانية للسيد خاتمي، إذ كان أحد شروط المتطرفين الإصلاحيين في المجلس السادس لمنح الثقة للدكتور خرازي، هو عزلي من منصب المعاون في وزارة الخارجية.

على أي حال، كنّا نظنّ أنّ الاتجاهات ستتلاقى بمجيء خاتمي واتجاهه المعتدل في السياسة الخارجية. ولكن مع الأسف، تدخّلت خلافات السياسة الداخلية، حيث تحوّل المعتدلون في السياسة الخارجية من التيار المحافظ إلى متطرفين، وهو ما تسبّب في استمرار الجدال مع تبدّل مواقع اللاعبين فقط، وقد صمت السيد هاشمي إزاء هذه الأحداث.

في بداية عهد حكومة السيد خاتمي، سعى البعض، بغير رضاه، إلى إلغاء السيد هاشمي. أصبح المذكور الشخص الثلاثين في مجلس الشورى، وتعرّض لإهانات كثيرة حتى فضّل العزلة. لهذا، تموضع المعتقدون بالاعتدال في الجبهة المقابلة، كما قامت بعض الشخصيات، مثل السيد ناطق نوري، المؤمن بالاعتدال والعلاقات المنطقية، بالتطرف أو اختارت العزلة. لا أقصد أنّ جميع هذه الأحداث حصلت بسبب التسييس. كان التيار الإصلاحي عاطلًا عن العمل، ثمّ تخصص أتباعه وزادت معلوماتهم وبصيرتهم السياسية.

في الواقع، لم تكن الكوادر قد تخصَّصت في مجال السياسة الخارجية في بداية الثورة، وقد كان هذا التطرّف نتيجة الأفكار والفهم غير التخصصي، فيمكنك أن تكون ضد الإمبريالية، وأن تتمتع بالعقلانية والمنطق في الوقت نفسه. لم أكن يومًا في صف الإمبريالية، ولكنني

لـم أتطرّف. فـي الحقيقة، لمناهضة الإمبريالية أسـلوب خاص، وأسـلوب مناهضـة نظـام الهيمنـة لا يقـوم علـى تقوية أسسـه بسـلوكك وأعمالك. إن كنـت تريـد مناهضـة نظـام الهيمنة، فعليك طعـن قواعده.

مـن المؤكّـد أنّـك لا تعتقـد بقدرتنـا علـى مجابهـة أمريكا عسـكريًّا. إذًا، لمـاذا تتّبـع هذا الأسـلوب؟

عندمـا تتّبعـه، فإنـك تقوم بتعزيز أسـس نظـام الهيمنة. ومـا يمنحك القـدرة علـى الصمـود في مقابـل نظام الهيمنـة، ليس قوتك العسـكرية، بـل إنّـك تحتـاج إلـى أمـور أخـرى، مثـل العقلانيـة والمنطـق والعلـم، لا روح الحرب.

كيـف تصـف المشـتركات والاختلافـات فـي السياسـة الخارجيـة الإيرانيـة بيـن عهـدي حكـم السـادة خاتمـي وهاشـمي؟

مـن ناحيـة خارجيـة، وبعـد ولاية خاتمـي، انتبهت جميع الـدول إلى أنّ الديمقراطيـة تحكـم إيـران، نظرًا إلى خطاب السـيد خاتمي وأحداث الانتخابـات، ذلـك أنّ السـيد «ناطـق نـوري»، المرشـح ممثـلًا عـن التيار الحاكـم، بـل مرشـح النظـام، لـم يفـز. لهـذا، تشـكّلت فـي العالـم قناعة جديـدة تُعـدّ ثـروة للبـلاد. فـي الحقيقـة، لـم يكـن السـيد خاتمـي قائد التيـار الإصلاحـي. كان قـادة هـذا التيار شـخصيات مثل السـيد موسـوي خوئينيهـا، وفي السياسـة الخارجية، كان هناك السـيد بهـزاد نبوي، وكان هـؤلاء يحملـون رؤى متطرفة. كان السـيد خاتمي من الوجـوه المعتدلة فـي التيـار الإصلاحـي، وقـد اضطـر الباقـون إلـى الانسـجام مع رئيسـهم الجديد.

ثمة أمر آخر حول الاختلاف بين السيد هاشمي والسيد خاتمي، فقد انتُخِب السيد خاتمي في يونيو/حزيران [1997]، وتولى الحكم في أغسطس/آب، كما أقيم اجتماع قادة منظمة المؤتمر الإسلامي في نوفمبر/تشرين الثاني، أي أنّه استقبل قادة الدول الإسلامية بعد شهرين من توليه الحكم. من الطبيعي، أنّه لم يكن بالإمكان توفير كل المشاركة في الاجتماع خلال شهرين. وما تجدر الإشارة إليه، هو أنّ المجموعة المكلّفة بالتنسيق للاجتماع في عهد السيد هاشمي هي التي عملت دون غيرها. بالطبع، كانت ثمة ضغوط ومخالفات، من بينها عدم تقدير أي منهم، رغم أن كل من دخل هذا العمل في ولاية السيد خاتمي تمّ منحه الجوائز والأوسمة.

كنت والسيد صادق خرازي نحمل على عاتقنا الحمل الأثقل، ولكننا لم نحظَ بأي تقدير منذ ولاية السيد هاشمي وحتى ولاية السيد خاتمي. وقد واجه اقتراح منحنا وسام الكفاءة مخالفة لجنة الحكومة من قِبَل أكثر الوزراء. أحبّ السيد خاتمي كثيرًا، وأؤمن به، ولكن لا يجب نسيان الوقائع. كنت والسيد صادق خرازي من أقرب الناس إليه، وقد عملنا ليلًا نهارًا طيلة ثمانية أشهر، لأنّ أرض مقر الاجتماع حُفرت في أبريل/نيسان [1996]، وتمّ بناؤه وتجهيزه كاملًا في نوفمبر/تشرين الثاني. هذه الأمور كلها قام بها السيد صادق، كما أننا استضفنا 29 رئيس دولة على أفضل وجه، ولم نحصل على أيّ تقدير.

ما هي مسؤوليتك في الاجتماع؟

كنت المسؤول السياسي لاجتماع الرؤساء في طهران، وكانت جميع الأعمال السياسية ملقاة على عاتقي. كما كنت رئيس اجتماع الخبراء، ورئيس اللجنة السياسية، والمتحدّث في الاجتماع.

وما هي مسؤولية السيد خرازي؟

كان الدكتور كمال خرازي رئيس اجتماع الوزراء، وكان السيد صادق خرازي رئيس طاقم تنظيم الاجتماع، أي جميع الأعمال المتعلقة بالاجتماع، مثل البناء، تهيئة الفنادق، وكل إقامة الاجتماع. في ولاية السيد هاشمي، تمكنّا من كسب موافقة المؤتمر الإسلامي لاستضافة الرؤساء، وحافظنا عليه بالكثير من الجهد. من الجيّد أن يُذكر ما حدث بهذا الخصوص، وكيف كانوا يريدون تولي الاستضافة دوننا.

في البداية، سعت السعودية ومصر، ثمّ السيدة بي نظير بوتو، بحجة الذكرى الخمسين لاستقلال باكستان، إلى إقامة اجتماع خاص في إسلام آباد، وبذلوا كل جهدهم لإلغاء الاجتماع في طهران، ولكنهم لم يوفّقوا. في الحقيقة، هذا الحدث هو أحد الأمور العظيمة التي حدثت في ولاية السيد هاشمي، واستفاد منها السيد خاتمي. في اجتماع القادة في باكستان، التقى السيد هاشمي الأمير عبدالله، ولي عهد السعودية آنذاك. كان هذا اللقاء أرضية لصداقة طويلة بينهما. وقد أثّرت هذه الصداقة جدًا في إقامة الاجتماع الناجح في طهران. ما أريد قوله هو أنّ سياسة الانفراج كانت استمرارًا لقرار اتّخذه السيد هاشمي، واستمرّ السيد خاتمي به برؤية وحوار جديدين.

إذًا، هـل تـرى أن إقامـة اجتمـاع قـادة الدول الإسـلامية فـي طهران كان بدايـة سياسـة الانفراج؟

كانـت إقامـة اجتمـاع القـادة بدايـة قويَّـة. يُعـدّ هـذا الاجتمـاع أحد أهـم اجتماعـات قـادة منظمـة المؤتمـر الإسـلامي، إذ حضره رؤسـاء 29 دولـة. كان مـن الممكـن أن يقـام بشـكل أفضـل، ولكـن لـم يكـن أحـد يتصـوّر أن تحضـر كلّ هـذه الـدول الاجتمـاع. حضـره علـى الأقل رؤسـاء 29 دولـة، ووزراء خارجيـة أكثـر مـن خمسـين دولـةً عضـوًا فـي منظمة المؤتمـر الإسـلامي. كان هـذا الرقـم مثيـرًا للإعجاب. وقد شـاركت الدول الإسـلامية فـي الاجتمـاع بقلـق، ذلـك أنّها كانـت تفكر في أنّنا سنسـتغلّ حضورها.

لتفهـمَ السياسـة الخارجيـة، تصـوَّر كمثـال أنّـك تريـد بيـع سـيارة بـأيّ طريقـة ممكنـة، وأنّـك سـتقوم بـأيّ عمـل لذلـك، مـن دون إيلاء الأخـلاق أهميّـة، بـل إنـك سـتلجأ إلـى الاحتيـال للحصول علـى المال. إن كنـت صاحـب معـرض سـيارات، وكـرَّرت هـذا العمـل، فلـن يعـود الزبـون للشـراء مـن معرضك. مع الأسـف، ينظـر البعض إلى السياسـة الخارجيـة كمـا لـو أنهـا عمليـة بيـع سـيارة مسـتخدمة، ويريـدون الاسـتفادة منهـا بشـكل قصيـر الأمـد.

إنّ الصّـورة التـي يرسـمها هذا السّـلوك في أذهان السّاسـة الدوليين، هـي نفسـها صـورة البائـع الَّذي يريـد بيـع السّـيارة بالنّصـب والاحتيال. لهـذا، لـن تسـمح بقيّـة الـدول باسـتمرار هـذا السّـلوك. إن كان سـلوكك ومعاييـرك سـلبيين، فلـن تُعـرف فـي المجتمـع الدولي كسياسـيّ جادّ.

أشار قادة الدول بعد الاجتماع الناجح في الصحف واللقاءات، إلى أنّهم لم يكونوا يتصورون إقامة اجتماع ديمقراطي بهذا الشكل. لعلّهم كانوا يظنّون أنّنا سنملي عليهم عقائدنا ورؤيتنا.

هل احتفظت بمنصبك السّابق في تلك السنين؟

نعم، كنت المعاون الوحيد في وزارة الخارجية الذي احتفظ بمنصبه في عهد السيد هاشمي، وفي عهد السيد خاتمي. كنت معاونًا لخمس سنوات. وفي السنوات الثلاث الأخيرة، كنت مندوبًا لدى الأمم المتحدة.

قبل أن ننسى موضوع الانفراج، من الأفضل أن نعود إلى شرح المعايير بهذا الخصوص في مجال علاقة إيران بجيرانها، ثمّ تعاملها مع العالم. هل أثّرت سياسة الانفراج في ارتقاء موقع إيران، وساعدت في حصولها على الأهداف الوطنيّة؟

إنّ تعريف السّياسة الخارجية مبنيّ على متابعة المصالح الوطنيّة، والدبلوماسية تريد تحقيق هذه المصالح بأقل التكاليف، أي الحصول على أكبر قدر ممكن من الأهداف بأقل قدر من التكاليف، ولكننا لن نحصل على شيء من دون حسابات. بالطبع، قد تنفق بهدف الحصول على مصالح أعلى على المدى الطويل.

إنَّ الكثير من السّياسات المثلى للجمهوريّة الإسلاميّة، ليس هدفها الحصول على مصالح مادية فحسب، بل الدفاع عن القيم المثلى أيضًا. كذلك، فإن أخذ موضوع المحاسبة بعين الاعتبار، يقلّل من التكاليف. وما جعل لإيران قدرة بارزة ومؤثرة في الشّرق الأوسط،

هـو أنّهـا تحملـت التكاليف فـي إحدى الفتـرات، لدعـم معارضي صدام والمجاهديـن الأفغـان إبـان الحـرب ضـد الـروس، وكذلـك مـا تحملتـه مـن أجـل حـزب اللـه وحمـاس. أصبحـت هـذه التكاليـف اليـوم جـزءًا مـن رصيدنـا فـي المنطقـة. لهـذا، لا يعنـي تقليـل التكاليف عـن طريق الدبلوماسـية عـدم الإنفـاق. فـي الحقيقـة، يجـب أن تكـون التكاليـف مدروسـة فـي برنامـج اسـتراتيجي.

إنّ سياسـة الانفـراج لا تعنـي التخلّـي عـن القيـم، ولهـذه السياسـة مقدّمـة مـن الضـروري فهمهـا جيـدًا. تقـول هـذه المقدّمـة إنّ بعـض المجموعـات فـي العالـم بحاجـة إلـى عـدوّ لتسـتمرّ في العيـش، وهذه المجموعـات هـي أكثـر المجموعـات الاسـتعماريّة تطرفًـا. بعبـارة أخـرى، إن الاسـتعمار والهيمنـة بحاجـة دائمـة إلـى تبريـر أعمالهما غير الإنسـانية، والادّعـاء أنّهمـا بحاجـة إلـى هـذه الأسـاليب لمواجهـة عـدوّ حقيقـيّ أو وهمـيّ.

يمكـن أن يكـون هـذا العـدوّ هـو التخلّـف، أي أن يتـم احتـلال بلـدٍ بحجّـة الإعمـار. في فتـرة ما، شـاعت عبارة مسـؤوليّة «الرجـل الأبيض»، الـذي يحمـل علـى عاتقه مسـؤولية صناعـة المدنيـة، أي أنّ العالم يضمّ قومًـا متخلفيـن، ومـن حـقّ الرجـل الأبيض الاسـتثمار لمنحهـم المدنية.

فيمـا بعـد، أصبـح هـذا العـدو هـو الشـيوعية، أي أنّ الهيمنـة تـرى ضرورة التصدي للشـيوعية، وتبرر أي سياسـة للتصدي لهذا العدو، وترى معيـار الحـق والباطـل فـي مسـتوى القـرب والبعـد منـه. فـي الحقيقة، يعـدّ البلـد القريـب مـن هـذا العـدو عـدوًا، فيمـا يبقـى البلـد البعيـد

عنه، حتى ولو كان يمارس القمع والاستبداد، مقبولًا، مثل حكومة محمد رضا شاه أو النظام السعودي. كمثالٍ، انظر لماذا يتحملون هذه العلاقات؟ لماذا تدعم الولايات المتحدة الأمريكية التي تدّعي الديمقراطية حكومة البحرين التي تقمع شعبها بهذه الطريقة؟

عندما كان الاتحاد السّوفياتي يتّجه نحو الانهيار، كان القلق يعمّ أوساط نظام الهيمنة، لأنّ نظامهم لا يمكن له الاستمرار من دون عدوّ. من الدول الأخرى التي لا يمكن لها البقاء من دون عدو «إسرائيل»، فالنظام الصهيوني بحاجة إلى عدوّ كي يستمر في الحياة، وكان هذا العدوّ هو الاتحاد السوفياتي.

من الطريف أنّ أكثر الأنظمة الحاكمة قمعًا هي التي تبرر شرعيّة وجودها بعدوّ، مثل نظام الفصل العنصري في أفريقيا الجنوبيّة. إنّ آداب نظام الفصل العنصري تقوم على التبرير، فقد كان أنصاره يقولون إنّهم حاجز لمنع دخول الشيوعية إلى أفريقيا، كما كان لديهم كتاب لتبرير الفصل العنصري، اسمه «الدببة على البوابة»، ويقصد أنّ الدببة ـ أي الروس والشيوعيين ـ سيأتون لاحتلال أفريقيا، إذا فُقِد النظام.

إنّ حاجة إسرائيل إلى تبرير وجودها عن طريق عدو خارجي هي حاجة مضاعفة، لحفظ الانسجام الداخلي، أي أنّ الخلافات الداخلية لقوى النظام الصهيوني كثيرة، إلى درجة أنّ عليها صناعة عدو في اليوم الذي تفقد فيه عدوها. هذا الكلام ليس كلامي، بل هو حديث وزير الحرب والخارجية السابق لإسرائيل آبا إيبان، أحد

منظّـري الصهيونيـة، إذ يقـول: «لـو لم يكن لـ«إسـرائيل» عـدو، ولم يبدأ العـرب بعـض هـذه الحـروب، لبدأنـا بهـا نحن، لأنّنـا بحاجة إلـى ذلك». طبّقـت «إسـرائيل» هـذه الفكـرة علـى إيران عنـد انتهاء مؤتمـر مدريد، بعـد أن أرادت التصالـح مـع العـرب، إذ قامـت بنقل العـداء لإيران وفق حسـابات مدروسـة، لئـلّا تفقد العـدوّ. لهذا، فإنّ أكثر الشـخصيات تطرفًا ضـد إيـران، مثـل شـمعون بيريـز، هـو أكثرهم سـلمًا مـع العرب.

منـذ الخمسـينيات، حيـن بـدأت الحـرب البـاردة، وحتـى نهايـة الثمانينيـات، كان العـدو العالمـي هـو الاتحـاد السـوفياتي والشـيوعية. ومنـذ أواخـر الثمانينيـات، ومـع أفـول نجـم الاتحـاد السـوفياتي، قامت مجموعـة بالتنظيـر لإبـراز عـدو جديـد، وكان هـذا العـدو هـو الإسـلام الثـوري أو الإسـلام السياسـي. في أمريـكا، كان هناك نقـاش حول تحويل المصيبـة الحمـراء إلـى مصيبـة خضـراء، أي تحويـل العـدو الشـيوعي إلـى العـدو الإسـلامي. لـو لاحظـت آداب أكثـر الوجـوه الغربيـة تطرفًـا، للاحظـت مصطلحـات مثـل «الفاشـية الإسـلامية»، والـذي بـدأ مـن هذا المنطلـق.

انتبهـت الجمهوريـة الإسـلامية إلـى هـذه الحقائق في عهدي السـيد هاشـمي والسـيد خاتمـي. لهـذا، أصبحت سياسـتنا عـدم السـماح لنظام الهيمنـة بـأن يصـل إلـى هـذا الهـدف. أحيانًـا، تُصَـوّر سياسـة الانفـراج كسياسـة سـلبية بمعنـى الاستسـلام، ولكنّها ليسـت كذلك. فـي الحقيقة، إن الانفـراج وقايـة مـن اتخـاذ نظـام الهيمنـة ذريعـة للبقـاء، وكما قلت سـابقًا، ثمـة دول لا يمكنهـا البقـاء دون عـدو.

في التسعينيات، وبعد انهيار الاتحاد السوفياتي، برزت هذه القضية في مشروع صدام الحضارات، أي التخطيط لصدام الحضارات وإنتاج نظرية عدو جديد، إلى جانب التخطيط لنهاية التاريخ. في الحقيقة، لو نظرت إلى هذه الآراء، للاحظت أنّ الأسس النظرية لعدوّ جديد تؤيّد الحاجة إلى عدوّ لدى النظام المحتاج.

في تلك الظروف، كنّا نريد منع ترسيخ هذه النظرة. بدأت سياسة الانفراج في عهد السيد هاشمي، واستمرّت حتى عهد السيد خاتمي. ويرى البعض سياسة الانفراج في الابتعاد عن أضرار الدول القوية، وعدم التورط في أمورها، وهي لا تعدّ نظرة غير عقلانية، ولكنّ الأساس الفكري لسياسة الانفراج في عهد السيد خاتمي، بدأ بمشروع حوار الحضارات. في الحقيقة، كان حوار الحضارات هو التشخيص الصحيح والترياق الناجع لسياسة نظام الهيمنة، لأنّهم كانوا يسعون إلى صدام الحضارات، ولكنّ حوار الحضارات شكّك في الأساس النظري لمشروعهم.

لو أردتَ متابعة هذا الموضوع بتوسّع، فقد ناقشنا ـ مجموعة الشخصيات البارزة باختيار الأمين العام للأمم المتحدة ـ هذه النظريات في كتابنا «العبور من الفجوة: حوار الحضارات». إنّ الأساس النظري لسياسة الانفراج هو منع استغلال بعض الأنظمة لعلاقاتها مع الجيران والآخرين، لجعلنا في مصاف الأعداء.

في الحقيقة، أنت تعتقد أنّ فكرة حوار الحضارات أداة تنفيذية مناسبة لمبدأ الانفراج؟

نعم، إنَّ نظام الهيمنة بحاجة إلى نظرية صراع الحضارات ليبقى حيًا، فهي أداة في يده، ولكنَّ حوار الحضارات أداة نظرية للوقاية من ذلك.

ألم يكن المشروع ناتجًا من حاجة الجمهورية الإسلامية الإيرانية الاستراتيجية على المستوى العالمي، إلى الهروب من المضايقات؟

كانت حاجةً لكل العالم، وليس للجمهورية الإسلامية فقط، أي أنّ ما طرحته إيران بصفتها رئيسًا للمؤتمر الإسلامي، هو أنّهم يريدون صناعة عدو وتعريفه كنموذج، وعلى العالم الإسلامي أن يكون السَّباق للوقاية من ذلك، لأنّهم يريدون قولبة العدو الجديد في لباس الإسلام والمسلمين. وقد كانت الحاجة للتصدّي النظري حاجة عالمية، وقُبلت سريعًا. ورغم أنّ الأمريكيين كانوا معارضين للموضوع، فإنهم رافقوا المشروع منعًا للعزلة. ولهذا، فبمجرد تقاعسنا عن العمل، وجدوا الفرصة سانحة لتحويل مشروع حوار الحضارات إلى ائتلاف الحضارات. في الحقيقة، وجّهوا المشروع مجددًا إلى هذا الأساس: لديكم عدو، وعليكم الائتلاف ضدّه.

إنّ الكلمة المفتاح في مشروع «حوار الحضارات» هي «الحوار»، ولكلمة «الحضارات» معنى ثانوي. لو انتبهتَ، ستلاحظ أنّ الحضارة في ذاتها أمر جيد، ولكن صدام الحضارات يحمل في طياته جانبًا

مـن الحضـارة. لهـذا، كانت مشـكلتنا مـع الموافقين لحـوار الحضارات والمخالفيـن لـه، هـو أنّهـم لـم يفهمـوا بعـد قيمتـه من حيـث صناعة الأعراف.

حقّـق السـيد خاتمـي الاسـتفادة القصـوى مـن الحاجـة العالميّـة والثـروة الوطنيّـة ـ أي الانتخابـات ـ وكذلك الثروة الإقليمية ـ أي رئاسـتنا للمؤتمر الإسـلامي ـ في الوقت والمكان الصحيحين، وتمكّن من ترسـيخ مشـروع حـوار الحضـارات. وقد أسـمت الجمعية العامة للأمـم المتّحدة العـام 2001م، عـام حـوار الحضـارات، ولكـنَّ هـذه الثمـار فسـدت كلّها بسـبب السّياسـات الخاطئة.

بحسـب الشـرح الـذي قدّمتـه حـول مشـروع حـوار الحضـارات، والـذي يسـتند إلـى سياسـة الانفـراج، لمـاذا لـم يُسـتقبل هـذا المشـروع داخليًّا بشـكل جـاد؟ كمـا أنَّـه اسـتقبل بشـكل متواضـع علـى المسـتوى الخارجـي ـ والـذي اقتـرن بهجمـات 11 سـبتمبر/ أيلـول ـ وبهـذا خابـت جميـع الحسـابات المأمولـة لأثـره؟ بشـكل عـام، لِـم لَـم ينجـح المشـروع؟

لـو قبلنـا بوجـود فئـة متطرفة فـي الخـارج تحتاج إلى عـدو ليحفظ نظـام الهيمنـة، فمـن الطبيعـي أن نتوقّـع أن يبذلـوا قصـارى جهدهـم للحيلولـة دون رواج عُـرف جديـد. مـن أهم أسـباب عدم نجاح مشـروع حـوار الحضـارات، هـو تواجـد مخالفيـن أساسـيين لـه. ورغـم أنّ هـؤلاء المخالفيـن انضمـوا إلى حمـاة قرار حوار الحضـارات ـ ويعلم المطّلعون علـى قواعـد الدبلوماسـية المتعـددة الأبعـاد فقـط أسـباب ذلـك جيـدًا ـ فإنهـم لـم يوفـروا جهـدًا فـي تخريـب المشـروع. كمثـال علـى ذلـك،

سعت أمريكا إلى منع تداول هذا الموضوع في الجمعيّة العامة. كما أنّ ثمة مجموعة، مثل المحافظين الجدد في الولايات المتحدة الأمريكية، كانت تريد الصدام.

بعد أحداث الحادي عشر من سبتمبر/أيلول، يمكن تصور خيارين متناقضين. بعد أسبوعين من 11 سبتمبر/أيلول، قلتُ في الاجتماع الاستثنائي للجمعية العامة، بصفتي نائبًا عن إيران حول الإرهاب: «إن الثناء على السلطة هو الوجه الثاني للإرهاب، أي أنك لو أوجبت للسلطة حقًا، لا تتوقع من المظلوم الذي لا يملك هذه السلطة أن لا يستخدم أساليب أخرى». يقول السيد خاتمي أيضًا: «طالبان وبوش وجهان لعملة واحدة. هذه الكلمة ليست شعارًا، بل رؤية». وفي هذا السياق، لا أعتقد أنّ طالبان وبوش وجهان لعملة واحدة، بل هما الوجه ذاته.

إنّ الرؤية الأولى هي دفع العالم إلى الحرب على الإرهاب. لدينا هنا ثلاث كلمات هي «حرب»، «على»، «الإرهاب». لو قمنا بتحليل هذه الكلمات، لوجدنا أنّ الحرب تعني الدولة الأقوى التي تمتلك القدرات العسكرية. ولحفظ منصب القوة، عليها إيجاد عدو، ويعدّ الإرهاب هو العدوّ البديل للشّيوعيّة.

أما الرؤية الثانية، فتقول إنه بالإمكان الاستفادة بشكل آخر من أحداث الحادي عشر من سبتمبر/أيلول. كان بإمكانهم القول إنّ تحقيق أمن العالم بثمن سلب أمن الآخرين، هو أمرٌ مستحيل حتى بالنسبة إلى أمريكا التي كانت تستشعر الأمان آنذاك.

إنّ الصورة الأبرز التي ثبتتها أحداث الحادي عشر من سبتمبر/ أيلول، هي أنّ الولايات المتحدة الأمريكية، والتي تُعدّ قوتها العسكرية مماثلة لقوة العالم أجمع، لا تزال تعاني الضعف. وبما أنّ منطق صفر أو واحد غير موجود في هذا العالم، فلا يمكن الاحتكام إلى فكرة: «كن غير آمن لأتمتع بالأمن». لو توفر لأمريكا هذا الأمر لقامت به، ولكنها لم تكن قادرة عليه.

في المحصلة، لو كان مشروع حوار الحضارات نشطًا، لاستفادت الولايات المتحدة الأمريكية منه بهذا الشكل، ولكنها كانت من آخر الموافقين على بيان حوار الحضارات، من خلال الأدلة التي وجدت عدة مرات في مجال الدبلوماسية المتعددة الأبعاد. لقد وافقت 108 دول على البيان، منها دول نامية ودول أوروبية وأمريكية.

انضمّ الأوروبيون إلى حماة المشروع لتقليل ضرره، كما يرون. نحن أيضًا كنّا بحاجة إلى ائتلاف شامل لتدشين مفهوم في العلاقات الدولية، إذ إن التآلف ضرورة، ذلك أنه يجب تجنّب الفرعيات وتكريس الأساسيات.

إنّ المفهوم الأساس الَّذي كنت أسعى إلى تكريسه في بيان حوار الحضارات ـ والذي كنتُ كاتبه والمفاوض عنه ـ هو التخلّص من الإلغاء في العالم، ليحلّ التعارف محلّها. لم يكن هذا الأمر مجرد ضرورة عالمية، بل كان واجبًا لحفظ المصالح القومية، لأننا كنا أول مرشح للإلغاء من العالم. في الحقيقة، كنت أنظر إلى المصالح الوطنية في هذا المشروع.

وقد ضغطت الولايات المتحدة الأمريكية ـ والتي أصبحت من حماة المشروع ـ على الأمم المتحدة لمنع تخصيص يومين لحوار الحضارات، كما كان مقررًا، لأنّ حوار الحضارات مناهض للحرب على الإرهاب. ليس غريبًا أن تقوم أمريكا (حكومة بوش) بهذا الأمر، لكن من العجيب أنّنا لم ندرك قيمة الثروة التي كانت بين أيدينا. ومع الأسف، هجمنا لاحقًا على بضاعتنا الثقافية القيّمة.

بما أنَّك سألت عن أدلة فشل المشروع، فإنّ أوّل الأدلّة الواضحة هو أنّ الولايات المتحدة الأمريكية خفّضت مدة مشروع حوار الحضارات في الجمعية العامة من يومين إلى نصف يوم فقط، حتى إن جميع الشخصيات البارزة لم تتمكّن من الخطابة فيه. كان رئيس الاجتماع كوريًّا، وقد أصبح مساعده أمينًا عامًّا للأمم المتحدة، وحصل على المنصب لحسن أدائه آنذاك. لم يستطع الأمريكيون حذف المشروع، لأنّه كان موجودًا ضمن البرنامج. ومن ناحية أخرى، لم نبدِ مقاومة جادة، كما أنّ الموضوع لم يكن مفهومًا لكل الدول، وتوفرت رؤى مخالفة له.

إنّ المتطرفين متّحدون في جميع العالم (من دون علمٍ منهم)، ليس في الظاهر والأسلوب (والذي قد يكون متضاربًا بالطبع)، بل في الهدف. كمثال، لا أتّفق مع من يعتقد بأنّ أحداث الحادي عشر من سبتمبر/أيلول من عمل الولايات المتحدة، ويظنون أنّ أمريكا جنت ثمار الأحداث، وبالتالي فهي الفاعلة. أعتقد أنّه ليس من الضروري لمن يقطف الثمار أن يكون الفاعل، بل إن المنفعة

والثمار مشتركة بين المتطرفين؛ منافع السيد ابن لادن والسيد بوش في الصدام.

لهذا، ليس من المستبعد أن يقوم السيد ابن لادن بعمل، ويكون بوش هو المستفيد الأول منه. لم تكن منافع السيد ابن لادن قليلة، فقد تحول تنظيمه من مجموعة مجهولة إلى قوة عالمية غير متكافئة. قد يكون السيد بوش على علم مسبق بذلك، لكنه لم يتصدَّ له لأسبابٍ ما. لهذا، فإن جميع المتطرفين مخالفون لمشروع حوار الحضارات، سواء كانوا في الظاهر ثوريين أو متطرفين من نظام الهيمنة العسكرية.

في عهد السيد خاتمي، الذي امتد لثماني سنوات، حدثت أمور كثيرة أعرضها بشكل مختصر. تغيّر نموذج العلاقات للسّياسة الخارجيّة الإيرانيّة في المنطقة مع الجيران، وأدّى الانفراج إلى نظرة إيجابيّة إلى العلاقة مع العرب، وتغيَّرت علاقاتنا مع دول آسيا المركزية والقوقاز، وانتقلنا إلى مستويات علاقة أخرى مع الصين وروسيا. كان حوار إيران والاتحاد الاوروبي منظمًا وممنهجًا، رغم الانتقاد الذي وُجِّه إليه. كانت تُسمع بين الفينة والأخرى همهمة حول تحسّن العلاقة مع الولايات المتحدة الأمريكية. كمثال على ذلك، في حادثة زلزال بم، كانت نتيجة المساعدات الإنسانية لضحايا الزلزال، الاستفادة من الحدث ضمن مشروع سمي بـ «دبلوماسية الزلزال». وهناك أمر شبيه به، هو دبلوماسية كرة الطاولة بين الصين والولايات المتحدة[1]

(1) دبلوماسية كرة الطاولة أو Ping-pong diplomacy: مجموعة حوارات سرية بين الصين والولايات المتحدة الأمريكية في بداية سبعينات القرن المنصرم. لم تكن ثمة علاقة سياسية بين البلدين =

في ستينيات القرن الماضي. لِم لَم تتمكّن سياسة الانفراج من إيجاد فرصة إيجابية في العلاقة مع الولايات المتحدة الأمريكية؟

إنّ الفكرة القائمة على سياسة الانفراج هي حفظ عزة الجمهورية الإسلامية والوقاية من أحادية أمريكا. لهذا، اتجهنا إلى السياسات التي تعزّز دور إيران، وتحدّ من قدرة الولايات المتحدة في العالم. إن أمريكا تنفرد بالقدرة في العالم، حين تكون الأداة هي القوة.

كذلك الأمر في الموضوع النووي. كمثال، أرى أنّ طرح الملف النووي في السياسة الدولية كان سببه رغبتهم في الحد من قدرة إيران، لأنّهم استشعروا أن سياسة صناعة الأعداء ستفشل. كما أنّ عمليّتي السيد بوش ـ أي الهجوم على العراق وأفغانستان وإضعافهما ـ تسبّبتا في تحول إيران إلى القوة الأساسية في المنطقة.

بالطبع، لم يكن ذلك بسبب سياسة السيد بوش فقط، بل لأنّنا أنفقنا الكثير طيلة عشرين سنة ونيف بعد الثورة، بناءً على سياسات مُثلى، ولكن بحسابات المصالح الوطنية، أي دعم الشعوب، وكذلك لأنّ أعداء إيران ـ أي صدام وطالبان ـ أُزيلوا، كما أنّ صورتنا الدوليّة تحسنّت، ولم يكن هذا الأمر مناسبًا لأمريكا.

نحن لا ننتبه إلى أهداف العدوّ، ونستخدم كلمة «عدوّ» كأداة فقط. إن كنّا ندّعي أنّ البعض يكنّون لنا العداء، فيجب علينا

= آنذاك، بل تمت المفاوضات السياسية على هامش مباريات كرة الطاولة. نتج من هذه المفاوضات سفر هنري كيسنجر، مستشار الأمن القومي لحكومة نيكسون، إلى الصين بشكل سريّ.

الانتباه إلى بعض المواضيع: لمَ ركّزوا على موضوع الهولوكوست إلى هذا الحد؟ ألأنّه كان مفيدًا لهم؟ لِم نقول إنّ «إسرائيل» قدّمت معلومات للمنافقين الذين استعملوها في حوارات ضدنا؟ كنّا نعلم أنّ أمريكا تعلم بقضية نطنز[1] منذ مدة طويلة، لمَ استفادوا منها الآن؟ لأنّه كان يجب تقييد إيران، وكانت ثمة حاجة لمنع سياسة الاعتدال والانفراج.

لا ترى أمريكا الآن ضرورة لتقييد إيران، لأنّها ليست خطرًا عليها. إنّ الخطر الّذي يتحدّثون عنه فيما يتعلّق بإيران في اتّجاه تقوية أدواتهم - أي تقوية حاجة العالم إلى حارس عسكري قادر على مواجهة أي تهديد عسكريّ - هو إحساس العالم بحاجته إلى القوة الأمريكية في حال وجود خطر نووي جديد يزداد شدة. لهذا، تتمكّن الولايات المتّحدة من إنتاج ملفّ إيران النوويّ. لم يكن هذا السّعي ليصل إلى هدفه في حكومة السيد خاتمي. كان عملنا في حكومته في الملفّ النّووي بالشكل الذي تحدثت السيدة رايس عنه في لقاء مع رويترز في مارس من العام 2005م، حين قالت: «تمكّن الإيرانيون من العمل بطريقة يرانا العالم من خلالها مذنبين»، أي أنّ القوة العظمى استشعرت الضّعف، وأحسّت بأنّها غير قادرة على الاستفادة

(1) الحديث هنا عن المفاعل النووي في نطنز، وهو أحد أهم منشآت إيران النووية. ونطنز هي مدينة في محافظة أصفهان وسط إيران تبعد حوالي 70 كم جنوب شرق مدينة كاشان. وتُعَد محطة نطنز لتخصيب الوقود أكبر منشأة طرد مركزي لتخصيب اليورانيوم في إيران. وهي تعمل منذ فبراير/شباط 2007، فيما تم اعتباره مخالفة لقرارات مجلس الأمن الدولي التي تطالب إيران بوقف تخصيب اليورانيوم. وتتكون المنشأة من ثلاثة مبان كبيرة تحت الأرض، قادرة على تشغيل ما يصل إلى 50 ألف جهاز طرد مركزي.

من قوتها، لأنّ العالم يراها مذنبة. بدأت سياسة إلقاء المسؤوليّة على إيران في الموضوع النووي في فترة السيد بوش. ومع الأسف، ترافق ذلك مع تغيّر الحكومة وتبدّل سياساتنا أيضًا.

نظرًا إلى التاريخ الأسود المليء بالتوتر في العلاقات الإيرانية الأمريكية، أو كما يقول البروفسور جيمز بيل، «ملحمة العلاقات الإيرانية الأمريكية»، وأخذًا بعين الاعتبار التدخّل المتكرر لهذا البلد في الشؤون الداخلية لبلدان العالم الثالث، ومنها إيران، يعتقد الكثيرون أنّ العلاقة مع أمريكا ليست من مصلحة إيران. أتساءل: هل ترى أنّ تجديد العلاقة مع الولايات المتحدة أمر ضروري؟

إنّ العلاقة مع الولايات المتحدة الأمريكية أو أيّ بلد آخر، هي أداة يجب الاستفادة منها في تحقيق المصالح الوطنية. بالطّبع، لا أرى «إسرائيل» كبلد ذي شرعية، ولهذا ليس له موضوعيّة فيما قلت. إنّ القاعدة هي تتبّع المصالح والأهداف الوطنية، كما أنّ العلاقة مع الأمريكيين، كما يقول الفقهاء، ليست واجبة، وفي الوقت نفسه، ليست حرامًا.

في العالم حاليًّا، ثمة لاعبان مهمان، مثل إيران وأمريكا، وهما متواصلان بشكلٍ ما بإرادة منهما أو من دون ذلك، مثلًا، في البوسنة في تسعينيات القرن الماضي، وفي أفغانستان والعراق بعد الحادي عشر من سبتمبر/أيلول، وسوريا، والملف النووي...

لعدّة أسباب، أعتقد أنّ علاقتنا المباشرة ستكون أقلّ ضررًا، لأنّ الوسطاء الدوليين أو الأشخاص، لا يتمتعون بالصدق، ولا يفهمون رؤيتنا

بشكل صحيح، ولا ينقلون الرسائل بشكل سليم. في كل الحالات، تنقل الرسائل قلق الوسيط وفهمه أو مصالحه، وليس مصالحنا أو قلقنا، أو مصالح الأمريكيين وقلقهم.

بالطبع، إنَّ العلاقة المباشرة مع أمريكا، بخلاف تصور الكثير من الناس، حتى بعض النخب، لن تكون حلًّا لمشاكلنا، لأنها عمل صعب وتخصّصي، وتحتاج إلى كثير من الاستعدادات الداخلية والعالمية. كما أنّ هذه العلاقة لن تعني علاقة صداقة. لا يوجد بلدان تجمعهما علاقة صداقة كاملة، وأعتقد أنّ علاقتنا مع الأمريكيين لن تكون يومًا علاقة صداقة. كما أننا نختلف مع الكثير من الدول التي تربطنا بها علاقة قائمة على الصداقة في ظاهرها، نختلف محقيقيّ وأساسي.

في الحقيقة، لا ترغب الدول، سواء تلك التي يصح إطلاق صفة الصديق أو العدو عليها، بالمعنى الرائج، في إقامة علاقات مع إيران، لأنّنا لو صدقنا بأنّنا قدمنا نموذج نظام حكومي جديد ـ في الجانب النظري على الأقل ـ وضمن جوهر نظام الجمهورية الإسلامية، فإنّ هذا النموذج جعل منا لاعبًا أكبر من مساحتنا الجيوسياسيّة.

بحثت في مقال[1] كتبته في السنة الأخيرة من سفري في نيويورك في مجلة جامعة كولومبيا، الأسس المعرفية للمواجهة الإيرانية الأمريكية. إن من أهم الأسباب التاريخية لأزمة الثقة والمواجهة بين أمريكا

(1) انظر:
Taching the Iran-US Crisis: Need for a paradigm shift, Columbia Unviversity Journal of International Affairs, Summer 2007.

وإيران، هي تراكم المواجهات غير المحلولة منذ الانقلاب العسكري «28 مرداد» [1953م] حتى وكر التجسّس، دعم الأمريكيين للعراق وصولًا إلى الملف النووي، الفهم الخاطئ لسلوك إيران، وخصوصًا في أمريكا، سوء الفهم الناتج من العلاقة غير المباشرة، والفهم الخاطئ لدى كلّ طرف لضعف الآخر عند الاستعداد للعلاقة وغيرها.

ولعلّ الأهم من كلّ ذلك، هو سوء الظن، انطلاقًا من النيات والأهداف القصيرة والمتوسطة المدى للطرفين، والتي منعت من تحسّن العلاقة أو التقليل من التوتر، حتى في فترات التعاون القصيرة. نظرًا إلى الأسباب المختلفة داخليًّا وخارجيًّا في إيران وأمريكا، والخارجة عن موضوع البحث، فإنّ النشاطات الإيجابية في بعض الفترات لم تفشل فقط في تحسين العلاقات، بل تسبّبت في المزيد التوتر، مثل السلوك الإيجابي لإيران في حرب الخليج الأولى، والمساعدة في تحرير المختطفين الأمريكيين في لبنان. وعوضًا عن تخفيف التوتر، أنتجتا سياسة احتواء مزدوجة لديهم. وكذلك، كان جواب بوش ردًا على دور إيران الأساسي في حلّ أزمة أفغانستان، وضعنا في محور الشر! هذه التبدلات السلبية في مقابل سلوكنا الإيجابي، تُسَبّب المزيد من عدم الثقة والخصومة.

لهذا، فإنّ علاقة إيران وأمريكا بحاجة إلى صيغة جديدة. ونظرًا إلى السلوك الأمريكي السابق، يجب أن تكون البداية تغييرًا أساسيًّا في النظرة الأمريكية. وللدخول في هذه المرحلة، على الطرفين تحديد المطالب والقلق والرؤى المتعلقة بالطرف الآخر.

هـذا الأمـر عمـل داخلي قبـل أن يكون علاقة ثنائيـة، أي أنّ على كل طـرف أن يرسـم فـي نظامـه الداخلـي ـ مثـل مجلـس الأمـن القومي في أمريـكا، أو المجلـس الأعلـى للأمن القومـي، أو مكتب السـيد القائد في إيـران، وغيرهـا ـ صـورة واضحة لنفسـه حول المشـاكل التـي يعانيها مع الطـرف الآخـر، وأن يجد حلـولًا لها.

بالطبـع، سـتضمّ الصّـورة مجـالات لـن يدخل فيهـا أيّ مـن الطرفين، أو بعبـارة أخـرى، سـيجري الاحتفـاظ بهـا كمجـال اختـلاف، أو كخصومة قليلـة التوتـر. بنـاءً علـى التجارب السـابقة، أعتقـد أنّ الأمريكييـن قاموا بهـذا الأمـر، كمـا قـام نيكسـون وكيسـنجر بذلـك فيمـا يخـص الصيـن، وعُـرف بـ «مذكرات نيكسـون»[1].

نحـن بحاجـة أيضًا إلـى القيام بأمر مشـابه. يجب علينـا أولًا أن نبيّن لأنفسـنا ثـم للجهـة الثانيـة (فـي حالـة العلاقـة المباشـرة)، الـدّور الذي نرتأيـه لهـم، والـدّور الـذي نرتأيـه لأنفسـنا على المـدى المتوسـط. هذا العمـل سـيؤدي إلـى أن تكـون المفاوضـات الجزئيـة قائمـة علـى نظـرة أعـمّ، وليـس علـى سـوء ظنّ نسـبةً إلـى أهـداف الجانبيْن.

كذلـك، نحن بحاجـة إلى تحديد دقيـق، وبالجزئيات، لنقـاط التوافق والاختـلاف، حتـى وإن كان ذلـك لفتـرة محـدودة، والمسـائل القابلـة للحـل، ومقابـل ذلـك بالحـد الأدنـى والحـد الأقصـى الواقعييـن، وكذلـك المسـائل غيـر القابلـة للحـل (أو التـي لا نريـد أن تُحـل)، دون إعـلام الجانـب الآخـر بها.

---

(1) انظر:

Nixon Yellow-pad Method.

أهـمّ مـا في الأمـر، هـو أنّ الإحصاء الدقيق لهـذه الأمـور، يوفّر علينا استنزاف نقـاط القـوة للمفاوضـات. فـي الولايـات المتحـدة الأمريكيـة، وفـي بعـض الـدول الغربية، يقومـون بالبحث وكتابة نصـوص حول طرق مفاوضـة اللاعبيـن الدولييـن. فمثـلًا، فـي الولايـات المتحـدة الأمريكيـة، تقـوم «المؤسسـة الدوليـة للسـلام»[1] بطباعـة كتـب ضخمـة حـول المفاوضـات مـع الـدول المختلفـة، مثـل إيـران وألمانيا وفرنسـا.

إنَّ محـاكاة المفاوضـات هـي من الطرق الأخرى التـي تُقام في غرف الفكـر نصـف الحكومية أو غيـر الحكوميـة فـي الـدول الغربيـة. ومـع الأسـف، ولأسـباب متعـدّدة، لم تنشـأ لدينـا هذه النشـاطات.

---

(1) انظر:
US Institue for peace (USIP).

أفغانستان

من الأحداث المهمة التي شهدها عهد حكومة السيد خاتمي، واقترنت بفترة مسؤولياتك، هي سقوط طالبان وتولي نظام جديد الحكم في البلاد. إن كنت موافقًا، أتمنّى التطرّق إلى اجتماع بن[1] وكيفيّة تولي النظام الجديد للحكم في أفغانستان. يبدو أنّ السيّد ربّاني لم يكن مستعدًا لترك منصبه كرئيس جمهورية بعد سقوط طالبان، وقبِل بالتنحي بضغوط من دول 2+6، بشرط تولي المجاهدين الطّاجيك رئاسة الجمهورية، ولكن البشتون رفضوا هذا الأمر بضغط من أمريكا وباكستان وعدم دعم إيران لهم. ما هي الحقيقة؟

بعد سقوط الاتحاد السوفياتي، رفض السيد رباني، الذي تولّى رئاسة الجمهورية، التنحّي من منصبه، وحدثت خلافات بين الأعضاء المجاهدين، الأمر الذي سبّب لنا قلقًا، ودفعنا إلى الطّلب من الأمم المتحدة التواجد في أفغانستان. مع الأسف، لم يقبل السيد بطرس غالي بذلك لأسباب خاصة به، ولم تتواجد الأمم المتحدة في ذلك البلد، وهو ما سبّب حربًا داخلية فيه، أدّت في النهاية إلى انتصار طالبان.

(1) اجتماع بن (2001م): مؤتمر أقيم في مدينة بُن الألمانية بعد العمليات العسكريّة التي أدّت إلى سقوط حكومة طالبان، وذلك لاختيار رئيس الحكومة الانتقالية في أفغانستان. تمّ اختيار السيّد حامد كرزاي كرئيس للحكومة الانتقاليّة، ومرة أخرى في العام 2004م كرئيس للجمهوريّة.

في هذه الظّروف، كان المجتمع العالميّ يعترف بدولة السيد رباني بشكل رسمي، وقد أنفقنا الكثير من الموارد في هذا الصّدد. للأسف، في المؤتمر الإسلامي، بحضور السعودية وباكستان وأصدقائها، أُخلِيَ كرسي أفغانستان، غير أننا لم نسمح لهم بتقديم الكرسي لطالبان. ولكن، في الأمم المتحدة، كان كرسي أفغانستان بيد مندوب السيد رباني، وكانت الجمهورية الإسلامية الدولة الوحيدة التي تعترف رسميًّا بدولة السيد رباني، المسماة «اتحاد الشمال». كانت إيران تؤمّن حماية السيد رباني وأحمد شاه مسعود[1]، علمًا أنهما لم يكونا في أفغانستان، بل كانا يتواجدان في طاجيكستان غالبًا، وكان العالم يعترف بهما كممثلين لحكومة أفغانستان. وقد استمرّ هذا الوضع حتى السنوات الأخيرة لحكومة طالبان.

قبل أحداث 11 سبتمبر/أيلول، انطلقت حركة باسم 2+6، شملت جيران أفغانستان [الستة]، أي إيران، باكستان، تركمانستان، أوزبكستان، طاجيكستان، والصين، إضافة إلى الولايات المتحدة الأمريكية وروسيا. لم تكن مجموعة 2+6 تقوم بنشاطات سياسية، لأنّ باكستان كانت تدعم طالبان. كما كان دور تركمانستان مؤثرًا أيضًا، لأنّها كانت تريد بيع نفطها وغازها لطالبان عن طريق أفغانستان. كذلك، كانت سياسة أمريكا مزدوجة بهذا الخصوص قبل الحادي عشر من سبتمبر/أيلول.

(1) أحمد شاه مسعود (يناير/كانون الثاني 1953م - سبتمبر/أيلول 2001م): من القادة المجاهدين الأفغان ضد الاحتلال السوفياتي، وخصوصًا في مسقط رأسه وادي بنجشير الاستيراتيجي. أصبح لاحقًا وزيرًا للدفاع، ثم نائبًا للرئيس برهان الدين رباني، والقائد العسكري لتحالف الشمال في الحرب الأهلية. اغتيل شاه مسعود قبل يومين من تفجيرات الحادي عشر من سبتمبر/أيلول، واتُهمت القاعدة باغتياله.

لهـذا، كانـت مناقشـات 2+6 فـي مجـال المخـدرات وغيرهـا، حجـة لبقـاء المجموعـة فقـط، وكانـت اجتماعاتهـا فرصـة لحضـور إيـران فـي هذه المنصة، وكان من المقرر أن يحضر الدكتور كمال خرازي والسـيدة مادليـن أولبرايـت أحـد هـذه الاجتماعـات، ولكـن الدكتور خـرازي عدل عـن الحضـور في اللحظـات الأخيرة، وحضـرتُ الاجتماع عوضًـا عنه. من الطّريـف فـي هـذا الاجتمـاع، أنّ السـيدة أولبرايـت بقيـت تظـنّ لمـدة أنّنـي الدكتـور خـرازي، وكانـت تخاطبني بهذا الاسـم، إلـى أن نبّهها أحد مرافقيهـا إلـى الأمر.

بنـاءً علـى طلـب الأمـم المتّحـدة، وبمـوازاة 2+6، تـمّ تشـكيل آليّـة أخـرى باسـم «مبـادرة جنيـف»، بمشـاركة جميـع الـدّول الدّاعمـة للقـوى الأفغانيّـة، مـا عـدا «تحالف الشـمال» وطالبـان، كـي تتمكّن من المفاوضـات الهادفـة إلـى تحقيـق الصّلـح فـي أفغانسـتان.

كمـا كان هدفهـم توفيـر أرضيـة تعاون بيـن إيران وأمريـكا بخصوص أفغانسـتان. أُقصِيَـت باكسـتان مـن هـذه المبـادرة لأنهـا كانـت تدعـم طالبـان، بينمـا كانـت إيـران تدعـم قـوة أخـرى باسـم مجموعـة قبـرص، مسـؤولها صهر السـيد حكمتيار[1]. قـام الأخير بالتّنسـيق لتنظيم اجتماع فـي قبـرص، وفّـر أرضيـة لتواجـد إيران فيـه. من أعضـاء مبـادرة جنيف، إيـران، الولايـات المتّحـدة الأمريكيّـة، ألمانيـا، وإيطاليـا. هـذه الـدول كانـت أسـاس التغييرات السياسـية في أفغانسـتان، والّتي فُعِّلت بشـكل

(1) غلبدين حكمتيار (1947م): أحد قادة المجاهدين الأفغان ضد الغزو السوفياتي، وزعيم الحزب الإسلامي الأفغاني. أصبح رئيسًا للوزراء في التسعينيات، تصفه وزارة الخارجية الأمريكية بأنه إرهابي عالمي، وتعتبره مساعدًا لابن لادن.

أكثـر جديـة بعـد أحـداث الحـادي عشـر مـن سـبتمبر/أيلول. أدّى هـذا الأمـر فـي مبـادرة جنيف إلى حوار بيـن إيران وأمريكا حول أفغانسـتان.

إنّ أسـاس اجتمـاع بـن، هـو مبـادرة جنيـف، وهـو لا يعـدّ اسـتمرارًا لمجموعـة 2+6. فـي بعـض الفترات، سـعت إيران إلى دعوة روسـيا إلى مبـادرة جنيـف، ولكـنّ الأمريكيين لـم يتقبلوا ذلك برحابـة صدر. كذلك، دُعيـت عـدة دول إلـى الاجتمـاع، مثـل باكسـتان، وكذلك الهنـد، التي لم تكـن عضـوًا فـي المبـادرة. ولكـن النـواة المركزيـة لاجتمـاع بـن، كانـت أعضـاء المبـادرة، أي إيـران، ألمانيـا، أمريـكا، وإيطاليا. أمـا تواجد الدول الثـلاث، أي روسـيا والهنـد وباكسـتان، فـكان علـى الشـكل التالـي: كان الـروس والهنـود يشـاركون فـي الجلسـات، مـن دون مشـاركة الهنود في الجلسـات الخاصـة. أمـا الباكسـتانيون، فقـد كان حضورهـم على هامش الاجتماعـات بشـكل جزئي.

لـم أكـن مشـاركًا فـي الحـوارات بيـن إيـران وأمريـكا، وخصوصًا بعد 11 سـبتمبر/أيلول وحتى اجتماع بن. كان السـيد بزركمهر (رضا) زياران، يرافقـه مديـر القسـم الثنائـي السـيد إبراهيـم طاهريـان، والـذي كان مسـؤول لجنـة أفغانسـتان، يشـاركان فـي تلـك الاجتماعات. وقـد أصبح السـيد زياران سـفيرًا فـي هولندا بعد ذلك، لأنّ موضـوع المخدرات كان مـن المواضيـع المطروحـة إلـى جانب مبـادرة جنيف.

أُرسِـل السـيد زياران كمدير مختصّ في الشّـؤون الدّوليّة. أمّا السـيد إبراهيـم طاهريـان، الّـذي كان المسـؤول عـن قسـم أفغانسـتان، وأصبح فيمـا بعـد سـفيرًا في أفغانسـتان وباكسـتان، فقد كان يشـارك عن قسـم

العلاقـات الثنائيـة. كانـت المفاوضـات مـع الأمريكييـن قـد بـدأت بهذا الصـدد، وهـذه النـواة شـكّلت عمود اجتمـاع بن.

يعـدّ مؤتمـر بـن حدثًـا مهمًـا فـي أفغانسـتان. بعـد انهيـار طالبـان، واجهـت جارتنـا الشـرقية مسـتقبلًا كانت إيران شـريكًا فيـه، ما هي الأمـور التـي ناقشـتموها فـي المؤتمر؟ ومـا هي أهـداف إيران من المشـاركة فيه؟

كان الإعـداد لمؤتمـر بن مبادرةً من ألمانيـا وإيطاليا، ذلك أنّ الألمان كانـوا يدعمـون جماعـة تُسـمّى مجموعـة فرانكفـورت. أمـا الإيطاليـون، فقـد كانـوا يدعمون ظاهرشـاه[1]. ونظـرًا لدعم الإيطاليين لـه، فقد بذلوا كل جهدهـم ليعـود إلـى أفغانسـتان كرئيـس للحكومة الانتقاليـة. كانت إيـران معارضـة لحكومـة ظاهرشـاه، فإلـى جانـب أهدافها الاسـتراتيجية المختلفـة فـي أفغانسـتان، فإنّهـا تـودّ أولًا أن يحكـم نظـام ديمقراطـي أفغانسـتان، وثانيًـا أن يتـم التصدّي بشـكل جـادّ لحكومة طالبـان، وأيضًا الاعتـراف رسـميًّا بالمذهـب الشـيعي وحقـوق الشـيعة، لأنّهم يشـكّلون 25% مـن الشّـعب الأفغانـي، وكان سـيتم تجاهـل حقوقهم.

كان قلقنـا الأسـاس مـن حضـور المحـور الأوروبـي فـي مؤتمـر بـن،

(1) محمد ظاهرشاه (16 أكتوبر/تشرين الأول 1914م - 23 يوليو/تموز 2007م): آخر الملوك الأفغان. تقلّد الحكم بعد اغتيال والده في 18 نوفمبر/تشرين الثاني 1933م. تميّزت فترة حكمه بالاستقرار السياسي، إذ لم تخض أفغانستان أي حرب، كما أعلنت الحياد في الحرب العالمية الثانية. نشر في العام 1964م دستورًا للبلاد، وهو ما اعتُمِد بعد سقوط طالبان مع تغييرات طفيفة تتعلق بنظام الحكم الملكي. انتهى حكمه في العام 1973م عندما سافر إلى إيطاليا لإجراء عملية في عينه، حيث أعلن عمه رئيس الوزراء انقلابًا ضده، أعلن بموجبه نظام الحكم في أفغانستان نظامًا جمهوريًّا. دعم ظاهرشاه عددًا من أحزاب المجاهدين ضد الغزو السوفياتي.

هو وصول ظاهرشاه إلى السلطة، فقد كانت عودته ممكنة، وهو ما كان سيُعَدّ مشكلة بالنسبة إلى إيران. لهذا شاركنا في اجتماع بن لمنع عودته. وأذكر أنّ مجموعة قبرص الّتي كانت تعدّ من حلفائنا، توصّلت إلى تفاهم مع شخصيّات تنتمي إليه.

قبل الذهاب إلى بن، دعونا الدكتور عبد الله عبد الله، وزير خارجية حكومة السيد رباني، إلى مكتب الدراسات السياسية والدولية في وزارة الخارجية في طهران، والتقيتُ والدكتور خرازي به، وكان القرار يقضي بأن نرفع مستوى التمثيل في مؤتمر بن، وأن أشارك بصفة رئيس اللجنة الإيرانية. بالطبع، رافقني مديران عامان هما السيد زياران والسيد طاهريان، إضافةً إلى السيد يعقوبي. كان السيد طاهريان رئيس لجنة أفغانستان، والسيد يعقوبي المدير العام لغرب آسيا في معاونة السيد أمين زاده.

ذكر لنا الدكتور عبد الله في اللقاء، أنّ السيد كرازاي هو أفضل مرشّح لتحالف الشمال، ليكون رئيس جمهوريّة أفغانستان. لهذا، وخلافًا لما ذكرته عن السيد رباني، كنّا قد اتّخذنا القرار مع مندوب دولته. بالطبع، من الممكن أن يكون المرحوم رباني راغبًا في الاحتفاظ برئاسة الجمهورية، ويبدو أنّه كان يودّ أن لا نتوصّل إلى قرار، لأنّ ذلك كان يعني قدرته على الاحتفاظ برئاسة الجمهورية كالسابق، لكن السيد عبد الله، الذي كان المندوب الرسمي لرباني، أخبرنا أنّهم يودون تولي السيد رباني رئاسة الجمهورية، ولكنهم يعتقدون أنّ المرشح الأكثر احتمالًا لرئاسة الدولة الانتقالية هو

السيد كرازاي. وقد ذهبنا إلى بن بعد التفاهم في اللقاء مع السيد عبد الله.

نظرًا لوصولنا متأخّرين إلى بن، كان الأوروبيون قد توصّلوا إلى اتفاق عام حول عودة السيد ظاهرشاه، بل إنّهم تحدثوا عن تولي شخص باسم سيرت منصب رئاسة الوزراء. وبعد التنسيق مع الأمريكيين وحلفائنا، استطعنا منع ظاهرشاه وحاشيته من تولّي المناصب. وقد ذكر السيد جيمز دابينز[1] ـ رئيس اللجنة الأمريكية ـ في كتابه، أنّه سمع باقتراح السيد كرازاي كمرشح لرئاسة الدولة الانتقالية في أفغانستان لأول مرة من اللجنة الإيرانية.

كنّا نعلم أنّ الأمريكيين يميلون إلى السيد كرازاي. ومن خلال هذه المبادرة، تمكنّا من نيل ثقتهم، وغيّرنا القرارات التي اتخذت قبل حضورنا لبدء عملية جديدة. كان لهذه العملية عدة ميزات ونتائج. الأولى، أنّنا وصلنا إلى ما نريد، أي منعنا ظاهرشاه من تولّي السلطة، واستطعنا انتزاع الاعتراف بالمذهب الشيعي بشكل رسمي لأول مرة في أفغانستان، كما صارت الحكومة الأفغانية تتمتّع بجوهر إسلامي. وبالطبع، عرضنا موضوعات أخرى تخصّ مصالحنا، وتعجّب الأمريكيون منها.

---

(1) جايمس دوبينز James Dobbins (31 مايو/ أيّار 1942م): دبلوماسي أميركي أصبح سفير الولايات المتحدة الأمريكية في الاتحاد الأوروبي (1991-1993م)، وكان مساعد وزير الخارجية للشؤون الأوروبية (2001م)، والممثل الخاص لأفغانستان وباكستان (2013-2014م). قاد المفاوضات التي أدت إلى اتفاقية بن، كما ترأس قسم السياسات الدولية والأمن في مؤسسة راند.

يقـول دوبينـز فـي كتابـه مـا معنـاه: «ذات صبـاح، سـألني ظريـف بنبـرة مليئـة بالتلميح: ألسـتم من دعاة الديمقراطيـة والتصدي للإرهاب فـي أفغانسـتان؟ أجبتـه: نعـم، نحن كذلـك. فأراني وثيقة وقـال لـي: أين الديمقراطيـة ومحاربـة الإرهـاب فـي هـذه الوثيقـة؟ بعـد أن اسـتمعت إلـى هـذه الكلمات، شـعرت بالخجل والإحـراج من أن يعلّمنـا الإيرانيون الديمقراطية».

كانـت محاربـة الإرهـاب تعنـي محاربـة طالبـان؛ أحـد أعـداء إيـران، وكانـت الديمقراطيـة تعنـي تمتّـع كل الشـعب الأفغانـي بحقوقـه التـي حُـرم منهـا سـابقًا، والتـي أنتجـت نظامًـا طبقيًـا. كانت هـذه المواضيـع مـن المصالـح الوطنيـة، وتمكنّـا مـن عرضهـا فـي نمـوذج مقبـول عالميًـا، وأدخلناهـا فـي بيـان المؤتمـر النهائـي بالشـكل نفسـه. كلّ هـذه الأمـور، تمـت فـي عهـد السـيد خاتمـي، وسـط ظـروف تسـمح لنـا بالمنـاورة.

فـي مؤتمـر بـن، كان عملنـا صعبًـا. فمـن جهـةٍ، كان علينـا التحكم بطلبـات السـيد ربانـي عن طريـق مندوبه السـيد يونـس قانوني. ومن جهـةٍ أخـرى، كان علينـا أخذ ما تريـده المجموعات الشـيعية المختلفة فـي آرائهـا بعيـن الاعتبـار، وقد كانـت علاقة بعـض هـذه المجموعات بباكسـتان أفضـل مـن علاقتهـا بإيـران، وكان من الممكـن أن تدافع عن مصالـح باكسـتان. وكمثـال علـى ذلـك مـا حصـل في اليـوم الأخيـر، إذ طلـب أحـد الشـيعة، ممـن لا تربطنـا بـه علاقـة حسـنة، وزيـرًا إضافيًا، وقـال إنّـه سيفسـد الاجتماع إن لـم تتم تلبيـة طلبه. قمنا ببـذل الكثير

مـن الجهـد لإقنـاع الجميـع بوزيـر إضافـي، عـدا أقـرب حلفائنا السـيد يونـس قانونـي. كان المذكـور من أكثـر المخالفين لتواجد الشـيعة في الحكومـة، وكان السـيد ربانـي مخالفًـا بشـدة لسـلطة الشـيعة، نظـرًا للخلافـات الحـادة التـي حدثـت إبان رئاسـته. كمـا أن المرحـوم مزاري اقتـرب فـي إحـدى الفتـرات مـن طالبـان، نظرًا للسـلوك غير المناسـب لاتحـاد الشـمال مع الشـيعة. لهـذا، كان دورنا متزعزعًا بشـدة، كما كان علينـا التصـدي لمـا يريـده الأمريكيـون والأوروبيـون وأتبـاع ظاهرشـاه مـن جانـب، وتعديـل موقـف أصدقائنـا، ولعـب دور سياسـي منطقـي مـن جانـب آخر.

بالطبـع، كانـت لدينـا ثـروة عظيمـة. كانـت إيـران البلـد الوحيـد الـذي يتميّـز بـدور مهـم في تحالـف الشـمال المتواجد علـى الأرض في أفغانسـتان. عندمـا أرادت الطائـرات الأمريكية أن تهبط في أفغانسـتان، كان مطـار باكـرام فـي يـد أصدقائنـا، أي أنّ أصدقاءنـا وحلفاءنـا كانـوا علـى الأرض بشـكل مؤثـر، ولهـذا كانـت لدينـا فرصـة، إضافـة إلى بعض العقبـات المهمة.

كانـت المفاوضـات خاصّـة بأفغانسـتان، وكانـت لدينـا أوامـر بعـدم التطـرق إلـى أيّ موضـوع يخـصّ إيـران والولايـات المتحـدة الأمريكيـة، وبالبقـاء فقـط ضمـن إطار الشـأن الأفغاني. ورغم كلّ هـذه القيود، فقد وصلنـا إلـى أهدافنـا. يعتقـد الكثيـرون أنّنـي الفائـز فـي هـذه العملية، ولكننـي أعتقـد أنّ الفـوز كان مـن نصيـب البعثـة الإيرانيـة والسياسـة الخارجيـة للجمهوريـة الإسـلامية.

في اليوم الأخير في أفغانستان، وبعد أن تمكنّا من تأمين ثمانية عشر وزيرًا لتحالف الشمال، خمسة منهم من الشيعة، كان القرار بأن يقيم وزير الخارجية الألماني المؤتمر الختامي. في هذا المؤتمر، كان الأفغان قد توصّلوا إلى تفاهم حول عدة أمور، من بينها تشكيل حكومة انتقالية، وإعداد البنية الأساسية للدستور الذي يعترف بالشيعة والمذهب الجعفري كمذهب رسمي، ويتطرق إلى موضوعات مثل حقوق الشيعة والديموقراطية ومناهضة الإرهاب، وكذلك عدد أعضاء كل مجموعة في الحكومة التالية. كان جميع أعضاء تحالف الشمال من المجاهدين، وقد أصبح الجنرال فهيم وزيرًا للدفاع، وأصبح شخص آخر منهم مساعدًا لرئيس الجمهورية.

هل كان خلفاء أحمد شاه مسعود من المجاهدين أيضًا؟

نعم، كانوا جميعًا من المجاهدين، وقد أصبح شقيق أحمد شاه مسعود مساعدًا لرئيس الجمهورية. كان تواجد المجاهدين سببه ضغوط إيران، ولولا ذلك، كان الجميع سيصبحون راضين بحكومة تكنوقراطية تابعة للغرب.

في اللحظة الأخيرة، أمر السيد رباني السيد يونس قانوني ـ بسبب مشورة قدمت له أو أخبار كاذبة وصلت إليه ـ بطلب وزيرين إضافيين. كانت الساعة الثانية بعد منتصف الليل، عندما أيقظوني من النوم ليخبروني باجتماع عُقِد في مكتب الأخضر الإبراهيمي مندوب الأمم المتحدة. عندما وصلتُ، أخبرني الأخضر الإبراهيمي بطلب السيد قانوني، وهو ما أثار همهمة في المجلس. كان القرار

أن أترجـمَ والسـيد زلمـاي خليـل زاده الحديـث للسـيد قانونـي، لأنّه لم يكـن ناطقًـا بالإنجليزيـة. أثنـاء الحديث، رأيـتُ أن أنفرد بالسـيد قانوني وأسـعى إلـى تغيير رأيـه. أشـار الأمريكيـون إلـى هـذا الأمر بعبـارة: «لا نعلـم مـا الـذي قاله ظريـف للسـيد قانوني خـلال ثلاثين ثانيـة ليقبل».

والجديـر بالذكـر، أنّنـي فـي اليـوم الأول مـن وصولـي إلـى بـن، ذهبـت للقـاء السـيد يونس قانونـي، وقلت لـه: «إضافةً إلـى كلّ أعمالنا هنـا، لدينـا واجـب تاريخـيّ، ونحـن مسـؤولون أمـام الله والنـاس. ومن المحتمـل أن لا تتـاح فرصـة أخـرى للصلـح في أفغانسـتان. لهـذا طلبت منـه أخـذ هـذه المسـألة بعيـن الاعتبـار».

فـي ذلـك الاجتمـاع، ذكّرتـه بحديثنـا فـي اليـوم الأول، وقلـت لـه: «أسـتبعد أن تتمكّنـوا مـن الحصـول علـى عـدد أكبـر مـن ثمانيـة عشـر وزيـرًا فـي الحكومـة. لهـذا أطلـب منـك أن لا تصـرّ علـى أكثـر مـن هذا العـدد، وأن تقنـع السـيد رباني». أعلن السـيد قانوني موافقتـه، واختُتِم الاجتمـاع بسـرور الجميـع.

فـي صبيحـة اليـوم التالـي، وقبـل بـدء مراسـم الاختتـام، وصـل خبـرٌ مفـاده أنّ إحـدى المجموعـات الشـيعية طلبـت وزيـرًا إضافيًّـا، فعبّـر السـيد الأخضـر الإبراهيمـي عـن عـدم اعتراضـه، وأشـار علينـا بالتحدث إلـى السـيد يونـس قانونـي. كان الأخيـر قـد ذهـب إلـى منطقـة خاصّـة بالأفغـان كـي لا نتمكّـن مـن محاورتـه، ولـم يـرضَ بالأمـر. فـي النهايـة، ذهبنـا إلـى منـدوب تلك المجموعـة الشـيعيّة، وهو ابن آيـة الله آصف محسـني ـ ولـم تكـن علاقتـه بإيـران جيـدة ـ وطلبنـا منـه التنـازل عـن

طلبـه، وشـرحنا له أن الشـيعة سـيكونون السـبب في حال انـدلاع حرب، فقبـل بالأمر.

هكـذا حقّقـت إيـران مصالحهـا فـي أفغانسـتان، وحـازت سـمعة إيجابيَّـة فـي المجالـس السّياسـية الأمريكيّـة. وقـال السـيّد كولـن باول ـ وزيـر الخارجيـة الأمريكيـة ـ فـي تقريـره لمجلـس الشـيوخ: لـولا إيـران، لمـا نجـح المؤتمـر. وصـادق الألمـان علـى هـذا الأمـر.

بهـذا الوصـف، هـل تعتقـد أنّ قاعـدة الحيـاة السياسـية فـي أفغانسـتان الجديـدة قـد أُسِّسَـت بشـكل صحيـح؟

وصلنـا إلـى مـا نصبـو إليـه وحقّقنـا أهدافنـا. تشـكّلت حكومـة ديمقراطيـة فـي أفغانسـتان، وتـمّ الاعتـراف بالشّـيعة رسـميًّا، وحصلـت جميـع المجموعـات علـى حصّـة أو تـمَّ تحقيـق مـا يُعـرَف بالحكومـة الشـاملة. إن القاعـدة صحيحـة، ولكـن ثمّـة سلسـلة مـن المشـاكل المهمـة، مثـل التدخّـل الأجنبيّ في أفغانسـتان، هيكل النظام السياسـي فـي هـذا البلـد، الحيـرة فـي كيفيّـة التعامل مـع طالبـان، دور باكسـتان فـي التّصـدّي لطالبـان، والـدور التاريخـي لأفغانسـتان.

نقلـت الهند وباكسـتان جزءًا مـن حربهما التاريخية إلى أفغانسـتان، كمـا نقلـت الولايـات المتحـدة الأمريكيـة عداءهـا مـع إيـران إلـى أفغانسـتان. كلّ هـذه التفاصيـل كانـت مـن المشـاكل المهمـة فـي تأسـيس أفغانسـتان الجديـدة. ورغـم ذلك، وبنـاءً على التجربـة المؤلمة لأفغانسـتان، أعتقـد أنّ توقّـف الحـرب ونزيـف الـدم، ولو لفتـرة وجيزة، جعـل مؤتمـر بـن مؤتمـرًا ناجحًـا.

في النّشاط السّياسيّ الناتج من فقدان الثقة في العلاقة بين إيران والولايات المتَّحدة بعد الثورة الإسلامية، وبعد سقوط طالبان، وحتى مؤتمر بن، وبعد ذلك تولّي الحكومة الانتقاليّة، فُتِحَت صفحة جديدة من تاريخ الدبلوماسيّة الإيرانيّة والأمريكيّة، تتضمّن علامات من التعاون والثقة بين البلدين. كيف تقيّم التّعاون مع الولايات المتحدة الأمريكية في تلك الفترة؟ هل كان بإمكان تلك الأحداث أن تقلّل من منسوب فقدان الثقة بين إيران والولايات المتحدة إلى أدنى مستوى؟

كما أشرت إلى الأمر سابقًا، كان من المقرّر أن نتحدّث في مؤتمر بن عن أفغانستان فقط. لهذا لم نتناول العلاقة بين إيران والولايات المتّحدة الأمريكيّة وخفض التوتر، ورغم ذلك، نتجت بيئة إيجابية. بعدما تحدّث السيد كولن باول في مجلس الشّيوخ عن الدور الإيجابي لإيران في أفغانستان ومؤتمر بن، كان من الممكن أن ينتج تعاون مؤثر بين البلدين، كما كان قد اتّضح التّعاون الإيرانيّ مع الولايات المتّحدة الأمريكيّة فيما يخصّ أفغانستان.

كانت هذه الحالة تدفع «إسرائيل» إلى القلق، وهو ما تسبّب بأحداث مُرّة بعد مؤتمر بن. أحد هذه الأحداث هو موضوع السفينة «Karine A» في أوائل يناير/كانون الثاني، حيث ادعت «إسرائيل» توقيف باخرة تحمل أسلحة من إيران إلى ياسر عرفات في البحر المتوسط. صدّق الأمريكيون الادعاء بشكل فوري، رغم أنّه غير قابل للتصديق من جانبنا لأسباب عدة، ويبعث على

القلق. فمن ناحية، لم يكن لدينا علاقة جيدة مع ياسر عرفات والمجموعات المستقلّة، وإذا رغبنا في إرسال أسلحة إلى فلسطين، فسنرسلها إلى مجموعات مثل حماس والجهاد الإسلامي، الَّتي تجمعنا علاقات استراتيجيّة بها. في مؤتمر قادة الدّول الإسلاميّة، كان السيّد عرفات الشّخص الوحيد الّذي لم يسمح له السيد القائد بلقا ئه .

ومن ناحية أخرى، لا يحتاج عرفات أو حركة فتح إلى أسلحة. لهذا، وفي هذه الحادثة، قد تكون «إسرائيل» وفّرت الأسلحة من الدول التي تصدّر إيران السلاح إليها، أو أنّ مجموعات داخلية غير مطلعة تعاونت معهم. شُحِنت الأسلحة من ميناء في الإمارات إلى «إسرائيل» الأراضي الفلسطينية المحتلة. ومن الواضح أنّ العمليّة كانت قد خطط لها مسبقًا.

كانت المرة الأولى التي ترسل فيها إيران رسالة إلى الولايات المتحدة عن طريق السفارة السويدية، ذلك أن الرسائل كانت تُرسل دائمًا من الولايات المتحدة الأمريكية وتجيب إيران عليها. ذكرنا في الرسالة، أنّ الحادثة تثير الريبة، لأنّ الأدلة تشير إلى عدم واقعية الأمر، وإن كانت لديهم وثائق، فليرسلوها لنا لنتحرّى الأمر. بالطبع، لم يُعثر على أي وثائق بهذا الخصوص.

بعد عدة أيام، وتحديدًا في 29 يناير/كانون الثاني، ذكر بوش في خطابه ما أسماه «محور الشر»، الذي بدّد أثر جميع السياسات

والاستعدادات. يعتقد الكثيرون أنّ حادثة السفينة «Karine A» كانت مقدمة لمنع إمكانية تشكيل علاقة وتعاون بين إيران والولايات المتحدة الأمريكية.

تحدثنا حتى الآن عن الأحداث من ناحية تاريخية. أمّا من الناحية النظرية، فتكمن مشكلة إيران وأمريكا في فقدان الثقة بينهما، وعدم بذلهما جهدًا ليفهم كلّ منهما نية الآخر. لهذا، فإنّ أي حركة إيجابية من أحد الأطراف، نظرًا إلى الأفكار السابقة، يبقى بلا نتيجة، بل يؤدي أحيانًا إلى زيادة التوتر.

على أيّ حال، لم تكن هناك في يوم من الأيام سياسة واضحة ومكتوبة تهدف إلى تحسين العلاقة بين إيران وأمريكا، وكانت جميع النشاطات التي تحصل، تُفسَّر بشكل خاطئ، أو تُعتبر دليلًا على ضعف البلاد أو على فساد ما، أو على تدخل بلد أو جهة خارجية، وكانت تسلك طريقًا يجانب الحقيقة.

بعد عقد مؤتمر بن الأول، شهدنا عقد مؤتمر بن الثاني، كيف تقيّم دور الجمهورية الإسلامية الإيرانية في هذا المؤتمر؟

حَضرتُ في هذا المؤتمر. ومما يبعث على الأسى، أنّ إيران لعبت دورًا أساسيًّا في المؤتمر الأول، ولكن لم يكن لها تواجد مؤثر في المؤتمر الثاني. كان حضور إيران في هذه الفترة هدفه تخفيف القلق الحاصل جراء أحداث السّفارة البريطانيّة في طهران، وهو أمر يبعث على التأمّل.

بعض النظريات في العلاقات الدولية، مثل النظرية الوظيفية أو الوظيفية الحديثة، ترى أنّ التعاون بين الدول يبدأ في مستوى الجزئيات بشكل تعاون تقني واقتصادي. وفي ختام هذا التعاون، يمكن البحث في التعاون ودراسته في مستويات أعلى كالمستوى السياسي. وكما تعلم، مع تولي السيد خاتمي للحكم، اعترفت السيدة أولبرايت ـ وزيرة خارجية الولايات المتحدة الأمريكية ـ بخطأ بلادها في فترة تأميم النفط وإسقاط الدولة الوطنية لمصدق، مُتأسفةً لذلك، وتشكّلت أرضية مراودة الفرق الرياضية بين إيران وأمريكا. كمثال على ذلك، حضر فريق المصارعة الأمريكي إلى إيران، وحظي باستقبال حار في الصالة الرياضية. وبعد حكومة بوش (الابن)، الذي نعتبر حكومته طالبة حرب، كانت ثمة نوافذ يمكننا من خلالها خفض الحالة الهجومية للولايات المتحدة على الأقل. ما هو رأيك في هذا الموضوع؟

يستمد كلّ ما ذكرت جذوره من النظرية الوظيفية الحديثة. سأُبين أولًا مشكلات الرؤية الوظيفية الحديثة. تغفل النظرية الوظيفية الحديثة عادةً عن حقيقة مهمة، هي أثر الملاحظات السياسية والأمنية في المجال الوظيفي، وهذه هي المشكلة الأساسية للنظرية الوظيفية والوظيفية الحديثة.

بالطَّبع، لا يعني هذا الأمر أنّ النظريتين لا تحملان حقيقة، بل إنّ ما يعرف اليوم بسلوكيات بناء الثقة قائم على النظرية الوظيفية والوظيفية الحديثة. لنجاح هذه السلوكيات، ثمّة ضرورة تقضي بأن يتوصّل أصحاب القرار الأصليين إلى صورة متوافقة كليًّا للمستقبل، وأن تكون لديهم إرادة الوصول إلى تلك الصورة، والتي ستكون إما

علاقةً وإما صلحًا. بخلاف هذه الحالة، ستتغلّب الملاحظات السياسية والأمنية على الأهداف الوظيفيّة، ولن يتسبّب ذلك في عدم الثقة فحسب، بل ستكون نتيجته عكسيّة، وهذا ما حدث في جميع مجالات العلاقة بين إيران وأمريكا، وفي كل المجالات المتعلقة بالعلاقات بين الناس، ذلك أنّه لم يكن ثمّة اتفاق عام على أصل موضوع ما.

تحدَّثنا حتّى الآن عن الموضوع من ناحية المفهوم. ومن ناحية عينيّة وحقيقيّة، إنّ أمريكا وإيران ليستا نظامًا منسجمًا. ومن أكبر خدمات النّظريّة الوظيفيّة والوظيفيّة الحديثة في العلاقات الدّوليّة، أن نعرف أنّ الدّول ليست نظامًا منسجمًا، بل عدّة أنظمة تقع ضمن مجموعة واحدة ولديها علاقات متبادلة، ولكل وحدة مصالح خاصّة.

كان هدف السيدة أولبرايت محو الماضي، ولكنّ الخطاب حمل معه مشكلة جديدة في العلاقة بين إيران وأمريكا، وهي مشكلة «الشخصيات المنتخبة»، و«الشخصيات غير المنتخبة»، أي أنه قام بتقسيم المجتمع السياسي أو النظام الحكومي في إيران إلى قسمين هما: «مجموعة فازت في الانتخابات الأخيرة، وهي جيدة، ومجموعة لم تُنتَخَب، وهي سيئة».

بحسب البحث والتحرّي والحديث الّذي أجريته بعد انتهاء عهد السيد كلينتون مع السّاسة الأمريكيين، وجدت أنّ هذه المسألة، ودون أن تناقش على المستوى السياسي، وصلت إلى خطاب السيّدة

أولبرايـت عـن طريـق بعـض الإيرانييـن المخالفيـن لنظـام الحكـم فـي إيـران، وهـو مـا كان له الأثر البارز في فشـلها. على أيّ حال، كان خطاب السـيّدة أولبرايت يحمل سلسـلة من المسـائل الإيجابيّة، ومسـألة سلبية جـدًّا، هـي التّشـكيك في جوهـر النّظـام السّياسـي الإيرانيّ.

مـن وجهـة نظـر الكثير مـن أصحـاب القـرار الإيرانييـن، كان خطاب السـيدة أولبرايـت تزويـرًا يهـدف إلـى بـث الخـلاف بيـن المسـؤولين الإيرانييـن. فـي تلـك الفتـرة، كنـا نقول: «لـمَ علـى السـيدة أولبرايت أن ترتكـب هـذه الحماقـة؟»، وكان البعض يقول: «إن خطابهـا مقصود لأنّها تريـد بـث الخلاف».

بالطَّبـع، لا بـدّ مـن أنّ الذيـن أدخلـوا هـذه الجملـة إلـى خطـاب السـيدة أولبرايـت، لـم يكونـوا يرغبـون فـي تطبيـع العلاقـة بيـن إيـران وأمريـكا، ولكـنّ السـيدة أولبرايـت أيضًا لـم تنتبه إلى مضمـون خطابها. أقـول ذلـك بعـد الاطـلاع علـى الأدلّـة التـي توصَّلـت إليهـا إثـر الحادثة.

علـى أيّ حـال، وصلـت المجموعة التـي لا ترغب فـي تطبيع العلاقة إلـى أهدافهـا، حيـث إنّهـم لـم يكونـوا يـودون أن يكـون للخطـاب أثـر جيـد. مـن الأخطـاء الأصليـة في سياسـتنا الخارجيـة، الاعتقاد بأن سـلوكًا إيجابيًّـا سـيؤدي بشـكل تلقائـي إلـى نتيجـة إيجابيـة. بـدأ هـذا الخطـأ فـي عهـد السـيد هاشـمي، عندمـا قمنا بعـدة نشـاطات إيجابيـة، ولكن كانـت النتيجـة سـلبية فـي العلاقـة الثنائيـة، مثل المسـاعدة فـي تحرير المختطفيـن الأمريكييـن، والـدور الـذي لعبنـاه فـي حـرب الكويـت وأفغانسـتان والحـرب الأولـى والثانيـة للعـراق.

من مميّزات النّظريّة الوظيفيّة، أنّها تشير إلى أنّك تستطيع القيام بنشاطات بناء الثقة، لكنّ المشكلة تكمن في أنّ النظرية تتوهم أنّ هذه النشاطات يمكنها الحدوث في ظل غياب إرادة سياسية، أو أنّها تستطيع صناعة الإرادة السياسية، بينما الواقع مغاير، فيجب توفر الإرادة وصورة واضحة للمستقبل لدى الطرفين، لتتمكّن هذه النشاطات من تأدية دورها.

أما سبب نجاح دبلوماسية كرة الطاولة للسيد كيسنجر في بناء علاقة جيدة بين الصين والولايات المتحدة الأمريكية، فهو أنّه والحكومة الأمريكية توصّلوا إلى أنّهم يريدون إقامة علاقة مع الصين. عندما نريد اتخاذ قرار بخصوص بدء علاقة، وفقًا للسيد كيسنجر، على الجانبين بدايةً العلم بمستقبل العلاقة. كمثال على ذلك، يجب على الأمريكيين أن يعلموا أنّ الصين لا تريد إزالة أمريكا، والأمر نفسه بالنسبة إلى الصين. عندما تكتمل الصورة، يمكن لدبلوماسية كرة الطاولة أن تساعد في بناء الثقة.

نعم، كانت لدينا فترات تعاون مع الولايات المتحدة الأمريكية، ولكن لم يتمكن أيٌّ من الجانبين من بيان الرؤية المستقبلية للعلاقة، كأن يُقال مثلًا: سنبقى نختلف معكم دائمًا، ولكنّنا لسنا بصدد إسقاطكم أو تشكيل خطر عسكري عليكم. لم يحدث مثل هذا الأمر في العلاقة بين إيران والولايات المتحدة أبدًا. لهذا، وعلى الرغم من أنّ كل تعاون حصد ثمارًا عظيمة للبلدين (مثل إسقاط طالبان وصدام وغيرهما)، فإنه لم يؤدِ إلى تحسين العلاقة الثنائية.

بالطبع، يمكن الادّعاء أنّ هذه السياسة منعت الكثير من الأخطار. فمثلًا، في حرب أفغانستان، قدّم جهاز المخابرات الباكستاني معلومات خاطئة تمامًا للأميركيين حول إحداثيات تواجد تحالف الشمال، على أنّها أماكن تجمّع طالبان. لعلّه من غير المنطقي التصديق أنّ أمريكا ـ القوة العظمى ـ وبكلّ قدرتها الاستخباراتية، خُدعت من قِبَل الجهاز الاستخباراتي الباكستاني الضعيف، وكانت بصدد الهجوم على أماكن تموضع تحالف الشمال. تدخلنا في الوقت المناسب من خلال معلومات ميدانية من المسؤول المعني، ومنعنا الهجوم. إن مفاوضات مجموعة «تواصل جنيف» أنقذت الأمريكيين من الخطأ، ومنعت الكارثة.

كذلك في مسألة الحرب الثانية على العراق، والتي أدّت إلى إسقاط صدام، فقد سعى اللوبي الإسرائيلي والعربي إلى توجيه جنون الهيمنة لدى السيد بوش والمحافظين الجدد إلى إيران عوضًا عن العراق. ولكن، وبحمد الله، منعنا هذا النشاط من خلال عملنا السياسي. لهذا، لا يمكن الادّعاء أيضًا أنّ نشاطاتنا الإيجابية لبناء الثقة لم تنتج أي ثمار، ولكن، وللأدلة المذكورة سابقًا، فإنها لم تؤدِّ إلى تطبيع العلاقات الثنائية.

من السّذاجة أن تعتقد أنّ لديك أصدقاء دائمين. لديك مصالح في هذا العالم، ولدى الآخرين مصالح أيضًا. والهدف هو الحصول على أقصى قدر من المصالح دون الإضرار بمصالح الآخرين، أي يجب عليك أن تفهم أنّ الحصول على مصالحك على حساب مصالح

الآخريـن، لـن يكـون بشـكل دائـم. أعتقـد أنّ فهـم هـذا الأمـر هـو مـا يصنـع سياسـة خارجيـة ناجحـة لأي دولـة.

إن كنّـا نريـد التوسّـع أكثـر، يجـب أن نشـير إلـى العقوبـات التـي فرضـت علـى إيران في فترة السـيد كلينتون. بدا كلينتون متّبعًا لسياسـة التعـاون مـع إيـران، ولكـن الكونغـرس كان نشـطًا ضـد إيـران. إنّ قانون داماتـو[1] وُضـع فـي عهـد السـيد كلينتـون، وحيـث إنّ [الشـركة] كانـت تريـد الالتفـاف على القانـون، أتت على ذكـر قوانين رئيـس الجمهورية.

فـي عهـد بـوش (الأب)، كانـت العلاقات فـي مجال النفـط بين إيران والولايـات المتحـدة الأمريكيـة نشـطة، ولكـن في عهـد كلينتـون، ونظرًا إلـى تحرك شـركة النفط «كونوكو» للاسـتثمار في مجـال النفط الإيراني، وضـع كلينتـون قـرارات لمنـع العلاقـة التجاريـة فـي مجـال النفـط بيـن أمريـكا وإيـران، وقبل الكونغـرس بها.

وبمـوازاة قانـون داماتـو، أقـرّ الكونغـرس قانونًـا يقيّـد الحصانـة الدبلوماسـية للجمهوريـة الإسـلامية الإيرانيـة، فكانـت حركـة عظيمـة ضـد إيـران فـي الجهازيـن القضائـي والتشـريعي فـي الولايـات المتحدة الأمريكيـة، حتـى إنّهـم حكمـوا علـى إيـران قضائيًّـا بدفـع مليـارات الـدولارات. حصـل كلّ ذلـك، لأنّ هنـاك أطرافًـا كانـوا يحتاجـون إلـى عـدو، وعلـى رأسـهم الصهيونية، وكانـوا يريدون منع تطبيـع العلاقة بين البلديـن. فـي عهـد بـوش، سـار الأمـر علـى هـذا الشـكل أيضًـا.

(1) قانون داماتو: قانون أمريكي تمت الموافقة عليه في العام 1996م. يجري من خلاله منع الشركات التي تتعامل مع إيران بمبلغ يزيد على أربعين مليون دولار في العام من التعامل مع الولايات المتحدة الأمريكية.

كلّما فُتحت نافذة للعلاقة بين إيران وأمريكا، بُذِل نشاط في الولايات المتحدة لئلا تنطفئ نار العداء بين البلدين، كما حصل في قضية أفغانستان في عهد السيد خاتمي أو قضية العراق. لهذا، وفي كل الفترات التي بدا فيها أنَّ اتجاه العلاقة يسير نحو التحسن، حدث أمر ما، وأهم تلك الأمور الخطاب الّذي تحدّث فيه بوش عن أفغانستان قبل الهجوم على العراق، وبعد عدة أسابيع من مؤتمر بن، والذي أطلق فيه على أفغانستان وإيران والعراق، وكوريا الشمالية، اسم «محور الشر».

كيف كانت الرؤية الإيرانية لهذا الموضوع؟

في عهدي بوش وكلينتون، كان ثمة نشاط في إيران أيضًا، فهناك اتجاه يرى صحة العداء، إما لأنّه قلق من تحديث العلاقة، أو لأنّه يرى الازدواجية في السلوك الأمريكي، والذي يستوجب العداء حقيقةً، أي أنّ عدم الثقة والحاجة إلى العدو في الولايات المتحدة، كان، ولا يزال، في إيران أيضًا. وقد تسبَّب هذان العاملان في عدم تأثير أيّ نشاط يهدف إلى تحسين العلاقة.

لو تأمّلت في الجانب النظريّ من العلاقات الدولية للنظرية البنائية، وانتبهت إلى الأثر المتبادل بين العميل (أو الدولة) والهيكل (أي النظام الدولي)، عند ذلك ستفهم هذا الموضوع. أظنّ أنّ الاعتقاد المطلق بالبنيويَّة سيضلّلك، أي أنّك ستكون مجبرًا على العمل في نظام مبني على الجبر، لأنّ كل شيء مبني على أساس الهيكل.

من الطَّبيعي أنّ الهيكل ليس فاقدًا للأثر. هذا الأمر يعني أنّ العميل لا يمكنه العمل في النظام خارج بيئة فقدان الثقة. وبالطبع، لا يعني كلّ هذا أنّ جهاز وزارة الخارجية لم يرتكب أخطاء في هذا الخصوص.

إنَّ وزارة الخارجية، بل نحن كذلك، ارتكبنا عدة أخطاء في عهد السيد خاتمي. ربما لا نتمكّن من ذكر أخطائنا ضمن موضوع عام، كما أنّها من الممكن أن تسبّب سوء فهم، ولكن أعتقد أنّه بالإمكان إظهار حدوده وثغراته في مواضيع خاصة.

يُقال إنّ السيد خاتمي تجنّب لقاء كلينتون في أحد الاجتماعات السنوية للجمعية العامة في الأمم المتحدة، وذهب عمدًا من طريق آخر، لئلّا يضطر إلى لقائه ومصافحته. بحسب سياسته المبنية على بناء الثقة، أليس هذا التجنّب والتخوّف متصنّعًا؟ وهل صحيحٌ أنّ الخوف هو سبب عدم لقائه كلينتون؟

إنّ السَّبب الّذي ذكرته صحيح. قد يقول البعض إنّ السيد خاتمي لا يتمتع بالشجاعة، ولكن بما أنّ الطرفين لم يتوصلا إلى رؤية مشتركة حول كيفية إزالة المشاكل، ليدركا المستقبل الذي يلوح في أفق العلاقة، فمن الممكن أن تسبب كل حركة سوء فهم. لهذا، كان من المحتمل أن يحدث سوء فهم، فلو صافح السيد خاتمي كلينتون، لكان من الممكن أن يسيء البعض الاستفادة من الحدث، ولو تجنّب مصافحته، لأسيئت الاستفادة منه بشكل آخر.

تسـبّبت مسـاعدة إيران لأفغانسـتان باسـتغلال البعض لها، في حين أن الامتناع عن مسـاعدتها كان ثمنه خسـارة المصالح الوطنية. إن الذين يقولـون إنّنـا لـم نسـتفد مـن مسـاعدة أفغانسـتان، لا ينتبهـون إلـى أنّ اسـتقرار دولـة صديقـة للجمهوريـة الإسـلامية، وتوفيـر الأمـن والمصالح الوطنيـة لبلدنـا، همـا فائـدة عظيمـة حصلنـا عليهـا، رغـم أنّ التعـاون لـم يسـاعد فـي خفـض التوتر بين إيـران والولايـات المتحـدة الأمريكية، لأنّ الجانبيـن لـم يبيّنـا أهدافهمـا. لـذا، كان كل سـلوك يصـدر عـن أحـد الأطـراف يفسَّـر بشـكل خاطئ لـدى الطـرف الآخر.

عندمـا اعتـدت الولايـات المتحـدة الأمريكيـة علـى العـراق، بُذِلت جهـود كثيـرة لكـي يسـتهدف الاعتـداء إيران عوضًـا عن العـراق. كان كل الضغـط الصهيونـي يسـير بهذا الاتجاه: لِمَ لَم يهاجمـوا إيران؟ ولِمَ خابـت آمـال أولئـك؟ لا يوجد حدث عشـوائي في عالم السياسـة، كان هـذا مـن ثمار نجاح السياسـة الخارجيـة للجمهورية الإسـلامية آنذاك. كمـا أنّ عجـز التعـاون في موضوع أفغانسـتان عن تحفيـز العلاقة بين الدولتيـن، يُعدّ خسـارة للسياسـة الخارجية للولايات المتحـدة وإيران، لأنّهمـا لم تشـرحا رؤيتهما.

علـى أيّ حـال، أعتقـد أنّ المصالـح والاتجاهـات الفكريـة المتضـادة فـي الداخـل الأمريكـي، ولا سـيّما المصالـح الناتجة مـن العـداء، تتفوّق كثيـرًا فـي ذلـك البلـد، حيـث سـيكون مانعًـا مهمًـا للعلاقـات الثنائيـة للبلديـن. بخـلاف الكثير من الأشـخاص الذيـن يعتقـدون أنّ ذنب الحالة السـيئة للعلاقـة بيـن إيـران والولايـات المتحـدة يقـع على عاتـق إيران،

أعتقد ـ من ناحية تحليلية، وليس من ناحية سياسيّة ـ أنّه يقع على كاهل أمريكا بشكل أكثر ثقلًا، رغم أنّها مشكلة بين البلدين، أي أنّ إيران قامت بردّ فعل تجاه التطرّف المعادي لأمريكا.

كمثال على ذلك، بعد أحداث الحادي عشر من سبتمبر/أيلول، أعلن السيد القائد أنّ الإرهاب ليس مغايرًا للجهاد فحسب، بل إنّ التصدي له جهاد، في حين أنّ الجناح المتطرف في أمريكا، أي السيدة رايس والسيد رامسفيلد، أعلن أنّ إيران لا تستطيع تصنيف الإرهاب إلى إرهاب سيئ وإرهاب حسن، في الوقت الذي تضمّ فيه حزب الله تحت مظلتها.

هكذا تحدثوا عن إيران بحدة، وبعدما كان الهتاف بشعار الموت لأمريكا قد توقف لأسبوعين في صلاة الجمعة، أجاب السيد القائد على كلامهم الحاد، وهو ما أثار بيئة «الموت لأمريكا» في الداخل بشكل أشدّ من السابق. وأضيف هنا أيضًا أنّ الحرب المحتملة بين إيران والولايات المتحدة لن تنفع أحدًا في العالم.

ألن تنتفع الدول المنافسة والجيران القلقون أحيانًا من وجود الجمهورية الإسلامية؟

لن ينتفع أحد من الحرب، فلا توجد فائدة منها. رأينا سابقًا أنّ الجهلة من حكام العالم العربي كانوا يظنون أنّ صدام أو الولايات المتحدة الأمريكية يستطيعان تعجيز إيران ببضع قنابل، إذ اختلط عليهم الأمر بين إيران وليبيا. لن ينتفع بالحرب بين إيران والولايات المتحدة أحد، عدا «إسرائيل»، وقد رسمت كل الدول مصالحها في

ضوء العلاقات المتوترة بيننا وبين أمريكا، كما لن ينتفع أحد من تحسن العلاقات بيننا، من البلد الصديق والشقيق سوريا، إلى روسيا، إلى الصين وتركيا والعراق.

لو لم تكن العلاقة الإيرانية-الأمريكية بهذا الشكل، لم تكن تركيا لتبرز في العالم الإسلامي كنموذج جيد للحكم. بالطبع، يبقى للذكاء والتعقل التركي والتغييرات الحاصلة بعد الدولة التاسعة [أحمدي نجاد]، دور في إبراز النموذج التركي. إنّ الراية التي أراد السيد خاتمي رفعها في العالم الإسلامي، أي راية الاعتدال، راية الحوار، وراية المخالفة العقلانية ضد «إسرائيل»، وراية الاستقلال عن أمريكا، أصبحت اليوم في يد تركيا. بالطبع، كانت حركة السيد خاتمي حركة مبدئية، بينما كانت الحركة التركية سياسية بشكل عام.

العلاقات الأمريكية - الإيرانية

مع تولّي باراك أوباما مقاليد الحكم، وسياسة التّغيير والرؤية الجديدة الّتي اتخذها مع العالم الإسلامي، هل هناك نافذة أمل؟

لا، إنّ سياسة أوباما ناتجة من فهم النخب الأمريكية للقدرة الّتي يتمتع بها العُرف في مقابل الهيمنة العسكرية. لو استبدلنا شعارًا سياسيًّا بهذه النظرية، عندها سيكون «التغيير». على الرغم من أنّ الأمريكي المتحضّر يسعى دائمًا لأن يتحرك ضمن قيمه، ويحصل على صورة مثلى في العالم، فقد أصبحت الصورة المعروفة في العالم عن الولايات المتحدة الأمريكية تحمل مفهوم العداء، ويعدّ أوباما المحفّز الأصلي لتغييرها.

إنّ ثمرة المفاوضات التي ترتبط بإيران أيضًا، هي أنّ أمريكا استلمت مجددًا زمام قيادة العالم، أي أنّ الأمريكيين لم يعودوا محل كراهية، كما كانوا في عهد ولاية بوش. يصل مستوى شعبية السيد أوباما إلى 87% في أوروبا، رغم أنّها في الداخل الأمريكي أدنى من 60%. يدلّ هذا الأمر على نجاح هذه السياسة. وهناك دليل آخر، هو أنّ البيان 1929 ضدّ إيران، كتبه الأمريكيون،

بينما كتب الأوروبيون البيانات الأخرى، رغم أنَّها تخدم الأهداف الأمريكية.

يبيّن هذا التغيير مستوى شرعية الولايات المتحدة الأمْريكية، ويجب أن يكون جرس إنذار لنا، أي أنّ أمريكا، ونظرًا إلى سياسة أوباما، اكتسبت شرعية القيادة. هذا التغيير هو تغيير مهمّ. وقد قال أوباما إنّه سيتخذ سياسات ناعمة حتى تتنازل إيران عن رؤيتها السياسية، وإن لم تتنازل، فإنه يستطيع عندها زيادة العقوبات وتوفير الشرعية والقبول لسياساته المعادية لها في العالم.

هل استعدّ الجهاز الدبلوماسي الإيراني لهذه الظروف؟ وهل أعدّ الإجابات المناسبة؟

إنّ توفير الإجابات المناسبة أو عدمه، يعود إلى الظروف التي كانت إيران قد وصلت إليها في نهاية عهد بوش. يجب أن نسأل هنا: هل كان بإمكان إيران أن تقدم جوابًا مناسبًا؟

كانت الجمهورية الإسلامية الإيرانية تعيش ظروفًا تُعد فيها الإجابة المناسبة على حركة أوباما، تنازلًا عن السياسات التي اتخذتها الدولة التاسعة [أحمدي نجاد] في السنتين أو السنوات الثلاث الأخيرة من عهد بوش، وكان أي تغيير في هذا السلوك، سيُعتبرُ تنازلًا أساسيًّا عن المُثل والقيم.

لهذا، لو انتخب أوباما بدلًا من بوش في الدورة الثانية، عوضًا عن انتخابه الآن، لكانت الظروف مختلفة تمامًا. إنّ السياسة التي

رُسِمَتْ في الدولة السابقة كردٍّ فعل على السياسات العدائية للولايات المتحدة الأمريكية، وفّرت أرضية السياسات الحادة للدولة التاسعة [أحمدي نجاد].

في الحقيقة، كانت السياسة بحاجة إلى تغيير مع انتخاب أوباما، كي يكونا معها في اتجاه واحد. وعندما انتُخِب أوباما، كانت خمس قرارات تقف ضدنا في مجلس الأمن. لم تكن هذه الظّروف مؤاتية لتقوم إيران بتغيير سياساتها.

ما هي آفاق العلاقة الإيرانية-الأمريكية الآن، نظرًا إلى النموذج السلبي القائم على فقدان الثقة بين البلدين؟ وما هو المستقبل الذي ينتظرها؟

على الرغم من أنّ الكثير من الأصدقاء في المحافل الأكاديمية يظنون أنّ هذه الحالة لن تكون مستقرة، وأنه على إيران والولايات المتحدة في النهاية اتخاذ قرار بهذا الخصوص، فإنني أظنّ أنّ استمرارها مفيد للكثيرين في الولايات المتحدة الأمريكية وفي أماكن أخرى.

صحيح أنّ هذه الحالة هشّة، ولكنّ هذه الهشاشة تبقى مثل سيولة العالم بعد فترة القطبية ونهاية الحرب الباردة. في العلاقات الدولية المعقّدة، لا تكون مدة الفترة الانتقالية بالضرورة أسبوعًا أو أسبوعين، أو شهرًا، أو سنةً أو سنتين، ولكنها قد تستمر لمدة 20 سنة أو 50 سنة. تنتفع مجموعات عديدة من هذه الظروف الهشّة والخطرة، لهذا لا أرى أفقًا للتغيير.

إذًا، ستبقى العلاقات بين إيران وأمريكا متوترة إلى فترة غير معلومة الأمد؟

أعتقد أنّ إيران وأمريكا ستحتفظان بخلافاتهما في الرؤى دائمًا، ولكن مستوى التوتر سيكون متغيرًا. وأظنّ أنّ ثمة توترًا مُسيطرًا عليه، سيكون مستمرًا.

هل يمكن صياغة إجابتك على الشكل التالي: لا أمل في تحسن العلاقات بين إيران وأمريكا في المدى المنظور؟

لا يمكن قولها بهذا الشّكل، ولا يجب على أحد أن يتنبّأ بهذا الأمر. من الممكن أن تحصل تغييرات استثنائية أو أحداث غير متوقعة. إنّ المتغيرات ليست بيدنا، ولذا غفلنا عنها في التحليل أعلاه. ولكن لو استمرت الظروف الحالية كما ذكرت، فلا أرى أملًا لتغيير العلاقة، ونظرًا إلى هشاشة العلاقة، يبقى احتمال الخطر عاليًا.

في جميع العلاقات السائلة[1]، ثمة أثر عميق لخطأ الساسة، فقد يسبّب خطأ أمريكا صدامًا يغيّر نوع اللعبة، ولكن في ظلّ غياب خطأ أساسيّ، ستبقى هذه العلاقة مظلمة وبعيدة من الصّدام.

تحدّثْتَ عن الدّور النشط للجهاز الدبلوماسي الإيراني في قضية أفغانستان، فهل استمرّ هذا الدور بخصوص إزاحة صدام حسين، ثم احتلال العراق، وحتى تشكيل نظام الحكم الجديد؟

إنّ حكومة بوش (الابن)، وبناء على رؤية المحافظين الجدد، سعت إلى الهيمنة الأمريكية بالطريقة العسكرية. بالطبع، لم تكن

(1) مصطلح فارسي يُستخدم للدلالة على العلاقات المتغيّرة.

هـذه السياسـة هـي سياسـة بوش الابـن فقط، فمنـذ عهد والـده، وحتى عهـد كلينتـون، كانت الأداة العسـكرية ضمن أولويات العمـل الأمريكيّ، لأنّهـم كانـوا يعتقـدون أنّهـم يمتلكـون التفـوق القاطع علـى العالم من خلالها.

فـي حكومـة بـوش الابـن، وبعـد الهجـوم علـى أفغانسـتان والنجـاح السـريع فيهـا، كان مـن الضـروري أن يحصلـوا علـى منطقة أكثـر أهمية عبـر حركـة عسـكرية ناجحـة، وبـأيّ حجّـة. كان العـراق مرشّـحًا مناسـبًا لاتبـاع هـذه السياسـة، لأنّـه بلـد مهـم مـن جهـةٍ، ولأنـه ـ من جهـةٍ أخرى ـ فقـد قدرتـه بعـد 12 سـنة مـن عقوبـات الأمـم المتحـدة، وهـو معـزول فـي المجتمـع العالمـي، مـا يجعـل تكاليـف محاربتـه أقـل. ونظـرًا إلـى تاريـخ العـراق فـي إنتـاج أسـلحة الدمـار الشـامل واسـتخدامها، كانـت الحجـة جاهزة.

أنـا متيقـن مـن أنّ الموضـوع لم يكـن يتعلّـق بالأسـلحة، ولا أعتقد أنّ الهـدف الأسـاس هـو الحصـول على النفـط العراقـي. إنّ الهدف هو اتبـاع سياسـة تكريـس الهيمنة الأمريكيـة على العالم. ظـنّ الأمريكيون أنّهـم يسـتطيعون حصـد انتصـار سـريع فـي العـراق، وبعد أن يسـتتب الأمـن أو الديمقراطيـة بزعمهـم، يمكنهـم تقديم نموذج فـي المنطقة، وبهـذا يثبتـون تفوّقهـم علـى العالـم. كانـت هـذه الأمنيـات رائجة في حكومـة بـوش. لهـذا، وبعـد فتـرة قصيـرة مـن إسـقاط صـدام، أعلـن بـوش الانتصار.

من الطّبيعيّ أنّ البعض، حتى في إيران، ساورهم القلق حيال الانتصار الأمريكي السريع على العراق، بما يؤدي إلى سُنَّة لا تنتهي. لهذا، كان أحد الأهداف الاستيراتيجية لإيران، مخالفة السياسة العسكرية، والتصدي لاعتداء أمريكا على العراق، بينما اعتقد آخرون، وفي إيران أيضًا ـ منهم مسؤولون في وزارة الخارجية ووزارة المخابرات ـ أنّ أمريكا لن تهجم على العراق.

في إحدى رحلاتي إلى طهران قبل أسبوعين من بدء الهجوم الأمريكي، قلت في لجنة الأمن الوطني في مجلس الشورى الإسلامي، إنّ الولايات المتحدة الأمريكية ستهجم على العراق خلال ثلاثة أسابيع. قال بعض أعضاء اللجنة إنّ الجهاز الذي تنتمي إليه يتوقّع أمرًا آخر، فأجبتهم: هذا هو تحليلي الشخصي، ولا يمكنني تقديم تحليلاتي الشخصية بناءً على الإرشادات الموجودة.

كنتَ معارضًا لهجوم الولايات المتحدة الأمريكية على العراق بشكل علنيّ. قبل عدة أشهر من الهجوم، وعندما كانت طبول الحرب تُقرع، وصفت الحرب ونتائجها بالوخيمة في عدة حوارات وخطابات لك في مجلس الأمن في الأمم المتحدة. فمثلًا، بتاريخ 18 فبراير/شباط 2003، قلتَ عبارة نشرها عدد كبير من المطبوعات الأمريكية، مفادها: «نظرًا إلى التعقيدات في العراق والمنطقة، لا يمكن لأحد أن يتنبّأ بنتائج الحرب». هل يمكنك شرح هذه العبارة؟

وفقًا لما كنت أراه في نيويورك، كانت الحرب حتمية، ولكنني لم أكن أعتقد بالنصر الحتمي لأمريكا، وتنبأت في الاجتماعات الداخلية

بأنّ صدّام سيُهزم سريعًا، ولكن أمريكا لن تنتصر، لأنّ الاحتلال العسكري الأجنبي سيبعث على المقاومة، وعلى التطرف أيضًا بلا شكّ. هذا هو الموضوع الّذي قلته في اجتماع مجلس الأمن.

إضافة إلى ذلك، اعتقدت، ولا أزال، أن الاستناد إلى القوة بحجج بالية، هو أمر خطير يجب الوقاية منه، بغض النظر عن الموافقة أو المخالفة أو التوقعات الرائجة. ذكرت هذا الأمر في حواراتي في أمريكا، وأكّدتُه في كلّ خطاباتي في مجلس الأمن.

بالطبع، كانت إيران عرضة لخطر فوري عندما كان موضوع الهجوم على العراق مطروحًا، أي في الفترة الممتدة بين العامين 2001 و2003، إذ كانت هناك مجموعة في داخل الولايات المتحدة الأمريكية وخارجها، تسعى إلى أن يكون الهجوم على إيران عوضًا عن العراق.

كان شعار المحافظين الجدد: «الرجل الحقيقي يذهب إلى طهران»، ويُقال إنّ شارون قال لبوش: «إنّ بغداد عنوانٌ خاطئ، ويجب أن تفكّر في طهران»، كما كان اللوبي العربي ناشطًا لاستهداف إيران ومنع الهجوم على العراق. من نتائج هذا الائتلاف الملعون، حوار مع المنافقين في واشنطن في شهر أكتوبر/تشرين الأول من العام 2002، وفضح برنامج نطنز، من خلال المعلومات الّتي حصلوا عليها من الإسرائيليين والمتطرفين الأمريكيين، بهدف توجيه العدوان من العراق إلى إيران. وقد كان جهاز السياسة الخارجية للجمهورية الإسلامية الإيرانية بحاجة إلى الوقاية من هذه المؤامرة بفطنة.

إضافةً إلى الملاحظات السابقة، كان مستقبل العراق، ولا يزال، مهمًّا جدًّا بالنسبة إلى الجمهورية الإسلامية، من ناحية العقائد الدينية والمشاعر المذهبية، ومن ناحية أهمية العراق واستراتيجيته للجمهورية الإسلامية وللمنطقة.

وكانت ثمة حقيقة مهمة وواضحة لي ولجهاز السياسة الخارجية آنذاك، قمنا على أساسها بالتحليل والتصرف، بناءً على ما توصلنا إليه، وهي أنّ بقية دول المنطقة أنداد لنا في العراق، ولبعضهم مصالح ضد إيران. مثلًا، إن دول المنطقة، ومن بينها سوريا، لم تكن ترغب في انحلال حزب البعث بعد إسقاط صدام. أما تركيا والسعودية وآخرون، ومن بينهم بريطانيا، فلم يريدوا إقامة انتخابات في العراق، لأنّ نتيجتها ستكون فوز الشيعة. وكانت سوريا مخالفة لشيوع الانتخابات في المنطقة وحكومة الأغلبية، ولم تكن تريد فقدان حزب البعث.

ثبت هذا التنبّؤ في اجتماع شرم الشيخ بعد عدة أشهر من هجوم الولايات المتحدة الأمريكية على العراق، بحضور الأعضاء الدائمين لمجلس الأمن وجيران العراق. في ذلك الاجتماع، كان وزراء خارجية إيران والولايات المتحدة الأمريكية يدعمون الانتخابات وحدهم. أما بقية الدول، مثل سوريا والسعودية، فكانت معارضة لها بشكل مباشر، فيما كان البعض معارضًا لها بشكلٍ غير مباشر، وبطرق مؤذية، مثل بريطانيا. لهذا، كانت مصالح إيران في العراق بحاجة إلى حضور جاد فيما يتعلّق برسم الأمور الخاصّة بالعراق.

الغزو الأمريكيّ للعراق

لعلّ هناك مفاوضات تمّت مع الأمريكيين حول العراق، كما حصل بالنسبة إلى أفغانستان. ما هي أهم المواضيع المتداولة في هذه الحوارات؟

في شهر مارس/آذار من العام 2002م، أي قبل أكثر من عام على هجوم الأمريكيين على العراق، وخلال إحدى سفراتي إلى نيويورك كمعاون لوزارة الخارجية، اقترحتُ على الأمين العام للأمم المتحدة تشكيل فريق مشابه لفريق 2+6 المعني بأفغانستان، خاص بالعراق، ويضم جيرانه والأعضاء الدائمين لمجلس الأمن، للوقاية من بروز كارثة جديدة في المنطقة.

رحّب الأمين العام بحفاوة بهذا الاقتراح، وتقرّر أن يقوم بمتابعة الأمر مع جيران العراق والأعضاء الدائمين. عارضت الولايات المتحدة هذا الاقتراح بشكل قاطع، وأوصلت إلينا رسالة عن طريق الأمين العام، مفادها أنّها تريد التحاور بشكل مباشر مع إيران، كما كانت قد أرسلت إلينا هذه الرسالة عن طريق آخر.

بعد مدّة، تبيّن أنّ سبب اعتراض أمريكا على عقد اجتماع لجيران العراق مع الأعضاء الدائمين، هو خلافها في تلك الفترة مع فرنسا

وروسـيا، اللتيـن كان لديهمـا توجّـه يقابـل الخطـط الأمريكيـة للعـراق، ولـم يكـن الأمريكيون يرغبون فـي تدخل هذين البلديـن في الموضوع.

أصـرّت الشَّـخصيات والتيـارات العاقلـة فـي الداخـل، أو القريبـة مـن الحكومـة الأمريكيـة، على حوار بين إيـران والولايات المتحـدة الأمريكية، فمنـذ أن ذهبـت إلـى البعثة الإيرانية كمندوب دائم في شـهر أغسـطس/ آب مـن العـام 2002، اتصلـوا بـي عـدة مـرات سـعيًا إلى حوار مباشـر في إيـران والولايـات المتحـدة الأمريكيـة فيمـا يخـص العـراق. وكنـت أؤيـد فكـرة إرسـال تقريـر إلى طهـران بهذا الخصـوص، أُذكّر فيه الوسـطاء دائمًا بأفغانسـتان وبـ«محور الشـر»، وبـأنّ إيران لا تثـق بأمريكا.

ختامًـا، اتخـذت طهـران قـرارًا علـى أعلـى المسـتويات بحـوار مـع الأمريكييـن بخصـوص العـراق، بمـوازاة مفاوضـات جنيـف المتعلقـة بأفغانسـتان. كنـت فـي نيويـورك عندهـا، ولـم أكـن حاضـرًا عنـد اتخـاذ القـرار، ولكننـي أعتقـد أنّ ضـرورة التعاون المباشـر كان هدفهـا الوقاية مـن المخاطـر التـي أشـرت إليهـا فـي إجابـة السـؤال السـابق. اتخـذ المسـؤولون هـذا القـرار، وأبلغونـي بـأنّ مسـؤولية اللجنـة الإيرانيـة سـتكون علـى عاتقـي.

فـي تلـك الفتـرة، كنـت مقيمًا فـي نيويـورك، ولهذا كنت مجبـرًا على العـودة إلـى طهـران قبـل كل جلسـة، لأطّلـع علـى الشـروط والمواقف، ثـمّ أغـادر إلـى أوروبا، وأرجـع بتقرير إلى طهران بعـد المفاوضات. قمنا بالتحـاور ثـلاث مـرات؛ المـرة الأولـى فـي باريـس، والثانيـة والثالثـة في جنيـف. اثنتـان منهـا قبـل الهجـوم على العـراق، وواحـدة بعـد الهجوم.

وقد مَثَّل الأمريكيين زلماي خليل زاده ورايان كراكر. وعن إيران، حضرتُ والأصدقاء الذين شاركوا في مفاوضات أفغانستان.

في هذه المفاوضات، ولا سيّما قبل الهجوم، نبّهناهم إلى مخاطر الهجوم على العراق وعواقبه، وصحّحنا ما ينقله العرب وآخرون عن الشيعة وحزب البعث والجيش العراقي، وقد كان الأمريكيون يجهلون الكثير حول الحالة الداخلية في العراق.

أذكر أنّني شرحت لهم دور الحوزة العلمية وآية الله السيستاني، وأوضحت لهم عدم إمكانية معالجة المشاعر الدينية للناس بعدد من رجال الدين الشباب، ممن لا يملكون رصيدًا في الحوزة، وتطرقت إلى مخاطر تشكيل حكومة عسكرية أميركية في العراق قبل الهجوم وبعده، وضرورة الاهتمام بإرادة الأكثرية، وعجز الولايات المتحدة عن تشكيل حكومة قمعية، مثل حكومة صدام، ومواضيع أخرى شبيهة.

في أحد الحوارات، اتخذتُ موقفًا حادًا حول تفاوضهم مع المنافقين، وسلوكهم المزدوج إزاء الإرهاب، لكنّهم قدّموا أعذارًا واهية، كقولهم إنّ هذه القرارات اتخذت في الميدان، وليس لواشنطن دور فيها، لكنّهم تعهدوا بعدم تكرارها مرة أخرى، وسألوا عن حالة تخصّ العراق وعن القاعدة، وعن تواجد بعض عناصرها في السجون الإيرانية.

ورغم أنّ هذه المفاوضات ـ مثل مفاوضات أفغانستان ـ كانت مفيدة، بل ضرورية، فيما يخص الشأن العراقي، واستطاعت توفير الكثير من أهدافنا والوقاية من الكثير من المخاطر والكوارث، ولكن،

وللأدلـة نفسـها التـي ذكرتها سـابقًا، فإنها لـم تتمكن من تخفيـف التوتر بيـن إيـران وأمريكا.

فـي الختـام، وعلـى الرغـم مـن اتفـاق المتفاوضيـن وتحديـد تاريـخ للحـوار الرابـع، لـم نجتمـع مرة أخـرى. من الطريـف أنّ أصحـاب القرار فـي طهـران وواشـنطن، وفـي فتـرة متزامنـة ـ مـن دون علـم كل طـرف بقـرار الطـرف الآخـر ـ، قـرروا عـدم الاجتمـاع للمـرة الرابعـة.

بعـد عـدة سـنوات، وفـي عهـد السـيد أحمـدي نجـاد، كانـت لـديَّ جلسـة مفاوضـات مـع السـيد جايمـس بيكـر ـ وزيـر الخارجيـة السـابق ورئيـس لجنـة خاصـة برئيـس الجمهوريـة [الولايـات المتحـدة الأمريكية] بخصـوص العـراق ـ وكانـت أمريـكا قـد غرقـت فـي وحـل العـراق، وهـو مـا دفـع بـوش، وبضغـط مـن الكونغـرس، إلـى أن يشـكل لجنـة مسـتقلة برئاسـة السـيد بيكر (جمهـوري) والسـيد هاميلتون (ديمقراطـي)، لإيجاد حـلّ للخـلاص مـن كارثـة العـراق.

وقـد جـاء السـيد بيكـر إلى نيويـورك ودعانـي لزيارتـه. كان ذلك في شـهر رمضـان المبـارك، ولكـي لا نذهـب للقائـه، دعَوتُه إلـى المقر، فجاء مع أحد السـفراء السـابقين في المنطقة، وتحدثنا بشـكل مفصلي وجاد حـول هـذا الأمر، ولكـن طهران لم ترغـب في اسـتمرار المفاوضات.

هنـاك صـورة تظهـر فيهـا مـع السـيد خـرازي وانـت تصافـح صـدام حسـين. إلـى أي فتـرة تعـود هـذه الصـورة؟ ومـا هـي حكايتهـا؟

كنـت برفقـة السـيد خرازي عندما سـافر إلى العراق فـي العام 2000

أو 2001م، لمناقشة العلاقة الثنائية بين إيران والعراق، وموضوعات متبقية منذ الحرب، وكان من المقرر أن يلتقي صدام. وقد شدّد العراقيون آنذاك على وجود عددٍ قليل المرافقين لأسباب أمنية.

لهذا، كان المرافقون للدكتور خرازي هم القائم بأعمال إيران في بغداد، والمترجم، وأنا. قبل العراقيون بذهابي فقط كمرافق للدكتور خرازي، وبعد إصرار منا قبلوا بذهاب المترجم أيضًا. وربما اعتقدوا أنّ القائم بأعمال إيران يعرف المدينة وضواحيها، ولم يكونوا يرغبون في أن يعرف مكان إقامة صدام، ولهذا ألغوا مشاركته في المجموعة.

كانت حواشي اللقاء طريفة، ولكنهم لم يحددوا وقته. في أحد الصباحات، عندما كانت البعثة تستعد لزيارة الكاظمين، طلبوا منا البقاء، وتبيّن أنّ برنامج لقاء صدام كان في ذلك اليوم. في حوالى الساعة التاسعة صباحًا، أتت سيارتا استقبال خاصتان بوزارة الخارجية العراقية، لنقلنا من الفندق إلى مكان يبدو أنّه أحد قصور رئاسة الجمهورية في المدينة.

كان السيد الصحاف ـ وزير خارجية العراق آنذاك ـ ينتظرنا أمام أحد المداخل لاستقبالنا. جلسنا في غرفة الانتظار بينما انشغل الوزراء بالحديث. بعد مدة، جاء المساعد الخاص لصدام، الذي يظهر في جميع الصور، ومنها وقوفه خلف صدام في صورنا، وتحدث إلى السيد الصحاف، الذي أخبرنا بدوره بضرورة الانتقال إلى مكان آخر للقاء صدام.

قاد مساعد صدام شخصيًّا سيارة BMW، وتبعته سيارتان حديثتان لعلهما تخصان رئاسة الجمهورية، تقلان الدكتور خرازي والسيد

الصحـاف والمترجـم وأنـا. تجولنـا لفتـرة فـي المدينـة ثـم غادرناهـا. لعلّهـم كانـوا يريـدون التيقـن مـن أنّنـا أضعنـا الطريـق.

خـارج المدينـة، قـادوا السـيارة إلـى أن وصلنـا إلى مزرعـة تخلو من أيّ علامـة خاصـة، عـدا غرفة مراقبـة عادية جدًّا، يتواجـد الكثير منها في العـراق. بعـد عـدة دقائق مـن القيادة داخـل المزرعة، وصلنـا إلى مبنى عـادي جـدًّا، ونزلنـا مـن السـيارة، حيـث كان اثنـان مـن موظفـي وزارة الخارجيـة فـي اسـتقبالنا. وبعـد وقفـة قصيـرة، وتجـاوز عـدة ممـرات، وصلنـا إلـى صالـة فخمة جـدًّا، يبدو أنّها تقـع تحـت الأرض، وكان صدام بانتظارنـا، حيـث اسـتقبلنا بحفاوة.

بعـد المجامـلات الأولية، بدأ صـدام الحديث. وخلاصـة حديثه هي أنّ العقبـات الفنيـة قابلـة للحـل لو توافـرت الإرادة السياسـية لـدى أصحاب القـرار. مـن الطريـف أنّـه استشـهد بمفاوضاتـه مع الشـاه، والتـي نتجت عنهـا اتفاقيـة العـام 1975م. ذكـر صـدام بتفصيـل مبالـغ فيـه لقـاءه مـع الشـاه مرتيـن، وتحـدث باختصـار مبينًـا فكرتـه العامـة لحـل المشـكلات العالقـة، وموضحًـا أنّ الشـاه قَبِلَ فكرته بعد أن تحدث كثيـرًا في كل مرة.

بعـد الاتفـاق السياسـي علـى المسـتوى العالـي، اتفـق متخصّصـو الجانبيـن فـي الموضوعـات التـي يبـدو أنّهـا غيـر قابلـة للحـل. واللافت للانتبـاه فـي هـذا الحـوار، كان إعجـاب صـدام الغريـب بنفسـه، ففيمـا يخـص اتفاقيـة العـام 1975م، إبـان ضعـف العـراق وقـوة الشـاه، كان يتحـدث وكأنّـه أجبـر الشـاه على القبـول برأيـه. أعتقد أنّ هـذا الاعتداد بالنفـس، هـو مـا سـبّب سـقوطه فـي النهايـة.

المندوب الدائم في الأمم المتحدة

لنعد إلى ذكرياتك الأخرى. انتهى عملك كمعاون في القسم الدولي في حكومة السيد خاتمي في العام 2002م، وأصبحت منذ تلك الفترة وحتى العام 2007م، سفيرًا ومندوبًا دائمًا لإيران لدى الأمم المتحدة. تبدو هذه المرحلة الأهم في عملك، إذ توليت فيها هذا المنصب، هل هذا صحيح؟

ليس ضروريًّا أن تكون هذه الفترة أهمّ فترة في عملي. في هذه المرحلة، برز اسمي في الأخبار أكثر، ولم يكن الأمر متعلقًا بعملي في الأمم المتحدة، بل كان متعلقًا بالمفاوضات النوويّة ودوري في تلك الأحداث. وقد سلّمت أوراق اعتمادي كمندوب دائم للجمهوريّة الإسلامية إلى الأمين العام في شهر أغسطس/آب من العام 2002م.

كيف تمّ اختيارك؟ وكيف رجعت إلى الأمم المتحدة بعد عشر سنوات من العمل في المعاونية الدولية في وزارة الخارجية؟

اسمح لي أن أبدأ من هذه النقطة؛ ففي فترة كوني معاونًا في وزارة الخارجية، سعت مجموعة مخادعة، وبأكاذيب واضحة، إلى تغيير الرأي العام. برز هذا الجهد في مجال النشاط الدولي للجمهورية الإسلامية، ولا سيّما بخصوص نزع السلاح والمفاوضات

النووية. مع الأسف، بدأ هذا النشاط منذ بداية حكومة السيد خاتمي، إذ قاموا بنشر الأكاذيب على نطاق واسع.

كمثال على ذلك، كتبت صحيفة كيهان ذات يوم [23 أبريل/نيسان 2002]، وبعنوان بارز: «هنا جاران، تعالوا معنا إلى CTBT»[1]. وكتبوا في أسفل الصّفحة: «وضعت المجموعة المعروفة بعصابة نيويورك في وزارة الخارجية محطة تجسس في طريق كرج ـ جالوس، تُرسل المعلومات إلى فيينا مباشرةً». هذا نموذج من تلك الأكاذيب. وفي اليوم التالي، وبعد أن اتصل أعلى منصب في البلاد بصحيفة كيهان، كتبوا مُجبَرين أنّ المحطّة أُسِّست بعد التنسيق مع الأجهزة المعنيّة.

أعتقد أنّ السياسة الخارجية يجب أن تكون متناسقة ومنسجمة. إنّ أحد أكبر مشاكلنا في السياسة الخارجية، عدم الانسجام ووحدة العمل. بالطبع، قد تكون هذه المشكلة موجودة في بقية الدول، ولكنني، وطيلة فترة عملي في جهاز السياسة الخارجية، لم أقم بأي عمل من دون تنسيق مسبق مع السلطات العليا، ليس لأنّني إنسان جبان ـ وقد أكون كذلك ـ بل لأنّني أعتقد أنّ السياسة الخارجية يجب أن تكون قائمة على هيكل عام، وأن تسير وفق طريق منسجم، فحتى لو عانت سياسةٌ ما ـ فرضًا ـ انتقادات أساسية، فعندما تتابع بشكل متناسق ومنسجم، فإنّ احتمال وصولها إلى نتيجة، سيكون أكبر من

(1) يُقصد بها اتفاقية منع التجارب النووية، انظر:
CTBT: Comprehensive Nuclear Test Ban Treaty.

اتباع كل شخص لسياسة مختلفة على أساس فهمه الشخصي. لهذا، لم أقم بأي عمل طيلة فترة عملي دون التنسيق مع السلطات العليا.

أما العمل الذي تمّ في محطة رصد الزلازل وفقًا للـ IRSC، فقد حصل بالتنسيق مع أرفع السلطات، ونال موافقة المجلس الأعلى للأمن القومي. ولكن، مع الأسف، بدأ هجوم واسع ومنسّق عليه، ولم يكن مصدره الأصلي سوى شخص أو شخصين فقط.

هل تعرفهم؟

نعم، كان أحد هؤلاء موظّفًا سابقًا، فيما كان الآخر زميلًا لي في الجامعة. وكان أحدهم من وزارة الخارجية، والآخر من خارجها. وقد سبق لي أن عملت معهما.

ما هو موضوع هذه المحطة؟

سيكون بحثًا تخصّصيًا جدًا. لذا، سأكمل أولًا الإجابة عن السؤال السابق، ثم سأتحدث عن معاهدة CTBT وعن هذه المحطة.

أعلنت تلك المجموعة أننا وقّعنا معاهدة الـ CTBT، وأنشأنا محطة في إيران بتصرف شخصي، وتبيّن فيما بعد، كما ذكرت، أنّ عملنا حصل على موافقة رئيس الجمهورية ومجلس الأمن القومي، وتمّ بعد الحصول على إذن السلطات العليا. أقيمت المحطة بعد التنسيق مع كلّ الأجهزة العسكرية والسياسية والاستخباراتية ومجلس أمن البلاد. كانت هذه الحركة تُتابَع في عدة أماكن، وخصوصًا في مكتب رئيس الجمهورية ـ السيد خاتمي آنذاك ـ وهو ما جعل عملي في طهران صعبًا.

كانـوا يكتبـون الكثيـر من التقاريـر ضدنا، وكانت تُرسَـل من الوزارات المختلفـة إلـى مكتـب رئيـس الجمهوريـة. وكان مصدرهـا وفحواهـا واحـدًا، شـأنها شـأن الخبـر الـذي نشـر صحيفـة كيهـان، وكان مبنيًّا على الكـذب. لهـذا، أصبـح عملـي وعمـل بعـض الزمـلاء كتابـة إجابـات عـن تلـك التقاريـر. فـي إحدى المـرات، أذكر أنّنـا ذهبنا إلـى وزارة الخارجية منـذ صبـاح يـوم الخميـس، ولـم ننم حتـى عصر الجمعـة، لكتابـة إجابة عـن أحـد التقارير.

كنـت أشـعر بـأنّ وقتنـا يُسـتهلَك فـي الـرد علـى موضـوع ليـس لـه أدنـى قيمـة، كمـا كنـت أعـرف تاريـخ هـؤلاء واتجاهاتهـم. مع الأسـف، يمكـن إشـاعة سـوء الظـن لـدى الكثير مـن المسـؤولين بهذه السـهولة. وقـد ضغطـت علـى الدكتـور خـرازي مبيّنًـا لـه أنّنـي لـم أعـد أرغب في تولّـي منصـب المعاون.

فـي العـام 1999م، وقبـل هذه الأحداث، طلبت الانتقـال إلى جامعة طهـران. فـي الحقيقـة، أرسـلَت كليـة الحقـوق والعلـوم السياسـية فـي جامعـة طهـران رسـالةً إلـى الدكتور خـرازي، طلبَت فيها نقلي إلى قسـم الحقـوق العامـة، وأنجـزَت جميـع الأمـور، وحصلَت على موافقة القسـم والجامعـة. وقـد قامـت بـكل هـذه الأمـور، لمـا تكنّـه لـي مـن محبـة، ولأننـي لـم أكـن أملك الوقـت الكافـي لمتابعة الإجـراءات.

كان مـن المقـرّر أن أكـون عضـوًا فـي الهيئـة العلميـة فـي جامعـة طهـران، وكان مـن الممكـن أن يعمـل عضـو الهيئـة العلميـة فـي وزارة الخارجيـة. مـع الأسـف، لـم يوافـق الدكتـور خـرازي علـى هـذا الطلـب،

رغـم أنّـه جامعـي مبتعث إلـى وزارة الخارجيـة. ونظرًا إلـى المحبة التي يكنّهـا لـي أيضًـا، ذكـر أنّـه لن يكون الشـخص الذي يسـمح لـي بالخروج مـن وزارة الخارجيـة.

مـن الطّريـف أنّ أحـد أولئك الأصدقاء الذين نشـروا الإشـاعات عني، ادّعـى أخيـرًا عبـر أحـد المواقـع الإلكترونيـة أنّنـي وبعـد العـودة مـن نيويـورك، كنـت أريـد أن أصبـح عضـوًا فـي قسـم العلاقـات الدوليـة في جامعـة طهـران، ولكنّـه رفـض ذلك، علمًـا أنّني كنت قبل ذلـك بعقد من الزمـن عضـوًا فـي قسـم الحقـوق العامـة، ولا شـكّ فـي أنّه أعلـى مكانةً مـن قسـم العلاقـات الدوليـة، كمـا أنّني لـم أطلب قـط أن أصبـح عضوًا فـي قسـم العلاقـات الدوليّة.

بـدأت الضغـوط تنهـال علـيّ بـدءًا مـن العـام 1999م، ووصلـت إلى ذروتهـا فـي العاميـن 2000م و2001م. طلبـت مـن الدكتـور خـرازي أن يسـمح لـي بالذهـاب إلـى جامعـة طهـران أو أن يرسـلني فـي مهمّة من دون مشـاكل. أذكـر أنّنـي عبّـرت للدكتور خـرازي في مكتبـه، عن رغبتي فـي الابتعاث إلـى ماليزيا كسـفير.

فـي تلـك الفترة، كان السـيد ماهاتير محمد هو رئيـس وزراء ماليزيا، وكان يبـدي الكثيـر مـن المحبـة والاحتـرام لـي. فبعـد أن اشـتركنا معًـا فـي اجتمـاع بقرطاجنـة[1]، قـال لمندوبهـم في الأمـم المتحـدة: «عندما يفـرغ ظريـف مـن العمل فـي وطنه، اطلـب أن يعمل معنـا». كان دائم

(1) الاجتماع المشار إليه هو المؤتمر الوزاري الثالث عشر لحركة عدم الانحياز المنعقد في 8 و9 نيسان/أبريل 2000 في مدينة قرطاجنة (كارتاخينا) في كولومبيا.

المحبة لي، وقد رشّحني الماليزيون لمنصب الأمين العام للمؤتمر الإسلامي، بينما كانت الجمهورية الإسلامية تبحث عن آخرين لهذا المنصب.

في تلك الفترة، تمّ ترشيح أشخاص لم يكن احتمال حصولهم على منصب الأمين العام يتعدى الواحد في الألف، ولو رُشِّحت بدلًا منهم، لكنت قد أصبحتُ الأمين العام للمؤتمر الإسلامي عوضًا عن السيد إحسان أوغلو. بالطبع، رشّحني الماليزيون للمنصب قبل الدورة التي فاز فيها السيد إحسان أوغلو. ولأنّ إيران لم تعتنِ باقتراح ماليزيا بشكل جاد، فقد رشحوا شخصًا من بلدهم، ولكنه خسر في مقابل السيد أوغلو من تركيا.

بغضّ النظر عن هذا الأمر، عندما أخبرت الدكتور خرازي عن رغبتي في أن أصبح سفيرًا في ماليزيا، وأنني سأكون ناجحًا، نظرًا إلى علاقتي الجيّدة معهم، بما يوفّر فرصة لتقدّم مصالح بلدي، أجاب: «يبدو أنّك تريد أخذ إجازة للاستراحة»، فقلت له: «ألا يحق لي بعد 25 سنة من الخدمة المتواصلة لبلدي، أن أستريح لفترة، وأن أُبتَعَث في مهمّة أقل ضغطًا بعد كلّ هذه الضّغوط؟»، لكنّه لم يقبل.

في تلك الفترة، وللتخلّص من الضغوط الداخلية، كنت مستعدًّا للقبول بأيّ عمل، حتى ولو قيل إنّه دون مستواي. فمثلًا، عُرِضَ عليّ منصب الأمين العام لمنظمة ECO[1]، فقلت إنّني مستعدّ لتولي مسؤوليته، ولكن اسمحوا لي فقط بالتخلّص من وظيفتي الحالية.

---

(1) منظمة التعاون الاقتصادي: تأسّست في بداية العام 1962م بين ثلاث دول هي: إيران، تركيا =

في النهاية، طرأ موضوع المندوب في نيويورك. بالطبع، كنت مرشّحًا لهذا المنصب قبل أن يصبح الدكتور خرازي سفيرًا ومندوبًا دائمًا فيها، ولكن، كما أشرت سابقًا، انتفى الأمر بعد رفض أحد أعضاء حكومة السيد موسوي، الذي قال عنّي إنّني أمريكي. وكذلك كان الأمر حين كان السيد خرازي سفيرًا في العام 1995م، لأنّه كان يرغب في العودة إلى إيران لأسباب عائليّة. حينها، كنت معاون وزير، ورشّحوني لتولي هذا المنصب. في تلك الفترة، تحدثت إلى الدكتور خرازي وزوجته، التي وجدت طريقة لابنهما لمتابعة دراسته في أمريكا، لكي يتمكّنوا من البقاء فيها، وقد كنت أُلحُّ عليهم للبقاء في إيران.

ولكن هذه المرة، رأيت أنّني لا أستطيع العمل في طهران، لذا وافقت على الذهاب إلى نيويورك. أظنّ أنّني والدكتور خرازي توصلنا إلى اتفاق لرحيلي إلى نيويورك في يناير/كانون الثاني من العام 2002م، ويبدو أنّه أخبر السيد القائد بموضوع ابتعاثي. وقال لي السيّد القائد فيما بعد إنه أخبر السيد حجازي في اليوم نفسه أنّني أفضل مرشح لهذا المنصب، على أن تسير الأمور وفق الإجراءات الطبيعية في وزارة الخارجية.

في تلك الفترة، كانت الإشاعات المنتشرة طريفة، مثل مخالفة السيد القائد لفكرة تقلّدي منصب السفير، أو أنّني كنت مصرًا على

= وباكستان. وبعد انهيار الاتحاد السوفياتي، انضم إليها سبع دول هي: أفغانستان، جمهورية آذربيجان، كزاخستان، تركمنستان، قرغيزستان، أزبكستان، طاجيكستان، انظر:
Economic Cooperation Organization (ECO).

مقابلته لأتولى هذا المنصب. بالطبع، دعاني السيد القائد لاحقًا لزيارته، وشملني بالكثير من المحبة، وقال لي: «تحدّث الدكتور خرازي عن اختيارك، وقلت للسيد حجازي إنّني موافق، وإنّك أفضل خيار»، وذكر ملاحظات ضرورية لمهمتي، من بينها ملاحظة قلتها للطلبة في كل محاضراتي، إذ قال لي: «إنّ وظيفتك هي أن تطرح رؤيتك، حتى لو تيقنتَ أنّها مخالفة لرؤيتي بنسبة 180 درجة. لا تُغيِّب رؤاك الشخصية، بل إنّ طرحها يعدّ وظيفة شرعية». بحمد الله، كنت أقوم دائمًا بهذا الأمر، رغم أنه لم يكن من مصلحتي ظاهريًّا، ولكنّني كنت متقيدًا بوظيفتي من الناحية الشرعية والقانونية والضميرية.

في اليوم الذي التقيت فيه السيد القائد، قالت صحيفة كيهان في الصفحة الأولى أنّ هناك مجموعة في وزارة الخارجية تسعى إلى إرسال ظريف إلى نيويورك بالطرق الإدارية، على الرغم من معارضة السلطات العليا في النظام. كل هذه الأكاذيب كان لها منشأ واحد، وقد حصلتُ على وثائق هذه الأفعال وأدلتها في فترات مختلفة، ولكنني لن أذكرها لكونها معلومات سرية، علمًا أنّ هؤلاء الأصدقاء لم يتوقّفوا عن أي غيبة وتهمة.

وقد أُجبِرت الصحيفة على الاعتذار في اليوم التالي. في الحالتين، عندما كالت الاتهامات لي، قلت إنّني لن أعفو عن المسؤول، الذي لم يعتذر إلي أبدًا، بل اعتذر إلى القرّاء الذين كذب عليهم. لا أعلم أيّ دين هذا! وأي نوع من المتدينين هم هؤلاء الّذين لا يعتذرون

إلـى مـن اتهموهـم، ولا يطلبون منهـم الصفح والغفـران! ولا يزال هؤلاء يكنـون لي العـداوة والبغضاء.

هـذه الأحـداث وقعـت قبـل ذهابـي إلـى نيويـورك. ختامًـا، وفـي بدايـة أيـام يوليو/تمـوز [2002م]، غـادرت إلى نيويورك وسـلّمت أوراق اعتمـادي إلـى الأميـن العـام. مـن الطريـف أنّ المنافقيـن بـدأوا الحرب النووية في الأيام التي سـلّمت فيه أوراق اعتمادي، أي أنّ السـيد «سـيد المحدثيـن» أجـرى لقـاءً صحافيًـا، تحـدّث فيه عـن أراك[1] ونطنـز، وكان هـذا اللقـاء أسـاس التهـم النوويـة ضـد الجمهوريـة الإسـلامية والملـف النـووي الإيراني.

فـي الحقيقـة، تأثـرت وظيفتـي فـي نيويـورك، وهـي القيـام بالعمـل الدولـي وتجهيـز البيئـة، بالملف النـووي. لقـد تَفَضَّلتَ بالقـول إنّ هذه الفتـرة هـي أهـمّ فترة عمل بالنسـبة إلـي، ليس لكونها فـي نيويورك، بل لأنّهـا تداخلـت مع الملـف النووي.

قبـل أن ندخـل فـي صلب موضـوع نيويورك وما حدث فيهـا، أخبرنا قصَّـة الموافقة علـى معاهدة CTBT، والانتقـادات الّتي وُجِّهت إليك؟

كانت سياسـة الجمهورية الإسـلامية طيلة الثمانينيات والتسـعينيات، أي فتـرة رئاسـة السـيد القائـد والسـيد هاشـمي للجمهوريـة، الشـفافية فـي المجال النووي وأسـلحة الدمار الشـامل. فمن ناحيـة، كانوا يريدون

(1) الحديث هنا عن منشأة أراك النووية، وقد ظهرت المنشأة التي تنتج الماء الثقيل بالقرب من بلدة أراك لأول مرة مع نشر صور بالأقمار الصناعية من قبل معهد العلوم والأمن الدولي (مقره في الولايات المتحدة) في ديسمبر/كانون الأول 2002. ويحتوي الوقود المستنفد من مفاعل الماء الثقيل على البلوتونيوم الذي يمكن استخدامه في تصنيع قنبلة نووية.

القـول إنّهـم ليسـوا بصـدد امتـلاك السـلاح النـووي، ومـن ناحيـة أخرى، كانـوا يريـدون التأكيـد على حـق امتلاك هـذه التقنيات سـلميًّا، للضغط علـى الغربييـن لرفـع العقوبـات المزدوجـة علـى إيـران والوصـول إلـى التقنيات السّـلمية.

كانـت هـذه السياسـة هـي سياسـة السـيد القائـد والسـيد هاشـمي بشـكل خـاص. وكذلـك، كانـت لدينـا سياسـة أخـرى، هـي الحـد مـن التدخـل الدولـي، لأنّنـا كنـا نشـعر بـأنّ هـذا التدخـل يتزايـد يومًـا بعـد يـوم، ونعلـم أنّ هـذه التدخـلات هـي مـن أسـاليب الضغـط علـى دول مثـل بلدنـا. لهـذا، كنّـا نبـذل أقصـى جهدنـا للحـد منهـا، فـكان لعملنـا ثلاثـة محـاور هـي:

أولًا: حفظ استقلال البلاد والحدّ من التدخل.

ثانيًـا: تطويـر القـدرات العلميـة والتقنية للبلاد، والاكتفـاء الذاتي في مجـالات التقنيـة الكيميائيـة والنوويـة والبيولوجيـة، وكل التقنيـات الحديثـة والمـواد اللازمـة لتنميـة البلاد.

ثالثًـا: التعـاون بنشـاط فـي العالـم في مجـال محاربة أسـلحة الدمار الشـامل، لأنّنـا كنّا من ضحايـا الأسـلحة الكيميائية.

بالنسـبة إلـى الأسـلحة النوويـة، فهـي محرمـة شـرعًا بفتـوى السـيد القائـد. لهـذا، كنـا نريـد الضغط علـى الدول التـي تمتلك هذه الأسـلحة لتعمـل علـى تدميرهـا. ومـن ناحيـة أخـرى، كنّـا نريـد أن نظهـر للعالـم أنّ نظرتنـا إلـى الأمـن لا تقـوم علـى أسـاس أسـلحة الدمـار الشـامل.

لهذا، كنا في الثمانينيات وحتى أواسط التسعينيات، نشطين في محاربة الأسلحة الكيميائية، لأنّنا من ضحايا الأسلحة الكيميائية التي استخدمها صدام ضدنا في الحرب.

كنّا نُؤكّد في كلّ خطاب على اتفاقية دولية قانونية لا يمكن التهرب منها لمحاربة الأسلحة الكيميائية. كان الدكتور ولايتي ـ الذي شغل منصب وزير خارجية لستة عشر عامًا ـ يذكر موضوع الأسلحة الكيميائيّة في خطابه في الأمم المتحدة كلّ عام، كما كان يذكره في بقية خطاباته.

لم يكن موضوع الأسلحة الكيميائية مطروحًا في العالم. تُرك هذا الموضوع بعد الحرب العالمية الأولى، وبعد حرب فيتنام، نظرًا إلى المنافسة بين القطبين. من ناحية أخرى، في حرب العراق المفروضة على إيران، استخدم العراق أسلحة كيميائية، ولكن جميع القوى كانت تدعمه.

وكما قلت سابقًا، لم يذكر مجلس الأمن حتى نهاية الحرب اسم العراق كبلد يستخدم هذه الأسلحة. لهذا، لم يكن في البيئة الدولية بلد غير إيران يتطرق بنشاط إلى موضوع الأسلحة الكيميائية. عندما كان السيد القائد رئيس الجمهورية، والدكتور ولايتي وزير خارجية ومسؤول جهاز السياسة الخارجية، خصّصا جزءًا من بحثهما لموضوع الأسلحة الكيميائية. وكان البحث النووي يسير بهذا الشكل أيضًا.

نظـرًا إلـى أنّ سياسـة البـلاد كانت الحصـول على التقنيـة النوويّة مع الشـفافية بخصـوص عـدم سـعينا إلـى الحصـول علـى الأسـلحة النوويّة، فـكلّ مـا يمكنه إثارة شـبهة بهذا الصـدد كان مخالفًا لسياسـة البلاد. كان هـذا السـلوك الدقيـق هـو السّـلوك المتّبـع فـي عهـد آيـة اللـه خامنئي كرئيـس للجمهوريـة. إلـى جانـب هـذه السياسـة، كانـت الحساسـية في الداخـل حيـال التدخـل الخارجـيّ شـديدة، لأنّ الاسـتقلال والتصـدي للتدخـل الأجنبـي كان، ولا يـزال، مـن أسـس الثـورة.

لهـذا، ونظـرًا إلـى مبادئنـا وإلـى الحساسـية فـي الداخـل، كان مـن الواجـب أن نقلـل التدخـلات التي يجـري العمل على تقنينهـا، ما أمكن، وكنـا مُجبَريـن على إيجـاد تعادل صعب فـي الجهاز الدبلوماسـي للبلاد، فمـع تصدينـا للتدخـل، يجـب أن لا يفهـم أحـد أنّنـا نسـعى إلـى امتلاك الأسـلحة. كان مـن الواجب أن نطرح معارضتنـا للتدخل، بحيث لا ترتبط بالأسـلحة. كانـت دبلوماسـية صعبـة جدًا، ولكننـا تمكنّا مـن المضي في هـذا الطريـق بشـكل جيـد لفتـرة مـا، ومنهـا متابعـة اتفاقيـة بخصـوص الأسـلحة الكيميائيـة. فـي الختـام، وعندمـا وصلـت الاتفاقية إلـى مرحلة التوقيـع، قمنـا بذلك.

فـي نهايـة عهـد حكومة السـيد هاشـمي، أصبحـت الاتفاقيـة جاهزة ليوافـق عليهـا مجلس الشـورى، ولكنّ هناك مجموعة اسـتفادت بشـكل خاطـئ مـن نظريـات العلاقـات الدوليـة، وعبر صناعـة بيئـة مريضة من ناحيـة نظريـة، مثـل نشـر الأكاذيـب فـي البـلاد، بـل حتـى بيـن القـوى المسـلحة، لمنـع الموافقـة علـى الاتفاقيـة، لكونهـا تعتقـد أنّ الموافقـة

عليها تُضِر بنا. في النهاية، تدخّل السيد القائد بشكل مباشر، وحُلَّ الموضوع بأمرٍ مباشر منه.

ورغم أنّ مجلس الشورى وافق على الاتفاقية، فقد منعوا الأمر أيضًا، وأمر السيد القائد بتنفيذه مرة ثانية. أذكر أنّ من أول الأعمال التي قام بها السيد خاتمي خلافًا لإرادته، وبناء على أمر السيد القائد، هو التوقيع على وثيقة انضمام إيران إلى اتفاقية منع الأسلحة الكيميائية. وافق مجلس الشورى على هذه الوثيقة في عهد السيد هاشمي، لكنّها وصلت إلى عهد السيد خاتمي. ومجددًا، عملت الضغوط نفسها التي كانت تودّ منع الموافقة على الوثيقة في مجلس الشورى على منعها في مكتب رئاسة الجمهورية. في الختام، صرّح السيد القائد أنّنا عملنا على مناهضة الأسلحة الكيميائية عشر سنوات، فكيف لا ننضمّ الآن إلى الاتفاقية؟ لذلك، يجب عدم الوقوف في وجه توقيع الاتفاقية، وما هي الصورة التي ستُرسَم عنا ونحن ضحايا الأسلحة الكيميائية؟

لو تجاوزنا موضوع الأسلحة الكيميائية، في الفترة نفسها، بدأ تشكّل موضوعين يخصان الملف النووي، الأول: البروتوكول الإضافي بالوكالة الدولية للطاقة الذرية في فيينا، والآخر: معاهدة الحظر الشامل للتجارب النووية في مؤتمر نزع الأسلحة في جنيف.

كان التفاوض بشأن البروتوكول الإضافي مع الوكالة الدولية للطاقة الذرية في فيينا في يد منظمة الطاقة الذرية، وكانت وزارة الخارجية معفية من المشاركة فيها. كانت هذه الخلافات موجودة منذ

عهد الشاه، وكانوا يقولون إنّ هذه الأعمال تخصصية، ويجب على وزارة الخارجية عدم التدخل فيها، وكانوا يبذلون قصارى جهدهم لمنع تدخلها. لهذا ـ ومع الأسف ـ لم يكن للدبلوماسيين دور في المفاوضات المتعلقة بالبروتوكول الإضافي، بل شارك فقط مندوبو إيران من منظمة الطاقة النووية، غافلين عن الملاحظات الدبلوماسية والسيادية.

أما مفاوضات معاهدة CTBT، في جنيف، فقد كانت في يد وزارة الخارجية، ولا سيما سفيرنا في جنيف آنذاك، السيد سيروس ناصري، وأنا معه، إذ كنت المعاون الدولي في وزارة الخارجية.

تعني معاهدة CTBT منع أي تجربة تفجيرية لسلاح نووي. إنّ التجارب التفجيرية تخصّ الدول التي تمتلك الأسلحة الذرية فقط. فمنذ أن انفجر أول سلاح نووي، ضغط العالم لمنع هذه الأسلحة، وقد كانت أعمال معاهدة NPT[1] أيضًا تصبّ في هذا السياق. بالطبع، تغلّبت الدول القوية، وفرضت رأيها على بقية الدول، ولكنّها ضمن هذا الإطار، قبلت بأن تزال هذه الأسلحة منها أيضًا. ذُكِرَتْ هذه الفكرة في المادة السادسة لمعاهدة NPT.

تمّ توقيع معاهدة منع مقيّدة للتجارب النووية في العام 1963م. ووفقًا لها، تُمنع التجارب النووية في الفضاء وتحت البحار. تمّ توقيع هذه المعاهدة استجابةً للقلق العالمي، بينما كان العالم، ولا سيّما

(1) وهي معاهدة عدم انتشار الأسلحة النووية في العام 1968م. وتسمى أيضًا معاهدة الحد من انتشار الأسلحة النووية، انظر: Non Proliferation Treaty (NPT).

الدول الأعضاء في حركة عدم الانحياز، يطالب بمعاهدة توقف الدول النووية عن أي اختبار نووي.

تُعرَف هذه المعاهدة بـ CTBT، معاهدة الحظر الشامل للتجارب النووية، أي بخلاف ما يذكره البعض في إيران تمامًا، كانت الـ CTBT في البداية تعني ضغط دول العالم غير النوويّة على العالم النووي. وفي العام 2000، كانت إحدى الخطوات الثلاثة عشرة في اجتماع إعادة النظر في الـ NPT لمناهضة الأسلحة النووية ـ وبضغط من الدول غير المنحازة ـ ضرورة تنفيذ معاهدة CTBT، والتي رفضت الولايات المتحدة الأمريكية الإشارة إليها، حتى [بعد ذلك] في اجتماع 2005م. لهذا فشل اجتماع 2005م للـ NPT.

ماذا تعني اتفاقية CTBT؟ تعني هذه الاتفاقية أنّ على الدول التي يمكنها إجراء الاختبارات النووي، تجنّب ذلك. في الحقيقة، إنّ على الدول التي لم تنضم إلى الـ NPT، أي «إسرائيل»، الهند، باكستان، والدول الخمس التي تملك السلاح الذرّي بحسب الـ NPT، أي أمريكا، روسيا، الصّين، فرنسا وبريطانيا، تجنّب إجراء اختبارات نووية. وقد تعهدت بقية الدول في الـ NPT بتجنّب السّعي إلى امتلاك الأسلحة النووية، أي أنّها لن تصل إلى مرحلة تتمكن فيها من تنفيذ اختبارات نووية، فلو أرادت إيران الوصول إلى مرحلة تستطيع فيها إجراء اختبارات نووية، فعليها نقض معاهدة NPT لسبع أو ثماني سنوات على الأقل، أي منذ بدء عملية التخصيب ومعالجة

المـواد القابلـة للانشـطار، وكذلك إعـداد الزناد وأجهزة الإطـلاق. عندها، تكـون قـد نقضـت المعاهدة.

فـي الحقيقـة، علـى الـدّول تجنّب أعمـال قبـل التعهـدات المذكورة فـي الــ CTBT. بعبـارة أخـرى، لـو أرادت دولـة غيـر الـدول الثمانيـة المذكـورة نقـض الــ CTBT، فإنهـا تكون قـد نقضت قبل ذلك بسـنوات معاهـدة الـ NPT.

لهـذا، ومنـذ العـام 1980م، ذُكـرت فـي جميـع قـرارات حركـة عـدم الانحيـاز ضـرورة إقـرار الــ CTBT. وقـد تمـت الموافقـة علـى هـذه المعاهـدة بضغـط مـن هـذه الحركـة. فـي العـام 2000م، كان مـن أبرز إنجـازات عـدم الانحيـاز في إقرار الخطـوات الثلاثة عشـرة التنفيذية في القمـة «الموافقـة علـى معاهـدة CTBT».

رغـم ذلـك، كانـت ثمة مجموعة تنشـر خلاف هذا الأمـر في الداخل، فلـو اعتقـد شـخص أنّـه لا يجـب أن ننضـم إلـى الــ CTBT، فيجب قبل ذلـك أن يعتقـد بالخـروج من الــ NPT. ذلـك الرجل الذي أثـار الغوغاء حـول معاهـدة CTBT، ذكـر عـدة مـرات بعـد التجـارب النوويـة للهند وباكسـتان، أنـه علينـا الخـروج من الــ NPT أيضًـا، لكنّه حيـن كان يثير الغوغـاء، لـم يكـن يذكـر الخـروج مـن الــ NPT، بـل كان يدّعـي أمـورًا مختلفـة، مثـل الاعتـراف بـ«إسـرائيل»، وحتـى التجسّـس عبـر محطـات CTBT، لأنّـه كان يعلـم أنّ السـلطات العليـا في النظام معارضة بشـكل كامـل للخـروج مـن الــ NPT. وبعـد كلّ هذا الظلـم الواقع علـى إيران،

لـم يأخـذوا بخيـار الخـروج مـن الــ NPT، لهـذا فقـط كان يغالـط الــ CTBT.

فـي المسـألة التّاليـة، مـا دام البرلمـان فـي 44 دولـة لـم يوافق على الــ CTBT، فلـن تُنفَّذ. «إسـرائيل» إحدى هذه الـدول الأربعة وأربعين. وإيـران وأمريـكا وروسـيا أيضًـا مـن هذه الـدول. يقـول البعـض كذبًا إنّ الموافقـة علـى الـ CTBT نزع لسـلاح إيـران أمام «إسـرائيل»، ولكن إن لـم توافـق «إسـرائيل» على الاتفاقية، حتـى لو وافقت عليهـا إيران، فلن تكـون إيران ملزمـة بتنفيذها.

هل يُعدّ ذلك نوعًا من الشرط؟

لا، لا يُعـدّ شـرطًا، بـل هـو النصـاب القانونـي للتنفيـذ. مثـلًا، فـي الاتفاقيـات الدوليـة، عندمـا توافـق 60 دولـة علـى اتفاقيـة، فإنها تدخل حيّـز التنفيـذ. وكذلـك في معاهدة CTBT، إن وافقـت عليها 192 دولة، ولـم توافـق عليهـا إسـرائيل، فلـن تدخـل حيّـز التّنفيذ.

إذًا، هل الأربع والأربعون دولة هي دول محددة؟

نعـم، لقـد تـمّ تحديـد أربـع وأربعيـن دولة فـي هـذه الاتفاقية، من بينهـا إيـران. انتقدَنـا البعـض لأنّ اسـم «إسـرائيل» مذكور فـي الاتفاقية، فاتُّهمنـا بأنّنـا اعترفنـا بهـا! انظـر كيـف يخلطـون الأمـور؟ عفـا اللـه عن الجميـع، هـل يعتقـد هـؤلاء أنّه يجـب إعفاء «إسـرائيل» مـن الاتفاقية؟ أليـس هـذا هـو نزع سـلاح الوطن الّـذي يتهمونـا به مقابل «إسـرائيل» المسلّحة ؟

على أيّ حال، ليس في معاهدة CTBT حق الاشتراط، إذ لا يمكن لأي بلد أن يضع شروطًا كي ينضم إلى الاتفاقية، كما أنّه يجب على الجميع القبول بها دون شروط. صدّقت الولايات المتّحدة الأمريكية على الاتفاقية، ولكنّها انسحبت منها في عهد بوش، عندما كانت إيران من البلدان النشطة في هذا المجال. ونظرًا إلى قلقنا في المجال الأول ـ أي التدخل الأجنبي ـ كنّا نريد أن نزرع الثقة بمشاركتنا في هذه المعاهدة.

صحيح أنّ هناك 116 دولة ضمن حركة عدم الانحياز، ولكن هناك سبع دول أو ثمانية منها فقط قلقة بشأن الموضوع النووي، فهو لا يهمّ البقية أصلًا، ولا يوجد بلد غير منتمٍ إلى أيّ جهة، كما كنا، مثلًا: إنّ الداعم لأحد البلدان العربية هو بلد عربي آخر، والداعم لأحد البلدان اليسارية هو بلد يساري آخر، فنحن وحيدون في العالم وفريدون من هذه الناحية، وقد كنّا نصرّ على أن نشارك في هذه المفاوضات.

الخلاصة، أنّ معاهدة CTBT هي اتفاقية واسعة، ولديها أكثر من 330 محطة مراقبة في العالم. وقد تمّ تأسيس 260 محطة منها، حصلت كلها على مصادقة المنظّمة. بعض هذه المحطات هو مراكز لرصد الزلازل، والبعض الآخر مراكز صوت مائية[1]، وهناك محطات تحت صوتية، وأخرى تخصّ الإشعاعات النووية.

---

(1) انظر اسمها باللغة الإنجليزية: Hydroacoustics.

كما تعلم، ينتج عن كل اختبار نووي زلزال في الأرض، فتقوم أجهزة رصد الزلازل بحفظه، وإن كان الاختبار تحت المحيطات، تقوم أجهزة الصوت المائية بالتعرف إليه، وكذا هو دور الأجهزة الصّوتية المعنية برصد الاختبارات في الفضاء. أمّا مراكز الإشعاعات النووية، فتقوم بالتفريق بين الهزات الأرضية الناتجة عن الزلازل والتفجيرات العادية، وتلك الناتجة عن الاختبارات النووية، بحسب الذرات النووية المنتشرة في الجو بعد الانفجار. وقد تمّ تأسيس هذه المراكز، كي لا يتمّ إجراء أي اختبار نووي من دون رصد.

من الموضوعات المطوّلة، هي تحديد مكان استقرار كل واحدة من هذه المحطات في العالم. اجتمعنا في الداخل أيضًا مع الأجهزة التقنية والعسكرية والاستخباراتية والسياسية المختصة لبحث هذا الموضوع. كان الدكتور محسن آشتياني ـ رئيس مركز الزلازل في إيران ـ نشطًا في هذا المجال، ولا يزال من المعتمدين في العالم فيه، وقد تولى رئاسة الاجتماعات التخصصية في الـ CTBT عدة مرات، الأمر الذي يدل على أننا وصلنا إلى درجة مهمة من التخصص، وأن تخصصنا لم يكن لتلبية احتياجات البلاد فقط، بل تخطّينا ذلك، ووصلنا إلى الخارج أيضًا. وقد تمّ وضع هذه المحطات بطريقة يمكنها رصد أيّ تفجير نووي في العالم، ولو توقّفت مئة محطّة منها عن العمل.

في أيّ دول تمّ وضع هذه الأجهزة؟ هل وُضِعَت في الدول الأربعة والأربعين كلها؟

تمّ وضع هذه المحطات في كلّ الدول في أنحاء العالم.

هل تمّ وضعها في أمريكا «وإسرائيل» أيضًا؟

تمّ وضعها في كلّ مكان. شخصيًّا، أعتقد أنّ وجود هذه المحطات في «إسرائيل» وأمريكا يفيدهما قبل أن يفيد الآخرين. وبغض النظر عن وجود هذه الأجهزة أو عدم وجودها في مكان مثل إسرائيل، فإنّ أي اختبار نووي يتمّ فيها، سيجري رصده في كلّ مكان.

هل يعني ذلك أنّ المحطات الموجودة في بلدنا قادرة على رصد الانفجار في «إسرائيل»؟

نعم، ففي الاجتماعات التخصّصية، كان القرار يقضي بتأسيس ثلاث محطات لرصد الهزات الأرضية في إيران؛ إحداها في «چاران» في طريق كرج ـ چالوس. لكن، وقبل بناء المحطة، ونظرًا لقلق بعض الأجهزة العسكرية من قرب المكان من منطقة التجارب الصاروخية، بذلنا جهودنا لتغيير مكانها إلى منطقة أبعد.

اجتمع الاختصاصيون في القوى المسلّحة مع الاختصاصيين في مجال رصد الهزات الأرضية، ومن بينهم الدكتور محسن آشتياني، وهو بروفيسور معروف عالميًّا في مجال الزلازل، وكانت الخلاصة تأسيس لجنة تقنية مختصة. أعتقد أنّ إحدى أهم خدماتنا، هي أنّنا تمكنّا من تشكيل هذه اللجنة، ولكن هناك عدة أشخاص قاموا بالتهويل ونشر الذعر والتهديد إلى أن فشل العمل.

كانت المحطة الثانية بالقرب من كرمان، ولا أعلم مكان المحطة الثالثة. حتى لو توقفت هذه المحطات الثلاث عن العمل، فهناك في أطراف إيران من المحطات ما يكفي لرصد كل ما يجري فيها. في الحقيقة، هذه المحطات موجودة في كل مكان يدور حوله القلق. ومن الطريف، أنّهم لم يؤسّسوا محطة في العراق، كما لم يعلنوا العراق من بين الدول الأربعة والأربعين، حتى تكون موافقته ضرورية.

حصل كلّ هذا لأنّ أحدًا لم يكن يريد الالتفات إلى العراق. كانت هذه المفاوضات في تسعينيات القرن المنصرم، حيث كان العراق تحت وطأة العقوبات الدولية، وإن كانوا يريدون وضع المحطات في البلدان العدوة، لكان من الواجب إنشاء محطة في العراق، ولكن ذلك لم يتمّ لأنّ أطراف العراق تمتلئ بالمحطات.

إذًا، تعتقد أنّ التوقيع على معاهدة CTBT ليس تهديدًا غربيًّا للعالم الثالث؟

هذا كذب. صحيح أنّ العالم يريد الاستفادة من أيّ وسيلة لتحقيق مصالحه الوطنية، ولكن اعتبار معاهدة CTBT إرادة غربية هو أمر كاذب. تعمل هذه المحطات بطريقة تُمَكّن المحطة في الأرجنتين من رصد التفجير النووي في باكستان. وقد ذكر البعض عدة مواضيع، من دون وجود أدلة عليها، بحيث لا يمكن تناولها أصلًا. على سبيل المثال، رصدت جميع المحطات التجربة النووية لكوريا الشمالية، ولكن محطة واحدة فقط اعترفت بهذا الأمر، هي

محطـة الإشـعاعات النووية في روسـيا، أمـا بقية المحطـات، فقالت إنّها لـم ترصـد أي أثـر للإشـعاعات النوويـة.

كيف يمكن هذا؟

بـأي حـال، رصـدت إحـدى المحطات هـذا الأمـر. الملاحظـة الأخرى هـي أنّ هـذه المحطـات متصلـة ببعضهـا البعـض بشـكل دائـم، فعندما تكـون لديـك محطـة فـي طهـران، فهـذا لا يعنـي أنّ الآخريـن فقـط يسـتطيعون الوصـول إلـى معلوماتـك، بـل تسـتطيع أنـت أيضًـا الوصول إلـى معلوماتهـم، فلـو حدث أمـر ما في طهـران، فالمحطـات الموجودة فـي تركمانسـتان، تركيـا، الكويـت، وكل المحطـات المحيطـة بإيـران، ستسـتطيع رصـده.

كانـوا يقولـون إنّ هـذه المحطـة ترسـل المعلومـات إلـى فيينـا مباشـرة، ولكنّهـم لـم يقولـوا إنّ المعلومـات التـي تصل إلى فيينـا تصلنا بشـكل مباشـر أيضًـا. بعبـارة أخـرى، لـم يذكـروا أصـلًا أنّ الاتّصـال يتـم مـن الجانبيـن. والنتيجـة الوحيـدة الآن، هـي أنّـه عندمـا أُغلِقَـت محطة چـاران، لـم نعـد قادريـن علـى الحصـول علـى المعلومـات مـن العالـم، فبمجـرد إغلاقنـا لهـذه المحطـة، افتتحـوا محطـة تركمانسـتان.

لماذا قامت إيران بهذا العمل؟ ومتى؟

بعد عهد حكومة السيد أحمدي نجاد، عاد البعض مجددًا إلى نشر الأكاذيب التي تشير إلى أن الـ CTBT تقيّدنا، فكنّا قلقين حيال القضايا المتعلقة بالسيادة. وعندما بدأت المفاوضات المتعلقة بالـ CTBT، نُوقِشَ الكثير من المواضيع حرفيًّا في المنظمة التي تأسَّست للإشراف

على الـ CTBT. ولأنّنا كنّا نريد التواجد في هذه المنظمة، قمنا بتوقيع الاتفاقية بعد موافقة المجلس الأعلى للأمن القومي.

بالطبع، وقبل القلاقل التي أثارها البعض، كان لدى مفوضيّتنا في جنيف ملاحظات فنية حول الـ CTBT، ولهذا عارضنا الأمر، ومنعنا الموافقة عليها من قِبَل مؤتمر نزع الأسلحة ـ والذي كان نظام الموافقة فيه يُتخذُ بالإجماع ـ وحيث إنّ أستراليا المخالفة للتجارب النووية الفرنسية والصينية في المحيط الهادئ، حمّلت الموضوع للجمعية العامة بالأمم المتحدة مباشرة، فقد انتقل الملف إلى المجلس الأعلى للأمن القومي. عندها، قرر المجلس ضمن ملاحظات عدة، الموافقة على الاتفاقية مع نقل اعتراضاتنا، ودراسة المصادقة على الاتفاقية فيما بعد.

أعتقد اليوم أنّ قرار المجلس الأعلى كان عاقلًا وذا نظرة أشمل، فقد كان من الواجب أن نحذر من إثارة حساسية العالم، ذلك أنّني والسيد ناصري ـ المشارك معي في المفاوضات ـ وقعنا في فخ موضوعات تخصصية، مثل سبب تواجد «إسرائيل» في مجموعة الشرق الأوسط، ولماذا يحق للدول أن تستخدم أنظمة التجسس الوطنية، إضافة إلى النظام الواسع للمراقبة في الـ CTBT. في الحقيقة، كانت ملاحظات سيادية، وكنّا ـ السيد ناصري وأنا ـ معارضين لها وحدنا.

فجأة، حذّرونا من أنّنا دخلنا صراعًا وجدالًا، ونسينا الطريق العام للمفاوضات. وإن عارضنا الـ CTBT الآن، فهذا يعني أنّنا نسعى إلى السلاح النووي. يتعلق هذا الموضوع بعهد السيد هاشمي، أي أنّ السيد

القائد والسيد هاشمي ومجلس الأمن الوطني، صححوا خطئي ـ وأنا المختصّ ـ وبناءً على رؤيتهم الصائبة، وقّعنا على معاهدة الـ CTBT. أعترف اليوم أنّ رؤيتي التخصّصية كانت خاطئة، ورغم هذا، فقد كنّا متّهمين من قبل الغوغائيين الجهلة أو المُغرِضين (لا يمكن أن يكونوا خلاف هذين الاحتمالين)، بأنّنا نجرّ البلاد إلى التوقيع على الـ CTBT، بينما كان خطؤنا ـ السيد ناصري وأنا ـ رفض الـ CTBT، نظرًا لملاحظات سيادية جزئية. مثلًا، كنّا نتساءل معترضين: لماذا يحق للولايات المتحدة الاستفادة من أجهزة التجسس، إضافة إلى آليات عمل الـ CTBT؟

ألم يكن يحق لبقية الدول الاستفادة من أجهزة التجسس؟

تمتلك جميع الدول هذا الحق، ولكن لا يمكنها القيام بذلك. في الحقيقة، كنّا نريد حصر مصادر المعلومات في محطات الرصد الخاصة بالـ CTBT، وكانت أمريكا تريد استخدام سائر مصادرها، إذ لم تكن تلك المصادر تتوفر لدينا. كما كنّا نريد أن نحدّ من قدرتهم، وأن لا نسمح لهم ـ مثلما حدث الآن في موضوع الكمبيوتر المحمول في الوكالة ـ بالحصول على وثيقة ضدنا.

الخلاف هو: هل ما تتوصل إليه الوكالة فقط يُعدّ وثيقة؟ ولو تمكن أحد ـ بأي طريقة ـ من صناعة وثيقة وتقديمها إلى الوكالة، هل يمكن الاستفادة منها كوثيقة؟ كان هذا قلقنا ـ السيد ناصري والزملاء وأنا ـ فقالوا لنا [مجلس الأمن القومي]: «أنتم تتمسّكون بالشجرة وتنسون الغابة». أذكر أنّ الدكتور ولايتي استدعاني ليقول:

«لماذ تضعون إيران في موضع التهمة؟». هكذا وقعنا على معاهدة الـ CTBT.

مع الأسف، لم نتمكّن قبل موافقة مجلس الشورى ـ والذي لم نكن نتابعه ـ من الحصول على ميزانية للّجنة الأولية، لئلّا نفقد حق العضوية فيه. بهذا، كان من الممكن أن نتدخّل أكثر في الجزئيات، وفي تشكيل آليات الرقابة، والتي ذُكرت بشكل عام في الاتفاقية. وكان من المقرر أن يتم بحث هذا الموضوع بشكل تفصيلي ونهائي في فيينا.

بشكل عام، كيف تقيّم نجاحك؟

كان نجاحًا متوسطًا. إن موضوع المصالح التي حصلنا عليها هو موضوع فني بحت، حتى إنني لا أعرفه كله. فمثلًا، يمكنك منع استخدامهم لجهاز ما عندما تكون موجودًا. هذه الملاحظات عرضتها وزارة الدفاع، كما عرضت مثلًا آثار الاختبارات الصاروخية. إنها ملاحظات فنية، ولست مختصًا في علوم الأرض أو في المواد المتفجرة، لكني على دراية بالأمور السيادية فقط.

إنّ المواضيع الفنيّة والتخصّصية متروكة لهم [الأجهزة المعنية]، فمثلًا في اتفاقية المواد الكيميائية، كانوا يذكرون قائمة بالمواد، وكان العاملون في الصناعة الكيميائية يعلمون سبب أهمية المادة، فيذكرونها أيضًا. في الاتفاقية الكيميائية، شكّلنا لجنة من كل الصناعات والاختصاصيين للتعرف إلى المواد الضرورية بالنسبة إلينا،

وهـذا مـا فعلنـاه فـي الــ CTBT أيضًـا، فقـد كانـوا يبحثـون فـي الأمور بشـكل جيـد فـي الاجتماعـات.

ولكـن، بسـبب البلبلـة التـي أحدثهـا البعـض فـي مجلـس الشّـورى، رفـض المجلـس السّـادس النقـاش معنـا. أحـد الساسـة المشـهورين ـ والـذي انقلـب بنسـبة 180 درجـة، لينـادي بمشـروع فـوري للموافقـة علـى البروتوكـول الإضافـي لاحقًا ـ كان على وشـك طردي مـن المجلس، وهـو يقـول: «قمـت بتهديـد الأمـن القومـي بالتوقيع على الــ CTBT».

ألـم يكـن هـؤلاء علـى علـمٍ بالأمر مـن مصادر أخـرى؟ ألـم تتخذوا القـرار بموافقـة رؤوس النظّام؟

فـي تلـك الأيـام، لـم تكـن الحجـة وعدمهـا مُهمّـة. كنـا نناقـش أمورًا فنيـة، ولكنهـم لـم يكونـوا يفهمونهـا، أو لـم يبحثـوا عنها جيـدًا. وعندما كنّـا نقـول لهـم إنّ السـيد القائـد سـمح لنا بذلـك، كانوا يقولـون مجددًا: «لـمَ قمتـم بهـذا العمل؟ يجـب عليكـم تجنّـب التبرير!»

أعتقـد أنّ سـوء الفهـم أشـعل أول شـرارة. فـي هـذه المرحلـة، بـدأ التشـكيك فـي أهـداف إيـران علـى المسـتوى الدولـي، حيـث كانـت أمريـكا وغيرهـا يوجهـون التهـم إلينا، ولكن لم يسـتمع أحـد إلى هؤلاء، إلـى أن وجـدوا الحجـة لتبريـر اتهاماتهم، ومـن أهمها الخلاف الداخلي بالنسـبة إلى الــ CTBT.

لعـلّ كلمـة «خيانـة» هـي الكلمـة الوحيـدة المناسـبة لوصـف حالة الغوغـاء التـي جـرت، ولـو بذلنـا شـيئًا مـن التسـاهل، فسـنذكر كلمـات مثـل «الجهـل»، «الأميـة»، «الحقـد»، و«الحسـد». إن السياسـة التـي

اتبعتها إيران طيلة خمسة عشر عامًا، وكل النجاح الذي حصلت عليه خلال إحدى عشرة سنة، استحال فشلًا بسبب أكاذيب البعض ونشرهم للغوغاء، وصار العالم يعتقد أنّ إيران تسعى إلى الحصول على السلاح.

من الأفضل أن تشرح لنا الأحداث الممتدة من العام 2002 حتى العام 2007. بغض النظر عن الموضوع النووي، والذي سيكون فحوى السؤال التالي، كيف تقيّم هذه الفترة من توليّك البعثة، من حيث المشاكل والعقبات والنجاحات والإخفاقات؟

في الأيام الأولى من مهمّتي الممتدة لخمس سنوات في نيويورك (يوليو/تموز 2002م)، بدأت تهمة المنافقين، ولكنّها بقيت جمرًا تحت الرماد حتى العام التالي (مايو/أيار 2003م)، لأنّ الأولوية كانت لموضوع العراق. بعد القرار الصادر في أغسطس/آب من العام 2003م في مجلس الأمن، دخلنا في «الجدال النووي».

منذ بداية العام 2003م، وعند التردد بين إيران ونيويورك لمناقشة أمور أخرى مثل المفاوضات حول العراق، كنت أُذكّرهم دائمًا بأنّ الموضوع النووي يتجه نحو المشاكل. كانت منظمة الطاقة النووية تقدم تقارير للحكومة تشير إلى أنّ الموضوع النووي تحت السيطرة. وقد قال الدكتور روحاني عدة مرات: «يقول الجميع إنّ كل شيء تحت السيطرة، ولكن ظريف يقول خلاف هذا في كل مرة يأتي فيها إلى طهران». بالطبع، لم يكن الأمر يقع ضمن دائرة مسؤوليتي، ولكنني كنت أرغب في تذكيرهم به فحسب.

من أين لك هذا العلم أو الاستدلال؟

مـن التجربـة والتدقيـق والتحليـل. كنـت أقـرأ المنشـورات، وألاحـظ البيئـات المختلفـة، وأرى أنّهـم يثيـرون القلق، فيحصد الموضـوع أبعادًا مختلفـة. منـذ العـام 2004م وحتـى انتخاب السـيد أحمـدي نجاد، كنت أقضـي نصـف الوقـت بين طهران وأوروبـا، والنصف الآخر فـي نيويورك.

كان هنـاك الكثيـر مـن القيود الموجودة على التأشـيرة فـي الولايات المتحـدة الأمريكيـة، فلـو كان لـديّ ثلاثـة لقـاءات، من بينها أسـبوع في أوروبـا وإيـران، كان علـيَّ أن أقضـي 21 يومًـا فـي طهـران وأوروبـا، وإذا ذهبـت إلـى نيويـورك، فلـن تكـون لـدي تأشـيرة للعـودة، لأنّهـم كانـوا يعطوننـا تأشـيرة دخول لمرة واحدة، بخلاف سـائر الدبلوماسـيين الذين يمنحونهـم تأشـيرة «كثير السـفر».

قضيـت معظـم تلـك المـدة (السـنتين) فـي نيويـورك. فـي السـنة الأولـى، كنـت أعـود إلـى طهـران كل شـهر أو كل شـهر ونصـف الشـهر، وأقضـي بقيـة الوقـت فـي نيويـورك. لهـذا كانـت الفرصـة مؤاتيـة لـديّ لرصـد التغييـرات السياسـية والصحافيـة.

بالعـودة إلـى موضـوع المهمـة فـي نيويـورك، كانت البعثـة بحاجة إلـى عـدة أعمـال تنفيذيـة، كمثـال: كانـت مـدة إيجـار مقـر البعثة قد انتهـت منـذ عاميـن، ولـم نكـن قـد توصلنـا إلـى اتفـاق حـول تمديـد العقـد، وكنّـا قـد اسـتأجرنا المـكان مـن العـام 1971م، ولا نـزال نقيـم فيه .

أعتقد أن شراء مقر الإقامة تمّ في الستينيات، وهو مبنى شبه أرستقراطي، كبير وقديم، يعود إلى بداية القرن العشرين، لكنّ المحافظة عليه كانت في غاية الصعوبة. إن الذين يظنون أنّنا نستطيع ترك المبنى خاليًا لمدة خمس سنوات كانوا مخطئين. لقد تمّ ترميمه في بداية عمل الدكتور خرازي، ولكنّه تُرك لعشر سنوات، ثم أصبحتُ المسؤول عنه.

حينذاك، كنتُ مجبرًا على الإقامة خارجه. خلال فترة مَهمَّتي الممتدة لخمس سنوات، عشتُ مدة عامين ونصف العام تقريبًا في شقق سكنية في مناطق مختلفة في نيويورك، لأنّ المبنى حينها ظلّ قيد الصيانة لمدة سنة ونصف السنة تقريبًا.

في البداية، قمنا بصيانة المبنى وانتقلنا إليه. وفي أعمال الصيانة المتبقية، قام العامل ـ بخلاف القوانين ـ باستخدام الغاز، وهو ما تسبّب بحريق عظيم. وقد رحمنا الله، لأنّ زوجتي وأبنائي كانوا في المبنى، فأنقذهم رجال الإطفاء. انتقلنا مجبرين إلى خارج مقرّ الإقامة مرتين حتى انتهاء الأعمال. إضافة إلى ذلك، كانت لدينا أعمال تخصّ الموظفين.

من حيث المضمون، كان عليَّ تتبّع مهمتين، إحداها الأمور الخاصة بمنظمة الأمم المتحدة، والأخرى الموضوعات المتعلقة بالداخل الأمريكي. كان الموضوعان مرتبطين بهجوم الولايات المتحدة الأمريكية على العراق. في الحقيقة، فُعِّل الموضوع النووي لهذا السبب، لأن «إسرائيل» كانت قلقة من التغييرات الإقليمية، والتي ستكون إيران

فيها القوة الأولى في المنطقة. لهذا، كانوا يسعون إلى منع هذا الأمر، ففَعَّلوا الموضوع النووي، أي أن مصالح المنافقين ـ «إسرائيل» والعراق [عراق صدام حسين] ـ قد اتّحدت.

كان اللقاء الصحافي مع المنافقين ـ الذين تحدثوا فيه عن الملف النووي الإيراني ـ لمصلحة القوى الثلاث، ليكون الهجوم على إيران عوضًا عن العراق. وبهذا، فقد بذلوا الكثير من الجهد في هذا الصدد. وقد يكون لجزء من خدماتي سهمٌ في الوقاية من هذا الهجوم.

في الحقيقة، كنت أسعى منذ العام الأول إلى منع تشكيل بيئة مضادة لإيران، وكان كافيًا بالنسبة إلي أن أُوَفَّق في هذا الأمر. كان هدفي واضحًا، وكانوا يسعون إلى تشكيل بيئة عسكرية معادية لإيران. كان العرب يتمنون أن تهاجم الولايات المتحدة إيران عوضًا عن العراق، وتلك كانت رغبة «إسرائيل» ومجموعة من المحافظين الجدد، ومجموعة من طالبي السلطة والمنافقين، الذين كانوا أيضًا يبذلون الكثير من الجهد لشنّ الحرب على إيران وإسقاط النظام بهذه الطريقة.

لم تكن الولايات المتحدة الأمريكية تعاني مشكلة، يحلّها الهجوم العسكري على العراق، كما لم تكن تعاني مشكلة من هذا النوع للهجوم على أفغانستان، بل كانت سياسة الولايات المتحدة قائمة على بسط هيمنتها على العالم بهذه الطريقة. كان المحافظون الجدد يسعون إلى تحويل تفوّقهم إلى بسط هيمنة عسكرية، ولهذا

كانوا بحاجة إلى نصر عسكريّ عظيم. حقّقت أحداث الحادي عشر من سبتمبر/أيلول إمكانية هذا الأمر، ولكن أفغانستان كانت أصغر من أن توفّر لهم النجاح. في الحقيقة، إنَّ الهجوم على العراق هو استمرار لهذه السياسة.

وكما قلت سابقًا، قبل عدة أسابيع من الهجوم الأمريكي على العراق، ذهبت إلى مجلس الشورى، وقلت لهم إنّ الولايات المتحدة ستشنّ هجومًا قريبًا على العراق. فقالوا لي: إنّ وزير الخارجية ووزير المخابرات قدما إلينا، وأخبرانا بأنّ الولايات المتحدة لن تهجم على العراق. فقلت لهم: «لا آخذ أوامرَ للتحليل الفكري، بل أستلم أوامر للتنفيذ، ولهذا فإنّ فكري حُرّ. أعتقد أنّ أمريكا ستشنّ هجومًا على العراق خلال ثلاثة أسابيع».

إن سبب غفلة الأصدقاء هو عدم انتباههم إلى الموضوع من ناحية نظرية. فأولًا، كانت معلوماتهم عن الداخل الأمريكي ناقصة، وثانيًا، لم يكونوا ينظرون إلى حاجة أمريكا إلى الهجوم من ناحية نظرية. كانت نظرية المحافظين الجدد بحاجة إلى بسط الهيمنة الأمريكية عن طريق العمل العسكري الذي تتفوق فيه الولايات المتحدة. وبالطبع، لم يُوفَّقوا في هذا المجال.

كان هذا الفشل هو أحد أسباب انتخاب أوباما والسّعي إلى تغيير الصّورة الأمريكيّة. أعتقد أنّ الأسلوب العسكري فقد قدرته في كل مكان من العالم، حيث كانت أمريكا تضغط على أوروبا لترفع

مـن ميزانيّتهـا العسـكرية، ولكنهـا لـم تكـن تقبل بهـذا الأمـر، لأنها تعلم أنّـه هـدر للمال.

كانـت مهمّتـي الأخرى هي العمـل في منظمة الأمـم المتحدة. كنت فـي الأمـم المتحدة مـن العام 1982م وحتـى العـام 1992م. وفي العقد الـذي كنـتُ فيـه معاونًـا للعلاقـات الدوليـة، كنـت أذهـب أربـع مـرات أو خمسـة علـى الأقـل إلـى نيويـورك فـي كلّ عـام. لهـذا، كان الجميـع يعرفونني، أو في الحقيقة، وبشـكل أصحّ، كنت أعرف الجميع. وبسـبب هـذه المعرفـة، كنـت أبذل قصـارى جهدي فـي الأمم المتحـدة. بالطبع، لـم يكـن الوقت يسـمح لي بالمشـاركة في الأمـور التخصّصيـة في الأمم المتحـدة، رغـم أنهـا تقـع ضمـن تخصّصـي الأكاديمي، وقد كان مسـاعد المنـدوب يقـوم بها.

من هم مساعدوك؟

فـي بدايـة اسـتلامي للمهمـة، كان السـيد فدائـي فـرد هـو الشـخص الثانـي فـي البعثـة، ويليـه السـيد دانـش يـزدي، وهـو مـن زملائـي فـي الكليـة الآن. كانـا يتابعـان هـذه المسـائل، وكنت أشـرف عليهمـا، ولكنّ عملـي اليومـي يتمثـل بتلك الأمـور الأكثر حساسـية في الأمـم المتحدة، فقـد كان يتمثـل آنـذاك بموضوع الهجـوم على العراق. كمـا كنت أعمل فـي الشـأن الأمريكـي، حيـث كنـت ألتقـي النـواب والشـخصيات البارزة فـي المراكـز البحثية والسـيناتورات.

هل كنت ترغب في هذه اللقاءات أو أنها كانت أمرًا من طهران؟

كنت مرخّصًا من طهران، ولكنها لم تكن أمرًا. كانت هذه الرّخصة للمندوب الدائم منذ عهد الدكتور خرازي، وأصبحت فيما بعد لكلّ المندوبين الدائمين. وليس غريبًا أن ألتقي شخصيات خارج دولة الولايات المتحدة الأمريكية، فثمة مسائل يمكن أن تعمل فيها بحسب تشخيصك. ونظرًا لكوني عشتُ في الولايات المتحدة الأمريكية ودرست فيها، وأعرف النظام الأمريكي، كنت أقيم هذه العلاقات بسهولة.

في الفترات السّابقة، لعب بعض الوسطاء، مثل السيد هوشنك أمير أحمدي وآخرين، دورًا بارزًا، ولكن في فترة عملي الممتدّة إلى خمس سنوات، كنت أقوم بهذه المهمة شخصيًّا. كُتِبت مقالتان أو ثلاث مقالات عنّي في الولايات المتحدة؛ الأولى في صحيفة نيوزداي newsday، وهي تتحدَّث عن موقعي لدى الأمم المتحدة، والمقالات الأخرى كانت في صحيفتي النيويورك تايمز The New York Times والواشنطن بوست The Washington Post، وقد تحدّثت كذلك عن موقعي لدى الولايات المتّحدة. لن أتحدث أكثر عن هذا الموضوع، فهذه المقالات موجودة في موقعي، ويمكنك الاطّلاع عليها.

على مدى السنة الأولى والسنتين الأخيرتين، أقمت علاقات واسعة جدًّا، ولم يكن لدي أي عمل تقريبًا في إيران في عهد السيد أحمدي نجاد، فقد انخفض معدل سفري إلى إيران ـ لله

الحمد - إلى سفرين أو ثلاثة في السنة، حتى إنّني كنت أضغط أحيانًا لكي أعود إلى طهران كي أطّلع على الأخبار، لأنّني كنت إلى حدٍّ كبيرٍ سفيرًا «مفروضًا» على رئيس الجمهورية الجديد، ولهذا لم يكن لطهران الكثير من الأعمال معي، ما وفّر لي فرصة لإنجاز الأعمال هناك.

ولكن في السنتين الأخيرتين لحكومة السيد خاتمي، حيث كنت منشغلًا بشكل مباشر بالملف النووي، وكانت مسؤولية فريق المفاوضات تقع على عاتقي، كنتُ في إيران معظم الوقت. وكانت الفترات التي أقضيها في الولايات المتحدة، ترتكز على الملف النووي، لكي أقنع النخب المختصّة في العلوم النووية في الولايات المتحدة بأنّ عملية التخصيب الشفافة والعلنية في إيران أفضل للمصالح الأمريكية من منع التخصيب. كان من ثمار هذا العمل طرح هذه المواضيع في عدة مقالات من قبل المختصّين الأمريكيين والغربيين في المجلّات العلمية والسياسية.

عندما كنت في أمريكا، كنت أقضي أحيانًا عشرات الساعات أسبوعيًّا في اجتماعات مع المختصين، وكنت أخطب في عدد من الأماكن، حتى إنّ رئيس كلية الدراسات الدولية في جامعة كولومبيا، قال لي مازحًا: «هل تريد الترشّح للانتخابات في أمريكا حتى تخطب في كلّ مكان بهذا الشكل؟».

إنّ نيويورك هي بؤرة دوائر اتخاذ القرار السياسي، من مجلس العلاقات الخارجية حتى النوادي المختلفة. خطبت تقريبًا في كل هذه الأماكن للدفاع عن سياسات إيران وعن حق إيران في التخصيب. في تلك السنوات الخمس، كان هدفي الأساس منع تشكيل بيئة أمنية ضد إيران.

أشرت إلى أنّك قسمت الأعمال في تلك السنوات الخمس إلى قسمين؛ القسم الأول ما يتعلّق بالأعمال الخاصّة بمنظّمة الأمم المتحدة، والقسم الثاني الأعمال الخاصة بالإيرانيين المقيمين في الولايات المتحدة. هل هذا صحيح؟

لا. يختصّ القسم الثاني بالرأي العام في أمريكا. أما شؤون الإيرانيين، فقد شكّلتَ برنامجًا قائمًا إلى جانب هذه الأعمال.

كيف كانت تجري الأعمال الخاصة بشؤون الإيرانيين؟

عندما كان السيّد صادق خرازي سفيرًا في نيويورك، بذل الكثير من الجهود لأجل الإيرانيين. وفي عهدي أيضًا ـ بالطبع ليس بتلك الكمية والسعة ـ استمرّ الأمر، وقد كنا ننجز ما سبقنا به. جلب الدكتور كمال خرازي معه كملحق ثقافي السيد صادق خرازي، الذي قام بعمل عظيم من حيث العلاقة بالإيرانيين، وسجّل باسمه خدمات خالدة للبلاد.

بعده، وحتى نهاية عهدي، كان في البعثة ملحقون ثقافيون، وهم بالترتيب: السادة مهدي فريد زاده، الدكتور مهدي تابشيان، والسيد حسين فريدون. كان لي أيضًا برنامجٌ للإيرانيين. كمثال، كنت

أرسل سنويًّا خمسين ألف بطاقة تهنئة لمناسبة العيد، كما أقمنا علاقات جيدة مع الإيرانيين، ولكن لم تكن أيٌّ من هذه الأعمال من ابتكاري. كان هذا النظام من تأسيس الدكتور خرازي والسيد صادق، واستمرّ به السيد نجاد حسينيان، ثم قمنا به على طريقتنا، وبحسب إمكانياتنا، إذ إنّ المهام الرسمية للإيرانيين في واشنطن كانت تتم في مكتب حفظ المصالح الإيرانية.

في الحقيقة، ونظرًا إلى جهود السيد صادق، لم نكن بحاجة إلى بدء عمل جديد. إضافة إلى هذه الأعمال خارج الأمم المتحدة، قمنا في داخل الأمم المتحدة بنشاط لمناسبة الذكرى الثمانمئة لولادة الشاعر مولانا جلال الدين الرومي، وذلك في مجال العلاقات الدولية في الأمم المتحدة، وبالتعاون مع سفراء تركيا وأفغانستان.

وُفِّقت في فترة مهمّتي للقيام بعمل أفتخر به في مجال الثقافة الإيرانية. كنّا نقرأ في الطفولة في كتبنا، أنّ هذا الشعر لسعدي: «بنو آدم أعضاء في جسد واحد، وهم في الخلق من عنصر واحد»[1]، موجود على بوابة الأمم المتحدة. في الحقيقة، منذ العام 1982م، وحين ذهبت لأول مرة إلى نيويورك والأمم المتحدة، بحثت في كل

(1) ترجم الشعر محمد علي آذرشب بالتالي: «بنو آدمٍ جسد واحد/ إلى عنصر واحدٍ عائد». ويختلف النص العربي عن المعنى الفارسي. ومن الواضح أنّ البيت متأثر بالحديث النبوي: «تَرَى المُؤمِنينَ في تَراحُمِهِم وتَوادِّهِم وتَعاطُفِهِم، كَمَثَلِ الجَسَدِ إذَا اشتَكى عُضو تَداعى لَهُ سائِرُ جَسَدِهِ بِالسَّهَرِ وَالحُمّى».

المبانـي، ولكـن لـم أجـده فـي نيويـورك أو في جنيـف، وقد سـألت كل الأصدقـاء، ولـم يكـن قد قـرأه أحد.

طريف.. إذًا، هذه الشائعة هي اختراع إيراني؟

الطريـف هـو أنّ هـذه الشـائعة مذكـورة فـي الموسـوعة البريطانية أيضًـا. عندمـا كان عمـري 21 أو 22 سـنة، دخلـتُ الأمـم المتحـدة، وبحثـت عـن هـذا البيـت، لكنّـه لـم يكـن موجـودًا فـي أي مـكان، إلـى أن تواصـل معـي فنـان أصفهانـي عـن طريـق زوجتـي، ليعلمنـي أنّه قام بنسـج سـجادة بمقاس 5 أمتار في 5 أمتار، وفي وسـطها البيت المذكور مكتوبًـا بخيـوط الذهب.

هـذا الفنـان هـو السـيد محمد صيرفيان، أشـهر نسّـاج فـي أصفهان، وكان الحـدّ الأدنـى لسـعر ما ينسـجه من سـجاد، هـو 6-5 مليـون دولار للمتـر. وكان مقـاس هـذه السـجادة 25 متـرًا، أي أنهـا لا تُقـدّر بثمـن. اتصلـت بـه، فقال لـي: «أريد إهداء هذه السّـجادة إلى الأمـم المتّحدة، بشـرط أن يضعوهـا فـي مكان مناسـب».

تُقـدّم مختلـف الـدول هدايا للأمـم المتحدة، وهنـاك عدة مخازن للهدايـا، ذلـك أنـه لا يوجـد مـكان فـي المبنـى لوضـع كل الهدايـا. قدَّمـت إيـران عدة هدايـا للأمم المتحـدة، وهي معلّقة علـى أبوابها، إحداهـا السـجادة المهداة من المرحوم السـيد مصـدق، وهي معلقة علـى بوابـة الدخـول إلـى الجمعيـة العامة فـي الأمم المتحـدة، وهي سـجادة كبيـرة تخلـو مـن أي كتابـة، لكنّهـا ثمينة جـدًّا. أظـنّ أنّها 24

متـرًا، أي 6×4 أمتـار. وإلـى جانـب كل الهدايـا، هنـاك لافتـة صغيـرة كتـب عليهـا: هدية مـن إيران.

الهديـة الأخـرى هـي ميثـاق قـورش[1] لحقـوق الإنسـان. أهداهـا الشـاه للأمـم المتحـدة، وهـي معلقة علـى بوابـة المجلـس الاقتصادي والاجتماعـي. وهنـاك أيضًـا سـجادة تحـوي صـورة للأمنـاء العاميـن للأمـم المتحـدة، أُهديـت إليهـم فـي عهـد الدكتـور خـرازي. والهديـة الأخيـرة هـي صـورة للسـيد بـان كـي مـون، بطلـب منّـي، ولكـنْ تأخّـر نسـجها حتـى وصلـت إلـى سـفارة السـيد خزائـي، وهـي معلقـة فـي صالـة زوار الأمـم المتحـدة. للـزوار صالـة مختلفة عن تلـك التي يتردد إليهـا المندوبـون.

كانـت السّـجادة التـي تحتـوي شـعر سـعدي، مقاسـها 5×5 أمتـار، ولا يمكـن وضعهـا علـى أي جـدار. فـي منظمة الأمـم المتحـدة جداران فقـط يمكـن وضـع هـذه السـجادة عليهمـا؛ الجـدار الأول هـو الجـدار الـذي عُلّقـت عليـه سـجادة الدكتـور مصـدق، والجـدار الثانـي عُلقـت عليـه سـجادة مهـداة مـن جمهوريـة الصيـن عندمـا انضمـت إلـى الأمم المتحـدة فـي العـام 1971م.

علـى أيّ حـال، دخلنـا فـي مفاوضـات بمسـتوى الأميـن العـام للأمم

(1) أسطوانة قورش أو كوروش: قطعة طينية تعود إلى العام 5389 قبل الميلاد، وتحوي بيانًا مكتوبًا بالخط المسماري من الملك الفارسي كوروش عقب احتلاله لبابل. يعتقد البعض أنها أول وثيقة تتناول حقوق الإنسان، بينما يؤمن آخرون أنها مجرد كذبة كان ـ ولا يزال ـ الجبابرة يقومون بها. وُجدت الأسطوانة في مدينة بابل العراقية في العام 1879م، ويُحتَفَظ بها حاليًا في المتحف البريطاني.

المتحدة، وأقول بكل تواضع: «لو حاول شخص آخر التفاوض، ولم يكن يتمتع بعلاقاتي في الأمم المتحدة، لما نجح الأمر». طلبت ذلك من الأمين العام، فقام بإحالة الموضوع إلى رئيس مجلس مستشاريه، السيد إقبال رضا من باكستان، الذي يكنّ الكثير من الود للثقافة الإيرانية ولأشعار سعدي.

إذًا، كان القرار يقضي بأن تُهدى السّجادة من فنان إيراني إلى الأمم المتحدة لمناسبة عام حوار الحضارات. كنا نريد أن نقول إنّ هذه الهدية مهداة من فنان إلى الأمم المتحدة، لأنّهم يضعون هدايا الدول فقط هناك. إنّ فن السيد صيرفيان ثمين، وسعر هذه السجادة في إيران قُدِّر بعدة مليارات، أي ملايين الدولارات. اقترحوا أن نضعها موضع سجادة الدكتور مصدق، فرفضت بشكل قاطع. وقد حوّلت الموضوع إلى أحد زملائنا النشطين في القسم السياسي، والذي كان يتابع الأعمال في مجلس الأمن، وكانت لديه علاقات متعدّدة في الأمم المتحدة، وهو الآن موظّف فيها، السيد منصور صادقي، وهو الموظف الإيراني الوحيد الذي انتقل من مفوضيّتنا إلى القسم السياسي في الأمم المتحدة.

تابع السيد صادقي الموضوع، وجاءني في اليوم ذاته يقول لي إنّها ستوضع بدلًا من سجادة المرحوم مصدق، فقلت له: «لن ألمس تلك السجادة، ويجب أن تبقى في مكانها». فقالوا: «لن يبقى سوى سجادة الصين». ميزة سجادة الصين أنّها تقع في صالة المندوبين لدى الأمم المتحدة؛ الصالة التي يتحدث فيها المندوبون إلى بعضهم البعض.

من أعمال الأمم المتحدة أنّها توفر فرصة لقاء لدبلوماسيي الدول المختلفة ببعضهم البعض. ولهذا، فإنّ كلّ مندوب في الأمم المتحدة يتردّد إلى هذه الصالة، التي تعتبر مركز اللقاءات. عَلِم السيد صادقي أنّهم سينزلون سجادة الصين للغسيل، وكان ذلك الجدار يتّسع لسجادتين، ولكنّ سجادة الصين كانت في الوسط.

لو سُمِح بأن لا يتم تخصيص ذلك الجدار للسجادة الصينية وحدها وقبلوا بإزاحتها، لاتسع الجدار للسجادتين. في النهاية، وبما كان لدينا من تأثير، وبفضل الجهود التي بذلها زميلنا، أنجزنا هذا العمل، وتمكنّا من عرض هدية إيران الرابعة للمفوضين في الأمم المتحدة وكذلك للعامة. عندما رأى أحدهم - ولا أرغب في ذكر اسمه - السجادة، سألني عوضًا عن الشكر والتقدير: «كم بلغ مدى إسرافكم المالي على هذه السجادة»؟ فأجبته: «كانت كلفة وضعها ألفي دولار فقط».

كانت قصيدة سعدي مكتوبةً في وسط السجادة بالفارسية. استعنتُ بالترجمات الموجودة لنقله إلى الإنجليزية[1]، ووضعنا اللافتة. وتوجد إلى جانب ترجمة الشعر عبارة: هدية إيران من قِبَل

---

(1) للاطلاع على نص قصيدة سعدي بالإنجليزية، انظر:

«All human beings are members of one frame
Since all, at first, from the same essence came.
When time afflicts a limb with pain
The other limbs cannot at rest remain.
If thou feel not for others misery
A human being is no name for thee».

السيد محمد صيرفيان لمناسبة عام حوار الحضارات. كانت توضع لافتة صغيرة إلى جانب كل الهدايا، ولكن إلى جانب هذه السجادة، رُفِعَت لافتة كبيرة ذُكر فيها ما سبق. هكذا نقلنا شعر سعدي أخيرًا إلى الأمم المتحدة.

يبدو أنّك حملت مسؤوليات أخرى في تلك الفترة، مثل: رئاسة اللجنة الحقوقية للجمعية العامة من العام 1992م حتى العام 1993م، رئاسة المنظمة الاستشارية الآسيوية والإفريقية من العام 1997م حتى العام 1998م، العضوية في مجموعة الشخصيات البارزة لحوار الحضارات من العام 2000م حتى العام 2001م، رئاسة اللجنة الثقافية للأونيسكو من العام 1997م حتى العام 1999م. كيف حملت هذه المسؤوليات الواسعة؟ مثلًا، كنتَ رئيس اللجنة السياسية في اجتماع رؤساء حركة عدم الانحياز في جنوب أفريقيا، كيف جمعت هذا المهام المتنوعة بهذا الشكل، وفي مجالات سياسيّة وثقافيّة مختلفة؟

كان تركيزي التخصّصي على الأعمال السّياسيّة والحقوقيّة، وكانت كل الأعمال التي قمت بها تصبّ في هذا الصدد. إنّ أول مسؤولية دولية أُوكلت إليّ، كانت في السّنة الأخيرة لمهمّتي كمعاون للدكتور خرازي في نيويورك، حيث توليت رئاسة اللجنة الحقوقية للجمعية العامة.

لعلّها المرة الأولى التي يتولى فيها فرد غير المفوض الدائم رئاسة اللجنة الحقوقية. قبل ذلك بست سنوات، كان المفوض

الدائم للعراق رئيس هذه اللجنة. كما كانت بقية أعمالي، إمّا سياسية وإما حقوقية، مثل لجنة حقوق الإنسان، أي المكان الذي أتمتّع فيه بالتخصص العلمي اللازم إلى جانب العمل الدبلوماسي. وقد كنت أعمل في المجالات التي درستها في الجامعة، لأنني أعتقد بضرروة التخصّص.

كان الدكتور جمشيد ممتاز رئيسًا للجنة الحقوق الدولية، هل تزامنت مسؤوليته مع فترة مسؤوليتك؟

لا، فقد تمّ اختياره كعضو في لجنة الحقوق الدولية في فترة انتداب السيد نجاد حسينيان. في فترة انتدابي، انتُخِب كرئيس للجنة الحقوق الدولية لفترة. ومع الأسف، لم يُنتخب في الانتخابات اللاحقة بسبب البيئة القائمة ضد إيران. لم تكن هذه الأعمال بمعزل عن العمل الدولي والسياسي، بل هي جزء منه.

عندما تُنتخب كرئيس للجنة، يساعدك ذلك في تتبع مصالحك الوطنية. المهم هو أن يتمّ اختيارك كرئيس. إن النجاح الذي حصدته هو أنّهم كانوا يقبلون بي رئيسًا، بل كانوا يرشّحونني لهذا المنصب. مثلًا، لم أرشّح نفسي لرئاسة اللجنة السّياسيّة في اجتماع قادة دول عدم الانحياز في جنوب أفريقيا. في الحقيقة، اقترحوا عليّ أن أحمل هذه المسؤوليّة وقبلت بها. إنّ هذه الأمور تقع ضمن تخصّصي، فإما تُتطلب منّي، أو أحظى بمجموعة من الآراء لأُنتخب لأدائها.

هل حدث أن اقترحت الحصول على مسؤولية ما؟

أحيانًا، كان الاقتراح يأتي من مفوضيتنا. مثلًا، في موضوع رئاسة اللجنة الحقوقية، اقترح الموظف الحقوقي على الدكتور خرازي أن أكون رئيس اللجنة، لأنّني معروف إلى درجة تمكّنني من أن أُنتَخَب. وأحيانًا، كانت الفرصة مؤاتية؛ مثل رئاسة اللجنة الاستشارية الحقوقية الآسيوية الأفريقية، والتي تغيّر اسمها لاحقًا إلى المنظّمة الاستشاريّة الحقوقيّة الآسيويّة الأفريقيّة.

عندما ذهبت إلى اللجنة، كان القرار يقضي بأن يكون المعاون الدولي لإيران رئيسًا لها، ولهذا تمّ تفويض هذه المسؤولية إليّ، أي أنّ ذلك لم يكن خاصًا بي، بل كان فرصة يتمتع بها أي شخص آخر يشغل منصب المعاون الدولي لإيران. ولكن في معظم الأحيان، طُلب مني تحمل المسؤولية، مثل المسؤولية في قادة حركة عدم الانحياز، أو لجنة نزع الأسلحة في الأمم المتحدة.

ثمة استثناء وحيد، حُمّلتُ فيه مسؤولية لم تكن من تخصّصي بشكل مباشر. بعدما انتهت مهمتي الأخيرة في نيويورك كمفوض دائم، ورجعت إلى إيران، اقتُرِح اسم الدكتور مجيدي - سفيرنا في الأونيسكو - كإحدى الشخصيات البارزة سياسيًّا وثقافيًّا لرئاسة اللجنة الثقافية في الأونسكو. حاز اقتراح الدكتور مجيدي على دعم المجموعة الآسيوية، وتقرر أن يُرشّح في الأونيسكو، لكن حدث أمر شعروا من خلاله بضرورة

معارضتهم له. وبشكل عام، لم يرَ أصحاب القرار مصلحة في قبوله بالمهمة.

بعد ذلك بفترة قصيرة، اقتُرِحَ اسمي لمنصب رئاسة اللجنة، ولكنني أبديتُ معارضتي للفكرة، وقلت إنّني لا أرغب في العمل في الأونيسكو، كما أنّني لست مختصًا، ولم أعمل إلى الآن خارج نطاق تخصّصي، فما كان من السيد مجيدي إلا الإصرار، إلى أن اتصل الدكتور زاهدي ـ وزير العلوم ـ وكانت خلاصة حديثه: ليس هناك فرصة لغيرك للفوز بالتصويت، وهذه فرصة للبلاد.

شعرت بالقلق حيال معارضتي، بحيث إنني قد أتَّهم بموجبها بمخالفة الحكومة، وبأنّني أريد عزل إيران عن العالم. قبلت بالمسؤولية، وقلت: «سأتعلّم وأنجز المهمّة». كانت هذه المرة الأولى التي أقوم فيها بعمل بعيد عن مجال تخصّصي، وقد كان شاقًّا للغاية.

بعد أن تمّ اختياري كرئيس، خصصتُ ثلاثة أسابيع لقراءة كل وثائق اللجنة، وتحدثت إلى شخصيات عديدة، وبهذا بدأت مهمتي كرئيس اللجنة. في اليوم الأخير لفترة مهمّتي، قال لي أحد السفراء إنّهم يريدون ترشيحي لرئاسة اللجنة بشكل دائم. يعود هذا إلى أنّ أغلب المختصين في الشؤون الثقافية لا يتقنون فن رئاسة الاجتماعات، بينما كنتُ أقوم بهذا العمل بشكل جيّد، ونظرًا إلى

أنني لم أكن أعرف رئاسة الجلسات الثقافية، قرأت عنها، ولكنني بالطبع لم أصبح مختصًا.

عندما دخلت اللجنة، لم أكن أفهم حقيقة ما يقولون، وكان لكل موضوع من الموضوعات الدولية مصطلحاتٍ خاصة به، وكان يحتاج إلى تخصّص دقيق. بالنسبة إليّ، وكشخص غير مختصّ في التراث الثقافي، أو معرفته به بسيطة، كان من الضروري أن أعرف عند الحديث عن التراث الثقافي أن ثمة جدالًا بين اليونان وإنكلترا. وبحمد الله، تعلّمت خلال ثلاثة أسابيع الحد الأدنى الذي يُمَكّنني من إنجاز المهمة.

في فترة المؤتمر العام، كانت مدة الدورة الرئيسية ثلاثة أسابيع. وكانت العادة، أن يحتفظ رؤساء اللّجان بمنصبهم حتى المؤتمر العام، ولكن بعد أن انتفت حاجتهم إليّ، لم يقترحوا عليّ المشاركة في المؤتمر العام. بحمد الله، أُقيم المؤتمر المشار إليه من دون حضوري في العام الماضي، ولا بدّ من أنّ شخصًا آخر ينتمي إلى بلد آخر، تولّى رئاسة اللجنة الثقافية.

كان من الرائج مشاركة رؤساء اللجان في المؤتمر العام التالي أيضًا، ولكن الأصدقاء لم يروا ضرورةً لمشاركتي. وبالطبع، أقولها بصدق، حتى لو اقترحوا عليّ المشاركة، لم أكن مستعدًّا لذلك، ولكنهم لم يطلبوا منّي ذلك، بحمد الله.

مـن مسـؤولياتك أيضًـا العضوية فـي مجموعـة الشـخصيات البارزة الرفيعـة المسـتوى لحـوار الحضـارات مـن العـام 2000م حتى العام 2002م، وقـد تحدثـت عـن ضـرورة فكـرة حـوار الحضـارات، حدثنا عـن مسـؤوليتك أيضًا.

فـي منظَّمـة الأمم المتحدة، كما في سـائر المنظمات الدولية، عندما تكـون المواضيـع ذات حساسـية أو أهميّـة سياسـية، فمن الرائـج أن يتمّ اختيـار مجموعـة بـارزة مـن الشـخصيات أو أصحـاب القـرار، لمتابعتها. فالإصلاحـات فـي منظمـة الأمـم المتحـدة أو فـي حـوار الحضـارات مثـلًا، كانـت تتولاهـا مجموعـة شـخصيات عاليـة المقـام. كذلـك ائتلاف الحضـارات أيضًـا، كانـت تتـولاه مجموعـة شـخصيات بارزة.

بعـد أن اقتـرح السـيد خاتمـي مشـروع حوار الحضـارات، وتقـرّر أن يكـون العـام 2001م عـام حـوار الحضـارات، قـام الأميـن العـام للأمـم المتحـدة باختيـار مجموعـة شـخصيات بـارزة ليكونـوا مستشـارين لـه، وليتمكـن مـن تدشـين مشـروع حـوار الحضـارات فـي العالـم.

مـن أعضـاء مجموعة الشـخصيات البـارزة لحـوار الحضارات: السـيد آمارتيـا سـن الفائـز بجائـزة نوبل، السـيد كونك الفيلسـوف اللاهوتي في المسـيحية، السـيد فـون وايتزكـر الرئيـس الأسـبق للجمهوريـة الألمانية، الأميـر الحسـن بـن طـلال ولـي عهـد الأردن، السـيد تـو ويمينـك أسـتاذ فـي جامعـة هارفـرد، وهو شـخصية بـارزة، وكان رئيسًـا لعـدة جامعات، السـيد ليزلـي غلـب رئيس مجلس العلاقـات الخارجية الأمريكيـة. وأيضًا، ثمـة عـدد مـن الفائزيـن بجائـزة نوبل، مـن بينهـم نيجيري فائـز بجائزة

نوبـل في الآداب، وسـيدة بيضـاء من جنوب أفريقيا. وكان متوسّـط عمر هـذه الشـخصيات 70 عامًا.

كنّـا نريـد أن يكـون الدكتـور جـواد فريـد زاده مـن إيـران عضـوًا في مجموعـة الشـخصيات البـارزة. كان زادة مستشـارًا لـدى السـيد خاتمي، ورئيـس مركـز حـوار الحضـارات لديـه قبـل الدكتـور مهاجرانـي. وكنـتُ أيضًـا مصـرًّا علـى أن يكـون عضـوًا فـي المجموعـة، فكمـا ذكرت سـابقًا، كانـت الحساسـية بالنسـبة إلـيّ تحيـط بالسـيد خاتمـي، ولـم أكـن أود إثارتهـا أكثـر. كنـت آنذاك معاونًـا للعلاقات الدولية فـي وزارة الخارجية، ولكـن الأميـن العـام أصـرّ على أن تكون الشـخصيات من اختيـاره، وأصرّ علـى اختياري.

قـد لا يصـدق أحـد أنّـي أصبحـت عضـوًا فـي هـذه المجموعـة بخـلاف إرادتـي. يظـن الجميـع أنّـي ضغطـت لأكـون عضـوًا فـي هذه المجموعـة، ولكـنّ الحقيقـة هـي أنّـي ضغطـت ليكون الدكتـور فريد زادة عضـوًا فيهـا. قلـت لهـم: سـأحضر كمستشـار للسـيد فريـد زادة، وسأشـارك فـي الاجتماعـات، ولكـن السـيد كوفـي عنـان رفـض هـذا الاقتـراح.

قـام السـيد كوفـي عنـان باختيـاري لهـذا المنصـب كأسـتاذ جامعـة، وليـس كمعـاون لوزيـر خارجيـة إيـران. كنـتُ آنذاك أسـتاذًا فـي جامعة طهـران، ومحاضـرًا أيضًـا في كلية العلاقـات الدولية فـي وزارة الخارجية. لـم يُشِـر إلـى منصبي فـي وزارة الخارجيـة، لأنّه لم يكن يريد أن أُنسَـبَ إلـى الدولـة. وفـي النهايـة، أصبحتُ عضـوًا في هـذه المجموعة.

كانت نتيجةَ عمل الشخصيات البارزة كتابٌ أشرت إليه سابقًا، وتوجد نسخة منه بصيغة PDF في موقعي الإلكتروني. كان لدينا سبعة اجتماعات تقريبًا، ونظرًا إلى أنّ إيران لم تخصّص أي ميزانية لمشروع حوار الحضارات، ولم تكن لدى منظمة الأمم المتحدة أموال لإقامة هذه الاجتماعات، فقد كنا مُجبَرين على إقامتها في البلدان المستعدّة لدفع تكاليف التذاكر وإقامة الشخصيات البارزة. كانت الاجتماعات تقام في بلاد مثل إيرلندا والنمسا وقطر، وكان المقرّ الدائم أيضًا بحاجة إلى أموال ثابتة، تكفّلت بها الدول المستضيفة.

الملف النووي

لننهِ هذا الموضوع. كنت عضوًا رفيع المستوى في مجموعة المفاوضات النوويّة عن إيران. كشاهد تاريخيّ حضر أحد أعقد الموضوعات الدولية وأكثرها حساسيةً في العقود الأخيرة، ما كانت أهمّ مخاوف إيران والغرب في تلك الفترة؟

إنّ الأزمة النوويّة ناتجة من عدة أسباب؛ السَّبب الأول هو طبيعة سلوك الولايات المتحدة الأمريكية و«إسرائيل» مع إيران، حيث كانوا يبحثون عن أيّ حجة للضغط على الجمهورية الإسلامية. ولم تكن لهذه المشكلة علاقة بالموضوع النووي.

في الحقيقة، لدى أمريكا قلق من سلوك الجمهورية الإسلامية؛ قلق من نموّ نظام حكم بأيديولوجية جديدة في العالم، فهي تعتقد أنّها تحمل رسالة عالمية، ولا تكتفي بحدود أصغر. وبمجرد أن تحمل إيران هذه الرسالة - بغض النظر عن قدراتها بالنسبة إلى القدرات الأمريكية - فإنّ ذلك يبعث على قلق بالغ لدى الأمريكيين. هذا جزء من المشكلة الأمريكية مع إيران.

الجزء الآخر هو الفشل النفسيّ، أو لنقل إنّه عقدة نفسيّة تاريخيّة، بدأت بعد السيطرة على السفارة الأمريكية في طهران، وهو ما خلق

لـدى الـرأي العـام الأمريكـي نوعًـا مـن التحقيـر التاريخـي. فـي الوقـت الحاضـر، يعـدّ هذا الحـدث أحد الأحـداث الباقية في الذاكـرة التاريخية للأميركييـن، ونظـرًا للتاريـخ القصيـر لهـذا البلـد، فـإنّ ذاكرتـه سـطحيّة. ومـن الأحـداث الأخـرى، حـرب فيتنـام، فالأمريكـي يشـعر بالحقـارة حيـال هـذه الأحـداث. تكمـن المشـكلة الأمريكيـة مـع إيـران فـي هـذا الموضـوع، ولا ترتبـط بشـكل مباشـر بالموضـوع النووي.

كمـا أنّ «إسـرائيل» لديهـا مشـكلة مـع إيـران، وأعتقد أنّها المشـكلة الأهـمّ. جـزء مـن هـذه المشـكلة يخـصّ الثـورة الإسـلامية، فيمـا يخـصّ جـزء آخـر الأطمـاع التمدديّـة «لإسـرائيل»، وخصوصًـا الليبرالييـن مـن مفكريهـا، فهـم يريـدون أن تكون «إسـرائيل» القوة الأولى فـي المنطقة مـن الناحيـة السياسـيّة والاقتصاديّـة والعسـكريّة. وأهـمّ مـن يمنع هذه القـدرة والسـلطة عـن إسـرائيل، هـي إيـران، بغـض النّظـر عـن النظـام السّياسـيّ فيهـا سـابقًا أو الآن أو مسـتقبلًا.

أعتقـد أنّ الجـذور الأساسـيَّة للمشـكلة النووية تتمثَّل فـي أنّ أمريكا و«إسـرائيل» وجدتـا فـي الموضـوع النـووي الحجـة المناسـبة لتشـكيل ضغـط دولـي علـى إيـران، مـن دون أن تكـون مشـكلتهم هـي الملـفّ النـووي بالضـرورة، فلـو كانـت مشـكلة أمريـكا هـي الموضـوع النـووي فقـط، لـكان حلُّ الموضوع أسـهلَ بكثير. هذا هو أحد أسـباب المشـكلة النووية.

عـادةً، أذكـر بدايـة جـذور هـذه المشـكلة، ثـمّ أتطـرق إلـى جوانبهـا الدبلوماسـية. ذكـرتُ أنّ لمشـكلات الملـفّ النّـوويّ عمـودًا

خارجيًّا، وأذكر أن لها عمودًا داخليًّا أيضًا، هو الجهل والتنافس بين الأجهزة داخل الجمهوريّة الإسلامية. كانت أمريكا تبحث عن حجّة لتضغط على إيران، ومع الأسف، منحناهم هذه الحجّة. كمثال على ذلك، كانت بعض الأجهزة المسؤولة تعتقد بعدم ضرورة تقديم تقرير يخصّ المنشآت النوويّة لوكالة الطّاقة الذريّة.

هل كنّا نعتقد بهذا الأمر منذ البداية؟

نعم، كان الأمر كذلك من البداية. كانوا يظنون أنّ بعض الأعمال يمكن تتبّعها بطرق أخرى. يرجع سبب ذلك إلى التنافس بين الأجهزة، ولا سيّما منظَّمة الطاقة الذرية ووزارة الخارجية. هذا التنافس لا يعود إلى عهد نظام الجمهورية الإسلامية، بل إلى عهد الشاه.

تعتقد منظّمة الطّاقة الذريّة أنّ مسؤولية متابعة جميع الأمور المتعلقة بالطاقة الذرية، ومنها السياسات الخارجية، من حقها. هذه المسألة كانت قائمة في عهد الشاه أيضًا، ولأنّ كلاًّ من وزارة الخارجية ومنظمة الطاقة الذرية كانتا تحت إشرافه الشخصي، كانت المنافسة متوازنة، ولكنّ هذا التحكّم تبدّد في عهد الجمهورية الإسلاميّة، وأصبحت منظمة الطاقة الذرية تتابع المواضيع السياسيّة برؤية فنيّة، إذ لم يكن لديها تخصّص فيها.

أدّى هذا الأمر إلى حسن ظنّ منظّمة الطّاقة الذريّة، فاعتقدت أنّ الموضوع سينتهي خلال شهر أو شهرين، لأنّهم يعلمون أنّهم لا يتّجهون إلى صنع قنبلة، ولكن وزارة الخارجية كانت متنبّهة إلى

الجوانب الدولية. كانت تعلم أنّ أمريكا تبحث عن ذريعة، وأنها ليست قلقة بالضرورة إزاء المحطتين النوويتين في إيران، فهي تريد الضغط على إيران، كما تريد حرمانها من حقها.

في الحقيقة، تريد أمريكا أيضًا عزل إيران عن المجتمع الدولي. كنّا نعلم كيف يمكن أن تنتهي هذه اللعبة إلى أزمة بالنسبة إلى البلاد. لهذا، بخلاف ظنّ الكثيرين، فإنّ جذور الأزمة ليست اتجاه إيران إلى صناعة قنبلة. لقد تسبّبت هذه الحالة بنشوء المزيد من أزمة الثقة بين إيران والولايات المتحدة الأمريكيّة والمجتمع الدولي، لأنّ إيران تقول: «إنّنا نريد الطاقة لأغراض سلميّة، فلمَ تقومون بتحميلنا هذه الضغوط؟». من ناحية أخرى، فإنّ الولايات المتحدة تعمل بلا توقّف على استخدام نفوذها للضَّغط على إيران.

أحيانًا، كانت خلافاتنا الداخلية تمنعنا من الردّ بالشّكل المناسب على الحجج التي يلقونها، ولا زالت هذه الحالة مستمرة إلى الآن. تهدف الولايات المتحدة الأمريكية، منذ بداية الثورة الإسلامية في إيران، إلى تحويلنا إلى خطر على الأمن الدولي. في الحقيقة، إنّ هدف نظام الهيمنة هو تقديم أعدائه كأعداء للعالم أجمع. لهذا، سعت الولايات المتحدة بعد الثورة الإسلامية ثلاث مرات على الأقل، إلى تقديم ملف إيران إلى مجلس الأمن وفرض عقوبات عليها؛ الأولى في قضية المختطفين، والثانية في موضوع عدم قبول إيران بالقرار 598، كما ذكرت سابقًا، والثالثة في الموضوع النووي.

عملت أمريكا منذ العام 2005م على رفع ملف إيران النووي إلى مجلس الأمن، قبل الاتفاق بين إيران والبلدان الأوروبية. وبحسب الوثائق الموجودة، كانت الولايات المتّحدة الأمريكية ترى ضرورة نقل ملفّ إيران إلى مجلس الأمن، لأنّها تعتقد أنّ الملفّ يجب أن لا يكون بيد الوكالة الدوليّة للطّاقة الذريّة. باعتقادي الشّخصيّ، لا تهدف أمريكا إلى الضّغط على إيران، أو فرض عقوبات عليها فقط، بل تسعى إلى تحويلها إلى خطر على الأمن الدولي من خلال خطوات مدروسة.

تكمن المشكلة في عدم فهم هذه الحقيقة، حيث كان البعض يظن أنّ مجلس الأمن وفرض العقوبات مجرد خواء، ولن يتحقق أيٌّ منها. لقد تسبّب بعضٌ من عدم الوعي بالحقائق السياسية وبنظريات العلاقات الدولية، بأن ينظر البعض إلى الموضوع من ناحية فنية فقط، وكانوا يقولون: «لدينا مشكلة أو مشكلتان فنيتان فقط وسنحلّهما». وينظر آخرون إلى الموضوع من ناحية أمنية، فيقولون: «نحن لا نسعى إلى صناعة قنبلة». ولكن، نظرًا للتعقيدات المحيطة بحديث الشخصيات التي نظرت إلى الموضوع من ناحية العلاقات الخارجية والسياسة الدولية، فلم يكن كلامهم مسموعًا.

لو نظرتَ إلى الموضوع من ناحية العلاقات الدّوليّة، لرأيتَ لمَ تريد الولايات المتحدة جعل إيران تهديدًا للأمن الدولي، ولمَ لا تُبدي روسيا والصّين مخالفة صريحة لهذا المشروع. ولو نظرت

إلـى علاقـات القـوّة داخـل مجلـس الأمـن وخارجـه، لوجـدتَ أنّ الصين وروسـيا منتفعتـان مـن وجـود الملـف الإيرانـي فـي مجلـس الأمـن، لأنّ قـوة كلٍّ منهمـا داخل مجلس الأمـن وتأثيرهما، لا يقارنـان أصلًا بقوتهما خارجـه. إن روسـيا والصيـن خـارج مجلـس الأمـن، سـتكونان قوتيـن من الدرجـة الثانيـة كحـدٍّ أقصـى، بينمـا يكـون لهمـا فـي مجلـس الأمن من القـوة وحـق النقـض مـا تملكـه الولايـات المتحـدة الأمريكيـة. لهـذا، فإنهمـا ترجّحـان أن تحلّ الولايـات المتحدة وحلفاؤهـا الغربيون الملفّ الإيرانـي داخـل مجلـس الأمـن لا خارجـه.

قـد تبـدو هـذه الملاحظـة بديهيـة اليـوم، ولكـن فهمهـا والتنبـؤ بهـا قبـل حدوثهـا بحاجـة إلـى بصيرة فـي العلاقـات الدولية وأسسـها النظريـة. مـع الأسـف، كانـت هـذه البصيـرة فـي حالـة كسـوف، ولم يكـن يُسـمَح لهـا بالبـروز. يعتقـد الجميـع فـي بلادنـا أنّـه مختـصّ فـي العلاقـات الدّوليّـة. بالطّبـع، هـذه المشـكلة الثقافيّـة موجـودة فـي كل المجـالات، ولكننـا قـد ننتبـه إلـى بعضهـا بشـكل أسـرع، مثـل الهندسـة، حيـث يسـبّب عـدم التخصّـص انهيـار البنـاء. أمـا فـي تخصّصـات أخـرى، مثـل العلاقـات الدوليّـة، فإننـا ننتبـه إلـى هـذه الأمـور بشـكل متأخّـر.

فـي الشّـؤون السّياسـية والثقافيّـة والاجتماعيّـة، تظهـر النتائـج بعـد وقـت متأخّـر، فنحـن لا نريـد أن نقبل أنّنـا بحاجة إلى مختصّيـن، ولكنَّ البعـض بذلـوا جهـودًا فـي هـذا الصَّـدد، ودرسـوا حتـى حصلـوا علـى التخصّـص. يجـب أن نصـل إلـى قناعـة بـأنّ لكلّ عمـل تخصصًـا، ويجب

أن لا يسمح كلّ شخص لنفسه بالتدخّل. لا أقول إن على المتخصّص أن يتخذ القرارات، ولكنني أرى أنّ على صاحب القرار أن يحترم تقارير المختص ورؤاه. إنّ المشكلة النّوويّة مشكلة نفسيّة ومعرفيّة. فمن جهة، إنّ الغرب يعاندنا، ومن جهةٍ أخرى، فنحن لا نقدّر الوضع، ونعاني السذاجة.

يعرف العاملون في الملفّ النووي وجزئياته جيدًا، أنّ الأصدقاء غير المختصين، وفي فترات مختلفة، تصوروا، وبسذاجة غريبة، أنّ المسألة ستُحلّ بسبب جنسية السيد البرادعي ودينه. كانوا يظنون أنّ الاستفادة من بعض العبارات التي لم ترد في نص قانون الوكالة الدولية ستكون لصالحهم، كأن تستخدم الوكالة مثلًا عبارة «عدم الالتزام» عوضًا عن «نقض». وقد استخدم المدير العام عبارة «خرق الالتزام بالامتثال» «breach of the obligation to comply» عوضًا عن «نقض» «non compliance». لم ينتبه الكثيرون إلى النتيجة، ولو فهم غير المختصين الفرق الظاهري بين العبارتين، لحصل تطور هائل في هذا المجال، ولكن المشكلة تكمن في أنّهم ظنوا أنّ هذه هي النهاية القصوى للحقوق الدولية. إنّ العلم المحدود أسوأ من الجهل.

في الاجتماعات، سمع الأصدقاء منّي ومن أمثالي بأنّ عبارة «نقض» «non compliance» في قانون الوكالة، هي عبارة خطرة، وأنّ استخدامها من قِبَل الأمانة أو مجلس الحكام، يعني إرجاع الملفّ إلى مجلس الأمن. لهذا، عندما استخدم السيد

البرادعـي فـي تقريـره عبـارة «خـرق الالتـزام بالامتثـال» «breach of the obligation to comply»، طربـوا فرحًـا لعـدم اسـتخدامه للعبـارة الأولـى، بينمـا كانـت هـذه العبـارة هـي التـي قادتنـا إلـى مجلـس الأمـن.

دسّ البرادعـي هـذه العبـارة فـي تقريـره زورًا كي يحلّ مشـكلته مع أمريـكا، ويبقـى لـدورةٍ أخـرى، إذ لـم يكـن هنـاك أيّ ضـرورة قانونيـة ليسـتخدمها، ولكنّـه تمكّـن مـن القيـام بعمـل أبـدى بموجبـه فاقـدو الصلاحيـة مـن بلادنـا رأيهـم.

مـن لا يعـرف الفـرق بيـن «نقـض» «non compliance» و «خـرق الالتـزام بالامتثـال» «breach of the obligation to comply»، ولا يعـرف نتيجـة كلٍّ منهمـا فـي القانـون الدولـي، لا يمكنـه كتابـة تقريـر خبيـر، وليـس لديـه صلاحيـة بهـذا الخصـوص. مـع الأسـف، كان بعـض الأصدقـاء غافليـن إلـى هـذا الحـد، حيـث سـمحوا لأنفسـهم بإبـداء رأي تخصّصـي. ممـا يضحـك أكثـر ـ وشـرّ البليـة مـا يضحـك ـ هـو أنّ هـؤلاء أصبحـوا بعـد اتفاقيـة باريـس ثورييـن فجـأة، واتهمـوا المتخصّصين في الحقـوق الدوليـة بالجهـل بشـأن تلـك الحقـوق!

لا تريـد أمريـكا أبـدًا لإيـران أن تتطـوّر تقنيًـا، ولكننـا كنّـا نسـتطيع عـدم منحهـم الحجّـة، كمـا كنـا نسـتطيع أيضًـا عـدم منـح «إسـرائيل» حجّـة، ذلـك أنّها أكبـر ناقض لمعاهدة NPT. إنّ الـ NPT ليسـت مجرد معاهـدة، بـل هـي «حظـر انتشـار السـلاح النـووي»، وهي نظـام دولي.

تعتبـر «إسـرائيل» متمـردة علـى هـذا النظـام، ولكنها تمكّنـت من لعب دور المدافـع عنـه.

إنّ البرنامـج النـوويّ الإيرانيّ مبنيّ علـى حقوق إيران. وفي الحقيقة، تعـدّ مخالفـة هذا البرنامـج نقضًا للـ NPT. ولكننـا منحناهم حجّة، لأنّنا لـم نعمـل بشـكل جيّد بهـذا الخصـوص. في الخلاصـة، لـو أردت البحث عـن جـذور هذه المشـكلة، فسـتجد أنها تكمن في سـوء الفهم.

إذًا، هذا الموضوع سياسيّ أكثر من كونه حقوقيًّا؟

هـذا الموضـوع حقوقـي وسياسـي فـي الوقت نفسـه. فـي الحقيقة، هـو موضـوع سياسـي حُمـل على مركـب حقوقـي، بحيث اسـتفادوا من المفاهيـم الحقوقيـة فيـه، فعندمـا أرادوا نقـل ملـف إيران إلـى مجلس الأمـن، كان يجـب عليهـم تتبّـع طريـق حقوقي.

وعندمـا أرادوا إصـدار القـرار 1929 ضد إيران، اسـتفادوا من مفاهيم حقوقيـة كي تحصـل مواقفهم السياسـيّة على تبرير.

بخصـوص الملـفّ النـووي، هنـاك عـدة رؤى فـي إيـران، لـكلّ منهـا زاويـة مختلفـة. يعتقـد البعـض أنّ مشـكلة الملـف النـووي مشـكلة ذاتيـة أو أساسـية بيـن الجمهورية الإسـلامية والغرب. بمعنـى آخر، لدينا مشـكلة فلسـفية مـع الغـرب، ولأنّنا نسـبح بعكس التيار، فمـن الطبيعي أن يمنعـوا نشـاطاتنا. وبهـذا، فمـا دمنـا لـم نحسّـن علاقتنـا مـع الغرب، فسـتبقى هـذه المشـاكل دائمًـا، ليـس في الملـف النووي فقـط، بل في كلّ حـقّ ومصلحـة أخـرى للشّـعب الإيرانيّ.

ويعتقد آخرون أنّ الغرب قلق من استقلال أيّ بلد من بلاد العالم الثالث وتطوّره، ومن بينها إيران، بغض النظر عن نظام الحكم فيها. ولهذا، فهم غير قادرين على تحمل أيّ تطوّر علميّ أو اقتصاديّ في هذه البلاد.

وهناك نظرة أخرى ترى أنّنا متساهلون من جانب، ونعاني سوء فهم من جانب آخر، ولا نستشعر القلق الأمني لدى الغرب. وبنوع من التسييس، ننسب كل ما يحدث بخصوص الملف النووي إلى حقد العدو، بينما يتعلق جزء من القلق العالمي حيال مسائلنا بشكل مباشر بأمن المنطقة، وتوازن القوى، والصلح والأمن الدولي، ولا يمكن المرور على هذه الموضوعات ببساطة. كيف تقيّم هذه الأمور وتحلّلها؟

أعتقد أنّ كل ما ذكر صحيح نوعًا ما. ذكرتُ سابقًا أنّ لدينا مشكلة أساسيّة مع الغرب، وخصوصًا الولايات المتحدة الأمريكيّة، لأنّنا ندّعي نظرية جديدة، لها نطاق عالمي، وليست متناسبة بالضرورة مع قدراتنا، بل تعود إلى رؤيتنا. لماذا لا تعاني ماليزيا هذه المشاكل؟ لأنّها لا تريد تغيير النظام الدولي. قد تودّ أن تكون مستقلّة، وتحكم سياساتها، وتحصل على الاقتدار، ولكنها تريد هذه القدرة لتصل إلى الرفاه الوطني مثلًا.

إنّ الرفاه الوطنيّ من أهدافنا أيضًا، ولكن لدينا رسالة عالمية مذكورة في الدستور، تقع ضمن أهداف الثورة الإسلامية، ولو لم تُذكر ضمن أهداف الثورة، فإنّها من روح الثورة أساسًا، وهي ليست دون الخطر فقط، بل هي مصدر القدرة، مثلما يعدُّ من أهم مصادر القدرة

الأمريكية تَمكُّنها من التحاور، وهو ما ضعف في عهد بوش، ويعمل أوباما على جبره.

تمكّننا هذه الرسالة العالميّة من أن نصبح قوة على مستوى المنطقة. لا يرجع هذا الأمر إلى الوقت الراهن، بل هو إرث من جهود كل الحكومات بعد الثورة، وهذه الحقيقة تصنع لنا أعداء ومنافسين. يعلم من تصلهم المعلومات أنّنا لا نسعى إلى القنبلة النووية، ولكن سيطرأ على ذهن الباحث هذا السؤال: كيف يقبل بلد ما بالعقوبات ليحصل على مصدر طاقة؟ كيف لبلدٍ يمتلك النفط أن يضحّي بمصدر الطاقة هذا، ليحصل على مصدر طاقة آخر ينتج عُشر طاقة النفط؟ لهذا السبب، يظن الباحث أنّ لدى إيران هدفًا أمنيًا، وأنها تريد صناعة قنبلة. في الحقيقة، أدى سوء الظن إلى أن يتّبع كلُّ طرف ظنّه.

أعتقد أنّ السّلاح النّوويّ ليس خطرًا على المنطقة فحسب، بل هو أشدّ خطرًا على إيران، لأنّه لا يوفر لها الأمن ولا الرّدع، بل بعكس ذلك، فإنّ أكبر خطر هو الدخول في الموضوع النووي عسكريًّا، لأنّه يوجب خللًا في المعادلات الاستراتيجية العالمية والإقليمية. أظنّ أنّ أصحاب القرار متفقون بهذا الصدد، ولكن نوع السلوك ونوع التواصل وتحجّج أولئك وجهلنا، هو ما يبعث على هذا الظن. أعتقد أنّ جذور هذه المسألة تكمن في سوء الفهم، وليس في أنّ إيران تسعى حقيقة إلى السلاح النووي.

بالطّبع، لا ننسى المؤيدين لحصول إيران على السلاح النووي. البعض منهم مخالفون لنظام الجمهورية، ويعتقدون أنّ إيران لو كانت تسعى إلى السلاح النووي، فلن يعلم بذلك أحد. إن عملية تصنيع القنبلة النووية هي عملية سرية للغاية، وكمثال، فإن باكستان وكوريا الشمالية مؤيدتان لهذا الادعاء بشكل ما.

في الحقيقة، إنّ الاتجاهات السياسية لبلد يسعى إلى الأسلحة غير التقليدية، ومنها الأسلحة النوويّة، يشكّل لغزًا يمكن ترتيبه وتركيبه بعدة أشكال. إنّ عدد التقارير والمواقع التي تقدم صورة رُكبت بمهارة، وتُظهر أنّ إيران تزحف بهدوء، ولكن بإرادة قوية، نحو صناعة القنبلة النووية، ليس بالقليل. ماذا تقول لمن يؤمن بهذه الفكرة، أو لمن يقول إنّ القنبلة النووية من المصالح الوطنية؟

إن كون القنبلة النووية من المصالح الوطنية أو لا، هو أمر قابل للنقاش. في الحقيقة، ثمة نظريتان بهذا الخصوص. أعتقد أنّ أصحاب القرار في الجمهورية الإسلامية لا يرون أنّ القنبلة النووية من المصلحة الوطنية، ولكن يعتقد آخرون أنّ القنبلة النووية قد تكون مفيدة لإيران. كما أنّ هناك في الغرب من يؤمن بأنّ القنبلة النووية لا تحمل خطرًا على إيران، بل تجعل النظام الإيراني مسؤولًا.

بالطبع، اختلفتُ مع عدد، جدير بالذكر، من خبراء العلاقات الدولية حول أسس هذه النظرة. لهذا، من الممكن أن تكون هناك

نظرتان في العالم، ومن يرتّب اللغز، ويصل إلى نتيجة تقول إنّ إيران تسعى إلى امتلاك القنبلة النووية، فإنه يعاني سوء فهم.

إذا سعى بلد ما إلى امتلاك قنبلة نووية، وأراد اتباع برنامج سري بهذا الخصوص، فلن تكون نطنز هي الحل. إنّ البرنامج السرّي لصناعة قنبلة نووية، ليس بحاجة إلى نظام بهذه السّعة والانتشار، بحيث يمكن إنجاز المهمّة في مكان آخر أيضًا. لستُ عالمًا بكل أسرار الكون، ولكنّني أدرك التفسيرات الخاطئة التي أوصلتنا إلى هذا الوضع، وكيف قام الأوروبيون والإسرائيليون باستغلال الوضع.

إنّني أقدّم الفهم والتحليل كمراقب، وليس كمتحدث عن الجمهوريّة الإسلاميّة، وأعتقد أنّ الموضوع النوويّ تحول إلى أزمة دولية بسبب سوء فهم وعمل جاهل. لم أكن في موقع المسؤوليّة بعد ذلك، ولا أعلم ماذا حدث، ولكن الأمر كان يسير بهذا الشّكل في تلك الأيام.

في العام 2004م، وفي حكومة السيد خاتمي، كانت نتيجة مفاوضات البروتوكول الإضافي سفر وزراء ثلاثة بلدان من الاتحاد الأوروبي، هي بريطانيا فرنسا وألمانيا، إلى طهران. تمّ توقيع البروتوكول الإضافي بعد ذلك، وقبلت به إيران مختارةً وقف التخصيب. بعد هذا، اتّهم الكثيرون السياسة الخارجية لحكومة خاتمي بالرضوخ بلا سبَب وبتقديم الرشوة للأجانب. وكانت عبارة السيد علي لاريجاني المعروفة: «أعطيناهم اللؤلؤ

وأخذنا الحلوى»، تصف فريق المفاوضات آنذاك. بمَ تجيب هؤلاء؟

إن اتخاذ قرار حول الشأن النووي ليس في يد حكومة السيد خاتمي أو حكومة السيد أحمدي نجاد. هذا القرار تتخذه قيادة النظام، وحكومة السيد خاتمي وحكومة السيد أحمدي نجاد تنفذان قرارات القائد، فيجب أن نرى من نفّذ القرار بشكل أفضل، فلو كان السيد خاتمي اليوم في منصبه، هل سينفّذ هذا القرار؟ ولو نفذنا قرار القائد، هل كنا سنصل إلى هذه النتيجة؟ في الحقيقة، يجب أن نجيب عن هذا السؤال، لا أن نقول إنّ حكومة السيد خاتمي تنازلت، ثمّ أصبح البقية ثوريين، فالاختلاف في كيفية التنفيذ هو الذي جعلنا في موقف القوّة.

قالت السيدة رايس: «يجب أن نغيّر ظروف العالم، لأنّ إيران، وعلى الرغم من نقضها للقوانين، فقد تمكّنت من إلقاء المسؤولية على أمريكا». حصل هذا اللقاء في شهر مارس/آذار من العام 2005م، وكانت ثمرة تنفيذ سياسة السيد القائد في يد السيد خاتمي وشخصيات مثلي. وكانت نتيجة هذا الأمر قول السيدة رايس: «جعلتنا طهران المسؤول عن المشكلة النووية مع إيران». بغض النظر عن تغيير سياسة السيد القائد أو ثباتها، أعتقد أنّها كانت مستمرة.

لنتطرّق إلى الجزئيات الآن. نحن نرى نتيجة تغير الخطاب والتنفيذ في الحكومة اللاحقة، إذ أصبح العالم يعتقد أنّنا تهديد

للأمـن، لهـذا يجـب الإجابـة عـن السـؤال أعـلاه، وكلّ ما عداه هـو خداع للعامـة. قـال السـيد القائـد عـدة مـرات إنّـه هـو من يرسـم السياسـات، ونحـن نفتخـر أننا حفظنـا الإنجازات النوويـة للبلاد عندما قام بتسـليمنا المهمـة، بحسـب تقاريـر السـيد البرادعـي وأقوالـه، وليـس بحسـب مـا ندعيه.

بحسـب تقريـر الوكالـة الذريـة، كان لدينـا ألـفٌ وثلاثمائـة جهـاز طـرد مركـزي جاهـز غيـر فعـال، ومائـةٌ وثمانيـة وعشـرون جهـازاً فعالًا. تفاصيـل ادّعائـي مذكـورة فـي تقريـر الوكالة، ويمكنـك أن تطّلـع عليها. نحـن نفتخـر بذلـك، لأنّ فتـرة عملنـا كانـت خاليـة مـن أي قـرار دولـي يصـدر ضد إيـران.

بـدأت حكومتـا السـيد هاشـمي والسـيد خاتمـي بالبرنامـج النـووي لإيـران بإشـراف السـيد القائد من الصفـر، وأوصلتاه إلى هذا المسـتوى. كنـا منفذيـن، ولكن تنفيذنـا كان جيدًا، بحيث وصلنا إلى هذا المسـتوى مـن التقنيـة دون أن يصـدر ضدنا أي قـرار دولي.

بذلـت السـيدة رايـس الكثيـر مـن الجهـود كـي تضـم العالـم إليها، بـل أُجبـرت إلـى الانضمـام إلـى الاتحـاد الأوروبـي، ولكنّنـا الآن بعـد تفعيـل سـبعة آلاف جهـازِ طـرد مركـزي، صـدر ضدنـا سـتة بيانـات من مجلـس الأمـن. والجديـر بالذكـر أنّ البـلاد لـم تكـن قـد اسـتعدت بعد لتشـغيل أكثـر مـن مائـةٍ وثمانيـة وعشـرين جهـازَ طـردٍ. ولـو اسـتمرّ عملنـا، لكنّـا قـد وصلنـا إلـى اتفـاق مـع الغـرب، ولصنعنـا أجهـزة

الطرد بناءً على الاتفاق، وإن لم نتوصل إلى اتفاق، لاستخدمنا طرقًا لا تؤدي إلى النتائج الحالية. إن المشكلة الأصلية للبلاد هي الحصول على التقنية، والذي تمّ في عهد السيد خاتمي بإشراف السيد القائد. وبالطبع، بدأت أسسه الأولى في عهد حكومة السيد هاشمي.

إذًا، هل حصلتم على موافقة السيد القائد لتوقيع البروتوكول الإضافي؟

كما تعلم، كنت مسؤول فريق المفاوضات مع الغرب إبّان عهد الدكتور روحاني. في كلّ المسؤوليّات التي توليتها، لم ينطق أحد كلمة واحدة من دون إذن السيّد القائد. من الممكن أن يكون السيّد القائد قَبِل ببعض الأمور مكرَهًا، مثل وقف بعض الإجراءات، ولكن، وبحسب ما سمعت من الكثير من الأصدقاء، كانت طريقته في تلك السّنوات احترام رأي الجماعة، فكانوا يصلون إلى إجماع أولًا، ثمّ تتّخذ القرارات.

لم أكن حاضرًا في تلك الاجتماعات، وكانت تصلني نتيجة القرارات، بحيث كنا منفذين لها. وقد كنت أنفِّذ القرارات التي تصلني بحذافيرها من دون زيادة أو نقصان. وقد ذكرت سابقًا، أنّ واجب الموظف تقديم رأيه واقتراحه، ولكن في التنفيذ، عليه الرضوخ لقرار إدارة البلاد. لهذا، وفي كل الحالات التي كان فيها قرار المسؤولين مخالفًا بشكل تام لرؤيتي واقتراحي الذي قدمته لهم، كنت أنفّذ وأتابع في المفاوضات رؤية النظام وقراره.

هل أُجبِرتَ على مساومة السيد القائد على موضوع ما؟

يسعى جميع المنفّذين إلى المساومة، ولكن الفرصة لم تُتَح لي بهذا الخصوص. في بعض الحالات، كان كل ما أنفّذه غير متوافق تمامًا مع رؤيتي، وهي موثقة بشكل مكتوب، لكنّها سريّة للغاية.

على كلّ حال، صدرت ستة قرارات ضد إيران حتى الآن. يرى البعض، ومنهم رئيس الجمهورية أحمدي نجاد، أن يستمرّ الغرب في إصدار القرارات حتى تنتهي من جعبتهم. هذا هو نص كلام رئيس الجمهورية في أحد الخطابات. البعض يتّهمكم قائلًا: جعلت «عصابة نيويورك» القرارات الدولية آفة مترقبة لإخافتنا، فقد صدرت ستة قرارات إلى الآن ولم يحدث أي شيء. ما هو ردّك على هذا الموضوع؟

إنّ علينا كخبراء ومراقبين أن نحدّث بما سيحدث في العالم. لو رجعتَ إلى كتابات هؤلاء الّذين يتحدثون عنّا باسم «عصابة نيويورك» من العام 2003م وحتى العام 2006م في المواقع المختلفة، ولا سيّما موقع «بازتاب»، لرأيت أنّهم قالوا: «لن يصدر قرار». كان من وظيفتي كخبير أن أقول لهم إنّ ثمة قرارًا سيصدر.

بعد صدور القرار، وعوضًا عن قبول الأصدقاء بخطأ توهّمهم، اتّخذوا موقف صاحب الحق، مدّعين أنّ القرار غير مهم. كان من الواجب مساءلتهم، لا مساءلتي وأمثالي من الخبراء بالتجربة والتخصص حين توقعنا الأمر بشكل صحيح.

وسيحكم التاريخ على أهمية العقوبات أو عدمها. أمّا حول صدور القرارات أو عدمها، فانتقال ملف إيران إلى مجلس الأمن أو عدمه، استخدام روسيا لحق النقض أو عدمه، تنفيذ العقوبات ضدنا أو عدم تنفيذها؛ كل ذلك تحليلات وتوقّعات يمكن تقييمها الآن، حيث يبدو واضحًا من حلّل وتوقّع بشكل صحيح، ومن لم يكن كذلك.

كان من واجبنا القيام بالتّحليل والتوقّع بشكل صحيح، ونحن نفتخر الآن أمام ضمائرنا بأنّنا أنجزنا المَهمّة بمسؤولية، وقبلنا بثمن ذلك، وهو التقاعد الآن بعمر 47 سنة.

بغض النظر عن هذا الجدال، ما هو أثر هذه القرارات في أمننا الوطني؟

تسعى الولايات المتحدة الأمريكية منذ ثلاثين سنة إلى أن تقدِّمنا كخطر يهدّد الأمن العالمي. وكان أفضل سبيل لهذا الأمر هو إصدار هذه القرارات، فهذه هي طريقة أمريكا دائمًا، ليس فقط عبر مجلس الأمن. ولو رجعت إلى الماضي، لتذكّرتَ حروب الولايات المتحدة في القرن التاسع عشر، خوض أمريكا الحرب العالمية الأولى والحرب العالمية الثانية، وحرب أمريكا في الفيتنام. كانت كلّ هذه الحروب تبدأ بمقدمة تدّعي فيها أمريكا أنّ عدوها خطر على العالم.

لو قرأ أحد التاريخ، وامتلك القليل من العلم بالسياسة الدولية، لاستنتج أهمية هذا الموضوع. إن العراق ويوغسلافيا سابقًا نموذجان

معروفان للجميع. صحيح أنّ بلدنا صمد أمام العديد من القرارات، وسيصمد أيضًا أمام هذه القرارات، بفضل الله، ولكن الموضوع يبقى كذبهم على أصحاب القرار حين قالوا: لن تصدر قرارات. حدثت جميع التوقعات التي ذكرتها بالنسبة إلى القرارات خلال أسبوع أو أسبوعين، وكانت موجودة كلها في مجلس الأمن القومي.

قبل أن ينتقل الموضوع إلى الوكالة الدولية للطاقة الذرية، كان الجميع في منظمة الطاقة الذرية يدّعي أنّ الأمور تجري على ما يرام. هذا الكلام يعود إلى العام 2003م، وليس إلى العامين 2008م و2009م. ففي ربيع وصيف العام 2003م، قالوا: سنحل المشكلة مع البرادعي والأمانة العامة، ولن يصدر قرار ضدنا من مجلس المحافظين. وحتى سبتمبر/أيلول من العام 2003م، كانت مسؤولية العمل مع الوكالة الدولية للطاقة الذرية ملقاة بالكامل على عاتق منظمة الطاقة الذرية. لماذا انتقلت هذه المسؤولية في سبتمبر/أيلول من العام 2003م إلى وزارة الخارجية أولًا، ثمّ إلى مجلس الأمن القومي بطلب من وزارة الخارجية؟ لأنّ منظمة الطاقة الذرية قالت: لن يحدث شيء، ولكنّ مجلس المحافظين في الوكالة الدولية للطاقة الذرية أصدر قرارًا ضد إيران في سبتمبر/أيلول من العام 2003م. انظر إلى موقع «بازتاب»، يوجد فيه مقالٌ تحدّثوا فيه عن صدور قرار. بالطبع، غيّر موقع «بازتاب» سياسته فيما بعد، انظر كيف تغيّرت التحليلات والاتجاهات؟!

لقـد كان كلامنـا منـذ اليـوم الأول ثابتًـا، ولا زلنا على الموقف نفسـه، إذ نقـول دومًـا رؤيتَنـا التخصصيـة، ولكـن أن تكـون قـرارات مجلـس المحافظيـن أو مجلـس الأمـن جيـدة أو سـيئة، فهـذا قـرار سياسـي. إنّ ضميـري مرتـاح لأنّنـي قدمـت للمسـؤولين معلومـات صحيحـة.

روسيا والصين

يبدو أنّنا ناقشنا معظم الموضوعات المتعلّقة بالملفّ النّوويّ، ومن الجيّد أن ننتقل إلى دور روسيا والصّين في هذا الصّدد. سؤالي هو: هل كانت ثقة إيران بروسيا والصين، نظرًا إلى حقّهما في النقض في مجلس الأمن، مفيدةً لنا؟

إنّ «الثقة» مصطلح غير صحيح تمامًا في مجال العلاقات الدّوليّة، لأنّ الدول تبحث عن مصالحها، وبالتالي يجب تحديد هذه المصالح بشكل دقيق ليتم التعرف إلى كيفية التنسيق بينها وبين مصالح الجمهورية الإسلامية. لروسيا والصين مصالح مختلفة، ولا شكّ في أن من مصلحتهما منع الولايات المتحدة الأمريكية من أن تكون القوة الأولى في العالم، بحيث يبذلان جهدهما لتعديل الأساليب التي تتخذها بغية الوصول إلى أهدافها.

في بعض الحالات، يمكن أن تكون مصالح هاتين الدولتين في اتجاه مصالح الجمهورية الإسلامية، كما أنّ القيود الشديدة اقتصاديًّا يمكن أن تضرّ بمصالحهما في مجالات عدة، ولذلك، من الممكن أن يقرّرا إصلاح القرارات. وعادةً ما يصلحان القرارات بما لا يضرّ مصالحهما لا مصالح إيران. بعبارة أخرى، تلعب روسيا والصين بشكل أساس كلاعب قومي، وليس كلاعب دولي.

لو عدنا إلى التاريخ، لاستنتجنا أن روسيا في عهد يلسن [1991-1999م] عَرَّفَت مصالحها في أرضها وضمن نطاق وطني. في عهد بوتين، أُجرِيَت بعض الإصلاحات، ولكن الصورة الغالبة هي التراجع الشديد لمصالح روسيا الدولية، فحتى لو فكروا في مصالح دولية، فإنّها تبقى في إطار مصالحهم القومية، ليس أكثر. أما الجمهورية الإسلامية، فهي بلد يُحدد مصالح عالمية لنفسه، ويرى نفسه صاحب رسالة عالمية، كذلك، فإن الولايات المتحدة أيضًا بلد يحدد لنفسه مصالح عالمية. لهذا، يكون لدينا نوعان مختلفان من السلوك في السياسة الخارجية.

بهذه المقدمة، لو انتظرنا من روسيا والصين أن يعدِّلا القرارات بما يؤمّن لهما المصالح ويقلل من أضرارنا، فإن توقّعنا سيكون سليمًا، ولكن إن انتظرنا أن يدافعا عن مصالحنا، فسيكون توقعنا خاطئًا تمامًا، وخصوصًا أن قدرة روسيا والصين خارج مجلس الأمن وداخله غير متعادلة.

ولهذا، فإنّ مصلحتي روسيا والصين هي أن يُتابَع الملف النووي الإيراني في مجلس الأمن، في حين تُتابَع مصالح الأوروبيين في الوكالة، لأنّ قدرتهما فيها أكبر من قدرتهما في مجلس الأمن. في الحقيقة، إنّ عدد أعضاء الاتحاد الأوروبي في الوكالة أكبر، وقد كانوا يعلمون أنّ انتقال الملف الإيراني إلى مجلس الأمن، يعني انتقال دورهم إلى الولايات المتحدة الأمريكيّة، التي ستكون اللاعب الأول.

لـم يكـن لروسـيا أي دور طيلـة وجود الملـف في الوكالـة. تفاوضت بلـدان EU3 الثلاثـة [فرنسـا، ألمانيـا، المملكة المتحـدة]، وبظل أميركي ثقيـل، مـع إيـران. ماذا حدث لكـي تصبح EU3، هـي 5+1، أو كما يقول الأوروبيـون، EU3+3؟ كان التغييـر هـو انتقـال الموضـوع إلـى مجلـس الأمـن. ولأنّ العلاقـات فـي مجلـس الأمـن تختلـف عـن العلاقـات فـي الوكالـة الذريـة، فقـد كان تدخّل روسـيا والصيـن ضروريًّا.

هل يعدّ ذلك من ضروريات النّظام الدّوليّ؟

إنّـه مـن ضروريات تلك البيئـة، وليس من ضروريـات النظام الدولي. يختلـف «النظـام الدولـي لوكالـة الطاقـة الذريـة» عـن «النظـام الدولي لمجلـس الأمـن»، رغـم أنّهما في نظام دولـيّ واحد. يُعدّ هـذا المثل من الأمثلـة التـي تشـير إلـى أنّـك إذا لـم تملـك صـورة صحيحـة عـن نظريّة العلاقـات الدّوليّـة، فلـن تكـون قـادرًا علـى فهـم السـبب الـذي يجعـل الموضـوع فـي الوكالـة الذريـة فـي يـد EU3، ولكـن عنـد انتقالـه إلـى مجلـس الأمـن، سـتصبح 5+1 أو EU3+3. إن روسـيا والصيـن متنبهتـان إلـى هـذا الأمـر الـذي يجلب لهمـا المصلحة، ونحـن نعتقد أحيانًـا أنّهما دخلتـا المعادلـة للدفـاع عـن إيران!

بعبـارة أبسـط، إنّ تشـكيل 5+1 يفيـد الغـرب مـن جانـب، وروسـيا والصيـن مـن جانـب آخـر. يوفّـر 5+1 لروسـيا والصيـن فرصـة اللعـب بشـكل أكبـر، وتؤمـن المفاوضـات تقليـل تكاليفهـا مـن الضغـط علـى إيـران، والحصـول علـى مصالـح كثيـرة مـن كل جهـات الخـلاف.

من جهة أخرى، إن تواجد روسيا والصين ضمن مجموعة الـ 5+1، يوفر لأمريكا وأوروبا ضمانة لتنفيذ قراراتهما؛ هذا هو لبّ الدبلوماسية المتعددة الأبعاد وجوهرها، والذي أسميه العلاقة بين القدرة والشرعية. بعض هذه الأمور بديهية، ولكننا لا نفكّر في البديهيات عادة. ولهذا، فإنّ توقّع تخريب بلدين للبيئة التي قُدمت إليهما، واللعب بما يُفسدها، هو توقّع خاطئ جدًا. ولهذا أيضًا، ومنذ البداية، كان هدف مشاركتهما من الناحيتين العملية والنظرية، تقليل ضرر القرارات على مصالحهما الوطنية فقط.

بغض النظر عمّا قيل في بعض العواصم، أي في طهران وموسكو وبكين، لم يكن سلوك هذين العضوين في مجلس الأمن يدلّ على أنّهما يتجهان إلى مفاوضات تمنع إصدار قرار. في بعض الأحيان، كان الحد الأدنى من مصالح هذه الدول يؤمّن لنا جزءًا من المصلحة، ولأنّ الموضوع لم يكن من مصلحتهما، عملتا [روسيا والصين] ضدّ مصالحنا، وقامتا بفرض قيود علينا. لقد قامتا بكلّ ذلك بسبب رغبتهما في الحصول على القدرة في الخارج، لأنّ هاتين الدولتين تريدان تعديل قدرتهما خارج مجلس الأمن لحفظ مصالحهما، من خلال القدرة التي تتوافر لديهما داخل مجلس الأمن. نحن لا نفترض أنّ لديهما مصالح عالمية، وأنهما تدافعان عن إيران مناهضةً لأمريكا، فهذا لم يحدث سابقًا أو الآن.

أشـرت إلـى أنّهمـا لم تلعبـا دورًا مخرّبًـا، فهل كان مـن المفترض أن يحـدث شـيء من هـذا القبيل؟

لـم تلعبـا دورًا مخربًـا لنفسـيهما، ولـم يكـن تدخّلهمـا يهـدف إلـى الدفـاع عـن مصالـح إيران منذ البداية، أي مسـودة القـرارات في مجلس الأمـن. الـذي يتقـن الدبلوماسـية يعرف ما يرمـي إليه الطـرف الآخر من خـلال اقتراحاتـه، ويـدرك إذا كانـت في اتجـاه إصلاح القـرار أو منعه أو تغييـره بشـكل جذري.

كانـت كلّ الاقتراحـات التـي قدمتها روسـيا والصين، مـن القرار الأول فـي مجلـس الأمـن وحتـى القـرار الأخير ـ بحسـب مـا أعلـم ـ تصبّ في صالحهمـا فقـط، وترمـي إلى تهدئـة القرار لا إلـى إيقافه.

مـا هـي مصلحتهمـا مـن إصـدار قـرار ضـد إيـران؟ ولِـمَ لا تسـعيان إلـى منـع ذلك؟

ليسـت لهمـا مصلحـة في إصـدار قرار ضـد إيران، ولكنّ مناقشـة الموضـوع فـي مجلـس الأمـن مفيـدة لهمـا، كمـا أنّ خيـارات روسـيا والصّيـن فـي لعبـة الهيمنـة العالميـة ليسـت متعـدّدة، بـل هـي محـدودة، إذ لا يمكـن مقارنـة القـدرة الأمريكيـة بالقـدرة الروسـيّة والصّينيّـة خـارج مجلـس الأمـن.

حصلـت الولايـات المتحـدة علـى مكانـة إلـى جانـب أوروبا بسـبب الأحـداث. فـي بعـض الأحيـان، قـد يكـون الموقـف الأوروبي أكثـر حدةً مـن الموقف الأمريكـي، فلو أرادت أمريكا وأوروبـا العمل خارج مجلس الأمـن، لـن يكـون هنـاك أي دور للصين وروسـيا. فـي الحقيقـة الدوليّة،

إن لـم يعمـل مجلـس الأمن بما يصلح السـلوك الأمريكـي، ويؤمّن منافع أعضـاء مجلـس الشـورى، فسـتعمل الولايـات المتحـدة خـارج مجلـس الأمن.

ظـنّ البعـض أنّ روسـيا والصيـن ستسـتخدمان حـق النقض ضـد قرار يصـدر بخصـوص إيـران، كمـا فعلتـا فـي قـرارات زيمبابويـه وميانمـار وغيرهـا. كان خطـأ هـؤلاء هـو أنّ تلـك القـرارات تخلـق تراكمًـا يضـرّ بروسـيا والصيـن، أي أنّ القـرارات التـي تصـدر بموجـب التدخـل فـي الشـؤون الداخليـة، الديمقراطيـة، الانتخابـات وغيرهـا، تخلـق تراكمًـا لا تُعْتَبَـر الصيـن مسـتعدة لـه، بينمـا لا تخلـو القـرارات التي تصـدر تحت عنـوان منـع انتشـار الأسـلحة، مـن الضـرر فيمـا يخـص الصيـن وروسـيا، اللتيـن تُعـدَّان مـن القـوى النوويـة المعتـرف بها فـي الــ NPT، ولكنها مفيـدة لهمـا أيضًا.

إنّ مشـكلة الأصدقـاء هـي أنّهـم ينظـرون إلـى كل شـيء بشـكل ثنائـي، وبنـاءً علـى المعـادلات الكلاسـيكية للسـلطة، يـرون دور اللعبـة الدوليـة، النظـام الدولـي، والمنظمات الدولية، بشـكل سـطحي فقط، إذ لا يمكنهـم فهـم هـذه الأمـور الدقيقـة.

يعتقـد بعض الخبراء أنّ روسـيا انتفعت كثيـرًا من الاقتصاد الإيراني، ولا سـيّما فـي هـذه السـنين بعـد انهيار الاتحـاد السـوفياتي، أي أنّ عائـدات النفـط الإيرانـي سـاعدت الاقتصـاد الروسـي المتجـه إلـى الانهيـار كثيـرًا. مـن ناحيـة أخـرى، لعبـت روسـيا دائمًا بورقـة إيران مـن أجـل مصالحهـا. نظرًا إلـى أنّ الـروس كان لهم الـدور الأول في

إكمال مفاعل بوشهر النووي، هل تعتقد أنّ اختيار روسيا لهذا المشروع كان مناسبًا؟

هذا الأمر إجباريّ. إنّ استراتيجية روسيا، مثل أكثر الدول، تصب في مجرى مصالحها الوطنية، وليس في مجرى المصالح العالمية. فَهم هذه النقطة أمر مهم. إنّ إحراز المصالح الوطنية يعني أنك عندما تمتلك ورقة إيران وتلعب بها، فستستخدمها للحصول على المصالح الوطنية. في الحقيقة، إن روسيا ـ وهي لاعب من الدرجة الثانية أو حتى الثالثة في الساحة الدولية ـ بحاجة إلى هذا الدور، ولا يمكن توقّع غير هذا الأمر من لاعب يشبه روسيا، بأن يضحّي بكل شيء يملكه من أجل مصالح الآخرين. بالطبع، ثمة حاجة إلى أن تكون النظرة طويلة الأمد.

بعد تولي السيد بوتين مقاليد الحكم، شعر الساسة في روسيا بأنّه لا يجب وضع كل البيض في السلة الأمريكية، ليس لأنّهم يرون أنه لديهم رسالة عالمية، كما في فترة الاتحاد السوفياتي، بل لأنّهم يعتقدون أن الأمريكيين يخدعونهم، فمن الواجب أن يحتفظوا بأوراق ليلعبوا بها معهم.

عرفت روسيا لعبتها الأصلية في العالم مع أمريكا وأوروبا، أما الآخرون، فكانوا أدوات في هذه اللعبة. لا تدل هذه الطريقة أبدًا على خيانة روسيا أو خبثها، بل هي حقيقة عالمية يجب أن نقبل بها، وإلا لن تؤمن دولة ما برسالتها العالمية. عندما نؤمن برسالة عالمية، سيكون سلوكنا مختلفًا. أما الحديث عن أن الاقتصاد الإيراني يساعد الاقتصاد الروسي المنهار، فهذا أمر مبالغ فيه، فالحاجة

الاقتصاديـة الروسـية أكبـر بكثيـر مـن قـدرة إيـران علـى دعمهـا، ولكـن الجـزء الثاني من حديثك، وهو أن روسـيا تسـتخدم ورقـة إيران لأهدافها الاسـتراتيجية، فهـو مـا حدث دائمًـا، وبيعت إيران بسـببه. هذه الحقيقة واضحـة وغيـر قابلـة للإنكار.

ننتقـل إلـى موضـوع المنشـآت النوويـة فـي داخـل إيـران. فـي البدايـة، هـل زرتَ شـخصيًّا إحـدى المنشـآت النوويـة فـي نطنز أو بوشـهر أو فـي أي مـكان آخـر؟

لا.

ألـم تـزر أيًّا من المنشـآت النووية مع فِرَق المفاوضات أو مفتشـي الوكالة الدولية؟

لا، لـم يقتـرح علينـا أحـد زيارتهـا، ولـم أطلـب مـن أحد عمـلًا طيلة حياتـي، كمـا أننـي لـم أطلب شـيئًا لكـي أنجز عمـلًا، ومنـه المفاوضات النوويـة، فدائمًـا مـا كان يتـمّ إجبـاري علـى القيـام بالأعمال.

عندمـا رأيـت أنّنـي لـم أُدعَ إلـى زيارة المنشـآت التي أتفـاوض عنها، ظننـت أنّ الأمـر غير ضـروري، أو أنّ ثمة ملاحظات بهـذا الخصوص، كما أنّنـي لـم أكـن أعلـم كلّ التفاصيل الفنيـة للملف، ولا أصـرّ على ذلك.

كنـتَ تشـرح دائمًـا للآخريـن، ومـن بينهـم المفتشـون، عـن مفاعل نطنـز، فكيـف يحصـل ذلـك إذا لـم تكـن قـد رأيتـه؟ والطّريـف أنّ المفتشـين الأجانب زاروه عدة مرات، ألا يسـبب هذا خللًا في عملك؟

لسـت مختصًـا فـي الفيزيـاء النوويـة لكي أفهـم ما أراه. أنـا مفاوض،

وأتفـاوض بحسـب التعليمـات. بالطبـع، لـو زرت هـذه المنشـآت، لكان الأمـر جيـدًا، ولكـن عـدم زيارتهـا لا يعنـي عـدم تمكّني مـن التفاوض.

ممـن تشـكّل فريـق المفاوضـات إضافـةً إليـك؟ كيـف كانـت تتـمّ المفاوضـات؟ ومـا هـي التعليمـات؟ ما هـي القرارات التـي تصلكم مـن أصحـاب القـرارات العليـا؟ في الحقيقـة، أريد أن أعـرف ما هو طلـب المسـؤولين الأساسـي منكم؟

حتـى شـهر سـبتمبر/أيلول مـن العـام 2003م، كانـت مسـؤولية الدبلوماسـية للطاقـة النوويـة في الوكالـة الذرية للطاقـة النووية في يد «منظمـة الطاقـة الذريـة»، أي أنّ مفـاوض إيران في الوكالـة كان موظفًا معينًـا مـن قِبَـل «المنظمـة»، يرسـل التقاريـر إلـى رئيسـها، إذ لـم يكـن هنـاك أي علاقـة إداريّـة بيـن المنظّمـة ووزارة الخارجيّـة.

كان الدكتـور صالحـي آخـر منـدوب للمنظمـة فـي الوكالة. فـي فترة مهمتـه فـي الوكالـة، كنـتُ المعـاون الدولـي لـوزارة الخارجيـة. ونظـرًا لمعرفتنـا وصداقتنـا سـابقًا، أنشـأت علاقة معـه، وقد دعوتـه إلى مؤتمر سـفراء وزارة الخارجيـة، ولكـن هـذه العلاقـة كانـت مـن اتجـاه واحـد، إذ كان يلبـي الدعـوة، ويحضـر إلـى مؤتمـر السـفراء. من ناحيـة إدارية، لـم يرسـل أي تقريـر إلـى وزارة الخارجيـة، بـل كان يرسـل التقاريـر إلـى المنظّمـة ويسـتلم منهـا التعليمات.

بعـد صـدور أول قـرار مـن الوكالـة ضـد إيـران فـي شـهر سـبتمبر/ أيلـول مـن العـام 2002م، كانـت كل المسـؤولية فـي يـد المنظمـة. في الحقيقـة، لـم يكـن هنـاك فريـق مفاوضـات. كان موضـوع نطنـز وأراك

موضوعًا إعلاميًّا في الأساس. لقد سمعت بهذا الموضوع من المراسل الصحافي لسي إن إن CNN، إذ اتّصل بي في نيويورك، وقال: «تظهر صور الأقمار الصناعية أنّ لديكم منشآت سرية قرب أصفهان». كنت على علم بمنشآت UCF [1] فقط، لهذا قلت له: «هذه منشآت UCF، والوكالة على علمٍ بها»، فقال لي: «تأكّد من هذه المعلومات من العاصمة». علمتُ بالموضوع بهذه الطريقة، وهذا نموذج من الكثير من المواضيع التي علمنا بها من الأجانب أولًا.

عندها اتصلت بطهران، وبدأ الموضوع يحصد أبعادًا سياسية وإعلامية. ولأننا ـ زملائي وأنا ـ كنا نشاهد ماذا يحدث في الخارج، فقد كنا كالمراقبين، نرسل التقارير إلى طهران، ولم يكن لنا دور في المفاوضات حتى صدور القرار من الوكالة في سبتمبر/أيلول من العام 2003م. في البداية، صدر تقرير الأمين العام في شهر مايو/أيار من العام 2003م، ثمّ كانت النتيجة من قبل الرئيس في يونيو/حزيران 2003م، وأخيرًا القرار في سبتمبر/أيلول.

قلتَ سابقًا إنك تنبأتَ بصدور القرار، فهل حذّرت وزارة الخارجية؟

نعم، حذرتهم بما هو ممكن، فالصورة لدى الأصدقاء في المنظمة لم تكن مطابقة للحقائق السياسية في العالم. كانوا ينظرون إلى الموضوع بشكل صحيح من ناحية فنية، ويرون أنّه لن يتحول إلى جدال، إلّا أنّ البيئة السياسية في العالم، واتجاهات أمريكا وبقية الدول الحذرة من قدرة إيران في المنطقة بعد سقوط

(1) منشآت تحويل اليورانيوم في أصفهان.

صدام، والحاجة إلى أي حجة للتحكم في هذه القدرة؛ كل ذلك لم يكن نصب أعينهم. مع الأسف، عرف المسؤولون في البلاد عن هذا الموضوع عندما تجاوز المستوى الفني، كما نأسف أيضًا لأنّ الوكالة أصدرت أول قرار لها بشكل حادٍّ في سبتمبر/أيلول من العام 2003م.

ولأنّني كنت سفير إيران في نيويورك، ولم أكن في إيران دائمًا، فلم أكن أعلم بالتفاصيل، بل حضرت بعض الاجتماعات فقط للإصرار على أن تكون مسؤولية هذا الموضوع في يد وزارة الخارجية. وبعد إصرار من الوزارة، انتقلت المسؤولية إلى مجلس الأمن القومي. في أحد اجتماعات مجلس الأمن القومي، قال أحد الأجلّاء الذين يبذلون لنا المحبة: «هذا موضوع قوميّ مهم، ويجب أن يتولاه أفضل الدبلوماسيين لدينا».

هل من الممكن أن تذكر من قال هذا الكلام؟

هو الدكتور ولايتي، ولكن من الواجب أن تستأذنه لذكر اسمه. في ذلك الاجتماع، تمّ القبول فورًا بأن يتولى المسؤولية الدكتور البرزي، والسيد ناصري، وأنا. ونظرًا إلى أنّني كنت منشغلًا بالكثير من الأعمال في نيويورك، وكنا هناك على شرف الجمعية العامة، فقد تولى الدكتور البرزي معظم المسؤولية، وذهبت إلى نيويورك.

لم أكن على علم بالمفاوضات قبل ذلك، وعندما رجعت إلى طهران، بدأت الاجتماعات بعد عدة أيام. وعندما بدأ الاجتماع، كان السيد موسويان والدكتور البرزي حاضرين.

كان السيد موسويان ضمن فريق المفاوضات، ولكنك لم تذكر اسمه؟

نعم، لم يُذكر اسم السيد موسويان في اجتماع مجلس الأمن القومي. كان معاون السياسة الخارجية في مجلس الأمن القومي، وكان يحضر في الاجتماع كمعاون للدكتور روحاني. عندما بدأت المفاوضات، أصرّ السيد موسويان، الذي كان المفاوض في حينه، على أن أكملها، وقد أُجبِرت على إكمالها منذ ذلك الحين.

هل تذكر التاريخ الذي حصل هذا الأمر فيه؟

كان اجتماع «سعد آباد» المعروف، قبل اتفاق أكتوبر/تشرين الأول من العام 2003م المشهور. بدأنا المفاوضات من هذه النقطة وحصل اتفاق سعد آباد. لقد قمتُ ببعض المفاوضات، والبعض الآخر قام به السيد روحاني مع الوزراء. لم نتوصل إلى اتفاق حول موضوع وقف «التخصيب»، ولكننا توصلنا إلى اتفاق في اجتماع روحاني مع الوزراء. هكذا تمّ تشكيل فريق المفاوضات.

كانت نواة الفريق المفاوض تتألف الدكتور البرزي، والسيد ناصري، وأنا. حضر السيد موسويان بعض الاجتماعات كمتحدث، بينما كنتُ مسؤول الفريق. ولأنّ الطّرف المقابل كان يتألف من مندوبي ثلاث دول، إضافةً إلى مندوب الاتحاد الأوروبي، ولم أكن أود أن أكون في مقابل ثلاثة أشخاص منفردًا، فقد كنت أستعين بالسيد ناصري والدكتور البرزي في المفاوضات، بحيث كانا يذكران بعض الملاحظات، ولكنّني كنت مسؤول المفاوضات، وقد قمت بمعظمها حتى النهاية.

ربما يكون من المفيد أن أذكر أمرًا آخر. خلال دورتنا في المفاوضات النووية، كان الدكتور روحاني هو المسؤول، وقد قام بالمفاوضات أربع مرات، وكان مقابله ثلاثة وزراء أوروبيين والسيد سولانا. في الحقيقة، كان الدور الأصلي للوزراء الثلاثة، وكان ثمة دور فرعي للسيد سولانا، الذي لم يحضر الاجتماعين الأولين. حصلت مفاوضات الدكتور روحاني مع الوزراء مرة في طهران، ومرتين في بروكسل، والمرة الأخيرة في جنيف.

منذ عهد الدكتور لاريجاني، وضمن إطار 5+1، لم يكن الوزراء يحضرون الاجتماعات، بل أصبح مسؤول المفاوضات السيد سولانا، ونائبه السيدة أشتون، وحضر عوضًا عن الوزراء المديرون السياسيون لستّة بلدان. في فترة عملنا أيضًا، حضر هؤلاء المديرون السياسيون ـ عن ثلاثة بلدان ـ ليكون الفريق المفاوض لهم تحت مسؤوليتي. كما كان نائب سولانا يشارك في المفاوضات. كانت لدينا عدة دورات من المفاوضات؛ أولها قبل مفاوضات سعد آباد في 20 أكتوبر/تشرين الأول من العام 2003م، وآخرها في لندن في 19 يوليو/تموز من العام 2005م.

في هذه الفترة، قمنا بعشر مفاوضات على الأقل بهذا المستوى، وعدة دورات من المفاوضات في فيينا مع سفراء الدول الأوروبية الثلاث. كانت كل دورة من المفاوضات تستغرق عدة ساعات. في المفاوضات التي انتهت باتفاقية باريس في العام 2004م، تفاوضنا لمدة 22 ساعة في اجتماعين حابسين للأنفاس.

كان الأطراف المقابلون لي في المفاوضات الأوروبية هم السيد ساورز (الرئيس الحالي لوكالة التجسس البريطانية)، السيد دولابوله (فرنسا)، السيد شفر (ألمانيا)، والسيد كوبر (الاتحاد الأوروبي). بعد اتفاقية باريس، أصبحت المفاوضات من جانبنا تحت عنوان اللجنة التوجيهية.

ماذا كان يريد النظام؟ بماذا أمركم؟

رسموا لنا حدودًا واضحة في كل تفاوض، وهي حفظ المنجزات النووية. هذه هي الحدود التي رسموها لنا، ولكنّنا كنّا نريد عدم انتقال الملف إلى مجلس الأمن. لو رجعتَ إلى إطار العمل في العام 2003م، والذي اشتهر باتفاق سعد آباد، ستلاحظ أنّنا أكّدنا حقوقنا لنحفظ منجزاتنا. ولكن من الناحية الأخرى، لم نكن نريد تقديم حجة مجانية لأمريكا لتنقل الملف إلى مجلس الأمن، لأنّ خروج الملف من الوكالة الدولية، ودخوله إلى مجلس الأمن، يعني دورًا أكبر للملاحظات السياسية.

بالطبع، كنّا نعتقد أنّ الموضوع لا يجب أن يُناقش في الوكالة بصفة خاصة، بل يجب أن تكون المعاملة مع إيران مثل بقية دول العالم. لهذا، كان هدفنا في المرحلة الأولى عدم انتقال الملف إلى مجلس الأمن، وفي المرحلة الثانية إخراج الملف في الوكالة الدولية من يد مجلس المحافظين.

لحسن الحظ، ولأننا كنا المسؤولين، فقد حصدنا النجاح في هذا الطريق، وحفظنا الإنجازات، ولم ينتقل الملف إلى مجلس الأمن، كما كنا نحرز تقدمًا لحل الموضوع في مجلس المحافظين. والأهمّ

من كل هذا هو الرأي العام، فحتّى النخب السياسية كانت ترى الولايات المتحدة الأمريكية سبب الأزمة. إنّ كل ما سبق ليس مجرد ادّعاء، ويمكنك الرجوع فيه إلى تقارير سكرتارية الوكالة، وإلى لقاء السيدة رايس مع رويترز في شهر مارس/آذار من العام 2005م.

عندما كنتُ مسؤول المفاوضات، منعنا انتقال الملف إلى مجلس الأمن، وحتى بعد اتفاق باريس في العام 2005م، كان القرار يقضي بأن يتدخّل مجلس المحافظين عند الضرورة فقط. ولهذا، لم يُناقش أي قرار ضد إيران في مجلس المحافظين أو يصدر عنه قرار ضدها لفترة؛ هذا أحد إنجازات اتفاقية باريس.

أما الآن، ولأنّ الموضوع يُناقش في مجلس الأمن، فلم يعد من الضروري مناقشته في مجلس المحافظين. في تلك الفترة، وعلى الرغم من أنّ الموضوع لم يصل إلى مجلس الأمن، وأنه كان يناقش في مجلس المحافظين عند الضرورة فقط، بينما كان قبل اتفاقية باريس أحد البنود في جدول الأعمال بمجلس المحافظين، وبغضّ النظر عن حدوث أي أمر أو عدمه، فقد كان من الواجب أن يناقشوا الملف الإيراني.

كان برنامجنا يقضي بأن يصبح الملف النووي الإيراني أمرًا عاديًّا، أي أن يتمّ الاعتراف بالحق النووي لإيران، وأن لا يكون في الوقت نفسه، موضوعًا أمنيًّا. وكما ذكرت سابقًا، أن لا يتمكّنوا من تعريف إيران كأزمة أمنية في الوكالة أو مجلس الأمن كمستوى أعلى. وعلى الرغم من أنّني كنت مسؤول الفريق المفاوض، فلو نظرتَ إلى

اجتماعـات مجلـس المحافظين، لوجـدتَ أنّ المتحـدث كان دائمًا مدير الأمـور الخارجيـة أو سـفيرنا فـي الوكالة.

كان تواجـدي فـي مجلـس المحافظين سـيعني أنّ الملـف يتجه نحو موضـوع أمنـي، لأنّنـي سـفير فـي الأمم المتحـدة. كنّـا ننظر إلـى الأمور بهـذه الدقـة. هـذا القـرار اتخذتـه أنـا. كنـت أتفـاوض فقـط، ولـم أكـن أخطـب أو أشـارك فـي لقـاءات صحافيـة، ولكن كنا نسـعى إلـى أن يدير هـذا الأمـر بعـض الأصدقاء ممـن يتحملون مسـؤولية رسـمية.

كان الأعضاء الرئيسـيون في فريق مفاوضاتنا دبلوماسـيين مخضرمين فـي وزارة الخارجيـة. ورغـم ذلـك، كانـت ثمـة خلافـات فـي الـرؤى والأسـاليب بيننـا. عندمـا كانـت الاجتماعـات تقام فـي الـدول الأوروبية، كان سـفراؤنا فـي تلـك الـدول أي الدكتـور عادلـي فـي لنـدن، والسـيد خارقانـي فـي ألمانيـا، والسـيد صـادق خـرازي فـي فرنسـا، يحضرونهـا، لكنّهـم لا يشـاركون فـي المفاوضـات.

كان للسـيد صـادق خـرازي دور مهـم فـي تشـكيل مجموعـة EU3 وإرشـادها، فقـد بـذل الكثير مـن الجهود. وإضافـة إلى النـواة المركزية، كانـت الاجتماعـات تُقام بحضـور مندوبين من أجهزة أخـرى، مثل وزارة المخابـرات ومنظمـة الطاقـة النوويـة وغيرهمـا، ولكنهـمّ بشـكل عـام كانـوا صامتيـن فـي المفاوضـات مـع الأوروبييـن، وكانـوا يكتفـون بقول آرائهـم لنـا قبـل المفاوضـات وبعدها.

ونظـرًا إلـى أنّ مشـاركة عدد من الأشـخاص فـي المفاوضـات، يمكن

أن توفر للطرف المقابل فرصة استغلال خلاف في المناقشات، فكنّا نوحّد نظراتنا في البداية، ثمّ نقدمها في المفاوضات. طيلة المفاوضات، كانت المسألة المهمة هي قول ما اتفقنا عليه سابقًا، فكل ما قدمناه بشكل مكتوب أو شفهي، كنا قد اتفقنا عليه مسبقًا. وقد كنت أتفاوض بموضوعات محددة تمّت الموافقة عليها من قبل أعلى المستويات في البلاد.

وفي بعض الأحيان، كانت الأوامر تصلنا من دون أن نكون قد قدمنا اقتراحًا. وفي بعض الاجتماعات، كنا نذكر أمورًا لا دور لنا فيها، بل قد تكون خلاف ما نرى، ولكنّه أمر من المسؤولين الأعلى رتبة، ومن واجبنا تنفيذه. لهذا، من الممكن أن نكون قد تحدثنا بما لا نراه، ولكن كل ما قلناه كان قد حاز موافقة النظام والسلطات العليا.

هل كان اقتراح وقف التخصيب في اتفاقية سعد آباد من جانب الأوروبيين أم من جانب إيران؟

لم يكن اقتراح وقف التخصيب من جانب إيران أو الأوروبيين، بل كان قرار مجلس المحافظين. في الحقيقة، كما توقعنا، أراد قرار مجلس الحكام من إيران وقف التخصيب، الأمر الذي لم يكن يدور حتى في مخيلة بعض الأصدقاء. من حسن الحظ، أنّنا حوّلنا هذا الأمر في مفاوضات سعد آباد إلى تعليق طوعي، ولكن الأوروبيون كانوا يصرون عليه.

والجدير بالذكر أنّ الاتّفاق على هذا الموضوع، لم يحصل في اجتماع الخبراء، بل تمّ في اجتماع الدكتور روحاني مع الوزراء.

عندما تولّى الأكفاء في إيران زمام العمل، بدا أنّ لهم الفضل في المفاوضات وتأمين المصالح الوطنية ـ مثل مفاوضات أحمد قوام السلطنة مع روسيا حول نفط الشمال، وفتنة آذربيجان في العشرينيات، أو مفاوضات مصدق المعروفة بخصوص تأميم النفط. لعلّ الملف النووي أهم موضوع بعد الحرب المفروضة فيما يخص المصالح الوطنية. هل تعتقد أنّك كنت ضمن فريق ناجح في المفاوضات؟ وهل استطعتم حفظ البلاد والمصالح الوطنية وحمايتها بشكل مناسب؟

بحسب القاعدة، يجب على التاريخ أن يحكم على هذه المفاوضات، كما حكم على المفاوضات السابقة. أعتقد أنّ فريق المفاوضات عمل بشكل جيد في المهام التي أسندت إليه.

أولًا: حفظ الإنجازات النووية، فلم يصبها أي أذى، كما يريد النظام.

ثانيًا: منع الولايات المتحدة من الوصول إلى أهدافها في نقل الملف النووي الإيراني إلى مجلس الأمن.

ثالثًا: منع تحويل إيران إلى خطر أمني، فعندما كانت الولايات المتحدة تزهو بانتصارها في العراق، وفي ذروة قوتها، وعندما كان بوش يعتلي فرقاطة ويقول: «وصلنا إلى هدفنا»، منعنا الولايات المتحدة من الوصول إلى أهدافها.

رابعًا: منع انتهاك حق إيران قانونيًّا، أو تشكّل ادّعاء قانوني ضد الحقوق النووية لإيران، بل إنّ آخر قرار من مجلس المحافظين، والذي صدر في ديسمبر/كانون الأول من العام 2004م، ذكر بشكل صريح حقوق إيران، وضرورة تنفيذ هذه الحقوق من دون أي تمييز.

إنّ الحديث عن بوش الابن يجرّ بشكل لاشعوري الحديث عن موضوع الحرب والاحتلال، هل كان التهديد العسكري آنذاك حقيقيًّا؟

ليس مهمًا أن يكون التهديد جادًا أو غير ذلك، ولكنّ المهم أنّه كان حجة. عندما يتمّ الحديث عن تهديد عسكري، يتم خلق صورة بأننا خائفون، بينما الحقيقة لا تكون كذلك.

لقد منعنا هؤلاء الذين يريدون الهجوم على إيران من تحقيق أهدافهم، أي المحافظين الجدد والصهاينة. ولحسن الحظ، نجحنا فيما نريد، فعندما كنا نتفاوض، لم يصدر أي قرار حول تنازل إيران عن حقوقها، بل صدرت قرارات عديدة جاء فيها أنّ التفاوض حول نيل إيران لحقوقها غير ممكن، ولم يكن ما نقوم به واجبًا حقوقيًّا، بل عملًا طوعيًّا، وقد ذُكر في أحد القرارات بشكل صريح، أنّ هذا الأمر لا يُعدّ تعهدًا حقوقيًّا ملزمًا لإيران.

هكذا، حفظنا حقوق إيران ومنجزاتها، ووُجِدَت الأرضية التي يتمكن علماؤنا من العمل فيها. كما أنّ الضغط الدولي توقف، ولم يتوقف العمل في أي فترة من فترات مسؤولياتنا. إن الأسلوب والأعمال ونوع المفاوضات التي جرت أمر مختلف. كان إنجازنا يتمثل باستمرار عملنا وبعزل أمريكا.

أقول كل هذا بناءً على الوثائق، لإثبات استمرار العمل، فيمكنك الرجوع إلى تقارير السيد البرادعي، وسترى عدد أجهزة الطرد المركزي التي نملكها، والعدد الذي يعمل منها. وعندما أقول إنّ

أمريكا تعرّضت لعزلة، يمكنك الرجوع إلى لقاء السيدة رايس في شهر مارس/آذار من العام 2005م. يشير قرار مجلس المحافظين إلى مستوى حفظ حقوق إيران، كما يشير فحوى كل الصحف التي ذكرت إيران كلاعب أصلي في الأزمات الأمنية في العالم، وكصاحبة قدرة أصلية لحل معادلة أفغانستان والعراق، إلى أننا منعنا تحويل إيران إلى أزمة أمنية في العالم.

كان كل ذلك من إنجازات فريقنا في فترة المفاوضات. في تلك الفترة، كان تأكيدنا على المفاوضات أكثر مما أُعلِن، وكنا نركّز على أهدافنا بشكل كبير، ويجب أن أقول: أشعر بيني وبين نفسي براحة تامة، وأحتسب كلّ ما كان يصدر ضدنا ذخيرة للآخرة.

إذًا، أنت لا تعتقد أن منجزاتنا لم تكن ثابتة، وأن الغرب تجرأ علينا فأصبحنا في موقف دفاع؟ يعتقد البعض في تحليل السياسة الخارجية أنّ أرضية القرارات التي صدرت لاحقًا، كان لها جذور في مفاوضاتكم.

ليس لديهم خيار آخر، ولكنّ الحقيقة خلاف ذلك. كما قلت سابقًا، نحن ننفّذ سياسات السيد القائد. إن السبيل الوحيد لإثبات هذا الادّعاء، كان استمرار المفاوضات، وهو أمر غير ممكن، ولكنه لو حدث، لكنت شهدته ورأيت إنجازاتنا النووية والدولية. أنا على يقين أنّ إنجازاتنا ستكون أفضل مما لدينا اليوم.

عندما أراد أصحاب القرار في النظام إعادة تشغيل منشآت تحويل اليورانيوم UCF في أصفهان مجددًا بخلاف رؤيتي كخبير،

كتبت رسالة مطولة، وبالأدلة، تبيّن أنّ إعادة تشغيل هذه المنشأة ستعني نقض قرار وقف التخصيب الذي اتفقنا عليه، وقد شجعني السيد القائد على كتابة نص عقلاني قوي بهذا الخصوص.

هذه الرسالة التي تقع في ثماني صفحات، كانت تبيّن كل مواقفنا السياسية وتاريخ المفاوضات بقدرتها السياسية وقوتها الحقوقية، وستبقى وثيقة حقوقية خالدة لإثبات حق بلدنا.

في نهاية هذا الجزء، هل تعتقد أنّ إيران أصبحت الآن، كما يقول المسؤولون حاليًّا في المناسبات والمنشورات، «دولة نووية»؟

يجب على هؤلاء المسؤولين أن يوضحوا المقصود بإيران النوويّة. من الناحية الدولية، يُقصد بالدولة النووية الدولة التي تمتلك السّلاح النووي. وأحد أسباب قلق العالم هو استخدام هذه الكلمات، ولكنّ هؤلاء لا ينتبهون إلى نتائج الكلمات التي يستخدمونها.

إنّ إيران النووية هي إيران التي تمتلك تقنية صناعة الأسلحة النووية. لقد حققت الجمهورية الإسلامية في عهد السيد خاتمي قدرات نووية، مثل القدرة على صناعة أجهزة الطرد وتخصيب اليورانيوم - باعتراف الوكالة الدولية - ولكن هذه القدرات موجودة في إيران منذ اثنتي عشرة سنة على الأقل.

لم تكن إيران قد وصلت إلى مرحلة الإنتاج الهائل، ولكنها وصلت إليه في نهاية عهد السيد خاتمي في رئاسة الجمهورية، أي القدرة على إنتاج أعداد كبيرة من أجهزة الطرد المركزي. لست مختصًا في هذا المجال، ولكنّني أتحدث عنه بناءً على تقارير الوكالة الدولية.

لا شكّ في أن قدراتنا تحسّنت واتّسعت وزاد الإنتاج لدينا. إن كان هذا هو المقصود بإيران النووية، فلا شك في أنّها كانت كذلك، وإن كان المقصود الحصول على القنبلة النووية، فلا شك في أنها لم تصبح دولة نووية، ولن تصبح أيضًا، لأنّ ذلك ليس في مصلحتها.

ماذا تتوقّع لمستقبل الملفّ النوويّ؟

حاليًّا، يتّجه الملفّ النّوويّ نحو الاعتراض، وليس لدى الجمهورية الإسلامية خيار سوى المقاومة.

هل تعجبك السّياسة الخارجيّة بخصوص الملفّ النووي حاليًّا؟

لست ملمًا بالتفاصيل، ولا يمكنني تقديم حكم واقعيّ، ولكنّني لم أكن لأرغب في اتباع هذه السياسة لو كنت في وزارة الخارجيّة.

لا يمكن أبدًا الحكم على شيء بشكل فرديّ، ولا أعلم ما الذي يتواجد خلف الستار أو الأحداث الجارية. كما أنّني لا أريد أن أحكم على بعض الأصدقاء الّذين حكموا علينا من دون أن تكون لديهم معلومات.

لكن، وبشكل عام، يبدو أنّ الوضع الحالي لا يعجبك، هل هذا صحيح ؟

نعم، لا شكَّ في أنَّ الوضع الحالي لا يعجبني.

تهديد إيران

مما يُذكر كثيرًا على الألسنة، كما أشرت في الأسئلة السابقة، موضوع التهديد العسكري لإيران. ففي ظلّ تولّي المحافظين الجدد للسّلطة، وأحداث الحادي عشر من سبتمبر/ أيلول، وما رافقها من تفعيل لمحاربة الإرهاب، وذروة حساسية الملفّ النووي الإيراني في السّاحة الدولية، كان الخيار العسكري ضد إيران مذكورًا بشكل دائم.
بعد الهجوم على العراق، قال أحد المتطرفين في حكومة بوش، إنّ الرجال سيذهبون إلى طهران من الآن، ما يعني أنّ الحرب ستكون مع إيران. يقول الكثير من أصدقائك، إنّ جهود ظريف وزملائه منعت تحويل الملف الإيراني إلى تهديد عسكري، وبهذا ابتعد خطر الحرب المحتملة على إيران، ولو بشكل مؤقت. ما هي تفاصيل هذا الموضوع؟

بعد أحداث الحادي عشر من سبتمبر/أيلول، دخل العالم بيئة حربية. بذل الكثيرون جهودًا لتكون هذه البيئة حربًا على إيران، ولكن الأمر لم يكن ممكنًا في البداية، لأنّ القاعدة وأفغانستان وطالبان كانوا محليين، كما كانوا يقولون إنّ اعتداء الحادي عشر من سبتمبر/أيلول بدأ من هناك.

لذلك، كان من الطبيعي أن لا تقف إيران، وهي إحدى ضحايا طالبان والقاعدة، خلف أحداث الحادي عشر من سبتمبر/أيلول، ولكن في المرحلة اللاحقة، كانت طالبان مجرد حجة. كان المحافظون الجدد في أمريكا يسعون إلى تحويل القوة الأمريكية إلى هيمنة عالمية. وقد تبيّن لاحقًا أنّ الهجوم على العراق كان مجرد حجة أيضًا، ذلك أنّهم لم يجدوا أسلحة الدمار الشامل، ولم يكن للعراق علاقة بالقاعدة، بل إنّ تواجد القاعدة في العراق كان بعد صدام.

يقول البعض إنّ أمريكا كانت تبحث عن النفط والأرباح، ولكنّني أعتقد أنّ هدفها الأهم هو تكريس هيمنتها في الساحة العالمية. ثمة جذور تاريخية ونظرية لهذا الموضوع، فإن لم نقل إنّ الغرب انتصر في الحرب الباردة، فلا شكّ في أنّه حصل على مكتسبات بانهيار القطب الشرقي.

ينسب الغرب انهيار القطب الشّرقي إلى نفسه، ويقول إنّه قام بهذا العمل، وتعتقد الولايات المتحدة أنّها رائدة كل الغرب في هذا الانتصار، ولكنّ الجميع كان يعلم أنّ هذه الفترة ـ أحادية القطب ـ ستكون مؤقتة وعابرة. نعم، لم يكن أحد يعرف مدة هذه الفترة الانتقالية، ولكنهم كانوا يعرفون أنّها ستؤدي إلى نظام جديد.

إن كنت تذكر، فقد تحدث الأمريكيون بعد هجوم العراق على الكويت عن نظام عالمي جديد. لكن، ومباشرةً بعد أحداث رواندا والبوسنة وغير ذلك، تبيّن أنّ الإعلان عن نظام جديد كان مبكرًا وساذجًا. بعد ذلك، بذل الغرب جهودًا منسّقة لتحويل هذه الحالة المؤقتة إلى حالة ثابتة. عمل الأوروبيون لتحقيق هذا الهدف عن

طريق الشرعنة، وعمل الأمريكيون معهم في بعض الحالات، ولكنّ الأوروبيين ساروا بهذا الطريق من دون الأمريكيين أيضًا، حتى إنهم خالفوهم في بعض المواضيع، مثل موضوع المحكمة الجنائية الدولية.

أما أمريكا، فكانت منذ البداية ـ أي في عهد بوش الأب، وكلينتون، وبوش الابن ـ تسعى إلى تحويل تفوقها العسكري إلى هيمنة عسكرية ثابتة. لو انتبهتَ، لرأيتَ أنّ العمليات العسكرية في عهد بوش الأب وكلينتون وبوش الابن، كانت قائمة في جدول الأعمال دائمًا، ولم يكن هناك خلافٌ أساسي بين هذه العهود الثلاثة، فهجوم كلينتون على كوسوفو، البوسنة، الصومال، والعراق، وغيرها، لم يكن أقلّ سوءًا من أفعال بوش الابن، رغم أنّ عدم خبرة الأخير جعلت أعماله أكثر خطورةً، ولكن الأسس الفكريّة تبقى واحدة.

في الحقيقة، عَمِل بوش الابن بعد الحادي عشر من سبتمبر/أيلول على مواصلة الأعمال السابقة؛ مسألة أفغانستان وطالبان والقاعدة، كحقيقة، وقد وافقت الأمم المتحدة على تلك الحروب فورًا. ولكن موضوع العراق لم يكن سوى حجة، وكان المؤثرون في السّياسة الأمريكيّة يسعون إلى استغلال هذه الحجّة في مكان أهمّ، أي إيران.

كان الإسرائيليون والمحافظون الجدد في أمريكا يقولون إنّ بغداد عنوان خاطئ، بينما العنوان الصحيح هو طهران. نشأ نشاط واسع في هذا الصدد قبل الموضوع النووي. كما ذكرت سابقًا، نشأ الموضوع النووي لأنّ إيران كانت ستصبح القوة الأولى في المنطقة بعد الهجوم على العراق. ولهذا، كانوا بحاجة إلى حجّة، وكان الملف

النـووي اسـتمرارًا للطريـق نفسـها التـي كانـوا يرسـمونها لتكـون إيـران خطـرًا أمنيًّا.

فـي هـذه الظـروف، أرادت السياسـة الخارجيـة الإيرانيـة ـ كان لـي دور متواضـع فيهـا ـ أن تمنـع تشـكّل إجمـاع أمنـي ضد إيـران. وقد كان صحيحًـا مـا يقـال عـن أنّ أمريـكا عجزت عن تشـكيل إجماع ضـد إيران، ولكنّهـا اسـتطاعت ذلـك فـي مجلـس الأمن علـى الأقل.

إنّ الإنجـاز الّـذي حصدتـه السّياسـة الخارجيّـة للسـيد خاتمـي، ولا سـيّما قبـل الأزمـة النوويـة، هـو منـع تشـكل إجمـاع عالمـيّ أمنـيّ. في الحقيقـة، قبـل الهجـوم الأمريكـيّ علـى العـراق وبعـده، بـذل اللوبـي الصهيونـي واللوبـي العربي ولوبي المتطرفيـن الأمريكيين جهودًا ليكون الهجـوم علـى إيـران، ولكنّنـا منعنـا ذلـك مـن خـلال سياسـتنا المتمكّنة، والقائـد الحكيـم، والسياسـات العقلائيـة.

بالطبع، تتّبعت الولايات المتّحدة الأمريكية هدفها الأصليّ، أي الهيمنة، فأحـرزت نجاحًـا باهـرًا فـي البدايـة، إذ سـقطت حكومة صدام خـلال أيام. ولـو رجعـت إلـى التحليلات آنـذاك، لرأيت أنّهـم قالوا: «أسـقطت الولايات المتحـدة الأمريكيـة عدوّيـن لإيـران، وقد أصبحت الآن القـوة العظمى في المنطقـة». لهذا، فـإنّ أمريكا تتّخذ الملف النـوويّ ذريعة.

أعتقـد أنّنـا تصدّينـا فـي عهد السـيد خاتمـي للحجـج الأمريكية، ولم تتمكّـن أمريـكا مـن نقـل ملـفّ إيـران إلـى مجلـس الأمـن. بالطبـع، لا يخشـى أحـد مجلـس الأمـن، ولكـن هـدف أمريـكا مـن هـذا الأمـر هـو

هـدف أكبـر يصبّ فـي صالحها. لهـذا، أصبح منع الولايـات المتحدة من الوصـول إلـى هدفهـا هدفًـا اسـتراتيجيًّا لنـا، وهـو مـا تـم إنجازه بشـكل جيـد فـي عهـد السـيّد خاتمي.

ذكـرتَ أنّ التّهديـد بالهجـوم على إيران كان في فتـرة الأزمة النوويّة، ولكنّـه يعـود إلـى مرحلـة مـا قبـل الأزمـة النوويـة، فقـد طُـرِح الملـفّ النّـوويّ عندمـا خابـت آمالهـم، وأُجبـروا علـى الهجـوم على العـراق. إنّ عبـارة «بغـداد عنـوان خاطـئ، ولا تذهبـوا إلـى المكان الخاطـئ»، تعود إلـى شـارون. بعـد هذا، لجأوا إلـى الملفّ النّـوويّ الإيرانيّ لكـي يُدخِلوا إيـران فـي مسـألة أمنيّة علـى المـدى الطويل.

عندمـا ذُكـر موضـوع الهجـوم العسـكريّ الأمريكـي لـم تُفـوّض إلي مهمـة بهـذا الشـأن، فهـل تقصـد الخيـارات العسـكرية بعـد الملف النووي؟

أقصد في السنتين 2005م و 2006م؟

فـي تلـك الفتـرة، أي أوّل سـنتين بعد انتخاب السـيد أحمـدي نجاد، كنـت علـى المسـرح بشـكل رسـميّ وظاهريّ فقـط، وليس بشـكل مؤثر كالسّـابق. أظـن أنّ هـذه الأمـور فـي تلـك الفتـرة كانـت حربًـا نفسـيًّا فـي الدرجـة الأولـى، أي أنّ أمريـكا، ولكـي تتمكّـن مـن التقـدّم في هذا الصّـدد فـي مجلـس الأمـن، طرحـت احتمال الهجـوم كي تضـمّ الآخرين إليهـا. كانـت تتبـع سياسـة متعـددة الأبعـاد فـي الـدورة الثانيـة لرئاسـة السـيد بـوش للجمهوريـة، والتـي كانـت بعـد عـدة أشـهر مـن رئاسـة أحمـدي نجـاد للجمهوريـة. بـدأت أمريـكا بالتعـاون مـع أوروبـا، ونظـرًا

إلـى تواجـد السـيد جـان بولتـون[1] فـي وزارة الخارجيـة، وعلـى كرسـي اتخـاذ القـرار، كانـوا يتصـدون للأوروبيين.

إنّ أوّل مـا قامـت بـه السـيّدة رايـس عنـد توليهـا منصـب وزيـر الخارجيـة، هـو إبعـاد بولتـون إلـى نيويـورك، أي أن عولمـة السياسـة الأمريكيـة بـدأت منـذ عهـد السـيدة رايـس، ووصلـت إلـى ذروتهـا فـي فتـرة السـيد أوبامـا والسـيدة كلينتـون. أعلنـت السـيدة رايس بعد شـهر مـن توليهـا الـوزارة، فـي اللقـاء الصحافـي المعـروف مـع رويترز، فشـل السياسـة الخارجيـة الأمريكيـة.

فـي الحقيقـة، نجـح الإيرانيـون عالميًّا في إلقـاء اللوم علـى الولايات المتحـدة الأمريكيـة، وليـس علـى إيـران، وفـي إرسـاء هذه الفكـرة لدى أصدقاء الولايات المتحدة. كان هذا النجاح خسـارة دبلوماسـية لأمريكا. ولجبـر هـذه الخسـارة، بـدأت الولايـات المتحـدة مباشـرةً تعاونًـا دوليًّا، وفـي الفتـرة نفسـها تقريبًـا، وبانتخـاب السـيد أحمدي نجـاد، دخلنا في خلاف مـع المجتمـع الدولي.

ولضمـان حصولهـا علـى الدّعـم العالمـيّ، قامـت أمريـكا بالحركـة الثانيـة، وهـي الحـرب النفسـيّة المتمثّلـة بطـرح احتمـال الهجـوم العسـكري علـى إيـران. لا أقول إنّ هذه الهجمة العسـكرية مجرد خداع،

(1) جان بولتون John Bolton (نوفمبر/تشرين الثاني 1948م): حقوقي ودبلوماسي أميركي. حصل على شهادة البكالوريوس والدكتوراه في الحقوق من جامعة ييل، وشغل عدة مناصب منها: مساعد دائرة التنمية الدولية (1981-1983)، مساعد المدعي العام في وزارة العدل (1985-1989م)، مساعد شؤون المنظمات الدولية في وزارة الخارجية (1989-1993م)، سفير الولايات المتحدة الأمريكية في الأمم المتحدة (2005-2006م). يُصنّف من المحافظين الجدد، ويُعرف بمواقفه الداعمة لإسرائيل.

ولكنها كانت أمرًا مستبعدًا طيلة هذه الفترة، لأنّ تعاون أمريكا مع المجتمع الدولي لتقديم إيران بصورة خطرة، أفضل بالنسبة إليها من الهجوم العسكري، لأنّهم يعلمون أنّ العمل العسكري ضد إيران لن يكون سهلًا.

ربما من الأفضل أن لا نعتقد أنّ جميع المكتسبات في عهد السيد خاتمي من إنجازنا. بعض هذه الإنجازات ناتج عن علمهم بأنّ الهجوم على العراق أيسر من الهجوم على إيران، كما كانوا يرون أنّ النجاح في العراق أسهل، ولكنني أعتقد أنّنا لو لم نتخذ تلك السّياسات، فإنّ الهجوم على إيران كان سيصبح متوقّعًا. واليوم، لم يعد أحدٌ يعتقد أن الهجوم على إيران أمر سهلٌ.

إذًا، هل تعتقد أن الهجوم العسكري لأمريكا على إيران هو احتمال ضئيل؟

نعم، إنه احتمال ضئيل في الظروف الحالية، ولكن ينبغي أن لا ننسى أنّ من آثار العقوبات الدولية هو إضعاف الدولة المستهدفة. ولهذا، تنخفض تكاليف الاعتداء على ذلك البلد من ناحية شرعية الاعتداء، ومن الناحية العملية، بمعنى إضعاف الدولة بفعل العقوبات من جانب، وخفض تكاليف شرعية الاعتداء عليها من جانب آخر، بحيث يكون له أعراض على المستوى البعيد.

كما أنّ هجوم أمريكا على العراق كان بعد اثنتي عشرة سنة من بدء العقوبات، لهذا فإنّ هذه العملية طريق لا تُعرف نهايتها.

جيد. أعتقد أنّ نهاية عملك في وزارة الخارجية كان في شهر سبتمبر/أيلول من العام 2006م، هل هذا صحيح؟

لا، كانت نهاية عملي في وزارة الخارجية في العام 2007م. ولكن منذ انتخاب السيد أحمدي نجاد، لم يكن لي أي دور في الملف النووي. ومنذ ذلك الحين، كانت القرارات تصدر ضدّنا.

كيف كانت نهاية عملك في وزارة الخارجية؟

في فترة انتخابات رئاسة الجمهورية واختيار السيد أحمدي نجاد، كنت أقضي السنة الثالثة من مهمّتي في نيويورك. كان واضحًا من الإعلانات الرئاسية للسيد نجاد، أنّه ينظر إلى العاملين في الملف النووي بشكل سلبي. وقد قام في بداية رئاسته للجمهورية بعزل كلّ الشّخصيات التي كان لها دور في المفاوضات، باستثنائي.

وقبل أن يقوم بإبعادي، طلبت إعفاءً من العمل، وقدّمت طلبًا بهذا الخصوص للسيّد القائد.

هل طلبت ذلك في لقاء شخصيّ معه؟

لا، تمّ ذلك عبر مكتبه، بالشّكل الذي كنت أقوم به في اللقاءات غير الشّخصيّة، فلكي لا أزاحم وقته، كنت أبعث المسائل إليه عن طريق المكتب في الكثير من الأحيان. ولكن السيّد القائد لم يوافق على طلبي.

إذًا، حصل ذلك في السّنة الأولى لرئاسة أحمدي نجاد؟

نعم، كان ذلك في العام 2005م، بعد أسبوع من اختيار السيد أحمدي نجاد. وقد سمعت أنه كان يرغب في عزلي قبل بقية السّفراء

في أوّل سفر له إلى نيويورك، ولكن يبدو أنّ السيد القائد لم يوافق. لهذا، كنت سفير إيران لدى الأمم المتحدة في أوّل عامين من رئاسة أحمدي نجاد، أي حتى شهر أغسطس/آب من العام 2007م، ولكن لم يكن لديّ أيّ دور في الملف النوويّ أو في بقيّة الملفات.

لقد تبيّن أنّهم استخدموا الأسلوب نفسه مع آخرين أيضًا بعدي، لأنّ اختيار سفير إيران في منظمة الأمم المتحدة، شأنه شأن اختيار بعض الوزراء، هو بحاجة إلى موافقة السيد القائد. وعلى الرغم من تأكيد السيد القائد على استمرار مَهمّتي، كنت أتواجد هناك فقط، ولم تكن توكل إليّ أي مهمة، حتى في موضوع القرارات التي صدرت عن مجلس الأمن، إذ لم توكل إليّ أي مهمة سوى إلقاء خطاب بعد إصدار القرار، بل إنّ الخطاب أُعطِي في إحدى المرات إلى وزير الخارجيّة، وهو في اعتقادي أمر غير مناسب، لأنّ تواجد وزير الخارجيّة يفتقد إلى أي تأثير، إذ يُسمح لوزير الخارجيّة أو لأيّ شخص آخر بالخطاب عند صدور القرار فقط، وأعتقد أنّ خطاب وزير الخارجيّة في مجلس الأمن، من دون أن يكون له أيّ تأثير في القرار، غير ضروري. وعلى أيّ حال، كنت في تلك السّنتين تحت ضغط نفسيّ هائل.

هل كنت تأتي إلى طهران؟

كان ذلك نادرًا. في السابق، كنت آتي إلى طهران مرة في كل شهر على الأقل، ولكنني أظن أنّني زرت طهران أربع مرات فقط في تلك السنتين. بالطبع، لم يكن الأمر سيئًا، ذلك أنني تمكّنت في

تلـك الفتـرة من توسـيع نشـاطاتي في نيويـورك، وكان أكثرهـا في مجال الدبلوماسـية العامـة، لأنّ المفاوضـات، كمـا ذكـرت، لم تكن تُقـدَّم إليّ، ولهـذا كنـت أمارس نشـاطًا فـي توعيـة الرأي العـام الأمريكـي بخصوص البرنامـج النـوويّ الإيرانيّ.

فـي الحقيقـة، كنـت أخطـب وألتقـي بالمفكريـن الأمريكييـن والمؤلفيـن، كمـا كنت ألتقي أيضًـا بالعلماء النوويين، كي أشـرح لهم أنّ البرنامـج النـووي الإيرانـي سـلمي. نعـم، كانت هـذه اللقـاءات في عهد السـيد خاتمـي أيضًـا، ولكنهـا لم تكـن بهذه الكثـرة، نظرًا إلى انشـغالي، كمـا أنّ المواقـف الحـادة للسـيد أحمـدي نجـاد شـكّلت بيئـة معاديـة لإيـران فـي المجتمـع الأكاديمـي، وكان مـن الواجـب القيـام بشـيء من التوعيـة فـي هـذا الصـدد، وتوضيـح اسـتغلال البعـض لبيانـات رئيـس الجمهوريـة. كان مـن الواجـب أن لا نسـمح للمتطرفيـن الأمريكييـن باسـتغلال هـذه البيانـات كمـا يريـدون.

أذكـر أنّ الصّحافـي الأمريكـيّ المعـروف شـارلي رُز، قـال لـي فـي نهايـة لقـاء معـه حـول الهولوكوسـت و«إسـرائيل» والظلم الـذي يتعرض لـه الفلسـطينيون: «ولكـن هـذا ليـس مـا يقولـه رئيـس جمهوريتكـم»، فقلـت لـه: «بلـى، هـذا مـا يقولـه رئيـس الجمهوريـة»، فـردّ: «لا، ليـس كذلـك. أنـت تقول أمورًا أخرى». كان الغرض هو اسـتغلال بيانات السـيد أحمـدي نجـاد للدعاية، وإبـراز ظُلامة مدَّعاة للإسـرائيليين، وهو ما وصل إلـى حـدٍّ لا يُسـمح فيـه برواج تفسـير منطقي آخر، أو حتـى ظهوره على الأقـل. وعلـى أيّ حـال، فقـد تطلبت هذه النشـاطات الكثير مـن الوقت.

عندما كنت أنوي مغادرة نيويورك، كتبَت الكثير من الصحف عن نشاطاتي. لعلّ شهرتي في أمريكا سببها هذه النشاطات التي تمكّنتُ منها عند عزلي من المفاوضات، فلم أكن مستعدًّا لأن أمضي الوقت في جوٍّ من الروتين، كما يفعل البعض. ولهذا، بدأت نشاطًا توعويًّا للرأي العام في أمريكا، ولم يكن أحد يعارضه، بل إنّ وزير الخارجية شجّعني، ووضع بين يدي بعض المصادر، كي أتمكّن من الإعلان في صحيفة النيويورك تايمز، وأقوم بالمزيد من النشاطات.

ما هو هذا الإعلان؟

وضعنا إعلانًا في صفحة كاملة في صحيفة النيويورك تايمز The New York Times، وقد كتبت فيها للتوعية بخصوص البرنامج النووي. وبالطبع، لديّ مقالات عديدة منشورة فيها، نظرًا إلى معرفتهم السابقة بي، وكذلك لكوني سفير إيران، ولكننا كنا نريد نشر نصّ تفصيلي حول البرنامج النووي الإيراني، ولم يسمحوا به كمقال. وبعد بذل الكثير من الجهد، قبلوا بطباعته كإعلان في النيويورك تايمز The New York Times وهيرالد تريبيون Herald Tribune، وتمكّنا من تقديم صورة كاملة عن البرنامج النووي الإيراني في تلك الصفحة.

كانت كل هذه النشاطات ـ من خُطب ومقالات ـ ناشئة من الفرصة التي أتيحت لي. وبهذا، قدَّمت صورة جديدة عن إيران في الولايات المتحدة، وغيّرت نوعًا ما نظرة النخب السياسية الأمريكية إلى إيران، وأثبتّ أنّ حل الأزمة النووية مشروط بوقف التخصيب.

من حُسن الحظ، أنّ بعض الشخصيات التي كنت أرتبط بها، أخذت تكتب المقالات أيضًا، فمثلًا يمكن أن تكون الرقابة أو الشراكة من الحلول، عوضًا عن توقّفها عند وقف التخصيب. بكل تواضع، يمكنني أن أدّعي أن الخلاف في المجتمع الفكري والأمني يعود إلى تفرغي وتمكّني من التواجد بصورة أكثر بروزًا في المجتمع الأمريكي في تلك السنتين.

هل كنت موجودًا عند إلقاء الخطاب المعروف لرئيس الجمهورية أحمدي نجاد في جامعة كولومبيا؟

لا، كان هذا الخطاب بعد مغادرتي إلى نيويورك.

هل طُرِحَ موضوع الهولوكوست حين كنت في نيويورك؟

طُرِحَت مسألتا الهولوكوست وتدمير «إسرائيل» حين كنت سفيرًا، ولكنّني لم أكن عندها في نيويورك. في إحدى المسألتين، كنت على سفر، وفي الأخرى، كنت مع السيد أحمدي نجاد في اجتماع المؤتمر الإسلاميّ في السعودية. وقد كنت ضمن اللجنة الإيرانية في الاجتماع الإسلاميّ عندما طُرِحَ موضوع الهولوكوست، ولم أكن في نيويورك، لكي لا أُجبر على متابعة الأمر شخصيًّا.

ورغم ذلك، تعرَّضت بعثتنا لمشاكل شديدة، وصدر في المسألتين قرارٌ من مجلس الأمن ضدّ إيران، أي أنّ دخول ملف إيران إلى مجلس الأمن لم يكن بالموضوع النّوويّ، بل بمسألة الهولوكوست وتدمير «إسرائيل»، فقد أصدر مجلس الأمن القرار تلو القرار ضدّ إيران، ثمّ تناول الملفّ النوويّ.

استراحة ظريف

كيف انتهى هذا الأمر؟ وكيف استُدعيت إلى طهران؟

لـم يتـم اسـتدعائي إلى طهـران. مضى عـام على انتهاء أربع سـنوات تـوازي المـدة الطبيعيـة لمهمّتي، ولهـذا كان بديلي محـددًا، وقد رحَّبت باختيـاره وسُـرِرت للغايـة. ومـن علامـات سـروري، أنّنـي كنـت أدخّـن بشـراهة، وقـد توقفـت عـن التدخيـن منـذ أن اسـتلم بديلـي التأشـيرة، ذلـك أن الضغـط النفسـي الأكبـر علـى كاهلـي، تمثـل فـي مسـؤولية البعثـة الجمهوريـة الإسـلامية فـي الأمـم المتحـدة، وقـد رُفـع عنـي فـي لحظـة. للـه الحمـد، لـم أدخّـن منـذ أربـع سـنوات، بينمـا كنـت أدخـن ثـلاث لفافـات مـن التبـغ يوميًّا.

بعـد انتهـاء مهمّتـي، بـذل الإيرانيـون المقيمـون فـي أمريـكا والدبلوماسـيون الكثيـر مـن المحبـة لـي، كمـا كُتِبَـت فـي المنشـورات موضوعـات عنـي. فـي تلـك الفتـرة، أعلنـتُ أنّنـي أود التفـرغ للعمـل الأكاديمـي. أقـول بـكلّ صـدق إنّنـي كنـت أعلـم أنّه لـن يُقـدَّم لي عمل تنفيـذيّ، كمـا أنّنـي لم أرغـب في أيّ عمـل تنفيذي في هـذه الحكومة، لأنّ آرائـي لا تتوافـق معهـا.

عندما عدت إلى طهران، ورغم أنّني كنت أشغل منصبًا لامعًا في وزارة الخارجية، أي المساعد الأول لوزير الخارجية، وهو ما يعدّ من حيث تسلسل الهيكل الإداري موازيًا لمعاون وزير الخارجية، فقد كنت أحاضر في جامعة طهران وكلية وزارة الخارجية فقط.

بدءًا من الفصل الدّراسي الأوّل بعد عودتي إلى إيران، كنت أحاضر بشكل دائم، ولا أزال كذلك. في بعض الفصول الدراسية، كانت لديّ ست أو سبع حصص دراسية لمرحلة الماجستير في عدة جامعات، منها جامعة طهران وكلية العلاقات الدولية، وحصص قليلة في جامعة الإمام الصادق. أشرفت في هذه الفترة على أكثر من 20 أو 25 رسالة ماجستير. وبمساعدة صديقي في الجامعة ووزارة الخارجية، الدكتور سجادبور، استطعنا نشر كتابين؛ الأول هو دورة تتألّف من ثلاثة أجزاء، وهو كتاب دراسي حول الدبلوماسية المتعددة الأبعاد، والكتاب الثاني أكثر إيجازًا، ويختصّ بالمنظّمات الدولية.

في هذه الفترة، تمكَّنت من العودة إلى عائلتي، ذلك أنني غادرت إيران عندما كنت في السابعة عشرة من عمري، ولهذا لم تكن لدي فرصة لأكون في خدمة أمي. وبحمد الله، أتمتّع الآن بهذه النعمة. كما تمكنّا من السفر والتجوّل في ربوع إيران.

في الخلاصة، أعتقد أنّني راضٍ عن هذا التغيير. وبمجرد وصول سنوات توظيفي بشكل رسمي إلى 25 سنة، طلبت التقاعد بحسب القانون السابق، رغم أنّ سنوات خدمتي تتجاوز الثلاثين سنة، ولكن كما ذكرت سابقًا، كنت أعمل لمدة طويلة كموظف محليّ، ولم تُحْتَسَب تلك السنين في فترة عملي.

متى طلبت التقاعد؟

طلبت التقاعد في 15 يونيو/حزيران من العام 2009م، وحصلت على هذا الشرف في شهر أغسطس/آب من العام 2010م بعد الكثير من المتابعة، علمًا أنّ الأصدقاء لم يكونوا يريدون تقاعدي وخروجي من وزارة الخارجية.

من تقصد بالأصدقاء؟

كان الوزير السابق والوزير الحالي يرفضان ذلك. وفي النهاية، ونظرًا إلى الظروف، وبسبب إصراري، أبدوا تجاهي المحبة، ووافقوا على طلبي. كتب وزير الخارجية ـ السيد متكي ـ تحت توقيعه: «نظرًا لإصرار الدكتور ظريف، تمت الموافقة».

إذًا، مشكلتك الأصلية كانت مع رئيس الجمهورية؟

لا، عندما حلّ ضيفًا علينا في نيويورك، أبدى وزوجته الكثير من المحبة تجاهنا ـ زوجتي وأنا ـ رغم أنّني كنتُ سفيرًا مفروضًا عليه. ولكنني لا أعلم إذا كان يدرك أنّ هذه السفارة مفروضة عليّ أيضًا، أي أنّني لم أكن مستعدًا للاستمرار، ولكنّني كنت أمتثل فقط لأمر السيّد القائد.

هل تودّ العودة إلى وزارة الخارجية إذا تغيّرت الظروف؟

أنـا راضٍ الآن عـن ظروفـي. عندمـا أفكّـر فـي ثقـل المسـؤولية الملقـاة علـى عاتقـي فـي وزارة الخارجيـة، لا أتصـور أنّنـي سـأعود إلـى تلـك المهـام لاحقًـا. ثمـة ملاحظـة لا أريـد قولهـا كشـعار: أشـعر بـكل تواضـع بـأنّ لـديّ بعـض القـدرات التـي حصلـت عليها علـى حسـاب الجمهوريـة الإسـلامية، علمًـا أنّنـي لـم أدرس أبـدًا علـى نفقـة الجمهوريـة الإسـلامية، بـل درسـت علـى حسـابي الشّـخصيّ بشـكل كامـل، وبسـعر الـدولار الحـر، ولكنّنـي أقـول: لـو اعتقـد شـخص أنّنـي دبلوماسـي مخضـرم، فليسـت الدراسـة هـي التـي صنعـت منـي ذلـك الدبلوماسـي، بـل الأخطـاء التـي ارتكبتهـا فـي العمـل والتجـارب التـي خضتهـا. لهـذا، ظننـت، ولا أزال أظـنّ، أنّ هذه التجارب ليسـت ملكي، لـذا لـم أنعـزل قبـل أن يعزلونـي، وقـد قلـت إنني سـأنعزل، ولـم أقدّم اسـتقالتي، ولـم أشـعر بالسّـخط.

لـم أشـعر بالسّـخط علـى الرغـم مـن أنّنـي اسـتلمت رسـالة رئيـس الجمهوريّـة السـيّد بـوش مـن صحافـي أميركـي، بينمـا اسـتلمها وزيـر الخارجيـة ونظيـري الأمريكـي فـي الأمـم المتحدة قبلي بخمس سـاعات علـى الأقـل، وقبـل أربـع وعشـرين سـاعة مـن إرسـال وزارة الخارجيـة الإيرانيـة رسـالة إلـيّ بهـذا الخصـوص.

رأى الأمريكيـون الرسـالة، وأبـدوا رأيهـم بهـا، ولـم أكن أعلم بشـيء، أو أنّنـا ـ أعضـاء البعثـة وأنـا ـ لـم تكـن لدينـا مقترحـات المفاوضـات

مـع الأوروبييـن، بينمـا كانـت لـدى نظرائنـا الأوروبييـن والأمريكيين في الأمـم المتحـدة، أي أنّهـم كانـوا يتجاهلوننـا إلـى حـدٍ كبير.

علـى الرغـم مـن كلّ هـذا التّجاهـل، فلم أقدّم استـقالتي، ولم أشـعر بالسّـخط، لأنّنـي كنـت أعتقد أنّنـي أحمـل مسـؤوليةً، وإن أرادوا فكنت سـأقدّم لهـم تجربتـي. عندمـا تـمّ عزلـي، كانـت مهمّتـي قـد انتهـت أيضًـا، ولـم أكـن أسـعى إلـى حمـل ثقـلٍ علـى عاتقـي، ولذلك، لا أشـعر بمسـؤوليّة أخـرى أمـام ضميـري وأمـام اللـه، فقـد خدمـت إلـى أقصـى حـدّ سُـمح لـي بـه، وعبـر كلّ طريـق تمكّنـت منـه. تفاوضـت فـي فترة المفاوضـات، وخطبـت فـي كلّ مـكان لحفـظ مصالـح بلـدي، عندمـا لم تكـن هنـاك مفاوضات.

ولهـذا، أظـنّ أنّ المسـؤولية رُفِعـت عنّـي، ولـم أعـد محـلّ مسـاءلة. منـذ ذلـك الحيـن، لـم أتحـدث إلـى أيّ صحافـي مـن الداخـل أو مـن الخـارج، لأنّنـي لم أكـن أتحمّل مسـؤوليّةً أو أبحث عـن منصب، لأجيب على أسـئلتهم، لهـذا اكتفيت بالصفوف الدراسـية والكتابـة، كما تمكّنت مـن الاهتمـام بعائلتـي وأنـا فـي غاية السّـرور.

أقيمـت مراسـم وداعـك فـي الصالـة الأصليـة للمفوضين فـي الأمم المتحـدة، وقـد حضـر الحفـل مجموعـة لافتـة مـن السـفراء، ولجـان المفوضيـات، ودبلوماسـيون مـن بـلاد كبيـرة، ودبلوماسـيو بلـدان متعـددة مقيمـة فـي نيويـورك، ومسـؤولو منظمـة الأمـم المتحـدة، ومسـؤولو وأعضـاء الجامعـات ومراكـز الأبحـاث، ومجموعـة كبيـرة من وسـائل الإعـلام ومندوبـي المراكـز الاسـلامية فـي أمريـكا، وعـدد كبيـر

من الإيرانيين الذين قدموا في هذه المناسبة من كل أنحاء الولايات المتحدة إلى نيويورك. يُقال إنّ الكثير من الضيوف انتظروا مدة طويلة في طابور على أمل اللقاء والتحدث إلى سفير بلدنا. أخبرنا عن أحداث يوم الوداع.

عادةً، ينظّمون حفلات وداعية للسفراء في الصالة الأصلية في الأمم المتحدة، ويقيمون مراسم الأيام الوطنية في تلك الصالة أيضًا. وقد قمنا بالمراسم نفسها، على الرغم من أنّ إيران لم تكن في حالة جيّدة، وكانت قرارات عديدة قد صدرت ضدها من الأمم المتحدة، وبرغم ذلك، فقد حصلنا على استقبال عجيب. قد يقول البعض خارج الأمم المتحدة، إنّ هذا الأمر ليس مهمًا، ولكنه مهم في الأمم المتحدة، لأنّها أصدرت قرارات ضد هذا البلد. بأي حال، حضر إلى التوديع كل السفراء وأعضاء لجان المفوضيات، ما عدا إسرائيل وأمريكا.

حضر أيضًا أعضاء الأمانة العامة، ولكنّنا لم ندعُ مندوبي مجلس الشورى الأمريكي، لأنّنا ظننا أنّ السيد جو بايدن ـ وهو اليوم معاون رئيس الجمهورية الأمريكي ـ قد يحضر، فلم نستطع دعوتهم نظرًا إلى الملاحظات البروتوكولية. بحمد الله، كانت مراسم مشرفة، والحقيقة هي أنّ العزة والذلة بيد الله. أعتقد أيضًا أنّني خدمت بصدق لثلاثة عقود، وكلّ ما حدث معي، كان بفضل العناية الإلهيّة.

كتب وارن هوك في صحيفة هيرالد تريبيون Herald Tribune قبل مدة: «إنّ الدكتور ظريف صوت إيران في الأمم المتحدة، يجيد اللهجة الأمريكية»[1]. مدح المقال عمل ظريف ـ مندوب إيران لدى الأمم المتحدة ـ وجهوده في أمريكا والأمم المتحدة. كتبت الصّحيفة في مقالها، أنّ ظريف خطب في الجامعات والأندية السياسية والجماعات السياسية والاجتماعية، حتى إنّ ليزا أندرسون ـ رئيس كلية العلاقات العامة والدولية في جامعة كولومبيا ـ سألته بتهكّم: «هل تنوي المشاركة في الانتخابات الأمريكية والبقاء هنا؟»، يبدو أنّها قالت هذا الكلام مازحةً؟

نعم، قالت لي: «إنّك تخطب بمقدار مرشّحي انتخابات مجلس الشورى ورئاسة الجمهورية، هل تريد البقاء هنا؟». كانت السيدة ليزا أندرسون تشغل منصب رئيسة كلية العلاقات الدولية في جامعة كولومبيا، وهي الآن رئيسة الجامعة الأمريكية في القاهرة، كما أنها سيدة بارزة، ومن أساتذة العلاقات الدولية في أمريكا، وكانت حاضرة في عدة اجتماعات خطبت فيها، وقد أبدت تعجّبها قائلةً: «أنت تتواجد في كل مكان أذهب إليه، هل من المقرر أن تصبح مرشحًا في الكونغرس أو في مكان آخر؟».

---

(1) انظر:
«Iran's voice at the UN speaks with an American accent», Warren HOGE, International Herald Tribune, May 19-20 - 2007.

إنّ تاريخ هذه المقالة طريف. عندما بدأ خبر رجوعي إلى إيران بالانتشار، كانوا يتصلون بي من أماكن مختلفة للكتابة عني، من بينها قناة CNN، إذ اتصلت بي السيدة أندريا كابل ـ صحافية مختصة بالشؤون الخارجية في CNN ـ وقالت إنّ القناة تريد إعداد برنامج عني وتودّ لقائي. لم أرَ أنّ هذا البرنامج يصبّ في مصلحتي، لأنّني كنت سأعمل فيه كممثل، وذلك دون مستوى سفير الجمهورية الإسلامية. كما أنّني لو كنت أريد القيام بمهامي كسفير في اليوم الذي يبثون فيه البرنامج، فقد يكون الأمر مخالفًا لمصلحتي.

في الحقيقة، لم أكن أريد نقل كلّ لقاءاتي إلى الإعلام، فذلك يوفر فرصة لاستغلالها، ولهذا، رفضت العرض. في إحدى المرات، استعانت بأبيها السيد «تد كابل» الإعلامي الأمريكي المعروف، لكي تتمّ المقابلة.

بعدها، اتصلت بي صحيفة الواشنطن بوست The Washington Post، ذلك أن السيدة رابين رايت ـ وهي من العالمات المنطقيات بالشأن الإيراني ـ كانت تصرّ على كتابة مقال عني، ولم تكن بحاجة إلى لقائي لكتابته، لأنّها كانت تتابع عملي على مدى ثلاثين عامًا وتعرفني، ولكنها طلبت إذنًا لإرسال مصور إلى مقر البعثة والتقاط صورة لي، فلم أرفض.

كتبت السيدة رايت مقالًا مفصّلًا في صحيفة (الواشنطن بوست)

The Washington Post بتاريخ 15 أبريل/نيسان 2007،[1] المصادف ليوم الأحد، وهو أحد الأيام الذي تصل فيه مبيعات الصحف الأمريكية إلى ذروتها. بعد ذلك بأسبوعين، زارني السيد وارن هوك ـ صحافي الأمم المتحدة في صحيفة النيويورك تايمز The New York Times ـ في مكتبي، وقال: «أريد إجراء حوار معك، وكتابة سيرة ذاتية عنك»، وأضاف: «لقد وبختني الصحيفة». وعندما سألته عن السبب، أجاب: «قالوا لي: كتبت صحيفة الواشنطن بوست The Washington Post عن ظريف، بينما أهملتَ الموضوع، رغم أنك قريب إليه». في الحقيقة، كانت هذه المقالة ثالث مقالة تُكتب عني. وقبل ذلك بعامين، كتب صحافي لبناني مقالًا عني في صحيفة النيوزداي NewsDay.[2]

سمعتُ جملةً عنك، ولكنّني لم أتمكّن من العثور على مصدرها؛ سمعت أنّ السيد جان بولتون ـ سفير أمريكا في الأمم المتحدة ـ قال عنك: «من المستبعد أن تتمكَّن الجمهورية الإسلامية من تدريب دبلوماسي مثله». وفي مثال آخر، قال بعض الدبلوماسيين الإسرائيليين جملة شبيهة بها، تحمل في طياتها المديح والتعجّب. حدّثنا عن صواب هذه العبارات وخطئها.

لم أسمع شخصيًّا مديحًا، ولكنّني سمعت أنّهم قالوا: «لا نتوقّع أن

(1) انظر:
«An Envoy Bridging East and west», The Washington Post, Sunday, April 15 2007.
(2) انظر:
«Iran's Suave public face», Mohammad Bazzi, NewsDay, April 28 2006.

يكون لدى إيران دبلوماسي مثل هذا الشخص»، أو عبارات مشابهة مثل: «ليتنا نملك دبلوماسيًّا مثل هذا الدبلوماسي، يمكنه تبيان سياساتنا بهذا الشكل الجيد». بالطبع، أكثر هذه العبارات ناشئة من معاداة إيران، وليس بهدف تقديم المدح والثناء لي، فقد قالوا أيضًا: «من يتمكَّن من تقديم السياسات السيئة ـ بحسب رؤيتهم ـ لا بدّ من أن يكون شخصًا جديرًا».

في الحقيقة، لست بحاجة إلى مدح أشخاصٍ مثل جان بولتون أو الإسرائيليين. لقد قالوا هذه العبارات عندما تمكنّا من تقديم السياسات الإيرانية بشكل جيد، ولم تكن علاقتي بالسيد جان بولتون جيدة، ولا زالت على حالها حتى الآن.

برأيك، كيف يمكن تشكيل هيكلية يمكن من خلالها نقل تجاربك إلى الجيل الجديد، لتساعد الشاب الذي يدرس الآن في الجامعات، أو يعمل في وزارة الخارجية، حتى يكون دبلوماسيًّا مخضرمًا؟

لو كانت لدي تجربة ثمينة، فهذا ما كنت سأقوم به، أي أنّني أحاضر في وزارة الخارجية، وأشارك في الدورات التعليمية، وأقدم الدروس. بالطّبع، أعتقد أنّ فترة اكتسابي للتجربة كانت مُرّة، ولكنّني أُمنّي نفسي بنقل هذه التجربة إلى الجيل الجديد، وبذلك، لا أقضي فترة تقاعدي المبكرة في حالة من البطالة.

هل لدى جهاز وزارة الخارجية برنامج محدّد بهذا الصّدد؟

لـدى وزارة الخارجيـة برنامـج تعليمـي ضمـن العمـل للترقـي، مثـل الترقـي إلـى منصـب سـكرتير أول أو مستشـار أول، أو للابتعـاث إلـى الخـارج، كمـا أنّنـي أُدعـى للتدريـس فـي الكثيـر مـن هـذه البرامـج.

إذًا، رغـم أنـك تقاعـدت مـن وزارة الخارجيـة، فـلا زلـتَ تُدعـى للتعـاون معهـم؟

نعـم، ولأنّنـي متفـرغ بشـكل كبير، أصبـح هـذا التعاون أكثـر. يبدي الأصدقـاء محبّـة تجاهـي مـن خـلال دعوتـي، وأنـا ألبّـي بـدوري هـذه الدعوات.

بحمـد اللـه، لا زالـت علاقتـي بـوزارة الخارجيـة ممتـازة، كمـا كانـت فـي السـابق، فقـد كنـت أُدعـى مـن خمس إلى سـت مـرات في السـنة عندمـا كنـت مسـاعدًا أول، ولا زلـت أُدعـى الآن مـن مرتيـن إلـى ثـلاث مـرات في السـنة.

قضيـتَ 25 عامًـا مـن عمـرك فـي منظّمـة الأمـم المتحـدة وفـي الشـأن الدبلوماسـي، لـو نظـرت إلـى الماضـي، فهـل أنـت مسـتعدّ للعـودة إلى الجهاز الدبلوماسـي والعمل كدبلوماسـي؟ بشـكل عام، هـل أنـت راضٍ عـن ماضيـك؟

يمكننـي القـول إنّنـي خدمـت بصـدق طيلة هذه السـنوات. لا شـكّ فـي أننـي ارتبكـت أخطاء كثيرة وتعلّمـت المزيد فيما بعـد. في البداية، لـم يكـن هنـاك خيـار سـوى الاسـتفادة مـن أشـخاصٍ عديمـي التجربـة

مثلي، وبالطبع كنت أتميّز على الأخوة ـ فاقدي التجربة ـ في أنّني درست هذا التخصّص.

ما أتأسّف عليه هو عدم توفر أرضيّة للقبول بهذه التجربة، أو عدم قبول الأصدقاء بأخذ العبرة منها. عندما كنّا نعرض عليهم موضوعًا، لم نكن ننطلق من الذلة أو الضعف والخوف، بل كان ذلك بدليل التجارب السابقة. لو تأسَّفت على أمر طيلة فترة خدمتي، فهو عدم الاستفادة من تجربتي، وتكرار الأخطاء التي ارتكبناها. لست ساخطًا على نفسي، لأنّني لم أقدم مصلحتي الشخصية على مصلحة وطني، فقد نقلت كلّ ما دار في فكري للمسؤولين في بلدي.

لعلّه من أسباب عزلي، أنّني كنت مراقِبًا، ومن واجب المراقِب أن يقول ما يرى، لا أن يفكّر أولًا فيما يعجب المستمعين من قول أو رؤية، ونقل ذلك فقط. في الحقيقة، في كل البيروقراطيات وفي كل العالم، يقول الموظفون ما يُعجب الرؤساء، ولكنّني كنت أسعى إلى تجنّب هذا الأمر.

مع الأسف، عندما لا تقول ما يريدون، قد لا يسمعون أحيانًا، بل إنّهم لا ينتبهون إلى باقي أحاديثك أيضًا. لهذا، قد أكون مخطئًا في التحدّث بهذه الصراحة، ومن الممكن أن ينتقدني بعض الأصدقاء، حيث كان بإمكاني التحدث برويّة أكثر، أو ما هو مصطلح عليه بالسياسة، ولكنّني كنت أعتقد

دائمًا أنّ السياسة للخارج، ولا يجب استخدامها في الداخل، ولا سيّما في بيئة العمل، حيث يجب أن يكون الصدق نصب العين.

على أيّ حال، أنجزنا ما تمكّنا منه، بحمد الله وإرادته، وقد منحني الله سمعة جيدة في الداخل وفي المجتمع الدولي، وأعتقد حقيقة أنّني لا أملك شيئًا من نفسي. إنّ هذه السمعة لا تجلب لي الغرور، ولا أتأسّف عليها إن جرّحوا بها.

أنا شاكر لله وراضٍ عن هذه السنوات، وعن كل حياتي، وعن كل النعم التي منحها الله لي، ولا أرى شيئًا سوى نعم الله ولطفه ومحبته لي. ولكن، إن كان الخيار بيدي، فلا شكَّ في أنّني كنت سأختار تخصصًا حرفيًا، وليس سياسيًّا، لأنّني أرغب في تلك المجالات أيضًا، مثل الكمبيوتر أو الهندسة أو البناء، فذنبها ومصائبها أقل.

ماذا تعني بالذنب والمصائب؟

أعني المسؤوليّة، ولا سيّما أنّ مسؤوليتها في الآخرة أقلّ أيضًا. في العمل السياسي، يعدّ احتمال الخطأ أكبر بكثير، كما أن نتائجه أخطر بكثير. لهذا، قد يكون من ضعفي الشخصي أنني كنت سأختار تخصصًا آخر لو كنتُ أعلم كل هذه الخيارات الثقيلة التي يحملها تخصّصي، لأنّنا جميعًا نريد من الله أن لا يُصعّب امتحاننا.

أعتـرف بأن قدراتي الشّـخصيّة محـدودة، وأعتقـد أنّ ثمة امتحانات فـي هـذا المجـال، وهـي في غايـة الصعوبة. ولهـذا، لو كان لـدي الخيار مـرة أخـرى، فلا شـكّ فـي أنني كنت سـأختار عمـلًا آخر.

نظريات العلوم السياسيّة

من الأفضل أن ننتقل إلى نظريات العلاقات الدولية والحقوق الدولية والسياسة الخارجية. كما تعلم، أُقيم مؤخرًا الكثير من الندوات حول ضرورة التغيير في العلوم الإنسانية، كما أنَّ التحدث عن إمكانية العلم الديني والعلوم الإنسانية إسلاميًّا هو حديث ممتع وطويل، ونحن نتمنى أن تحدثنا عن الأساس النظري لعلم العلاقات الدولية، وإمكانية إنتاج نظرية علاقات دولية إيرانية إسلامية. هل توافق على هذه الفكرة؟

أعتقد في مجال العلوم الإنسانيَّة أنه ينبغي أن لا ننحصر في مجال النظريات الموجودة. وبعبارة أخرى، إنّ النظريات الموجودة في مجال العلوم الإنسانيَّة هي مجرد أدوات للتحليل، ويجب أن لا تتحوّل إلى مدرسة اعتقادية. عندما تستخدم النّظريات الموجودة كأدوات للتحليل، فمن الطّبيعيّ أنّك لن تكون أسيرًا للرؤى التي لا تتوافق بالضَّرورة مع ظروفك.

كما أنّني لا أريد استخدام كلمات لها معنى خاص، كأن أقول مثلًا توطين العلوم الإسلامية أو العلوم الإنسانية إيرانيًّا وإسلاميًّا، لأنّ معنى هذه الكلمات لا يزال قيد التطور، ولم تصل بعد إلى

مفهـوم نهائـي. ولهـذا، قـد يكـون لـدى كل فـرد مفهـوم خـاص حولها، وليـس بالضـرورة أن يكـون المقصـود هـو المعنـى الموجـود في هذه الكلمات.

أمـا فـي مجـال النظريـات التخصّصيـة، فالعلاقـات الدوليـة ليسـت فقـط للوصـف والشـرح، بـل إنّ الكثير مـن النظريات نشـأت من مكمن القـوة. ولهـذا، فهـي تقـدم مـع الوصـف والشـرح إرشـادًا وحكمًـا، بـل إنّهـا فـي بعـض الأحيـان تكـون إرشـادًا وحكمًـا أكثـر مما هـي وصف أو شـرح. عندمـا تُسْـجَن فـي نظريـة، فسـتكون أسـير إرشـاداتها وأحكامها، عوضًـا عـن اسـتخدامها كأداة للتحليـل. لهـذا، أعتقـد أنّه يجـب التّحدّث عـن النّظريـات كأدوات وليـس كمدرسـة اعتقاديـة، عوضًـا عـن توطيـن النظريـات إيرانيًـا أو إسـلاميًا.

مـع الأسـف، يتـورّط بعـض الأصدقـاء فـي مجـال العلـوم الإنسـانيّة بالنّظريـات، ويعتقـدون أنّ أيّ اسـتدلال خـارج النظريـات هـو نـوع مـن الشـطط الفكـري، ولكنّنـي أعتقـد شـخصيًا أنّـك عندما تصبح أسير نظريـة، فسـتكون تحت تأثير علاقـات القوة التي نتجت عنها، وسـتكون مجبـرًا علـى قبـول شـروط تلـك القـدرة والعمل ضمـن قوانينهـا لتحصل عليهـا. فـي الحالتيـن، أنـت محكـوم بالفشـل، لهـذا أعتقـد أنّنـا بحاجـة إلـى إعـادة تعريـف الـرؤى والحريـة الفكرية في هـذا المجـال النظري، كمـا أفضّـل أن أسـتخدم فـي مجـال نظريـات العلاقـات الدوليـة كلمـة «الحريـة الفكريـة»، وأعتقـد أنّـه يجب شـرح الواقع وتحليله بالاسـتعانة بـأدوات مختلفـة؛ إحداهـا النظريـات الموجـودة، وهـي ليسـت الأداة

الوحيـدة لذلـك. بالطبع، لا أعني الشـطط الفكـري أو الإباحية في مجال النظريـات، بـل أعنـي عـدم التـورط فـي نظريـة واحـدة فقط.

لـو خفّضنـا مسـتوى توطيـن العلـوم الإنسـانية للهويـة الوطنيـة ونظرنـا فيهـا، سينشـأ عندهـا هذا السـؤال: ما هـي عناصـر هُويتنا؟ بشـكل عـام، يمكـن أن نتصوّر هويتنا فـي ثلاثة عناصر هـي: إيران، الجوهـر الإسـلامي، والشـكل الآسـيوي، وكنتيجـة لها أن نكـون جزءًا مـن العالـم الثالـث. لو قبلنـا بهذه الفرضيـة، قد نتمكـن على الأقل مـن الناحيـة العمليـة، وفـي مجـال العلاقـات الدوليـة، مـن تقديـم أفـكار أو رؤى إبداعيـة. إن حركـة عدم الانحياز، ومجموعة السـبعة والسـبعين، ومنظمـة المؤتمـر الإسـلامي وغيرهـا، بشـكل عـام أو خـاص، تعكـس نظـرة بلـدان مثـل إيـران. هـل تـرى هـذا الفهـم مقبولًا؟

عندمـا أنتقـد النظريـات الموجـودة، وأقـول إنّهـا ناتجـة مـن مصالح القـوى العظمـى، ولا يمكنهـا تقديـم فهـم صحيـح للواقـع، فـلا أريـد لرؤيتـي النظريـة أن تكـون تحـت سـياط هـذا النقـد، فهـي أيضًـا تتبـع رؤيـة نظريـة ترمـي إلـى حفـظ مصلحـة مجموعـة خاصـة أو تبريرهـا. إن نتيجـة هـذا الاتجـاه هـي تبريـر مصالـح مجموعـة خاصـة، وليسـت فهـم الواقـع والتنبـؤ الصحيـح بالتغييرات. وفـي المحصلة، سـيكون هذا التنظيـر عاجـزًا عـن خدمـة مصالحـه أيضًـا، لأنّه حين يفشـل فـي التنبؤ الصحيـح بالتغييـرات وشـرحها، فلـن يتمكـن مـن تقديـم حـل مناسـب.

بعبـارة أخـرى، يعـود سـبب مخالفتـي لطريقـة التفكيـر الرائجة في

المجتمع العلمي في بلادنا، إلى أنّها حبيسة النظريات الغربية، كما يجب أن يكون الوعي النظري قادرًا على التنبؤ ووصف المستقبل. هذه هي وظيفة النظريات ووظيفة الخبير والعالم في الشؤون السياسية والعلوم الإنسانية.

بالطبع، تختلف وظيفة الخبير عن وظيفة صاحب القرار. وعندما يضع العالم نفسه موضع صاحب القرار، سيلغي هدف العلم، وسيتحوّل في النهاية من محلّل إلى مبرر، وبهذا لن يستطيع العالم حتى حفظ مصالحه، والأهمّ من ذلك سبب وجوده، وهو التعرف إلى الحقائق وشرحها والتنبؤ بالمستقبل.

باعتقادك، ما هو هدف علم العلاقات الدوليّة؟ هل تفكّر وطنيًّا وتضع المصالح الوطنية في الأولوية، أو أنّك تفضّل أن تكون عالميًّا بهذا الصدد؟

هذه الأمور ليست مشكلتي، بل المشكلة هي أنّه على أيّ باحث، وضمن قدرته، فهم التغيرات الحاصلة بشكل صحيح، كما عليه أيضًا أن يكون قادرًا على التنبؤ بالمستقبل، ويمكنه بعد ذلك وصف التغييرات، ونتيجة كل عمل، ودراسة الرؤى المختلفة في هذا الصدد.

لا يمكنك أن تقوم بوضع الإرشادات قبل الدخول إلى مجال الشرح والتحليل، فالهدف ليس الوطنية أو شمولية العالم، إنّما الهدف الأصلي من هذا الموضوع، هو الفهم أولًا. في الحقيقة، إن تتبّع المصالح الوطنية أو العالمية بحاجة إلى فهم أولًا، إذ يجب

عليك الحصول على الفهم الصحيح لو أردت الحصول على الأهداف الوطنية أو الأهداف المُثلى.

عندما يكون فهمك مبنيًّا على الأهداف، فمن المحتمل أنّك لن تصل إلى الأهداف أيضًا. أعتقد أنّ المشكلة الأصلية هي أننا نحدد الأهداف أولًا، ثمّ نتجه إلى فهم الواقع، أو بعبارة أكثر واقعية: نرى الواقع بنظارة الأهداف، أو لنقل بشكل أفضل: لا نرى الأهداف.

يقول البعض إنه لا يوجد فهم عيني، فاختيار الوقائع لتحليلها يعود إلى الأرضية الفكرية. إنّني أعتقد بذلك، ولكن لكي تتمكن من الحصول على هذه الأرضية الفكرية، يجب عليك الحصول على أكبر كمٍّ من البيانات ودراستها وشرحها. وبعد ذلك، وفي مرحلة أخرى (ليس بالضرورة أن تكون أفضل أو أعلى أو حتى أدنى)، يقوم صاحب القرار باختيار أهدافه بناء على هذه الوقائع. وعندها، يمكنه اختيار الصَّحيح من بين كلّ الأساليب، بحسب تأثير كل واحدة منها.

من الممكن أن تسألني: ألا تؤثر العقيدة أو البصيرة في اختيار الهدف؟ سأوافقك الرأي، فالعقيدة ستؤثر في كيفية انتخاب الهدف على الأقل. بالطبع، يجب أن تنتبه إلى أنّ نتائج أفعالك ليست قطعية دائمًا، بل ما هي نتائج أفعالك كأحد اللاعبين! هناك مصطلح في مجال العلوم الإنسانيّة هو «Self fulfilling prophecies». مع الأسف، لم يترجم أحد هذه العبارة للفارسية، وربما يمكن ترجمتها بـ «التنبؤات التي تحقق نفسها»، ولكن لننتظر ولنرَ الترجمة التي سيقدمها لنا مجمع اللغة الفارسية!

سأقدّم لك مثلًا يوضح معنى هذا المصطلح: لنفترض أنّك صاحب أسهم شركة كبيرة. وبحسب البيانات، فإنك تتوقع أن تفقد أسهم هذه الشركة قيمتها. لو تصرفت بواقعية، فستبيع الأسهم كي تستفيد من سعرها وهي بأعلى قيمة، وستكون نتيجة بيعك لها كصاحب عدد كبير منها، هو انهيار سعرها أو انخفاضه، أي أنَّ توقعك لأمرٍ ما يسبب وقوعه فعلًا.

يجب أن ننتبه إلى أنّ توقّع الساسة ليس فقط مجرد تصور فكري، بل إنه يتحول إلى عمل على أرض الواقع. ولهذا العمل آثار، فعندما تعمل ضمن إطار خشبي لإحدى هذه النظريات، ولأنّ العمل مبني أساسًا على حكم مسبق، فمن الممكن أن تقوم بتقوية أسس تلك النّظريّة.

بشكل عام، يُعمل على أساس نظرة الواقعيين، والنتيجة هي أنهم يتصورون أن هذه النظرية تنتج الواقع. لا شك في أنّ العمل والتنبؤ بهذه النظرية مفيد لصانعيها، فعندما تريد صناعة قوتك عسكريًّا، بناءً على تعريف القوة الوطنية على أساس القوة العسكرية، ستعمل من أجل تعزيز القوة العسكرية، وستعود الفوائد إلى من يملك أكثر القدرات العسكرية، وستعمل في سبيل تقوية أسس تلك النظرية.

لو أردنا التحدّث بشكل ثوري، سأقول: لو أردت تغيير نظام الهيمنة، يجب أن تكسر النظريات الأساسية والأسس الفكرية. ولهذا أعتقد أنّنا يجب أن لا نفترض أنّنا نريد القيام بعمل ما، فنحن نريد أن نفهم، ولكن أن يكون فهمنا أساسيًّا، وليس ظاهريًّا ومبنيًّا على

النظريـات الموجـودة، والتـي تقـوّي نفسـها. يمكنـك أن تسـمي هـذه النظـرة نظـرة إيرانيـة، أو عالـم ثالثيـة، ولكـن يصطلـح عليها علميًّـا: «النظـرة النقديـة». ورغـم أنّ هـذه النظـرة قريبـة مـن النظـرة النقديـة فـي مدرسـة فرانكفـورت، ولكـن لا يجـب أن تفتـرض أنهـا مثلهـا.

أعتقـد أنّ مـا نفتقـده فـي مجـال العلاقـات الدوليـة هـو النظـرة النقديـة للعلاقـات الدوليـة، ليـس بمعنـى مدرسـة فرانكفـورت، بـل بمعنـى التفكيـر الحـرّ خـارج إطـار النظريـات المعروفـة حاليًّـا وفـي مجـال الأسـس الفكريـة والنظريـة.

أريـد أن أصنـع مـن خاتمتـك مادة لسـؤال آخـر. أعتقـد أنّ أي علم (فـي معنـاه الإيجابي) يحوي نواة أصليـة أو نموذجًا (Paradigm)، وإن حذفنـا هـذه النـواة أو النموذج، فلا يمكننا تسـمية ذلك العلم ـ مثـلًا الكيميـاء، الفيزيـاء أو أي شـيء آخـر ـ باسـمه. وكمثـال، لـو سـلبنا مفهـوم الطاقـة والكتلـة من علـم الفيزيـاء، فلن يكـون لدينا شـيء اسـمه فيزيـاء. في العلوم السياسـية والعلاقـات الدولية، ربما تكـون هـذه النـواة والنمـوذج هما مفهـوم القـدرة، ولو سـلبنا هذا المفهـوم مـن هـذا العلـم، فلـن يبقـى شـيء يُذكـر للدراسـة، إلّا أن هنـاك إبداعًـا أساسـيًّا، بنـاء علمـي ومفاهيـم ونمـاذج أخـرى. ففي أسـاس الإجمـاع الخـاص، يتـمّ تعريف علـم العلاقـات الدولية بعلم دراسـة قـدرة الـدول. كيـف تقيّـم هـذا الأمـر علـى أسـاس النظـرة المعرفيـة [Epistemology]؟

فـي مجـال العلاقـات الدوليـة، تبـرز الحاجـة إلـى نمـوذج ـ حركـة، والنمـوذج لا يعنـي الحقيقـة المطلقـة، بـل يجـب اعتبـاره إطـارًا نظريًّا؛

الإطار الذي يوجّه نظرتك الحالية، والنموذج الحالي للعلاقات الدولية يعني «عمود القدرة»، وهو يساعد على تحقيق مصالح خاصة.

إن الكثير من النظريات، مثل الواقعية وكل فروعها، وكل النماذج المبنية على القدرة الوطنية، تنشأ من هذا النموذج. لست في الموقع المثالي لأعتقد بوجوب تغيير هذا النموذج، ولكنّني كمنتقد أعتقد أنه لا يلبّي الحاجات، لأنّه أولًا لا يشرح كل الظروف الدولية، وثانيًا لا يمكنه الوصول إلى هدف النموذج، وهو الصلح، أي أنّه عاجز عن شرح الكثير من الأحداث، وثالثًا، إن توصيته في النهاية لا تؤدي إلى الصلح، في حال كان القرار يقضي بتقديمه توصية.

هل تعتقد أن نظريات العلاقات الدولية لها هدف وغاية؟ إن المأمول في هذا العالم، والذي تدّعيه السياسة الدولية، هو إقامة النظم في العالم، ما هو إرشادكم في هذا الخصوص؟

إنّ المأمول لدى كل منظّري العلاقات الدولية ـ أو على الأقل من يدعون ذلك ـ هو الوصول إلى الصلح الدائم، كما أنّ سبب النظريات المبنية على النزاعات وتوازن القوى أيضًا، هو الوصول إلى الصلح. ثمة رؤى مختلفة للوصول إلى الصلح، والملاحظة التي أشرت إليها، هي ما أرمي إليه للوصول إلى الصلح، فنحن نحتاج إلى تغيير النموذج وأسس النظريات. لا أقول هذه الملاحظة كتوصية، بل لضرورة تغيير السياسة المبنية على القدرة والمصالح.

على عاتق من تقع هذه المهمة؟ هل تقع على عاتق علماء العلاقات الدولية أو الدول؟

يستطيع كلاهما الوصول إلى هذا الهدف.

إن تدخّلت الدول، قد نصل في النهاية إلى توصية مبنية على المصالح الوطنية، وستتكرّر المشكلة من جديد.

إنّ الملاحظة هي على أساس المصالح الوطنية ونوع السياسات الموجودة حاليًّا في العلاقات الدولية. في الوقت الراهن، من النادر أن نجد لعبة نتيجتها صفر. قد نجد على المدى القصير لعبة مجموعها صفر، أي أن ربحك هو خسارة الآخر، ولكن، على المدى البعيد، كلما ازدادت الاتكالية في العالم، أو بعبارة أخرى، كلما اتجه العالم إلى العولمة، تراجعت اللّعبة ذات النتيجة السلبية، وقد نصل إلى حالة تكون فيها هذه اللعبة غير موجودة، وأعتقد أننا لسنا بعيدين عن هذه الحالة.

إذا كانت نتيجة اللعبة إيجابية، فما هي الحاجة إلى تغيير النموذج؟

إن نتيجة اللعبة تكون إيجابية أو صفر، ولكن إحدى نتائج النموذج الحالي، أو النظرة المبنية على الربح والخسارة، أو اللعب بنتيجة صفر، أنه يقودنا إلى لعبة مجموعها صفر، أي أنّ الجميع خاسرون، عدا أنّ ميزان الخسارة مختلف. أما إذا كان النموذج الحالي يقودنا إلى اتجاه يكون ناتجه إيجابيًّا، فلن تكون لدينا مشكلة.

إذًا، كان نصيبنا في العالم قليلًا، ولهذا وجب علينا طلب المزيد؟

في هذه الحالة، كان علينا طلب المزيد. ولكن كما قلت، إن مشكلة النموذج الحالي تكمن في أنّ مجموع اللعبة السياسية فيه سالب، أي أنّ الجميع خاسرون، حتى إنّ الولايات المتحدة الأمريكية، ومع كل قدراتها، كانت خاسرة. في هذه اللعبة، لا تحصل على الأمان، وتُدَمَّر بيئتك، ويتعرّض رفاه شعبك للخطر، وهكذا حال بقية اللاعبين.

لقد أصبح العالم مترابطًا بحيث لا تستطيع فيه البحث عن مصالحك على حساب الآخرين، ولهذا، يجب أن تتغير العلاقات المبنية على السلطة أو الرغبة في السلطة. يعدّ ذلك تغييرًا في النموذج، ولكنك لا تستطيع التفكير فيه إلّا إذا نظرت بعين المفكّر الحر. ومن أولى واجبات المفكر في مجال العلاقات الدولية، هو أن يحرر نفسه من قيود الرؤى والنظريات التي تقوي هذا النموذج، لأنه لم يَعد مفيدًا.

لهذا، أعتقد أنّنا لو أردنا تحرير العالم من الهرج والنظام السياسي لهوبز[1]، فسنحتاج إلى تغيير النموذج، رغم أنك من المحتمل أن تقلق من مفهوم تغيير النموذج، لأنّ القوة لا يمكنها أن تفقد محوريتها. كما أعتقد أنّ القوة والسلطة في العالم الدولي واقع، فقد كانت السلطة سبب أول عملية قتل حدثت في العالم في حياة

(1) توماس هوبز (1588-1679م): فيلسوف وفقيه قانوني، ساهم في كثير من المفاهيم الحقوقية والسياسية.

آدم أبـي البشـرية، ومـا زالـت السـبب إلـى الآن. ولكـن الواقـع أيضًـا أنّ مـا يسـميه نيتشـه الرغبـة السـلطوية، لا يمكنه تفسـير ما يجري بشـكل يمكنـه الوصـول إلـى صلح مسـتدام.

قـد أكـون مخطئًـا، ولكنّنـي أظن أنّ نتيجـة العمل ضمن إطـار الرؤى الشـائعة تـؤدي إلى تقوية أسـس النماذج التـي أنتجتها.

يـؤدي هـذا الموضـوع إلـى تنـاول موضوعـات أخـرى. فـي السـنين الأخيـرة، قدمـتَ والدكتـور سـجادبور منهجًـا جديـدًا فـي مجـال البحـث فـي الدبلوماسـية المتعددة الأبعـاد للباحثين فـي العلاقات الدوليـة والعلـوم السياسـية، ولا سـيّما للجامعييـن والأكاديمييـن. بدايـة، مـن المهـمّ أن نعـرف الفـرق بيـن الدبلوماسـية المتعـددة الأطـراف ونظريـات الدبلوماسـية العامـة؟ أيّهمـا يمتلـك مميـزات أكثر؟

إنّ الموضـوع ليـس موضـوع مميـزات. ترتبـط الدبلوماسـية بشـكل وثيـق بالسـيادة، كمـا ذكرنا في الكتـاب، ويسـبّب تغيير السـيادة تغييرًا فـي الدبلوماسـية، ودخـول أقسـام جديـدة إليهـا، مثـل الدبلوماسـية الثقافيـة، الاقتصاديـة، القيمية، والمتعددة الأبعاد. كل هذه الأقسـام هي فـروع للدبلوماسـية. نظـرًا إلى تغييـر السـيادة، فقد برزت الدبلوماسـية بشـكل أوضـح، ونظـرًا إلـى حالـة العالـم فـي الخـارج، أصبحـت الـدول مجبـرة علـى قبولها.

تعنـي السّـيادة بالنسـبة إلـى الدولة هويتهـا ووجودها، فـإذا فقدت سـيادتها، فإنهـا سـتفقد هويتهـا. ولهـذا، فـإنّ الدول حساسـة جـدًّا تجاه

سيادتها، وتتعامل بحذر في هذا المجال، ولكن الظروف الدولية أجبرت الدول، طوعًا أو كرهًا، على قبول واقع غير سيادتها.

إن الدبلوماسية المتعددة الأبعاد والعامة والقيمية، من النماذج المحسوسة التي انتبهت الدول إليها. أما الدبلوماسية العامة، فتعني العمل مع بقية اللاعبين غير الدوليين، بغض النظر عن علاقاتهم الثنائية مع بعضهم البعض، فلا يمكن للدول أن تعمل مع دول مثلها فقط، بل يجب عليها إقامة علاقة مع شعوب العالم وتقديم رؤيتها إليها، وهذا يعني حيازتها لقوى ناعمة وقوة الشرعية وتسخير القلوب والعقول.

كل هذا ناتج من تغيير مفهوم السيادة، الذي تأثر بالظروف العالمية، وانتشار الاتصالات، والاتكال المتبادل بشكل معقد، أو بعبارة أخرى «العولمة»، وقد أدّى هذا المفهوم إلى حاجة «السيادة» إلى أدوات جديدة. منذ مئتي عام، كانت الدبلوماسية المتعددة الأبعاد إحدى هذه الأدوات، وقد فُرضت الدبلوماسية العامة والثقافية والاقتصادية مع تغييرات القرن العشرين على الدول.

ولكن قد يبدو أنّ الدبلوماسية المتعددة الأطراف لاحقة.

لا، إن الدبلوماسية المتعددة الأبعاد سابقة للدبلوماسية العامة، فالأخيرة من مظاهر نهاية القرن العشرين، بالتزامن مع ثورة الاتصالات، حيث لم تعد الدول تستطيع اختيار مستمعيها والوصول إليهم جميعًا.

هل تستطيع أن تذكر معايير كل واحدة منهما مع اختلافاتهما بشكل ملخّص؟

إنّ الدبلوماسية المتعدّدة الأبعاد، وفقًا لتعريفنا، هي نوع من الدبلوماسية تتدخّل فيها أكثر من دولتين. أما الدبلوماسية العامة، فهي جهد الدول لإقامة علاقة مع اللاعبين غير الدوليين، أي الناس.

دخل اللاعبان غير الدوليين في الدبلوماسية المتعددة الأبعاد، ولكن الدول لا تزال هي اللاعب الأساس. في السابق، كان يقال للمنظمات العالمية إنّها منظمات دولية، ولكن أصبح من النادر رؤية مصطلح «دولي» في الأدب السياسي الحديث، لأنّ الدول ليست اللاعب الوحيد في المنظمات العالمية.

ثمة فصل كامل من كتابنا مخصّص للّاعبين في المنظمات العالمية والدبلوماسية المتعددة الأبعاد.

أظنّ أنّ الدبلوماسية العامة تشرعن العلاقات الدولية. عندما نتحدَّث عن العلاقات الدولية، نبدو وكأنّنا نشير إلى الرابط والمشترك بين جميع شعوب العالم، ولكننا نرى عمليًّا أنّ «الخلطة» التي تدعي المشترك بين جميع الشعوب غير موجودة أو نادرة. لهذا، لدينا في العالم اليوم الشمال والجنوب، الفقير والغني، الأسود والأبيض، الضعيف والقوي.

هذه الحدود على طريق الاضمحلال، لأنّ عالم الأغنياء لا يمكنه التقدم على حساب الفقراء، ذلك أن الجدران ستنهار بسرعة. يقول البعض إنّ أحداث الحادي عشر من سبتمبر/أيلول متعمدة،

لأنّهم يظنون أنّ أمريكا أقوى القوى في العالم، وأنّها غير قابلة للهزيمة.

أعتقد أن نظرية المؤامرة ناتجة من الإحساس بالضعف. إنّ أمريكا قابلة للهزيمة، لأنّ القوة الخشنة لا يمكنها اليوم تحديد كل شيء. ولهذا، برزت المنظمات الدولية، والدبلوماسية المتعددة الأبعاد، والأشكال الجديدة للدبلوماسية. وتعدّ الدبلوماسية القيمية أحد هذه الأشكال الجديدة، بالنظر إلى الشرعية والقوة اللتين تحملهما القيم.

تتمّ الشرعنة اليوم في الدبلوماسية القيمية والدبلوماسية المتعددة الأبعاد، لأنها من أهداف الدبلوماسية المتعددة الأبعاد. وحاليًّا، تقوم قناة الجزيرة حاليًّا ومنظمة الأمم المتحدة بالشرعنة، التي تعتبر من الفروع الجديدة للعلاقات الدولية، وهي بارزة في العديد من المجالات.

يبدو أنّ أهم أمر في مجال الشرعنة هو التغييرات التي تفرضها العولمة عن طريق منظمة الأمم المتحدة. كمثال، يعتقد الكثير أنّ الرؤية الشرقية، الإسلامية، الإيرانية، وسائر مراكز المدنية، لم تؤخذ بعين الاعتبار عند كتابة المنشور العالمي لحقوق الإنسان في العام 1948م، بل كُتب منشور حقوق الإنسان بحسب القيم الليبرالية–الديمقراطية والثقافة الغربية، على الرغم من أنّني أعتقد أنّ الكثير من مضامينها، مثل احترام الكرامة الإنسانية، حقّ الحياة، حقّ التعليم، منع التعذيب وغيرها، هي مضامين عامة وعالمية، وليست شرقية أو غربية. رغم ذلك، أعتقد بالنظرة التي تقول بخلوّها من الرؤية الإيرانية الإسلامية، وبشكل أعم، الرؤية

الحضاريـة للشـرق الأوسـط. لهـذا سـألتك فـي بدايـة الحديث: هل تعتقـد بضـرورة تشـكيل رؤيـة جديدة بهـذا الخصوص؟

ذكـرتُ ملاحظـة بخصـوص حقـوق الإنسـان فـي أحـد المقـالات، وعرضتها أيضًا في الاجتماع المشـترك بين المؤتمر الإسـلامي والمفوضية العليـا لحقـوق الإنسـان، وأنـا لا أتحـدث هنـا عـن الرؤيـة الإيرانيـة أو الإسـلامية. إذا أردنـا لمنشـور حقوق الإنسـان أن يكون عالميًّـا، فعلينا أن ندخِـل جميـع الآراء فيـه. هـذا لا يعنـي نقـض حقـوق الإنسـان أو تبرير نقضـه، بـل يعني أنّ على هذا المنشـور أن يكون حاضنًـا لثقافة عالمية.

لا شـك في أنّ التعذيب مُدان في كل المدارس والمذاهب والثقافات، وأن حـق الاختيـار وحريـة الاختيـار شـرعيان، ولكـن إطـارات تعريفهمـا مختلفـة. هـذا الأمـر بحاجـة إلـى حـوار مشـترك، أعتقـد أنـه لا يـزال غير موجـود. مشـكلتنا هـي أنّنـا نجعـل هـذه الخصوصيـات الثقافيـة حجـة للنقـض. يقال بحسـب مصطلح حقوق الإنسـان «الخصوصيـات الثقافية»، لهـذا يبـرز العاملـون فـي مجـال حقـوق الإنسـان حساسـية بالنسـبة إلى هـذا النقـض. يعتقـد أولئـك أنّ موضـوع ضـرورة نشـر مفهـوم تعريفـات حقـوق الإنسـان عالميًّـا، أداة ومؤامـرة مـن الـدول الإسـلامية والشـرقية للتهـرب مـن هـذه الحقوق. بالطبـع، قد يكون هـذا الهدف موجـودًا عند البعـض، ولكنّنـي أعتقـد أنّ هـذه المفاهيـم بحاجـة إلـى مفهوم مشـترك لكـي تدخـل حيـز التنفيـذ فـي المجتمعـات المختلفة. ولا يمكـن حصول هـذا الأمـر إلا بالحـوار وتلاقـح الأفكار.

أنـت تسـمي هـذا الأمر إدخـال الرؤيـة الإيرانية فـي الموضـوع، وأنا أسـميه عولمـة حقوق الإنسـان.

إذًا، هل تختلف تعريفاتنا فقط؟

نعـم. ومـن الطبيعي أن أضيف أنّ علينا توفير إمكانية إشـراك الرؤى الأخـرى في رسـم السياسـيات، علمًا أن ذلك لا يعنـي أنّ جميع الثقافات تريـد إدخـال خصوصياتها الثقافية في الإعلام العالمي لحقوق الإنسـان.

وصفـت فـي مقـال باسـم «تأمّـلٌ حـول الإرهـاب، الحـوار والأخلاق العالميـة»[1]، أحـداث الحادي عشـر مـن سـبتمبر/أيلول، بالملحمة، وهـو مـا يثبت مـن ناحية أنّ البشـرية لا تـزال ضعيفة، ومـن ناحية أخـرى قـدرة البربريـة والهمجيـة علـى الإضـرار بالمجتمع البشـري. نظـرًا إلـى التفسـيرات المختلفـة لهـذه الحادثـة خـلال السـنين الماضيـة، كيـف تنظـر إليها؟

أعتقد أن حادثة الحادي عشـر من سـبتمبر/أيلول هي نتيجة مخيفة وغيـر قابلـة للتبريـر، ولكنها نتيجـة طبيعية للنظام الحاكـم دوليًا. بعبارة أخـرى، هـذا النظـام قائـم علـى تقديـس القـوة، ويحتفـل بالنصـر حتـى بقتـل النـاس فـي الحـرب. عندمـا تدخـل هـذه الرؤيـة إلـى المجتمـع، تقـوم المجموعـات التـي لا تتمتـع بالقـدرات العسـكرية المباشـرة، أو العمليـات المنظمـة، بسـلوك غيـر منظـم، لكـي لا تتخلّـف عـن لعبـة القوة.

(1) انظر:
Javad Zarif. Reflections on Terrorism, Dialogue and Global Ethics; the Journal of Diplomacy and International Relations, 2002.

في الحقيقة، الإرهاب هو استغلال لأداة العنف الجماعية نفسها التي تستخدمها دول مثل أمريكا في العراق وأفغانستان؛ ومن لا يملك الأدوات المتطورة والقوية، يستخدم أدوات أخرى. لهذا، فإنّ اجتثاث الإرهاب لا يكون عبر التصدي للمجموعات التي تقوم بهذه الأعمال فقط.

بالطبع، هذا لا يعني أنّ نبرّر جرائم أشخاص مثل أسامة بن لادن أو طالبان، فكما قال السيد القائد بعد الحادي عشر من سبتمبر/ أيلول: «هذه الجرائم ليست جهادًا، بل إنّ التصدي لها جهاد». ولكن، إن كنا نريد النظر بواقعية، فإنّ هذه الجرائم ناتجة من رؤية حكم القوة، أو ما يسميه نيتشه «الرغبة بالسلطة».

لهذا قال السيد خاتمي في بداية أحداث الحادي عشر من سبتمبر/ أيلول، إنّ سلوك بوش وطالبان وجهان لعملة واحدة. هذا الكلام ليس شعارًا، بل هو قائم على الفكرة التي تقول: ما دامت الرغبة في السلطة هي الحاكمة في العلاقات الدولية، فلا يمكن أن ننتظر استسلام من لا يملك القدرة. في الحقيقة، يجب أن نتوقع ممن لا يملك القدرة أن يحصل على الأدوات التي تُعدّ شرعية، وأن يستخدمها.

كمثال، كان ضحايا العمليات التي قام بها الأمريكيون في الفلوجة في العراق، يتكونون من 5% من العسكريين أو أتباع القاعدة، و95% من غير العسكريين. يطلقون في القاموس العسكري اليوم على هؤلاء الضحايا، عبارة الخسائر الجانبية، ولكن لو قامت مجموعة غير حكومية بتلك العمليات، فسيسمّونها إرهابًا بالتأكيد. أعتقد أنّ الأمرين لا يختلفان من حيث الجوهر، فكلاهما عمل إرهابي واستغلال غير شرعي للعنف.

في بعض القنوات التلفزيونية، مثل فوكس نيوز Fox News، يُقدَّم قتل الناس كانتصار وأيقونة للقوة والعنف. وكما ذكرت سابقًا، لطالما تمّ تقديس القوة، بل العنف والقتل، يجب أن ننتظر أن تستغل المجموعات التي لا تملك القوة، الأدوات غير المنظمة للعنف، وكلاهما مدان وغير قابل للتبرير، ولهذا يجب التصدي لهما.

بالطبع، لا يعني هذا الكلام أنّ الإرهاب يكون شرعيًّا ما دامت الولايات المتحدة تستخدمه، بل إن كنت تريد مناهضة الإرهاب، يجب عليك أن تعلم هذه الحقيقة. هذا ما قلته بتاريخ 2 أكتوبر/ تشرين الأول من العام 2001م في خطاب في الجمعية العامة للأمم المتحدة، وهو ما نشرته في مجلة جامعية أمريكية. أعتقد أنّ هذا الموضوع منطقي وعلمي وعقلاني. وإن كنا نريد التصدي لجذور الإرهاب، فيجب أن نسلك هذا الطريق.

يعتقد البعض أنّ أحداث الحادي عشر من سبتمبر/أيلول هي عملية إسرائيلية، أو أنّها حصلت بيد أميركية أو بإيماء أميركي. وهناك من يرى أنّها مسرحية ليتمكن بوش وفريقه من المحافظين الجدد من الرد عليها بعمل عسكري. كيف تفسّر هذه العملية؟ وهل تظنّ أنّ التحليل القائل إنّ العملية أميركيّة صحيح؟

لا، لا أظنّ أنّ العملية أمريكية. هذا التحليل ناتجٌ من ظنّهم بأنّ بوش وحاشيته منتفعون ـ على المدى القصير على الأقلّ ـ من العملية، ولكن بسبب غفلتهم عن الآثار الطويلة الأمد، فقد فقدوا سمعتهم وخسروا الانتخابات، ولهذا لم يعد أحد يذكرهم اليوم.

كمثال طريف، حصلنا ـ السيدة كونداليزا رايس وزيرة خارجية أمريكا في حكومة بوش الابن وأنا ـ على شهادة الدكتوراه من جامعة دنفر. في تلك الفترة، كانت الجامعة تطبع صورنا في إعلاناتها. أما اليوم، فلم تعد تطبع صور السيدة رايس، في الوقت الذي أبقت فيه على صوري، لأنّ طريقة تفكيرهم لم تعد تحظى بسمعة جيدة في أمريكا. ولأنّ أحداث الحادي عشر من سبتمبر/أيلول حققت نصرًا مؤقتًا لحكومة بوش، ووفرت أرضية لتقدم الأهداف الأمريكية، فهم يدّعون أن الحادي عشر من سبتمبر/أيلول عمل أميركي.

من الأفضل أن لا نتجه إلى نظرية المؤامرة ما دمنا قد تمكنّا من تفسير الأحداث، لأن نظرية المؤامرة غير قابلة للإبطال، ذلك أنك عندما تدخل في نظرية المؤامرة، فلن تستطيع الخروج منها، وسترى كل شيء ضمن هذا الإطار، ولن تتمكن من تفسير أي شيء آخر. في الحقيقة، إنّ النظرية جيدة ما دامت توفر لنا إمكانية التحليل بشكل أفضل، ولكنّ نظرية المؤامرة لا تساعد على التحليل.

أعتقد في النهاية أنّ مصالح المتطرفين في كل العالم واحدة، فمن الطبيعي أن يكون ما يدَّعونه مختلفًا، ولكن مصالح السيد بوش وابن لادن تقع ضمن الحرب والخصام. ألم تكن أحداث الحادي عشر من سبتمبر/أيلول مفيدة للقاعدة كما كانت مفيدة لأمريكا؟ من كان يعرف القاعدة حتى ذلك الحين؟ أصبحت القاعدة بعد ذلك «أيقونة المقاومة المسلّحة» مقابل الولايات المتحدة، أي أنّ المنظّمة نفسها التي كانت فيما سبق صناعة أمريكية للتصدي للشيوعية والاتحاد

السوفياتي في أفغانستان، أصبحت اليوم وبالًا عليها. لهذا، يعدّ الحدث نصرًا للقاعدة أيضًا، كما هو نصر للرئيس بوش، ورغم ذلك، فهما على اختلاف واضح.

لو قرأت أكثر الصحف الأمريكية والإسرائيلية حدّةً، وكذلك أكثر صحف الجمهورية الإسلامية حدّة، ستلاحظ أنّ كلًّا منها يستند إلى الآخر؛ أي أنّ الصحف الأمريكية تستند إلى أكثر صحفنا حدّة، وأكثر صحفنا حدة تستند إلى إحدى الصحف الأمريكية. ولو حدث تغيير إيجابي ما، لن يكون إيجابيًّا لدى هذه الصحف ولن يبرز، بل ستظهر فيها التغييرات السلبية فقط. تقوم فوكس نيوز Fox news في الولايات المتحدة الأمريكية، وجيروزاليم بوست The Jerusalem Post في إسرائيل بهذا الفعل. بشكل عام، التطرف يبعث على التطرف ويشجع عليه، ولهذا يجب أن لا ننظر إلى الحادي عشر من سبتمبر/أيلول من منظور المؤامرة.

في الحقيقة، حصلت أحداث الحادي عشر من سبتمبر/أيلول كنتيجة لتقاطع مصالح بوش وابن لادن. إنّ مصالح بوش ومصالح ابن لادن وجهان لعملة واحدة؛ عملة العنف، تقديس القوة، ودهس القيم الأخلاقية والإنسانية والحقوقية.

لنتخطّ موضوع الحادي عشر من سبتمبر/أيلول، ثمة موضوع طريف في الحقوق الدولية يخصّ ليبيا. كما تعلم، لقد أصدر مجلس الأمن قرارًا ضدّ ليبيا، وخاض الغرب بقيادة الناتو حربًا عسكرية ضد

هـذا البلـد، سـقطت حكومة معمّـر القذافي بموجبهـا. الموضوع البارز بهـذا الخصـوص هو كيفية تفسـير بعـض مبادئ ميثاق الأمـم المتحدة، مثـل مبـدأ سـيادة الـدول أو مبـدأ حـقّ الدفـاع. يعتقـد البعـض أنّ هـذه الأسـاليب هـي انتهاك واضـح للسـيادة الوطنية للـدول، ومخالفة لقوانيـن العلاقـات الدوليـة. ويعتقـد آخـرون خـلاف هذا، بحجـة أنّه لا يمكـن التصـدي بشـكل مؤثـر لأنظمة مثل نظـام معمّـر القذافي. ويرى هـؤلاء أنّ الحقـوق الدولية يغلـب عليها الجانب الإرشـادي والاقتراحي، ولهـذا فـإنّ اسـتغلال بعـض قوانيـن الحقـوق الدوليـة فـي الحـالات الخاصـة يـؤدي إلـى خلـل في الصلـح والأمـن الدولي. كيـف تحلّل هذا الموضـوع، ولا سـيّما فيمـا يخـص النمـوذج الليبي؟

أظـنّ أنـه ينبغـي أن نعـرف التغييـر الحاصـل قبـل أن ننظـر إلـى الموضـوع مـن ناحيـة قيميـة، لنعـرف إذا كان مـا حـدث جيدًا أو سـيئًا. إنّ موضـوع ليبيـا ليـس البدايـة، إنّمـا هـو البدايـة العمليـة للموضـوع. ثمـة تغييـر يحصـل منـذ مـدة فـي مجـال الحقـوق الدوليـة وفـي مجال السـيادة؛ هـذا التغييـر أساسـي، وأظّـن أنّ إحدى مشـاكلنا الأساسـية في العالـم الثالـث عـدم فهـم هـذا التغييـر.

لهـذا ذكـرت موضـوع تغييـر السـيادة كأمـر مهـمّ فـي مجـال الدبلوماسـية المتعـددة الأبعـاد فـي الكتـاب، وفـي محاضراتـي، ومنهـا محاضـرة علميـة فـي جامعـة طهـران. كمـا اقترحـت علـى الأصدقـاء أو الطلبـة الذيـن يريـدون الكتابـة، الانتبـاه إلـى هـذا الموضـوع. أظـنّ أنّ

فهم هذا الموضوع مهمّ جدًا بالنسبة إلينا، وأقترح أن تقرأ بداية الفصل الرابع من الكتاب الخاص بي وبالدكتور سجادبور[1].

على أيّ حال، لقد تغيّرت السيادة اليوم كثيرًا بعد أن كانت مطروحة كإطار. السيادة مترافقة مع عنصري عدم التدخّل وتساوي السيادة، تغير هذين العنصرين منذ القرن التاسع عشر. إنّ أوّل مجالات التغيير كان التدخل في الجانب الخارجي، وقد كان من حقّ الدول فيما سبق أن تقيم سياستها الخارجية كما تحبّ. أُصيبَ هذا الحق منذ أوائل القرن العشرين بشكل جاد، وأصبح مقيّدًا بشكل كامل في ميثاق الأمم المتحدة. ورغم أنّ منع التدخل في الشؤون الداخلية ذُكر بشكل صريح في الميثاق، فإنّ التغييرات اللاحقة في المضمون والمفهوم جعلته مختلفًا تمامًا.

في مجال حقوق الإنسان، ينصّ الميثاق على التعاون فقط. تنفيذيًا، كان المجلس الاقتصادي والاجتماعي حتى أوائل السبعينيات، يرفض تعرض الدول للرقابة والدراسة ضمن لجنة حقوق الإنسان. كان دور اللجنة ينحصر في وضع القوانين وإشاعة حقوق الإنسان. لذا تُسَمى تلك الفترة بـ«فترة إشاعة حقوق الإنسان»[2]، ولكن مع ضغط دول العالم الثالث، ونظرًا إلى وجود حكومات قمعية في جنوب أفريقيا ـ رودزيا (زيمبابويه حاليًا) و«إسرائيل» ـ سمح المجلس

(1) محمد جواد ظريف، سيد محمد كاظم سجادپور. ديپلوماسي چند جانبه، [الدبلوماسية متعددة الأبعاد]، انتشارات وزارت خارجه، تهران: 1391.

(2) بالإنجليزية:

Human rights promotion.

الاقتصادي والاجتماعي للجنة حقوق الإنسان بالنظر في نماذج انتهاك حقوق الإنسان، ووصل هذا التغيير إلى المحاكمة بسبب انتهاك حقوق الإنسان، وهو ما يبعث تناقضًا في مجال تساوي السيادة وفي مجال عدم التدخل. نهاية هذا الموضوع هو التدخل لصالح حقوق الإنسان أو مسؤولية الحماية.

أريد شرح المزيد بهذا الخصوص. يجب أن نعلم أنّه لم يبقَ من السيادة بمفهومها في القرن التاسع عشر شيءٌ سوى الاسم. لو لم يحدث هذا التغيير في السيادة، لم يكن ليبقى الاسم أيضًا، أي أنّ السيادة لم يكن لها أن تتأقلم مع الظروف اليوم، ولتعرضت لتغيير ثوري.

إنَّ التّغيير الحالي هو تغيير داخل مفهوم السّيادة، حيث تمكَّنت الأخيرة من التأقلم مع الواقع عبر أدواتها، وقد أشرت في هذا المجال إلى حقوق الإنسان. إن التغييرات في مجال التسلّح ونزع السلاح وفي مجال التدخل لصالح الإنسانية جذرية وأكثر أهمية؛ كانت الدول قبل الميثاق ترى لنفسها حقًا باسم حق التدخل لصالح الإنسانية، وهو من نتاج مدرسة فكرية تسمح للدول بالمساعدة الذاتية لكي تدافع عن نفسها. وبالطبع، فإنّ الدفاع المشروع جزء من هذه المساعدة الذاتية التي تعرضت لتغيير أساسي مع الميثاق.

أعتقد شخصيًا أنّ مبدأ المساعدة الذاتية تغيّر حتى قبل ميثاق

الأمـم المتحـدة. ففـي العـام 1928م، غيّـر ميثـاق كيلـوغ - بربيـان[1] أو اتفاقيـة باريـس مبـدأ المسـاعدة الذاتيـة، لأنّ مبـدأ عـدم اللجـوء إلـى القـوة ومنـع الحـرب، بديـلان لمبـدأ المسـاعدة الذاتيـة، ويبقـى فقـط الدفـاع مقابـل الهجـوم المسـلّح، إذ لا يقـال لـه حينئـذ مسـاعدة ذاتية.

فـي المدرسـة الأولـى للحقـوق الدوليـة، كان الدفـاع المشـروع جزءًا مـن مبـدأ المسـاعدة الذاتيـة، وكانـت التدخـلات لصالح الإنسـانية جزءًا مـن فـروع مبـدأ المسـاعدة الذاتيـة. كان من حـق الـدول أن تدافع عن رعاياهـا أو التدخـل للدفـاع عـن الرعايـا المرتبطيـن بهـا. تاريخيًّا، حدث هـذا التدخـل بعـد ميثاق الأمـم المتحـدة، ولكن منظمة الأمـم المتحدة لـم تعتـرف بـه أبـدًا، واعتبرتـه غيـر قانونـي دائمًـا، مثـل تدخـل الهنـد فـي بنغـلادش وباكسـتان وتدخل تنزانيا فـي أوغندا، وتدخـل أمريكا في غرينـادا. وقـد كان عنـوان كل هـذه التدخـلات تدخـلات إنسـانية، ولكن المجتمـع الدولـي اعتبرهـا مرفوضة.

نظـرًا إلـى أنّ التدخّـل لصالح الإنسـانيّة هو من آثار مبدأ المسـاعدة الذاتيـة، فلـم يعـد لـه مـكان فـي الحقـوق الدوليـة، ولكنني استشـعرت ضـرورة ابتعاثـه من جديد، وخصوصًـا مع تغييرات نهايـة الحرب الباردة فـي الغـرب تحديـدًا، ذلـك أنّ الوضـع الداخلـي للـدول لـم يعـد مجـال تنافـس بيـن الشـرق والغـرب، ولم تعد الـدول مناطـق نفوذ.

(1) ميثاق كيلوغ - بريان Kellogg-Briand Pact: ميثاق وقعت عليه 15 دولة في باريس في 27 أغسطس/آب 1928، ودخل حيز التطبيق في 24 يوليو/تموز 1929. صدقت عليه 57 دولة لاحقًا، وهو ينصّ في مادته الأولى على استنكار لجوء الدول إلى الحرب لتسوية الخلافات الدولية.

بـدأ الغـرب بتوفيـر أرضيـة لهذا الأمـر، فلو نظرت إلـى أدبيات نهاية عقـد الثمانينيـات، لرأيـت أنّهـم كانـوا يخططـون لأطـر تمنـح تدخـلات المصالـح الإنسـانية صبغـة قانونية. أشـهر هذه الخطط كانـت تلك التي كتبهـا السـيّد كاسسـه فـي الثمانينيـات، وقد ذكـر فيها مجموعة شـروط لتكـون التدخـلات الإنسـانية قانونيـة. ورغـم ذلـك، لـم تحصـل هـذه الخطـة علـى قبـول دولـي، لأنّ الاعتمـاد علـى القـوة هـو الطريقـة التي تقـوم بهـا الـدول الكبرى لحفظ مصالحهـا، ولهذا لا يرغـب أحد في منح الشـرعية للاعتمـاد علـى القوة.

فـي التسـعينيات، وقعـت حادثتـان فظيعتـان فـي أوروبـا وأفريقيـا، همـا أزمـة البلقـان وأزمـة روانـدا، وكانتـا عبـارة عـن إبـادة جماعيـة. صحيـح أنّ الإبـادة الجماعيـة كانـت توفـر مجـالًا واسـعًا مـن الخيـارات الدوليـة منـذ اتفاقيـة منـع الإبـادة الجماعيـة فـي العـام 1948م، ولكنّها أثـارت الكثيـر مـن التعاطـف فـي الفكـر العـام، ولـم تتمكن الـدول من تقديـم إجابـة علـى هـذا التعاطـف. وكانـت لهـذه الأحـداث نتيجتـان:

النتيجـة الأولـى هـي تقييـد السـيادة فـي مجـال الحصانـة، وهـو مـا أدّى إلـى نشـوء محاكـم خاصـة فـي مجلـس الأمـن والمحكمـة الجنائية الدوليـة. والجديـر بالذكـر فـي موضـوع المحكمـة الجنائيـة الدوليـة، أنّهـا أنشـئت علـى الرغـم من الاعتـراض الأمريكـي، فقد كانـت الولايات المتحـدة ترغـب فـي محكمة خاصة في مجلـس الأمن، لأنّهـا أكثر قدرةً علـى حفـظ مصالحهـا فيهـا. وفي النهايـة، تمّ تأسـيس المحكمـة بقيادة أوروبـا وأفريقيـا وأمريـكا اللاتينيـة إلـى حـدٍّ ما.

النتيجة الثانية هي موضوع التدخّل، وهو ما استغرق وقتًا أطول. مع أحداث رواندا وبقية التغييرات، مثل عمليات حفظ السلام للأمم المتحدة، وكذلك أحداث يوغسلافيا، وخصوصًا صربيا، قام الناتو بعمليات عسكرية دولية أثرت في موضوع السيادة. يعود هذا الأمر إلى عجز الأمم المتحدة عن اتخاذ إجراءات جديدة لحفظ السلام، ولهذا وجبت عمليات فرض السلام[1]، ولم تكن لدى الأمم المتحدة الأدوات العسكرية اللازمة.

هذا الموضوع طريف من حيث معرفة المنظّمات الدّوليّة والدبلوماسيّة المتعدّدة الأطراف، وقد حدثت التغييرات في مجال آخر هو «التدخّل». في الحقيقة، تمّ الطعن في «شرعية» السيادة، لأنّ السيادة هي التي كانت تقوم بقمع شعبها، لهذا تدخلوا عن طريق القول بأنّ شرعية السيادة ناتجة عن دعم شعبها.

إنّ الأسس النظرية لهذا الموضوع موجودة في النظرية الليبرالية، حيث كتب السيد جان رالز ـ وهو من المفكرين المعروفين في مجال النظرية الليبرالية من ناحية فلسفية في مجال السيادة ـ في الثمانينيات والتسعينيات، الكثير من الموضوعات بهذا الصدد، منها كتاب باسم «قانون الشعب»[2]. ومما كتبه في إحدى مقالاته أنّ السيادة يمكنها مخالفة التدخل الأجنبي ما دامت تتمتع بشرعية

(1) بالإنجليزية: Peace enforcement.
(2) انظر:

John Rawls. The law of peoples.

داخليـة، وهـو يقسّـم السـيادة إلى ثلاثـة أنواع هــي: السـيادة الليبرالية، الهرميـة والاسـتبدادية، ثـمّ يحـدد حقـوق كل واحـدة منهـا.

نتجـت عـن أزمـة روانـدا ويوغسـلافيا بيئـة عالميـة. وقـد دفعـت الأحـداث التـي تلتهـا، مثـل الحـروب الداخليـة فـي أوروبا، الأميـنَ العام للأمـم المتحـدة السـيد كوفـي عنـان، إلـى أن يخطـب قائـلًا: «السـيادة تعنـي المسـؤولية وليسـت القـوة، وإن لم تتمكـن من القيـام بواجباتها، ولـم يكـن مجلـس الأمن مسـتعدًا للقيـام بأمر حيـال هذا، هـل علينا أن ندعهـم يقتلـون النـاس؟». لقـد قـال ذلـك فـي الجمعيـة العامـة، وكتبـه فـي مقـال طبـع فـي العـام 1998م أو فـي العـام 1999م، فـي مجلـة الإيكونوميسـت The Economist.

وقـد اسـتغلّت كنـدا الوضـع، فقامـت بتشـكيل لجنـة ـ بصـورة غيـر شـفافة ـ باسـم لجنـة المسـؤولية للحمايـة[1]. وكانـت نتيجتهـا تقريـرًا صـدر فـي العـام 2001م، يتنـاول مسـؤولية الحمايـة. وبذلك، تأسّـس مفهـوم جديـد بهـذا العنـوان، وهـو نسـخة متطـورة للتدخـل الإنسـاني. فـي الحقيقـة، إنّ «مسـؤولية الحمايـة» أو «التدخـل الإنسـاني»، والـذي كان فـي السـابق حقًـا للـدول، أصبـح مسـؤوليّة علـى مسـتوى أعلـى.

(1) انظر:
The International Commission on Intervention and State Sovereignty (ICISS).
انظر حول هذه اللجنة:

www.responsibilitytoprotect.org

هـل قامـت كنـدا لوحدهـا بهذا العمل أو شـاركتها بـه مجموعة من الدول؟

كانـت كنـدا دولـة رائـدة فـي هـذا المجـال. لا بـدّ مـن أنّ بعـض الـدول كانـت تدعمهـا، ولكـنّ هـذه العملية تمّت بشـكل مغلق نسـبيًّا. بالطبـع، تمّـت دعـوة بعـض الحقوقييـن المؤيديـن لهـذه النظـرة مـن العالـم الثالـث. فـي النهاية، صـدر التقرير فـي العـام 2001م، وقُدّم إلى الجمعيـة العامـة، ولكنّهـا لـم تبـدِ اسـتعدادًا لدراسـته، لأنّ دول العالـم الثالـث كانـت تظـن أنّ هـذا الأمـر يوفّـر الأرضيـة لمزيـد مـن تدخّـل الـدول القويّـة.

فـي الواقـع، كان هـذا الأمـر موافقًـا لموضوعيـن قدمتهمـا الولايـات المتحـدة الأمريكيـة، همـا: الدفـاع الاسـتباقي والدفـاع الوقائـي[1]. كان مـن الواضـح بـذل الجهـود من نواحٍ عـدة لتوسـعة تقنيـن الاعتماد على القـوّة، أي تشـكيل بيئـة شـرعية للاعتمـاد علـى القـوة، وقائيـة كانت أو اسـتباقية، إضافـة إلـى مـا فـي الميثـاق مـن الاعتماد علـى القـوّة مقابل الهجـوم المسـلّح. لهـذا، استشـعر المجتمـع الدولـي، أي مجموعة الأمم المتحـدة، القلق.

كيف كانت نهاية هذا الموضوع؟

كانـت النهايـة مـا حـدث فـي العـراق وأفغانسـتان. بدأ القلـق حيال تـرك الولايـات المتحـدة أو إخراجهـا لشـؤون مهمـة مـن منظمـة الأمـم

(1) بالإنجليزية: Preemtive and preventive.

المتحـدة، فقـد ذكـر الأميـن العـام للأمـم المتحدة، وبشـكل رسـميّ، أنّ تدخـل أمريـكا فـي العـراق غيـر قانونـي، وظـنّ أنّ مـن الواجـب إعـادة أكبـر قـوة للأمـم المتحـدة بـأيّ طريقة.

صحيـح أنّنـي أختلـف مع السـيد كوفي عنان بشـأن سـلوكه، ولكني أفهـم سـبب ذلـك، فهـو يعتقـد أنّ آليـة تعديـل السـلطة فـي الأمـم المتحـدة تعمـل إن كانـت السـلطة منطلقـة من داخـل المنظمة فقط، ولكنّهـا إذا انطلقـت مـن الخـارج، فلن يتوفـر هذا القدر مـن التعديل. كمـا قلـت، لـديّ انتقاد لهـذه النظـرة، وقد أحبَطـتُ إجماعًـا عليها في بعـض المحافـل الدوليـة، ولكنّهـا نظـرة موجودة علـى أي حال.

فـي العـام 2004م، شـكّل الأميـن العـام لجنة سياسـية عليـا لتحديث هيـكل الأمـم المتحـدة، بهدف التلاؤم مـع الواقع، بحيث تقنـع الولايات المتحـدة الأمريكيـة بالعمـل داخـل الأمـم المتحـدة أو تفرضـه عليهـا. قدَّمـت اللّجنـة اقتراحين للتصـدّي للقوة الأمريكيّة من جهة، ولمسـاعي الولايـات المتحـدة فـي الاسـتفادة من هذه القـوة من جهـة ثانية؛ الأول شـرح موسّـع للمـادة 51[1] مـن ميثـاق الأمـم المتحدة، والثانـي موضوع مسـؤولية الحماية.

(1) نصّ المادة 51 من الفصل السابع بعنوان «فيما يتخذ من الأعمال في حالات تهديد السلم والإخلال به ووقوع العدوان»: ليس في هذا الميثاق ما يضعف أو ينتقص من الحق الطبيعي للدول، فرادى أو جماعات، في الدفاع عن أنفسهم إذا اعتدت قوة مسلحة على أحد أعضاء «الأمم المتحدة»، إلى أن يتخذ مجلس الأمن التدابير اللازمة لحفظ السلم والأمن الدولي. والتدابير التي اتخذها الأعضاء استعمالًا لحق الدفاع عن النفس، تُبلّغ إلى المجلس فورًا، ولا تؤثر بأي حال، فيما للمجلس ـ بمقتضى سلطته ومسؤولياته المستمرة من أحكام هذا الميثاق ـ الحقّ في أن يتخذ في أيّ وقت، ما يرى ضرورة لاتخاذه من الأعمال لحفظ السّلم والأمن الدولي أو إعادته إلى نصابه.

في الشّرح الموسّع للمادة 51، قالوا، بشكل غير مباشر، إنّ الفهم الصحيح للميثاق هو السماح بالدفاع الاستباقي في حالات الضرورة.

هل هناك شيء من هذا القبيل في المادة 51؟

أعتقد أنّ المادة 51 لا تسمح بالدّفاع الاستباقيّ، ولكنّ أعضاء مجموعة الشّخصيّات البارزة قالوا أن لا حاجة لإعادة تحرير الميثاق. وبحسب التغييرات الحديثة، صارت تسمح به. وقد اقترحوا في مجال مسؤولية الحماية إمكانية القيام بإجراءات لمنع الجرائم ضد الإنسانية، في ظروف خاصّة، ولا سيما عن طريق مجلس الأمن.

كنت آنذاك في البعثة، وكان من الواجب في البداية أن يعترض شخص من دول حركة عدم الانحياز، ولكنّه لم يلتفت إلى ضرورة اعتراضه أو كانت مصلحته عدم الالتفات إلى ذلك. لهذا، ذكرنا الموضوع في حركة عدم الانحياز أولًا، وكانت أطروحتي للدكتوراه عن موضوع اللجوء إلى القوة، ولهذا كنت، ولا أزال، حساسًا بالنسبة إلى الكلمات والعبارات أكثر من الآخرين.

كان من المقرّر أن يتحدَّث عن إيران في اجتماع دول عدم الانحياز، مساعد البعثة السيد دانش يزدي، حول تقرير الشخصيات البارزة. لذلك، كتبت له جملة بهذا الخصوص، وطلبت منه ذكرها في خطابه. وقد ذهب إلى اجتماع دول عدم الانحياز، ولكن سفير المغرب، وهو حقوقي بارز، وسفير الأردن، اعترضا علينا بشدة، غير أننا شرحنا لهم الفكرة، وكنا مصرين عليها، إلى أن قام اجتماع قادة

هـذه الـدّول بتكـرار عبـارة المـادة 51 ذاتهـا، والتـي تفيـد بـأنّ الدفـاع يكـون بعـد الهجوم المسـلّح. بهـذا، منعنا تشـكّل بيئة الدّفاع الاسـتباقيّ والوقائـيّ، وكان سـبب معارضتنـا هو منع سـوء اسـتفادة الـدول القائمة علـى القوة مـن هـذه الأداة.

فـي مجـال مسـؤولية الحمايـة، تمكنّا مـن وضع الأمر فـي يد مجلس الأمـن فقـط. بالطبـع، لا يعدّ هذا الأمـر تغييرًا جذريًـا، لأنّ مجلس الأمن كان عليـه دائمًـا أن يعتـرف بأمـر مـا كمسـبّب للخلل في الصلـح والأمن الدولـي، بنـاءً على الفصل السـابع مـن الميثاق، والتدخل العسـكري بناء علـى المادة 42.

كان هـدف الذيـن يريـدون تغييـر التدخـل الإنسـانيّ إلى مسـؤوليّة الحمايـة، هـو أنّ هـذه المسـؤوليّة سـتكون أوسـع نطاقًـا مـن مجلـس الأمـن، أي أنّ الـدّول والمنظّمـات الإقليميّـة سـيكون لهـا مهمـة تولـي هـذا الأمـر. علـى أيّ حال، تـمّ تقييـد مسـؤوليّة الحماية بجرائـم الحرب والجرائـم ضـدّ الإنسـانيّة، وفـي مجلـس الأمـن فقـط، كتشـريع جديـد حصـل علـى الموافقـة فـي اجتمـاع القـادة فـي العـام 2005م.

لا تقـوم اجتماعـات الجمعيـة العامـة، مثـل اجتمـاع القـادة فـي العـام 2005م، بوضـع القوانيـن، بـل تشـرّع فقـط. هـذا أحـد النمـاذج التـي يجـب الانتبـاه إليهـا فـي مجـال الدبلوماسـيّة المتعـدّدة الأبعـاد والمنظّمـات الدّوليّـة. يعتقـد البعـض أنّ هـذه القـرارات لا توفـر قـدرة تنفيذيـة، ولكنّهـم يغفلـون كونهـا تسـتطيع تغييـر المعـادلات الدوليـة.

إنّ أوّل جهد بُذل لتفعيل هذا التشريع كان في ميانمار، عندما منعت حكومة ميانمار وصول المساعدات الإنسانية. عندها، أعلن وزير خارجية فرنسا وجوب استخدام مسؤوليّة الحماية والتدخّل عسكريًّا لإيصال المساعدات الإنسانية إليها، أي أنّهم سعوا فورًا إلى اتخاذ إجراءات بناء على التشريع الذي أصدروه، وهو ما يدل على أهمية صناعة التشريعات. لم تتمّ هذه العملية لأنّ الأمين العام تدخّل، واستلمت دولة ميانمار المساعدات الإنسانية، وقد يكون لتهديد الفرنسيين دور في هذا المجال.

في القضية الليبيّة، أصبحت مسؤولية الحماية أساس قرارين من مجلس الأمن: القرار 1370 والقرار 1373. في القرارين، تمت الإشارة بشكل صريح إلى مسؤولية الحماية، التي نرى فيها الآثار والنتائج. هذا التغيير الجذري يُدخل مسؤولية الحماية إلى الحيز التنفيذي، وقد تُبذل المزيد من الجهود بعد ذلك لتوسعة مسؤولية الحماية. كما أنّ ما يقوم به الناتو اليوم، أوسع من الإجراءات التي وافق عليها مجلس الأمن، وهو ما سيؤدي على المدى الطويل لإعادة تفعيل موضوع التدخل الإنساني.

ربما من الأفضل أن نقول إنّ التغييرات التي حدثت في موضوع السيادة في التسعينيات، أصبحت أكثر شدّة في العقد الأخير. لعلّ ذلك يعود إلى السياسات المتطرفة لصدام حسين وميلوسوفيتش في التسعينيات، والقذافي في السنوات الأخيرة، وهذا ما يُلحِق الضرر بالنظام الدولي والعالم بأسره، ذلك أن الآخرين يستغلون هذه السياسات

المتطرفـة. ولـن ينتهـي سـوء الاسـتغلال لصالح الغـرب، ولكـنَّ الأمريكيين يظنون الآن أنّ يسـتطيعون صناعة هيمنة عسـكرية، وأظنّ أنهم مخطئون.

هـل يعـدّ الجهـد الـذي بذلتـه كندا وبعـض الـدول من المصـادر أو التشـريعات الحقوقيـة الدوليـة اليوم؟

سـيكون كذلـك فـي المسـتقبل. إنّ الحقـوق الدولية لا تولـد في ليلة واحـدة، وعندمـا يُشـرّع أمـرٌ فـي اجتمـاع القـادة بالجمعية العامـة، ثمّ يصـدر قـراران بنـاءً عليـه من مجلـس الأمن، يصبـح بالتدريـج قاعدة.

يقـال فـي الحقـوق الدّوليّـة، إنّ كلّ قانـون شـاغر، بـذرة لقانـون جديـد.

إذاً، بخصـوص موضـوع ليبيـا، هـل تعتقـد أنّ ما جرى سـيبعث على إجـراءات تضـرّ كلّ المجتمع الدّوليّ فـي النهاية؟

نعـم، وسيسـيء الأقويـاء اسـتغلال الأمـر. شـخصيًّا، لا أظنّ أنه سـتتم الاسـتفادة مـن مسـؤولية الحمايـة، لحمايـة أرواح النـاس، بـل أظـنّ أنّها ستسـتخدم للحصـول علـى أهـداف سياسـية. مـع الأسـف، علـى الرغـم مـن أنّهـا تغييـر ميمون فـي ذاته، فإنّها سـتكون أداة لاسـتغلال منحوس، بسـبب أهـداف القـوى التـي تقـف خلفها.

إذا أدّت مسـؤوليّة الحمايـة إلـى إزاحـة أشـخاص يـؤذي وجودهـم الجنـس البشـريّ، مثـل معمّـر القذافـي أو صـدام، فإنهـا لـن تكـون سـيئة، فلـمَ لا تعـدّ نتائجهـا جيّـدة؟

لأنّ مسـؤولية الحمايـة ستُسـتَخدَم ضدّ من يختلـف مع الغرب فقط،

فلـو قامـت حكومـة البحرين أو النظـام الصهيوني بكل أنـواع القمع، لن تسـتخدم مسـؤولية الحمايـة معهمـا، بل ستسـتغل بشـكل اختيـاري في توسـعة مصالـح مجموعة خاصة.

قـد تقـول إنّ إزالـة ظالـم واحـد نعمـة، أي أنّ العـدو سـبب للخيـر بـإرادة اللـه، ولكـن أعتقـد أنّ هـذه الإجـراءات تتغير بهدف الاسـتغلال، عوضًـا عـن أن تكـون طريقـة لتحسـين الظـروف الدوليـة.

على الأقل، كانت جيدة بالنسبة إلى معمر القذافي!

نعـم، وكانـت جيّـدة أيضًـا بالنسـبة إلـى صـدام، ولكـنّ ضـرر هـذه الإجـراءات الّتـي أزالـت بعض المجرمين، سـيكون أضعـاف نفع ذهابهم.

كمـا تعلم، تفـرض الولايات المتّحـدة وأوروبا وبعض الـدول، عقوبات دوليّـة علـى مـا يسـمونه الـدول المخطئـة. هنـاك بعـض النّمـاذج التاريخية عنها، مثل ليبيا والعراق أو كوريا الشـمالية، ولكن قد تكون إيـران البلـد الوحيـد الواقـع تحـت سـياط هـذه العقوبـات الدّوليّـة، وهـي تدّعـي أنّ هـذه العقوبـات لا تؤثّر فـي إدارة البـلاد، فمن ناحية نريـد أن نكـون القـوة الأولـى إقليميًّـا، ولكننـا نجتهد مـن ناحية ثانية ونبـذل طاقاتنـا فـي الالتفاف علـى هـذه العقوبـات أو تحييدها. هل تعتقـد أنّ العقوبـات علـى إيران قليلـة الأهميّة؟

أولًا، لسـنا البلـد الوحيـد الخاضـع للعقوبـات. قـد يكـون التركيـز الإعلامـي منصبًـا علـى إيران، ولكـن في الواقع، فـإنّ عددًا جديـرًا بالذكر مـن البلـدان يتعـرض على نحو مـا لعقوبات دوليـة. في الحقيقـة، لفهم مسـتوى تأثيـر هـذه العقوبـات، يجـب فهـم سـبب وضعهـا. يُقـال إنّ العقوبـات تُفـرض لتُغير الدول سياسـاتها. وبالطبـع، لا تتمكن العقوبات

مـن ذلـك علـى المسـتوى القصيـر، فالعقوبـات الدوليـة لم تتمكـن أبدًا علـى المسـتوى القصيـر من تغيير سياسـات الدول المعاقَبـة، وقد أُجرِيَ الكثيـر مـن الأبحـاث الدقيقـة في هـذا المجـال، وقُدِّمت أدلـة مختلفة، وجـرى الحديـث عـن مسـتوى تأثـر النُخـب، ومسـتوى انسـجامهم وسياساتهم.

يجب أن أشير إلى عدة نقاط في هذا الصدد.

أولًا: أثـر الزمـن، فالعقوبـات غيـر ناجحة علـى الأمد القصيـر، ولكنّها تؤثـر على الأمـد الطويل.

ثانيًـا: الأثـر الاقتصـادي، فالعقوبـات تؤثـر اقتصاديًّـا وتضغـط علـى الـدول. ولأنّ الهـدف مـن العقوبـات هـو تغييـر السّياسـات أو تغيير النّظـام، وليـس الضّغـط الاقتصـادي، يقولـون إنّهـا لـم تنجـح، ولكننا نُخطـئ حيـن نقـول إنّ العقوبـات لا تسـبّب الضغـط، فـي الوقـت الـذي نـرى هـذا الضّغـط بصـورة واضحـة فـي كلّ مـكان.

ثالثًا: زيادة تكاليف الدولة المعاقبة بسـبب العقوبات، أي كما يقول السـيد لاريجانـي: لا توجـد دولـة تطيـع بالعقوبـات، ولكـن الحقيقة هـي أنّ البـلاد تكـون مجبـرة علـى الحصول علـى حاجاتهـا بتكاليف أعلـى. إذًا، إنّ زيـادة التكاليـف هي نتيجة مباشـرة للعقوبات.

رابعًـا: أعتقـد أنّ الهـدف الأصلـيّ هـو أنّ العقوبـات تسـبب تـآكلًا تصاعديًّـا لسـمعة الدولـة المسـتهدفة فـي المجتمـع الدولـي وشـرعيتها، وهـو مـا يجعـل منها دولة غيـر مرغوب فيها فـي النهاية،

ويرتّب ثمنًا على الدول الراغبة في الارتباط بها. فمثلًا، لا يجب على أي دولة تقيم علاقة مع باكستان أو تركيا أو آذربيجان، أن تقدم تبريرًا لهذه العلاقة، ولكن يجب تقديم تقرير للجنة مجلس الأمن لتبرير الارتباط بإيران.

يجب عليها مثلًا أن تقدم تبريرًا على أنّ هذه العلاقة ليست في المجالات الممنوعة، وهو ما يعني أن تصبح العلاقة مع إيران تحت شروط خاصّة. أظنّ أنّ هذه الشروط الخاصة هي الهدف الأصلي لأصحاب العقوبات، ذلك أنّهم يريدون خلق شروط، حتى لا تستطيع الدول أن تقيم علاقة مع إيران، وبهذا تقل تكلفة الضغط على هذه البلاد.

في فترة ما، كان من المستحيل أن تتمكن الولايات المتحدة من فرض عقوبات على إيران خارج حدودها. بعبارة أخرى، عندما فرض الكونغرس قانونًا ينص على منع الشركات التي تستثمر في الصناعات النفطية بإيران ـ بمبلغ يتجاوز عشرين مليون دولار ـ من إقامة علاقة مع الولايات المتحدة، ثارت كل الدول الأوروبية على هذه السياسة، بل هددت الولايات المتحدة بالشكوى عند منظمة التجارة العالمية.

بهذا أُجبرِت حكومة كلينتون في عدد من الحالات على الاستعانة باستثناءات القانون، والتي مُنحت لرئيس الجمهورية، وعلى عدم معاقبة الشركات الأوروبية. وبهذا، استثمرت الكثير من الشركات الأوروبية، مثل توتال وإلف، وبشكل واسع، في الصناعة النفطية والغازية الإيرانية. ولكن بعد العقوبات الأخيرة،

عندما أصدر الكونغرس القرار 1929 ضد إيران، تعاونت تلك الشركات المعارضة سابقًا، رغم أنّ العقوبات على البنزين ليس لها مكانة في عقوبات الأمم المتحدة. أعلنت شركة توتال أنّها غير موافقة على العقوبات ولكنها ستنفذها. ما هو التغيير الذي حصل ؟

في الإجابة عن هذا السؤال، أقول: بعد سلسلة من العقوبات الدولية غير المرتبطة بمجال النفط والغاز، وقعت إيران تحت شروط خاصة لم تكن موجودة في التسعينيات. هذا هو الهدف الأصلي لأصحاب هذه العقوبات. وبهذا الهدف يتتبعون سياساتهم. إنّ العقوبات الأوروبية والعقوبة المصرفية الأمريكية كانت من قبيل هذا الأمر، ولذا أستبعد أن لا تترك العقوبات تأثيرًا على الأمد الطويل.

كيف يمكن الخروج من هذه الورطة؟

هذه الورطة ليست نهاية الخطّ للسّياسة الخارجيّة الإيرانيّة. في الحقيقة، إنها نهاية العلاقة بين إيران والعالم، أي أنّها أصبحت لعبة خسارة ـ خسارة. ولذا، يجب تغيير الأساس الفكريّ، وبذلك، قد يجد الطرفان أملًا لتخفيف هذه المشكلة. كان هذا الأمر على وشك الحدوث في عهد السيّد خاتمي، ولكنّه تُرك في منتصف الطّريق.

كما ذكرت في كتابك، أنت تعتقد أنّ انتظار تنفيذ العدالة من المنظمات الدولية ناتج من عدم معرفة آلية عمل هذه المؤسسات، ولذا، إنه أملٌ مفرط. في الحقيقة، ما هو الهدف من تأسيس هذه المؤسسات والمنظمات الدولية؟ بعبارة أخرى،

مـا هـي فلسـفة وجودها؟ وهل سنشـهد يومًا يكون فيـه عمل هذه المؤسسـات أكثـر مـن إدارة الأزمـات؟

إذا كان تنفيـذ العدالـة ليـس مـن أهـداف المنظّمـات الدّوليّـة، فذلـك لا يعنـي أنّها لا تسـعى إليـه. إنّ إحدى أهم وظائـف المنظمات الدوليـة هـي تعديـل السـلطة، ولكـن لا يجـب أن نتصـور أنّ هـذه المنظمـات وُجـدت لتقـوم بتقسـيم السـلطة أو تخريبهـا أو إنتـاج سـلطة جديـدة.

إنّ عـدم قـدرة المنظمات الدولية على أمـر كهذا، ليس موضوعنا. هنـاك مثـال عامـي كان يذكـر فـي الجامعـة، لنفـرض أنّهـم يبيعـون الكبـاب فـي مـكان والخبـز فـي مـكان آخر، وليـس لأي منهـا أفضلية علـى الآخـر، فـإن ذهبـت إلـى متجر الكبـاب لتطلـب الخبـز، أو إلى صاحـب الفـرن لتطلب الكباب، فسـتعود خالي اليديـن. أعتذر لأنّني مجبـر علـى ضرب مثال كهذا، لأنّ الموضـوع في الأصل ليس أرجحية أمـر علـى آخر، بـل إنّ المنظّمات الدولية لم تنشـأ أصـلًا لتحل مكان الـدول، بـل نشـأت لحـل بعـض المشـاكل واسـتغلال الفـرص التي لم تتمكّـن منهـا الدول بشـكل فردي.

للمنظمات الدولية ثلاثة أهداف:

الهـدف الأول: هـو مـا ذكرتـه، أي أنّ الـدول، بمفردهـا أو بشـكل ثنائـي، لا تسـتطيع حـلّ مشـاكلها أو اسـتغلال الفـرص. قـد يبـدو هـذا الموضـوع بديهيًّا مـن جانـب، ولكـنّ السّـلوك يُظهـر أنّ الكثيـر مـن

الأشخاص لم يفهموا هذا الأمر البديهي، ولذلك سأشرحه. لو ادّعى أحد أنّه يريد بناء جدارٍ حول بلده، وحفظ بيئته لوحده، فسيكون عرضة للسخرية، لأنّ البيئة أزمة عالمية، فانبعاث الغازات التي تسبب الاحتباس الحراري من الصين، تسبب ثقب الأوزون الذي نشاهد أثره الحراري في شيلي. يمكننا ملاحظة هذا الأمر في مجالات أخرى أيضًا، فكما ندرك أننا لا نستطيع التحكم في البيئة، لا يمكننا أيضًا التحكّم في أمواج الاتصالات.

شخصيًّا، أظنّ أن تحقيق الأمن بشكل فردي غير ممكن، كما في الأمثلة السابقة، في عالم غير آمن، لأن الجميع سيكونون غير آمنين أيضًا. ويعدّ الحادي عشر من سبتمبر/أيلول مثالًا على ذلك، فالولايات المتحدة الأمريكية، أكبر قوة في العالم، اعتقدت دائمًا أنّها بمعزل عن العالم، ولكن الناس شعروا بفقدان الأمن بعد ذلك. ولهذا، برز الفرح والسرور فيها بعد قتل ابن لادن. إن الفرح والسرور ليسا أمرًا رسميًّا، ولكن الناس شعروا حقيقة بزوال سبب فقدان الأمن، وهو ما يدل على عولمة الأمن، بمعنى أنّ شخصًا واحدًا يستطيع تهديد أمن دولة نووية قوية.

كما تعلم، إنّ رأي الشّعوب مؤثر جدًا في العلاقات الدولية، وكان الشعب الأمريكي يرى أنّ ابن لادن يسبّب زوال الأمن. لذلك، نحن نعيش في زمانٍ أصبحت فيه كلّ البضائع والتحديات والفرص عالميةً، ولا يمكن لدولة أن تتصدى وحدها للتحدّيات والفرص.

الهدف الثاني: صناعة تعدد الأبعاد، أي تدخّل الدول في المنظمات الدولية لمنع العمل الأحادي. إنّ البعض يعمل بشكل أحادي للحصول على مصلحة فورية بشكل غير عقلاني، ولكن المنظمات الدولية تمنع هذا العمل الأحادي، وقد وُفِّقت في الكثير من الحالات.

كمثال، لو نظرت إلى معاهدة NPT بحسب قواعدها، وليس قواعد العدالة، لن تجدها تجربة فاشلة. قامت معاهدة NPT عندما أجرت خمس قوى تجارب نووية. بحسب هذه الاتفاقية، عُرفت خمس دول بأنّها نووية عندما نفذت تجاربها قبل تاريخ محدد، بينما أصبحت بقية الدول غير نووية.

خلال عشرين سنةً، من العام 1950م إلى العام 1970م، عندما نشأت معاهدة NPT، تضاعفت القوى النووية من واحدة إلى خمسة - هذا مع المستوى العلمي آنذاك - بينما في الفترة الممتدة من العام 1970م إلى العام 2010م، أي طيلة أربعين سنة، زادت ثلاث قوى كأقصى حد، ولو حسبنا كوريا الشمالية، فستكون أربعة.

إنّ القوى الثلاث الأولى شقت طريقًا طويلًا لتصبح نووية منذ بداية العام 1970م. فمثلًا، نفذت الهند أول تجربة نووية في العام 1974م، كما وصلت إسرائيل إلى مراحل متقدمة في صناعة السلاح النووي في العام 1970م. وفي الهند، قام السيد عبد القدير خان باستيراد تقنية الطرد المركزي من الهند، وهو ما يعدّ في الواقع

سرقة للتقنيـة. وبالطبع، اسـتفادوا مـن ظروف الحرب البـادرة والتنافس فـي تلـك الفترة.

علـى مـدى أربعيـن سـنة، وعلى الرغم مـن انتشـار التقنيـة النووية، أصبح بإمـكان الكثيـر مـن الـدول أن تصبـح نوويـة. ولكـن نظـرًا لوجود نظـام لمنـع انتشـار الأسـلحة النووية، تـمّ تقييـد انتشـارها، لأنّ تكاليف العمـل الفـردي أصبحـت باهظـة. لمـاذا لا تصبـح ألمانيـا أو اليابـان أو الأرجنتيـن أو البرازيـل نوويـة؟ لأنّهـم توصلـوا بعـد دراسـة جميـع الجوانـب إلـى أنّ تكاليـف التحـول لقـوة نوويـة أعلـى مـن المصالـح المرجـوة، والدليـل الأصلـي على هـذا هو معاهدة NPT. لذلك، ليسـت المنظمـات الدوليـة حبـرًا علـى ورق ومـن دون أي أثـر. لـو قلنـا بهـذا، لخدمنـا أمثال السـيد بولتـون، لأنه يقول إنّ الــ NPT غير ناجحة ويريد خفـض مسـتوى الوصـول إلـى التقنيـة النوويـة عـن المسـتوى الموجود فــي الاتفاقية.

لـذا، وفـي المحصّلـة، لا يعدّ الوصول إلى أهـداف المنظّمات الدّوليّة فاشـلًا، كمـا أنّ قوانيـن المـرور وُضعـت لمنـع العبـور عنـد الإشـارات الحمـراء والوقايـة مـن العمـل الأحـادي، ولا تُعـدّ بعـض المخالفـات، أو حتـى تكـرار المخالفـات، دليلًا على عـدم تأثير قوانين المـرور، ذلك أننا سنشـهد آلاف الحـوادث مـا لـم تكـن هـذه القوانيـن موجودة.

مـن الطبيعـي أنّ مقارنـة الداخـل بالسّـلوك الدولـي أمـر فـي غايـة الخطـأ، فتشـبيه منظمـة الأمـم المتحـدة بمجلـس الشـورى أو القـوة المقننـة مثلًا، غيـر صحيـح، وهـو ينـمّ عـن عـدم انتبـاه من يقـول بهذا

الأمـر إلـى تعقيـدات العلاقـات الدوليـة. ومـا سـبق مجـرد مثـال لفهـم الموضـوع، وإلا لا يمكـن المقارنـة والتشـبيه بيـن المسـتوى الداخلـي والدولـي.

الهـدف الثالـث: أعتقـد شـخصيًّا أنّه أهـمّ هدف، حيث تسـعى الدول وبقيـة اللاعبيـن الدولييـن إلـى الاسـتفادة مـن المنظمـات الدوليـة لكـي تمنـح أهدافهـا وحاجاتها الفردية شـرعية جماعية. بعبارة أخرى، تسـتفيد مـن المنظمـات الدوليـة كأدوات لتنفيـذ سياسـاتها الخارجيـة، فمثلًا عمل باكسـتان بالنسـبة إلـى كشـمير، وتركيـا بالنسـبة إلـى قبـرص، عـن طريق منظمـة المؤتمـر الإسـلامي، وهمـا يحصـلان اليـوم علـى دعـم منظمـة التعـاون الإسـلامي، أي يريـدان تحويـل هـدف وطني إلى هـدف جماعي عـن طريـق منظمـة دوليـة، لأنّ الهـدف الدولـي يحظى بالشـرعية.

فـي مجـال الحقـوق الدوليـة أيضًـا، يحظـى التدخـل بالشـرعية حين يكـون جماعيًّـا وليـس فرديًّـا. إنّ أحـد معاييـر موضـوع التدخـل لصالـح الإنسـانية بعنوانـه الجديـد «مسـؤولية الحمايـة»، هو أن تكـون العملية جماعيـة، ولهـذا تنفـق الـدول كـي يبـدو عملهـا جماعيًّا.

كمـا أنّ الولايـات المتحـدة الأمريكيّـة لـم تهجـم علـى العـراق بمفردهـا، بـل صنعـت ما يُسـمى بائتـلاف الإرادات، ودفعـت من خلاله تكاليـف عسـكرية وماليـة حقيقيـة. فـي الحقيقـة، لـم يكـن الائتـلاف مفيـدًا للولايـات المتحـدة الأمريكيّة مـن الناحية العسـكريّة، بل حملتها تكاليـف أيضًـا، لأنّهـا كانت مجبرة على إرسـال جنود لحمايـة كلّ جنديّ بلغـاري أو أوزبكسـتاني.

لهذا، إنّ التّعدّد في الأبعاد، والمؤسّسات المتعدّدة الأبعاد، والمنظمات الدولية، هي أدوات لصناعة الشرعيّة. قد تسأل: لمَ تمنح بقية الدول هذه الشرعية؟ أحد الأجوبة هو عندما تمنح دولة ما شرعية، ستنتظر المثل، وستقدم لك تلك الدولة غدًا شرعية. قد يكون الأمر في المجالات الروتينية بهذا الشكل، ولكن للموضوعات المهمة أدلة أخرى، وأظنّ أنّ أهمّها هي العلاقة بين الشرعية والسلطة. ولهذا أقول إنّ الهدف من المنظمات الدولية هو تعديل السلطة، أي أنّ أمريكا لديها من القوة العسكرية والاقتصادية والسياسية والإعلامية وغير ذلك، بما يعادل كل اللاعبين الآخرين. فالمنظمات الدولية لم تؤسس لإسقاط هذه القوة، بل إن دورها هو صناعة بعض الأطر لعمل الولايات المتحدة الأمريكية.

لو قارنت حرب العراق الأولى والثانية وحرب أفغانستان، للاحظت أنّ الولايات المتحدة عملت في العام 1991م، أي في حرب العراق الأولى، لتحرير الكويت بناءً على قرار مجلس الأمن، وقد توقّفت حين وصلت إلى حدود العراق، لأنّ شرعية مجلس الأمن وضعت حدودًا للقوة الأمريكية.

يعتقد البعض أنّ أمريكا توقفت خوفًا من بروز إيران، لأنّ الأخيرة كانت تريد تولي الشيعة في جنوب العراق، كما كان الخوف من إيران قائمًا في العام 2003 أيضًا. قال البعض، مثل شارون، للولايات المتحدة الأمريكية، إنّ «بغداد عنوان خاطئ»، ويجب الهجوم على طهران.

لهـذا كان قلـق العـام 1991م موجـودًا فـي العـام 2003م، عـدا أنّ الولايـات المتحـدة هجمـت علـى العراق فـي العـام 1991م ضمن إطار قـرار مجلـس الأمـن، بينمـا فعلـت ذلـك فـي العـام 2003م خـارج ذلك.

لـو قارنّـا الهجـوم علـى العـراق فـي العـام 2003م بالهجـوم علـى أفغانسـتان فـي العـام 2001م، سـنلاحظ أنّ الولايـات المتحـدة هجمت علـى أفغانسـتان بواسـطة قـرار مجلـس الأمـن. ولهـذا، حيـن أسـقطت حكومـة طالبـان، أقامـت اجتماع بُن. وفي هذا الاجتماع، شـكّل اللاعبون مـن أكثـر الـدول، وبإشـراف مـن الأمـم المتحـدة، الحكومة المسـتقبلية لأفغانسـتان. أمـا في العراق، فقد شـكّلت بصورة أحاديـة مجلس الحكم الانتقالـي، لأنّهـا عملـت فـي المـرة الأولى ضمـن الشـرعية الدولية وفي الثانيـة خارجها.

لهـذا، ورغـم أنّ مجلـس الأمـن رفض منـح الولايات المتحـدة تفويضًا لتهجـم علـى العـراق، فقد اعترف بعـد مدة قصيرة بآثـار احتلال العراق. يقـول البعـض إنّ الأمـر ناتـج مـن السـلطة، ولكنّنـي أعتقـد أنّ مجلـس الأمـن انتبـه إلـى ضـرورة الاسـتفادة مـن شـرعيته لتعديـل السـلوك الأمريكـي. وكانـت النتيجـة أنّ مجلـس الحكـم الانتقالـي لم يكـن معينًا مـن الولايـات المتحـدة فقـط، بـل أصبـح للأمـم المتحـدة دور فيه.

حضـر منـدوب الأمين العـام، وأقيمت انتخابات تحت إشـراف الأمم المتحـدة. قـد يقول البعـض إنّ هذا الأمـر مجرد مسـرحية، ولكن الواقع خـلاف هـذا، لأنّ اللاعبيـن الدولييـن يرصـدون التغييـرات بشـكل دائـم، ويتابعـون مقارنتها بمصالحهم. كانت روسـيا وفرنسـا معارضتين للهجوم

الأمريكي على العراق، وقالتا إنهما ستستخدمان حق النقض، ولكنهما اعترفتا بنتاج الاحتلال الأمريكي بعد شهر. هاجمت الولايات المتحدة العراق في شهر مارس/آذار، وصدر القرار في شهر أبريل/نيسان، أي ثمة علاقة بين الشرعية والقوة، وبالطبع ببعض التأخير، فالمنظمات الدولية تمنح إجراءات الدول شرعيّة كي تتمكّن من التحكّم بها.

لو أردت تحليل سلوك الدول في المنظمات الدولية، يجب عليك الانتباه إلى هذه الأمور، وكذلك يجب عليك الأخذ بعين الاعتبار أثر الأنظمة الدولية، وإلى جانبها المنظمات الدولية كنظام. لو انتبهت إلى كل هذه الأمور، كان بإمكانك توقّع إصدار قرار من مجلس الأمن ضد إيران، أي لو نظرت من خلال إطار العلاقة بين القوة والشرعية، لاستطعت توقع قرارات العقوبة، وكان بإمكانك من خلال إطار الأنظمة الدولية توقع موافقة الصين وروسيا على هذه القرارات، لأنّ الأنظمة الدولية ثبتت علاقة قديمة بينها وبين القوة. يختلف الدوران الروسي والصيني في مجلس الأمن عن دورهما في الخارج، فلهما حق النقض في مجلس الأمن، ولا تملكانهما في الخارج، ولهذا لا يمكن مقارنة قوتها في مجلس الأمن بخارجه.

يعتقد البعض أنّ للأنظمة الدولية ظاهر ـ أو بنية فوقية، كما تقول الماركسية ـ وباطن؛ الأول هو تعادل القوى، والثاني فهم اللاعبين لمصالحهم. وعندما يتغيّر هذان الأمران يجب تغيير النظام. ولكن الواقع خلاف هذا، لأنّ الأنظمة أكثر ثباتًا منهما، أي أنّ الأنظمة الدولية أكثر ثباتًا من الفترة التي نشأت فيها بفعل المؤسّسين.

يمكـن الآن أن نفهـم سـبب ترجيـح روسـيا والصيـن لأن تعـرض الأمـور فـي مجلـس الأمـن عوضًا عـن الوكالـة الدوليـة للطاقة الذريـة. كل هذه الأمـور مـن البديهيات.

نعـم، عندمـا يُعـرف السـبب يبطـل العجـب. ومـن المهـم أن نعرف هـذه البديهيـات فـي فتـرة الأحـداث، وأن نحلـل الأمـور ونعمـل علـى أساسـها. يجـب أن تكـون القـرارات مبنيـة علـى سلسـلة مـن الحقائـق. قـد تقـول إنّـي سـأتخذ قـرارًا بالرغـم مـن هـذه الحقائـق، أو أن تتخـذ قراريـن بعـد معرفـة الحقيقـة بحسـب الأولويـات والقيم وكيفيـة التنبؤ بالمسـتقبل، ولكـن عليـك أن تـرى بشـكل صحيـح، وأن تعلـم أنّ النظام الدولـي يـؤدي إلـى اختـلاف دور اللعـب الروسـي والصيني فـي الأماكن المختلفة.

إنّ الأوروبييـن ليسـوا بهـذا الشّـكل، فقـوة الأوروبيين خـارج مجلس الأمـن أكثـر منهـا فـي داخلـه، ولهـذا فهـم يفضلـون بقـاء ملـف إيـران النـوويّ فـي الوكالـة الدولية.

وكيف تسير الأمور بالنسبة إلى أمريكا؟

إنّ قـوة لعـب الولايـات المتحـدة الأمريكيـة فـي مجلس الأمـن أكبر مـن قوّتهـا فـي الوكالـة الدوليـة، ولكن قدرتها خـارج مجلـس الأمن أكثر مـن داخلـه حتمًـا. يجـب تقييـم هـذه المعـادلات والعمـل بنـاء عليهـا. عندمـا كان ملـف إيـران خـارج مجلس الأمـن، كانت ثـلاث دول أوروبية تقـف فـي صـف الولايـات المتحدة. كانـت إحـدى المشـاكل تتمثّل في أنَّ هنـاك ثـلاث دول تتفـاوض، ولكنّهـا تعلـم أنّ الخـلاف الأصلـي مـع

أمريـكا، ولهـذا كانـت مجبـرة فـي النهايـة على كسـب الرّضـا الأمريكي. لـم يكـن لروسـيا والصّيـن دور آنذاك. أمـا الآن، حيث انتقـل الملفّ إلى مجلـس الأمـن، وأصبـح اللاعبون 1+5 أو 3+3، فكانت أمريـكا لاعبًا غائبًا حضـر جميـع اجتماعـات تفـاوض الأوروبييـن، بينمـا كان لعـب الـروس والصيـن رهنًـا بانتقـال الملـف إلى مجلـس الأمن.

هل يُعدّ ذلك في صالحنا؟

لا، هـذا الأمـر فـي صالحهـم. نحـن نظـنّ أنّـه فـي صالحنـا، ولكن إن كان وجـود ملـف إيـران في مجلس الأمـن في صالحنا، فسـيكون اللعب الروسـي والصينـي فـي صالحنـا أيضًـا، لذا يجـب أخذ هذه النقـاط بعين الاعتبـار لتقديـم تحليـل مناسـب. بالطبـع، لا أقـول إنّ علينـا تجنّـب العلاقـة مـع روسـيا والصين.

ذهـب الملـفّ إلـى مجلـس الأمـن، ونحـن مجبـرون على السـير في هـذا الطريـق، ولكـنَّ ظَـنَّ الكثيريـن مـن الأصدقـاء بروسـيا والصيـن قد خـاب، وذلـك عندمـا اعتبـروا أنهما سـيمنعان انتقال الملـف إلى مجلس الأمـن، أو سيسـتخدمان حـق النقـض فيه، وقـد ثبت ذلك. فـي الحقيقة، أخطـأوا فهـم المصالـح الروسـية والصينيـة، كمـا أخطـأوا فهـم سـلوكهم فـي المنظَّمـات الدوليـة والدبلوماسـية المتعـدّدة الأبعاد.

تنبّـأت قبـل تشـغيل محطـة أصفهـان بـأنّ البـدء بالتخصيـب قبـل تطبيـع الموضـوع النـووي، سـينقل برنامـج الملـف النـووي إلـى مجلس الأمـن، وسـتوافق هـذه الـدول علـى إصـدار قـرارات ضـد إيـران. ومـع الأسـف، ظـنّ الأصدقـاء ـ وقالوهـا علنًـا ـ أنّنـا لا نفهـم.

هل من الممكن أن نشهد يومًا تكون فيه المنظَّمات الدوليّة أكثر من مدير للأزمات؟

إنّ إدارة الأزمات أمر مهمّ، ولكننا لن نشهد أكثر من ذلك في هذه المنظمات الدولية. كما قلت سابقًا، تعدل المنظمات الدوليّة القوى، وهذه مرحلة من تقدم العدالة، ولكن أن تتقمّص دور حكومة عالمية عادلة تقسم الموارد بشكل عادل، فهذا أمر لا أتخيله. ليست لهذه المنظّمات قوة وأدوات ذلك.

الجدير بالذكر أنّ مستوى السلطات الذي منحته الدول لهذه المنظمات سابقًا، غير قابل للمقارنة بما تملكه الآن، أي أنّ الدول كانت ترغب في أن تكون لهذه المنظمات سلطات أقل بكثير مما تملكه الآن، ولكنّ المنظَّمات الدولية أنشأت لنفسها سلطات جديدة أكثر بكثير مما كان مقترحًا لها، كأيّ بيروقراطية فعالة. هذه ميزة كلّ البيروقراطيات، وليست المنظمات الدولية مستثناة من هذه القاعدة، ولكن لا أتصور أن يأتي يوم تكون هذه السلطات بديلة من الدولة. كما أنّ الدول تشترك اليوم مع بقية اللاعبين، ولم يعد العمل في المجال الأمني بيدها وحدها، ولكن هذا لا يعني أنّ الدول فقدت دورها. من يدّعي أنَّ السّيادة ماتت يبالغ كثيرًا. ومن جانب آخر، من يظنّ أنّ السيادة اليوم هي نفسها السيادة في القرن التاسع عشر، فهو على خطأ أيضًا.

لا أقصد أن تحتلّ المنظّمات الدّوليّة دور الدول، بل أن تمارس دورًا لصالح الأمن والسلام الدولي، إن لم يكن أكثر من الدول،

فلتكن مثلها. يمكن لهذه المنظمات الدولية أن تغير معاييرها، وجودة عملها، بل حتى دستورها، بحيث يكون لعملها أثر أبرز. هل هذا أمر ممكن؟

من الممكن، ولكن كونها مأمولة أم لا، هو مجال للبحث. ثمة فرق بين الممكن والمأمول. إن اعتقدت أنّ المنظمات الدولية كانت في بدء تأسيسها صورة للقوى الموجودة، فسيكون تغيير هيكل المنظمات الدولية اليوم سببًا حتى تلعب الولايات المتحدة دورًا أكبر في المنظمات الدولية. عملت الولايات المتحدة لتأسيس ما يسمى بمجموعة العشرين أو المجتمع الديموقراطي، لأنّها تريد الاستفادة من قوتها الحالية لصناعة هيكلية تنوب عن هذه القوة.

تقول نظرية الأنظمة الدولية إنّ النظام أكثر ثباتًا من القوة التي تؤسّسه، ولأنّه أكثر ثباتًا، تسعى كل قوة لتأسيس نظام دولي في فترة قوتها. يمكن لهذا النظام الدولي أن يكون منظمة أو مجموعة من التشريعات. لذلك، هل من المأمول أن يتمّ تأسيس نظام دولي جديد في هذه الفترة؟ أعتقد أن هذا السؤال مهم.

يجب أن ندرس السلوك لنعلم هل تسعى أمريكا في هذا الاتجاه أم لا؟ وأعتقد شخصيًّا أنّها تسعى في هذا الصدد، لأنّ كل الجهد الأمريكي يصبّ في تأسيس مؤسَّسات موازية.

في مقابل منظمة الأمم المتحدة؟

نعم، في مقابل الأمم المتحدة وكل الأنظمة الدولية الموجودة. فمثلًا، على الرغم من أن أمريكا متفوقة في كل المؤسسات المالية

والماليـة الدوليـة، فقد تمّ تأسـيس مجموعة العشـرين، لأنّ هـذا النظام الجديـد يعكـس بشـكل أكبـر القـوة الغربيـة حديثًـا، ويحقـق أهـداف الغـرب أكثـر مـن صنـدوق النقـد الدولـي والبنـك العالمي.

قـام السـيد أوبامـا بتأسـيس مجموعـة جديـدة للشـأن النـووي أيضًا، إن كنـت تذكـر. قـام بدعـوة رؤسـاء أربعيـن دولـة حـول الأمـن النووي. كلّ هـذه الأمـور تـدل علـى أنّ الولايات المتحـدة الأمريكية تسـعى إلى الاسـتفادة مـن قوتهـا، وتأسـيس أنظمـة موازيـة، لأنّ الأنظمـة الحاليـة تمثـل القـوى والظروف سـابقًا.

لهـذا، يجـب أن ننظـر بعيـنٍ بصيـرة، ونرى اتجـاه الأنظمـة الجديدة، ونسـأل: هـل يجـب أن نذهـب باتجاههـا أم لا؟ هـل هي مأمولـة أم لا؟ قـد تكـون لـديّ رؤية بهـذا الخصـوص، ولكننـي لا أبديها. أريـد أن أقول فقـط، إنّـه يجـب النظر إلى هذه المسـائل بواقعيـة، أي أن نعلم ما هي المنظمـات الدوليـة، مـا هـي الأنظمـة الدوليـة، ومـا علاقـة القـوة بـكل منهـا، ثم نحـدد اللعبة.

بخصـوص الموضـوع السـابق، يجـب أن أقـول: حتـى لـو كان المسـؤولون فـي بلدنـا قادريـن علـى التنبـؤ بـأنّ مجلس الأمن سـيصدر قـرارًا ضدنـا، فقـد يكـون قرارهـم المضـي فـي السـلوك الحالـي.

ولكن الأمر يختلف جدًّا حينما يعلمون!

نعـم، يختلـف الأمـر جـدًّا عندمـا تتخـذ موقفًـا علـى أسـاس تحليـل يقـول بعـدم صدور قـرار عن موقفك المبني علـى تحليل يقول بصدوره.

قلت في موضوع تاريخ الدبلوماسية المتعددة الأبعاد[1] إنّ منظَّمة الأمم المتحدة مرّت بخمس فترات تاريخية هي: الحرب الباردة، مناهضة الاستعمار، التعاون المقيّد للأعضاء الدائمين، الفترة الانتقالية، وأحادية البُعد بعد الحادي عشر من سبتمبر/أيلول. نظرًا إلى العلاقات الوثيقة بين اللاعبين الحكوميين وغير الحكوميين، وفي خضم العولمة والتنمية، وبروز الحاجة أكثر مما مضى إلى الدبلوماسية المتعددة الأبعاد في مستوى العلاقات الإقليمية والدولية، يبدو أنّ العمليات الأحادية البعد تنخفض بعد الحادي عشر من سبتمبر/أيلول، أو هي في حال النسيان، هل تعتقد أن الفكر الأحادي على طريق الزوال؟ كيف ترى مستقبل تعدّد الأبعاد؟

أعتقد أنّ الحكومة الأمريكية، ومنذ بداية الدورة الثانية لتولي بوش رئاسة الولايات المتحدة، توصَّلت إلى أنّ السلوك الأحادي، وخصوصًا من الناحية العسكرية، لا يمكنه تحقيق الأهداف الأمريكية، وله نتائج عكسية أكثر. بدأوا هذا الطريق بتعيين السيدة رايس ـ وهي موثوقة لدى السيد بوش ـ في وزارة الخارجية. والأمر المهمّ هذا الصدد هو ثقة بوش بالسيدة رايس.

وهنا، دخلت الرؤية التقليدية إلى الجهاز الدبلوماسي، الذي يعتقد بالدبلوماسية أكثر من القوة للبيت الأبيض، ويعني ذلك أن وزارة الخارجية أثرت في السيدة رايس قبل أن تؤثر هي فيها،

(1) في كتاب «ديپلماسیِ چند جانبه، پویایی مفهومی وکارکردی سازمان‌های منطقه ای وبین المللی»، أي: [الدبلوماسية متعددة الأبعاد، حيوية المفهوم، وعمل المنظمات الاقليمية والدولية].

وتمكنت من التأثير في بوش. بهذا، دخلت الولايات المتحدة مرحلة تعدد الأبعاد في الدورة الثانية للرئيس بوش مع قضية إيران.

لقد دلّ الخطاب الأول للسيدة رايس على أنهم شعروا بأنّ الأحادية في الشأن الإيراني له نتيجة عكسية. وقد تمكّنت إيران من البروز كصاحب الحق في المجتمع الدولي، وتحتاج الولايات المتحدة إلى تغيير هذا الموقف. لهذا، وبعد فترة قصيرة من دخول السيدة رايس إلى وزارة الخارجية، تواصلت الولايات المتحدة مع ثلاثة بلدان في الاتحاد الأوروبي، وهو ما لم يكن قائمًا قبل السيدة رايس، بل كان الموقف يتسم بالتعارض غالبًا.

أدّى هذا التواصل في شهر مارس/آذار من العام 2005م، إلى دعم الولايات المتحدة للمقترح الأوروبي، وسُمح ببيع قطع غيار الطائرات لإيران، ولم تُعارَض عضوية إيران في منظمة التجارة العالمية[1]. قامت الولايات المتحدة فورًا بتنفيذ الأمر الثاني، وأصبحت إيران عضوًا مشرفًا في منظمة التجارة العالمية. ولكن الأمر الأول لم يصل إلى حيز التنفيذ أبدًا. كان ذلك بداية ابتعاد الولايات المتحدة عن الأحادية، بغض النظر عما حدث من الناحية العمليّة.

بالطّبع، كانت المصالح الّتي اكتسبتها الولايات المتحدة من الأوروبيين تعادل أضعاف ما أعطته لهم، بمعنى أن الأوروبيين تعهّدوا للولايات المتحدة الأمريكيّة، على الرغم من دعمها، بنقل ملفّ إيران

---

(1) بالإنجليزية:
World Trade Organization (WTO).

النـووي إلـى مجلس الأمـن إن لـم تتوقـف إيـران عـن التخصيـب. فـي الحقيقـة، دخلـت أمريـكا معادلة متعـددة الأبعاد عوضًا عـن أن تضغط لوحدهـا علـى مجلـس الأمن.

كمـا قلـت سـابقًا، يبـرر تعـدّد الأبعـاد السياسـات الأحاديـة البُعـد، أي أنّـه يُبـرِز السياسـة الأحاديـة البعـد كأمـر شـرعي. يمكـن ملاحظـة هـذه العمليـة فـي العلاقـة بيـن أمريـكا وأوروبا. أقنعـت أمريـكا أوروبا بمرافقتهـا، وقـد كانت مسـتعدة لأن تدخل هذه العلاقـة بثمن أن تمنح بعـض الميـزات، وتعـدل قليـلًا مـن سياسـاتها، وتنحّـي الخيار العسـكري لمدة.

بالنسـبة إلـى إيـران، بـدأت هـذه العملية في الـدورة الثانيـة لبوش، وتوسّـعت بالتدريـج فـي مجـالات أخـرى، ولا سـيما مـع انتخـاب أوباما، حيـث كانـت فـي الحقيقـة خـطّ النهايـة للسياسـات العسـكريّة مـن الناحيـة الإعلاميـة علـى الأقـل.

تغيَّـرت السياسـة الأمريكيـة فـي عهـد المحافظيـن الجـدد مقارنـة بالعهـود السـابقة، إذ لـم تتـمّ الاسـتفادة مـن الأدوات العسـكرية، لأنّهم اسـتفادوا منهـا فـي العهـود السـابقة أيضًـا. كان التغييـر هو اسـتفادتهم منهـا كنظريـة لعلاقاتهـم، أي أنّ العلاقـات الدوليـة أصبحـت مبنيـة على الأحاديـة. كانـت هـذه النظريـة أسـاس علاقاتهـم الخارجيـة، ففـي عهـد السـيد كلينتـون، اسـتفادوا مـن الأدوات العسـكرية، ولكـن مـن دون أن تبـدو السياسـة الأمريكيـة بهـذه الصـورة. كان الهـدف فـي عهـد بـوش تثبيـت الهيمنـة الأمريكيـة علـى هـذا الطريـق، وقـد بـدأ فشـل هـذه

الطريقـة بشـكل واضـح مـع نهايـة الـدورة الأولـى مـن حكـم بـوش. إنّ انتخـاب أوبامـا ـ كمـا قلـت سـابقًا ـ هو أهـم دليل على حاجـة الولايات المتحـدة إلـى هـذا التغيير.

بعـد وصـول أوبامـا إلـى البيـت الأبيـض، أصبح تعـدد الأبعاد أسـاس نشـاط الولايـات المتحـدة الأمريكيـة، علـى الرغـم مـن أنّهـا لا تـزال تسـتخدم الأدوات العسـكرية. إن موضوعنـا ليـس تـرك الأمريكييـن لـلأدوات العسـكرية، بـل أنهـم كانـوا يعكسـون سياسـة بلدهـم بشـكل مخالـف للصـورة الحاليـة. كانـت الصـورة فـي عهـد بـوش تتمثـل فـي إصرارهـم علـى اتبـاع سياسـة أحاديـة. منـذ الـدورة الثانيـة لبـوش، وفي الـدورة الحاليـة لأوبامـا، تغيّـرت هـذه السياسـة، أي زالـت السياسـة الأحاديـة، وأصبـح تعـدد الأبعـاد أسـاس السياسـة الخارجيـة بالتدريـج.

فـي خطـاب أوبامـا حـول عالـم خـالٍ مـن السـلاح النـووي، يمكنـك مشـاهدة عمـل الفريـق الأمريكـي في اجتمـاع مراجعـة معاهدة NPT في العام 2010م، وسـلوكهم في الشـرق الأوسـط، وعلاقتهم بالمنظّمات الدوليـة وغيـر ذلـك. ويمكنـك أيضًـا مشـاهدة سـلوكهم فـي السياسـة الخارجيـة، واعتمادهـم علـى تعـدد الأبعـاد. لـذا، إن أردت تأليـف ذلـك الكتـاب مجـددًا، يجـب عليـك إضافة فتـرة جديـدة، هـي زوال الأحادية مـن السياسـة الخارجيـة، وظهـور تعـدد الأبعـاد بالشـكل الأوروبي.

مـا هـو توقّعـك؟ هـل تُحتمـل عـودة الأحاديـة فـي ظـروف خاصة، وخصوصًـا الأحاديـة ذات النـوع الخشـن، والخاصـة بسياسـة بـوش ؟

أسـتبعد ذلـك، إلّا بتغيير هائل في المسـتوى الدولـي أو حدث يجبر

الأمريكيين على تهدئة الرأي العام بعمل أحادي، لهذا أستبعد أن تكون الأحادية خيارًا يتجهون نحوه. في عهد بوش، كانت الظروف مؤاتية لخيار قائم على الأحادية. في الحقيقة، وفّر الحادي عشر من سبتمبر/**أيلول** هذا الخيار. وفي الدورة الثانية لبوش وأوباما، لم يعد للأحادية وجود، لأن هذا الخيار فاشل، ولكن الظروف قد تجبرهم عليه.

لا أقصد بهذه الظروف ظروفًا دولية، بل قد تجبرهم على ذلك حالة في الداخل الأمريكي. يعتقد البعض أنّ جميع السياسات في هذا البلد تنتهي بالسياسة الداخلية، حتى إنّهم كثيرًا ما يستخدمون هذه العبارة «جميع السياسات محلية»[1]. لهذا قد تبرز هذه الضرورة. ولكن في غيابها، وبحسب الظروف الدولية وحالة العلاقات الدولية الآن، لا أظنّ بعودة الأحادية، لأنّ الأحادية لم يعد لها مفهوم ولم يعد لدينا لاعب قوي. في الحقيقة، إنّ تغيير نوع اللاعبين في المنصة الدولية، وبروز اللاعبين غير الدوليين واللاعبين من غير الدول[2] في المجتمع الدولي، أسّسا لظروف جديدة فقدت بها الأحادية مفهومها.

لو تمكنّا من تلخيص العولمة في ثلاثة مجالات، سيكون المجالان الثقافي والبيئي أهم مجالين بعد المجال الاقتصادي. نظرًا إلى المخاطر التي تحيط بكوكب الأرض، مثل خطر الاحتباس الحراري

---

(1) بالإنجليزية:
All politics are local.

(2) بالإنجليزية:
Non state actors.

وضـرره، وثقـب طبقـة الأوزون، والأمطـار الحمضيـة، وزيـادة غـازات الاحتبـاس الحـراري، وتعريـة التربـة والمسـاحات الخضـراء، وأزمـة الميـاه، هـل تعتقـد أنّ العمليـات اللاحقـة سـتبرز العلاقـات الدوليـة بشـكل متعـدّد الأبعـاد بصـورة أكبـر، وسـيكون التعـاون بيـن اللاعبيـن الحكوميين، بـل غيـر الحكوميين، أوثـق ممـا سبق؟

إنـه أمـر الطبيعـي. ففـي بعـض المجـالات، مثل المجـال البيئـي، يبدو واضحًـا أن لا خيـار سـوى تعـدد الأبعـاد، علـى الرغـم مـن أنّ الـدول تؤمن بهـذا الأمـر، ولكنّهـا لا تـزال تعمـل مـن أجـل مصالحها بشـكل أحـادي، أي لعبـة «ربـح ـ خسـارة»، لأنّ تعـدد الأبعـاد يعنـي أنّـك مجبـر علـى حفـظ مصالـح الجميـع أو التنـازل عـن لعبـة الـ«ربـح - خسـارة». فـي الكثير من المجـالات، مثـل البيئـة، ثمـة إيمـان الآن بـأنّ المصالـح عامّـة، فـلا يمكـن أن تكـون المصلحـة إلـى جانبك وأن تتسـبب بخسـارة الآخريـن، ولكن مع الأسـف، لا تزال اللعبة السـابقة تمارس عمليًا، أي لعبة الـ«ربح - خسـارة».

مـن المهـم الانتبـاه إلـى أمـر من حيـث المفهـوم، وهو عدم رسـوخ المصلحـة العامـة فـي مجـال الأمـن مـن الناحيـة النظريـة، فالمصالـح عامـة، ولا يمكـن لبلـد أن يلعـب بشـكل «ربـح ـ خسـارة»، بينمـا تُعـدّ هـذه النظـرة موجـودة في بقية المجـالات من الناحيـة النظرية، ولكنّها لا تُراعـى عمليًـا، كمـا أنّهـا لا تـزال غيـر موجـودة حتـى مـن الناحيـة النظريـة فـي مجـال الأمن.

وأعتقد أيضًا أنّ ثمة تغيّرًا هامًا سيحصل لو وصلنا من الناحية النظرية في مجال الأمن إلى أن الأمن عالمي أيضًا، وكذلك الاقتصاد والبيئة والثقافة.

أعتقـد أنّ القبـول بهـذا الأمـر سـيكون نقطـة البداية لتغييـر جذري، ولكـنّ البدايـة بهـذا القبـول يتـمّ علـى مراحل. وعلـى الرغم مـن القبول بحقيقـة عالميـة البيئـة، فلا زلنا في مسـتوى العمل نسـعى برؤية ضيّقة بالنظـر إلـى المصالـح الوطنيـة أو مصالـح مجموعـات الضغـط، علمًا أنّ الجميـع متفـق على المسـتوى النظـري حول نظـرة عالميـة للبيئة، ذلك أن البيئـة عالميـة، ولا تسـتطيع أن تكـون وطنيـة أو إقليمية.

هـل تؤدي مجمـوع هذه الأمور إلـى تعزيز الدبلوماسـية المتعددة الأبعاد؟

يسـاعد مجمـوع هـذه الأمـور علـى فهـم اسـتحالة تجنـب الدبلوماسـية المتعـددة الأبعـاد، ولكـن مسـتوى تقويتهـا عمليًّـا هـو أمـر آخـر، يرجـع إلى موضـوع السـيادة فـي نموذجهـا الحالـي. ولكـنّ المجمـوعَ يبـرز اسـتحالة تجنّـب الدبلوماسـية المتعـددة الأبعـاد فـي مجـالات مختلفـة، وخصوصًا في المجـال الأمنـي.

مـا هـو تقييمـك للتغييـرات المفهوميـة والتاريخيـة للدبلوماسـية المتعـددة الأبعـاد فـي العلاقـة بيـن سـيادة الـدول؟ هـل صحيـح أنّ الدبلوماسـية المتعـددة الأبعـاد، مترافقـةً مـع عوامـل أخـرى، سـاعدت علـى تـآكل السـيادة الوطنيـة الناتجة مـن صلح وسـتفاليا فـي العـام 1648م[1]؟

إنّ العلاقـة بيـن السـيادة والدبلوماسـية علاقـة طريفـة جـدًا، فلعلها

(1) صلح وستفاليا أو Peace of Westphalia: اسم يُطلق على أوّل معاهدتي سلام تمّ توقيعها في العام 1648 لإنهاء حرب الثلاثين عامًا في الإمبراطورية الرومانية، وحرب الثمانين عامًا بين إسبانيا ومملكة الأراضي المنخفضة المتحدة. يُعتبر هذا الصلح أول اتفاق دبلوماسي في العصور الحديثة، وقد أرسى نظامًا سياسيًّا مبنيًا على سيادة الدول.

تُعتبر أحد أهم مظاهر السيادة، وأهم مظهر خارجي للسيادة. لهذا، تُعد علاقة السيادة والدبلوماسية وثيقة، كما أن علاقة الدبلوماسية المتعددة الأبعاد بالسيادة بمفهومها في وستفاليا وثيقة أيضًا.

نظرًا إلى ظهور مفهوم الدول ـ الشعوب كمظهر للسيادة في صلح وستفاليا ـ أصبحت للدبلوماسية المتعددة الأبعاد إمكانية الظهور في المنصة الدولية، لأنّ هذه العناصر التي نعرفها بالدولة أو الشعب، هي التي تستطيع اللعب في المنصة الدولية. لذا، تُعد الدبلوماسية والسيادة معجونًا واحدًا، كما أنّ الدبلوماسية المتعددة الأبعاد معجونة بالدولة والشعب. ليست الدبلوماسية المتعددة الأبعاد أسلوبًا لثورة في السيادة، بل هي طريقة لاستمرار السيادة.

كما قلت سابقًا، إنّ السيادة بحاجة إلى تعدد الأبعاد لحل مشاكلها، وذلك يرجع إلى ثلاثة أسباب هي: أولًا، عدم قدرتها على إنجاز جميع المهام بمفردها، ثانيًا: الوقاية من السلوك الأحادي لدى البقية، وثالثًا: إيجاد تبرير متعدّد الأبعاد لمصالحها.

في الحقيقة، وُجدت الدبلوماسية المتعددة الأبعاد لخدمة السيادة، لأنّ السيادة هي روح الدّول والشعوب وهُويتهم، وهم حساسون بالنسبة إلى هذا الجانب، ويعملون بحذر فيما يخصّ التنازل عن جزءٍ منها. هذا بخلاف رؤية الفدراليين الذين يعتقدون أنّ نظام الحكم صاحب السيادة، يمكنه التنازل عن جزء كبير من سيادته إراديًّا. على أي حال، وُجدت الدبلوماسية المتعددة الأبعاد لتخدم السيادة في حلّ مشاكلها.

بخلاف ظنّ الكثير من الأشخاص، لم يكن من المقرر أن تحل المؤسّسات المتعددة الأبعاد مكان الدول. فكما قلت، هذه الصورة عن الدبلوماسية المتعددة الأبعاد والمنظمات الدولية خاطئة. ولكن الحدث المهمّ طيلة القرنين الماضيين أو القرون الثلاثة الماضية من عمر الدبلوماسية المتعددة الأبعاد، هو أنّ السّيادة لم تتمكَّن من حصر المنظمات الدولية في الحدود الَّتي أرادوها لها، على الرغم من العديد من الأسباب الّتي تدخّلت في هذا الصّدد، وأهمّها في العصر الحديث، العولمة.

إنّ عولمة التجارة ليست ظاهرة جديدة، بل يعود تاريخها إلى أوائل القرن العشرين، إذ رافقها نوع من تغير مفهوم السيادة. قد تقول إنّ هذا التغير في المفهوم نوع من التآكل، وقد يود شخص أن يتجاوز ما أقول، ليدعي أنّ التغيّر في مفهوم السيادة، ليس تآكل السيادة بل استمرارها، فلو لم يكن هذا التغير، لما بقيت السيادة أصلًا. لذا كانت السيادة مجبرة على قبول هذا التغير ليستمر مفهومها. في الحقيقة، عمل هذا التغير في اتجاه تقوية السيادة، وليس تآكلها.

ومهما يكون الاسم الذي تطلقه عليها، من تغيير السيادة وتآكله حتى تحديثها، فإنّ المتيقن هو أنّ السيادة التي نتحدث عنها اليوم تختلف بشكل جذري عن السيادة في القرن التاسع عشر في مجال السلطات ومستوى المسؤولية. وهكذا ـ كما أعتقد شخصيًّا ـ تغيرت السيادة من السلطة إلى المسؤولية، وإن كنت تعرف السيادة في يومٍ ما كسلطة، فيجب عليك اليوم أن تعرفها بالمسؤولية.

ذات يـوم، كانـت السـيادة تعنـي السـلطة الكاملـة فـي مجـال العلاقـات الخارجيـة، وكان مـن الممكـن اسـتخدام أي أداة لتنفيـذ هـذه العلاقـة، ومـن هذه الأدوات، الحرب بشـكل أولي. كانت السـيادة تتمتع بسـلطة أكثـر حزمًـا فـي السياسـة الداخلية، ذلـك أنّها كانت قـادرة على القيـام بـأي فعـل تجـاه رعاياهـا. في تلـك الأيـام، كان النـاس رعايا هذه السـيادة، ولـم يكـن لهـم أهميـة فـي المجتمـع الدولـي. فـي الحقيقـة، كانـت أهميتهـم تابعـة لأهميـة السـيادة التـي ينتمـون إليهـا. لـذا كان التعامـل مـع الشـأن الداخلـي يتّسـم بالسـلطة الكاملـة، وكيفيـة التقدم بالأهـداف الخارجيـة يتمتـع بسـلطة شـبه كاملـة.

تغيّـرت هـذه السـلطة فـي الجانـب الخارجـي تدريجيًّا، إلـى أن مُنع العمـل العسـكري والحـرب كأداة للسياسـة الخارجيـة في ميثـاق كيلوغ بريـان فـي العـام 1928م. بعـد ذلـك، تـمّ التأكيـد علـى هـذا المنع في ميثـاق الأمـم المتحـدة، بخـلاف الصـورة التـي تقـول إنّ ميثـاق الأمـم المتحـدة هـي التـي ابتكـرت منع الحـرب، بل يعـود المنع فـي الحقيقة إلـى الاتفاقيـة المذكورة. بحسـب الميثاق، إنّ الدفاع الشـرعي هو الحل البديـل بعـد كل الإجـراءات الجماعيـة فـي الفصـل السـابع، ولا يمكننـا أن نتصـور أنّ منـع اللجـوء إلـى العنـف مبنـي علـى توفيـر نظـام أمـن جماعـي، لأنّـه كان قائمًـا قبـل ذلـك أيضًـا. لهـذا، فـإنّ هـذا الجـزء مـن السـيادة تغيّـر قبـل الميثـاق، وبقـي التغييـر بعـد ذلك.

مـن ناحيـة أخـرى، كانـت السـيادة فـي السـلطة الداخليـة أيضًـا، وكانـت الـدول تتمتـع بسـلطة كاملـة وأكيدة. كمـا لم يكـن مـن الممكن

التدخل في شؤونها بأي شكل، وقد حاز هذا الأمرُ التأكيدَ حتى في ميثاق الأمم المتحدة. إن المجالين المُهمَّين اللذين قد يمكن التعبير عنهما بالتدخل، أي حقوق الإنسان ونزع السلاح، كانا فقط يحملان عنوان التعاون والتوافق الفكري والإرشاد والاقتراح.

ولكنّنا نشهد اليوم تطورًا في مجال حقوق الإنسان، حيث انتقلت من مرحلة الترويج، والتي كانت مجرد تعاون وتوافق فكري، إلى مرحلة الدعم، حيث يتمّ ذكر أسماء منتهكي حقوق الإنسان، وأصبحت اليوم في مرحلة التدخل والمحاكمة، وهو ما يعتبر من آثار عقد التسعينيات.

إنّ التدخل بعنوان «مسؤولية الحماية» يعود إلى نهاية التسعينيات وبداية القرن الجديد، بحيث أصبح رسميًّا في العام 2005م. هذه التغييرات هي إحدى علامات انخفاض السيادة في مجال حقوق الإنسان، وفي مجال نزع الأسلحة، على الرغم من عدم حدوث أي تدخل سابقًا. كما نشهد اليوم تدخلًا عبر التفتيش ضمن إطار الاتفاقيات الدولية أو ضمن قرارات من مجلس الأمن.

تدلّ هذه الأمور على صورة جديدة للسيادة، حيث تبدّل مفهومها من السلطة إلى المسؤولية. وكان عنوان «مسؤولية الحماية» ناتجًا من هذا التغيير. إنّ السيادة مسؤولة عن حماية رعاياها، ولكن هذه المسؤولية ليست حكرًا عليها، ذلك أنّها إن لم تتمكن من ذلك، يجب على الآخرين القيام به. في الحقيقة، يُعدّ هذا الأمر تطورًا جذريًّا في مفهوم السيادة، وإن كنا لا نريد منحه

ثقلًا قيميًّا، فسنقول عنه إنه «تغيير»، وإلّا يمكنه أن يكون تآكلًا أو استمرارًا أو تقوية.

يعتقد الكثيرون بعد أحداث الحادي عشر من سبتمبر/أيلول أنّ روحًا جديدة بُعثت في السيادة الوطنية ودور الدولة. لو انتبهت إلى المرحلة السادسة للمنظمات الدولية ـ وهو ما أشرت إليه في السؤال السابق ـ أي مرحلة العودة إلى تعدد الأبعاد، ستلاحظ دخول اللاعبيين من غير الدول إلى مجال الأمن أيضًا، وهو ما يدلّ على عدم إمكانية عودة تغيير مفهوم السيادة إلى الوراء.

قد تكون ثمة فترات تظهر فيها الأحادية، أو تبرز الدول الوطنية كأنها اللاعب الأصلي أو اللاعب الوحيد ـ لأن الدول الوطنية لا تزال اللاعب الأصلي ـ ولكن التغييرات تبقى جذرية، بحيث تكون هذه الفترات عابرة. ولهذا أعتقد أنّ مفهوم السيادة لن يعود إلى الوراء.

بحسب تآكل المفهوم التقليدي للسيادة، والتعرية التدريجية لسيادة الدول، نشهد إعادة لتعريف السيادة. وبحسب هذا التعريف تكتسب الدول سيادتها من الشعب. نرى هذا الموضوع جليًّا في تقرير العام 2004م للجنة العليا التي اختارها الأمين العام للأمم المتحدة بعنوان «دراسة التحديات والفرص العالمية». ومن ناحية أخرى، نشهد في العالم الثالث غالبًا سلطة الدول؛ دول تعتقد بشكل واضح أنّ مصدر سلطتها وشرعيتها يعود إلى الشعب بشكل جزئي فقط، وكمثال ذلك، هو التغييرات الإقليمية، وهروب الشعوب من أغلال السيادات

المستبدة. هل يمكن تخيّل مستقبل النظام الدولي على أساس سقوط الأنظمة المستبدة وإعادة تعريف مفهوم سيادة الدول؟

إنّ وجود بعض الدول المستبدّة لا يعني توقف انخفاض دور السيادة، فالأخيرة تتجه من السلطة إلى المسؤولية، وبغض النظر عن الرؤى السياسية، فإن هذه الحركة إيجابية. ومن الطبيعي استغلال هذا الأمر سياسيًّا، كما نرى ازدواجية المعايير في مقاومة الشعوب للدول المستبدة، والأمثلة واضحة. يدل هذا الموضوع على الجهود المبذولة لتقييد مساءلة السيادات، ولكن يبدو أنّ عولمة الثقافة والاتصالات والمعلومات، وكذلك العواطف، ستؤدي إلى فشل الدول المستبدة في تحقيق مصالحها الوطنية على الأمد البعيد.

قد تكون هذه الحركة خطيرة ومليئة بالتوترات. وكما قلت سابقًا، تعدّ الفترات الانتقالية مليئة بالمخاطر دائمًا. وبحسب التعبير القرآني: ﴿وَتِلْكَ ٱلْأَيَّامُ نُدَاوِلُهَا بَيْنَ ٱلنَّاسِ﴾[1]؛ إنّها من علامات القدرة الإلهية، فالله يزيل ملوكًا ويستخلف آخرين. هذه الأمور تحدث في الفترات الانتقالية غالبًا، لهذا لا بد من أنّنا سنواجه المخاطر والتحديات، ولكن يبقى الأساس هو أن السيادة تنتقل من السلطة إلى المسؤولية، وهي حركة نحو التطور.

(1) سورة آل عمران، آية 140.

إذًا، هل تعتقد أنّ السيادة ستبقى موجودة لفترة غير محددة؟

لا يمكن التحدث عن الموضوع وكأنّه خالد، لأننا إن آمنّا بظهور المخلص أي الإمام المهدي ﷻ، فسيكون العالم مختلفًا عند ظهوره عن شكله الحالي. لهذا يجب أن نقبل بأنّ العالم يتجه إلى نوع آخر من العلاقات. ومن الحتمي ظهور نوع جديد من العلاقات. ما أودّ قوله هو أن تغيير النموذج ـ حتى وإن لم نكن نعتقد بجبر التاريخ ـ حتمي في العلاقات الدولية، وأعتقد أنّ الحركة من السلطة إلى المسؤولية، هي مفهوم قائم ضمن هذا الإطار.

في المجتمع المأمول؛ «مجتمع الحكومة الإسلامية في عصر ظهور الإمام المهدي ﷻ»، ستكون العلاقات الإنسانية بديلًا من سلطة الأفراد. كانت العلاقة في عصر الرسول ﷺ سببًا لمحاسبة أعرابي للنبي، ومنع النبي أصحابه من التعدي عليه؛ لأنّ الرسول ﷺ، وهو مبعوث الإله، يرى نفسه مسؤولًا أمام المجتمع، ويقول: «دعوه يسأل ويبرز ظلامته». لو كنا نعتقد أننا نريد العودة إلى هذا المستوى، فيجب أن ننظر إلى هذه الحركة بشكل إيجابي.

أنا أسعى إلى إبراز آرائي من دون قيم. في الحقيقة، سيبقى مبدأ السيادة ومبدأ الدول ـ الشعوب اللاعبين الأساسيين على المنصة الدولية لمدة جديرة بالملاحظة، ولكنّها قابلة للتنبؤ. بالتأكيد، لن تكونَ اللاعب الوحيد، لأنّ على المنصة الدولية الكثير من اللاعبين المؤثرين، وعددهم في تزايد. أظنّ أنّ مفهوم سلطة السيادة، أو السيادة بمعنى السلطة، يتجه نحو الزوال. قد تتواجد دول مستبدة،

ولكنّها ستفقد شرعيتها، وهو ما يوفر لها أرضية تقييد وجودها في المجتمع الدولي.

كيف ترى علاقة تغيير مفهوم السيادة بضغوط الضمير اليقظ للمجتمع العالمي بالنسبة إلى حقوق الإنسان؟

يجب أن نفصل بين هذين الموضوعين، وخصوصًا في البيئة السياسية لبلدنا. ونظرًا إلى تغيرات المجتمع العالمي، ومنها عولمة المشاعر والإحساسات، لم يعد موضوع حقوق الإنسان شأنًا داخليًّا، بل أصبح، طوعًا أو كراهيةً، موضوعًا عالميًّا. وقد اقترن هذا الموضوع بعملية العبور من السلطة إلى المساءلة والمسؤولية، بل إنّ مسألة حقوق الإنسان من أبرز مظاهره.

إن الموضوع الآخر هو الآليات الدولية لاستحقاقات حقوق الإنسان، ويجب أن لا نخلط بين عولمة حقوق الإنسان، وكونها قلقًا مشروعًا للمجتمع العالمي، وبين الآليات المستحدثة لتتبع هذه الحقوق، لأنّ هذه الآليات تعاني نقائص جذرية، وهي أدوات لعبة سياسية.

في الحقيقة، يتمّ الطعن في أصل موضوع حقوق الإنسان بهذه الآليات، وهو قلق شرعي للمجتمع العالمي. ولذا، يجب أن نفصل بين هذين الموضوعين بشكل كامل. تعمل آليات حقوق الإنسان بشكل انتقائي جدًا، وتدخل فيها الكثير من الملاحظات السياسية، ولكن هذا لا يعني أنّ أصل حقوق الإنسان التشريعي سيقع تحت هذه الظروف.

من المواضيع الجدليّة في ميثاق الأمم المتحدة، منع الحرب، ما عدا في حالة المبادرة الجماعية لحفظ السلام، أو الدفاع المشروع مقابل هجوم عسكري، وهو ما يُعرف بمبدأ عدم التدخل في الشؤون الداخلية للدول. كيف يمكن التوفيق بين مساواة السيادات وعدم التدخل في الشؤون الداخلية؟

لا ترتبط هذه المواضيع ببعضها البعض، فمنع الحرب ومساواة السّيادات وعدم التدخّل، هي مواضيع مستقلة. تحدثنا فيما سبق عن عدم التدخل، وهو من أهم أعمدة السيادة سابقًا، وقد تعرّض للتآكل بالتدريج. في إحدى الفترات، كان من المستحيل التدخّل في الشأن الخارجي لأي دولة، وكان للدول الحق في القيام بأيّ عمل، ولكنَّ الحرب مُنعت فيما بعد، وقُيِّدت السلطة الخارجية للدول، أي تحركت الشؤون الخارجية الخاصة بها من السّلطة إلى المسؤوليّة. في الشّأن الدّاخليّ أيضًا، تمّ تقييد السلطة في مجالات عدة، مثل حقوق الإنسان ونزع الأسلحة. هكذا تمّ تغيير مفهوم التدخّل.

إنّ أبرز تعديل أو تغيير للسّيادة يقع في مجال عدم التدخّل في الشّؤون الخارجيّة والداخليّة. أما موضوع تساوي السيادات، فهو جانب آخر لعدم التدخّل، لأنّ الدول تتمتّع بتساوي السّيادة من حيث قواعد المنظمات الدولية وقواعد ميثاق الأمم المتحدة. لهذا، لا يمكن لهذه العناصر المتساوية في السّيادة التدخّل في الشّؤون الدّاخليّة لبعضها البعض أو محاكمة بعضها البعض، ولكننا نرى تغييرًا في مجال تساوي السّيادة، والّتي تنبعث منها الحصانة الدبلوماسية، وحصانة مسؤولي الدولة، وحصانة السيادة.

فمن ناحية، أُثير موضوع المحكمة الجنائيّة الدوليّة التي تتمتّع بسلطة دولية. ومن ناحية أخرى، أُثير مفهوم جديد باسم «السلطة العالمية»، يمكن بموجبه أن تحاكم محكمةُ بلد ما أشخاصًا من بلد آخر، من دون أن تكون بينهما علاقة، بمعنى أنّ الجرم حدث في مكان ما، وكان المتنازعون من بلد آخر، ولا تربطهم علاقة ببلد المحكمة. فمثلًا، تقيم حكومة بلجيكا جلسات لمحاكمة أرييل شارون، لأنّه ارتكب جرائم ضدّ أشخاص ـ ليس لهم علاقة ببلجيكا ـ ولكنّ ذلك يتمّ نظرًا إلى بروز مفهوم جديد هو «السلطة العالمية» و«السّلطة الدّوليّة»، تتمتّع بها المحكمة الجنائية الدولية. إنّ هذه المواضيع جديدة في مجال استقلال السيادة، وضمن موضوع تغيير السيادة. شخصيًّا، أرى تغيير السيادة بشكل جذري في موضوعين: الأول هو استقلال السيادة، والآخر في مجال عدم التدخل (السيادة الخارجيّة).

أما الحرب، فهي موضوع يمكن تناوله بشكل منفصل تمامًا. إنّ أحد أبعاد منعها، هو تقييد السيادة في مجال العلاقات الخارجية، ومنع الحرب إلا في حالات الدفاع الشرعي، ما يعني فقدان السيادة لسلطتها الكاملة في مجال العلاقات الخارجية، الأمر الذي يعود إلى أوائل القرن العشرين. هذا فيما يخصّ سؤالك حول موضوع السيادة.

أما الحرب، فأعتقد أنّها فقدت ميزتها السياسية، ولم تعد أداة مناسبة للعلاقات الخارجية، ولكنّ ذلك لا يعد حدثًا جديدًا، بل يعود إلى الحرب العالمية الأولى، ولهذا مُنعت الحروب. ولم يكن اتخاذ عدد من الحقوقيين لهكذا قرار عبثًا، حيث تيقّن السياسيون أنّ

الظـروف تغيـرت، وأنّ كلفة الحـروب كأداة للسياسـة الخارجية أصبحت أكثـر مـن فوائدهـا، وفهمـوا أنهـا لـم تعـد كالسـابق، حيـن كانـت لازمةً لحفـظ النظـم الدوليـة فـي نظـام تعـادل القوى.

لـذا، كانـت المـادة الأولـى فـي ميثـاق باريـس فـي العـام 1928م، أو مـا يسـمى بميثـاق كيلـوغ بريـان، هـي «استنكار الـدول الموقّعـة عليـه اللجـوء إلـى الحرب لتسـوية الخلافـات الدوليّة». ولكن لـمَ اتخذوا هـذا القـرار؟ فـي الحقيقـة، لوجوبـه سياسـيًّا، وليـس لحب الإنسـانية أو النموذجيـة. أظـنّ أنّ أسـاس هـذا القـرار كان الضّـرورة السياسـيّة، ولكن قـد يقـال فـي الإعـلام إن جـزءًا منه حـبٌ للإنسـانية!

رغـم ذلـك، عندمـا ظنّـت الـدول أنّها قـادرة على تحقيق نصر سـريع فـي الحـرب، أخطـأت فـي الحسـابات، فكانت حـروب القرن العشـرين، ولكـنّ الحقيقـة هـي أنّ انعـدام جـدوى الحـرب بقـي مسـتمرًا، ولهـذا نلاحـظ كلّمـا تقدمنـا رغبـة الـدول فـي النصـر السـريع فـي الحـرب. إنّ نظريـة النصـر الخاطـف التـي يتبعهـا الأمريكيـون ناتجـة مـن العولمـة، ومنهـا عولمة المشـاعر، التي تمنـع خوض الدول لحـروب طويلة المدة. هـذا موضـوع آخـر، ويمكـن تأليـف كتـاب حوله.

ما هي أهم الأزمات الأمنية في العالم حاليًّا؟ وكيف تصنّفها؟

لـو نظرنـا إليهـا بالرؤيـة الكلاسـيكيّة، فـإنّ أهـمّ أزمـة أمنيـة فـي العالـم حاليًّـا تتمثـل بدخـول اللاعبيـن مـن غيـر الـدول إلـى منصـة الأمـن الدولـي.

هل أصبح دخول هؤلاء اللاعبين أزمةً؟

تتمثل الأزمة الأساسية بدخول هؤلاء اللاعبين إلى منصة الأمن الدولي، أي خروج احتكار اللعب في مجال الأمن من يد الدول، ودخول لاعبين من غير الدول في هذا المجال. بحسب الرؤية الكلاسيكيّة، تخلق هذه الحالة ظروفًا جديدةً وأزمةً جذريّة.

في اعتقادي، أصبح الأمن عالميًّا إلى درجةٍ لا يكون جمعه ـ مثل البيئة ـ مساويًا لصفر. في الحقيقة، يكون مجموعه إيجابيًّا أو سلبيًّا. ولذلك، إنّ أكبر أزمة لدينا هي أزمة حوار أو أزمة مفهوم، أي فهم حقيقة عولمة الأمن.

توجد ثلاث نظريات أصلية في الحقوق الدولية والعلاقات الدولية فيما يخصّ نزع الأسلحة وكيفية التعامل مع أسلحة الدمار الشامل. تقول النظرية الأولى إنّ التحكّم بالأسلحة يخلق النظام، وتعتقد الثانية أنّه يزيل النظام، وترى الثالثة أنّ نزع السلاح ممكن عن طريق نشاطات حقوق الإنسان والحقوق الإنسانية. بماذا تعتقد؟ وماذا يقول ميثاق الأمم المتحدة في هذا الخصوص؟

بحسب النظرية المبنية على فكرة الردع، تمنع الدول الحربَ بقوتها، وتتّقيها بتخزين القوة، لأنّها ستخشى أيّ هجوم عليها. هذه النظرية بارزة في مجال السلاح النووي بشكل أكبر، لأنّ الدول التي تحصل على هذا السَّلاح، تتصرف بمسؤولية أكبر، وتنتبه إلى مخاطر الاستفادة منه.

لا يبدي المؤمنون بهذه النظرية معارضة لحصول إيران على السلاح النووي، فأساس رؤيتهم قائم على أنّ إيران النووية ستعمل بمسؤولية أكبر في المنصة الدولية. ولإثبات هذه الرؤية، يضربون الهند وباكستان وعلاقة القوى العظمى، شاهدًا على عقيدتهم. ببعض من التسامح، تُسمّى هذه النظرية بنظام الجنون[1]، وهذا يعني أنّك تحصل على الأمن بالسلاح النووي عندما تدخل المعادلات الاستراتيجية، وتكون لديك الضمانة بأنّ اعتداء العدوّ لتدميرك سيعني دماره أيضًا، أي تدمير الجانبين.

تعتقد النّظريّة الأخرى أنّ جمع السلاح بنوعيه؛ أسلحة الدمار الشامل والأسلحة التقليدية، سواء كان بشكلٍ عشوائيّ أو بشكل عسكريّ ـ صناعيّ، كما كان يحصل من الستينيات حتى الثمانينيات، للتقدّم بالمصالح، سيؤدي حتمًا إلى خلق أزمة ثقة وصِدام. إنّ أساس نظرة الأمم المتّحدة إلى نزع الأسلحة يميل إلى هذه النظرية، وثمة إشارات إليها في ميثاق الأمم المتحدة. في الحقيقة، لقد توصّلوا إلى أنّ تقليل تكاليف التسليح، والوقاية من أسلحة الدمار الشامل، والشفافية بالنسبة إلى الأسلحة التقليدية، يمكنها تخفيف القلق والحروب والصدام في المجتمع الدولي.

إنّ هاتين النظريتين موضوع بحث بين المفكّرين منذ عقود، حيث تسعى كلّ مجموعة إلى إثبات نظريّتها، ولكنها لا تستطيع

---

(1) بالإنجليزية:
Mutually Assured Destruction (MAD).

إقناع المجموعة الأخرى بخطأ النظرية المقابلة. ومن الطبيعي، أن تتجه الدول إلى النظرية الأولى بشكل أكبر، أي أن تجمع أكبر كمٍّ من الأسلحة، ولكن ذلك لن يكون دليلًا للقول إنَّ الدول تسعى إلى جمع السلاح، فإنّ الطريقة المناسبة للحصول على الأمن هو الردع. وعلى أي حال، لا أريد أن أقول أي النظريتين صحيحة.

إنّ النظرة الإنسانية تكمن في السعي إلى الجمع بين النظريتين، بمعنى أنّها، ودون أن تدخل في موضوع فائدة السلاح أو خطره، تقول بمنع الأسلحة الذي يتعدى أثرها ضرورة الحرب، أي منع الأسلحة التي تشكل خطرًا شاملًا يتعدى ضرورات أهداف الحرب، مثل القنابل الحارقة والأسلحة الكيميائية. ولكنّني أعتقد شخصيًّا أنّ الدخول في مجال ضرورات الحرب بهذه النظرة الإنسانية، سيجعل كلّ شيء قابلًا للتبرير.

في الحروب الحالية، يقال لإصابة غير العسكريين «أعراضًا جانبيّة»، بينما في الكثير من الحالات، كما رأينا في أفغانستان والعراق، تزيد إصابات غير العسكريين في مقابل إصابة عدد أقلّ من المحاربين، وترتفع أعداد القتلى من المدنيين في مقابل أعداد أقل من المقاومين ـ يمكن أن تسميهم بالإرهابيين أو المحاربين، أيًّا يكن اتجاهك ـ إنّ أثر الحرب في المدنيين أكبر من أثره في العسكريين. ولهذا، يبدو أن التأكيد على الملاحظات الإنسانية غير كافٍ، على الرغم من أنّه ضروري.

هذا هو الموضوع بشكل عام من دون الدخول في التفاصيل. ومن الطبيعي، أنك عندما تريد تناول أي موضوع بشكل عام، فعليك أن تلخّصه وتبسّطه للغاية، ذلك أنّ كلًّا من هذه المواضيع معقّد أكثر من قدرتنا على التحدث عنه هنا، لأنّه يحمل في طياته موضوعات أخرى نستطيع مناقشتها في الصفوف الدراسية. أما في حديث عام، فإننا نتحدّث عن مظاهرها، ولا نستطيع تناولها من جميع الجوانب.

من المبادئ التي قادت سيادة الدول وحريّتها في مجال الأسلحة، عمليّة نزع الأسلحة والسيطرة عليها دوليًّا. تحدّثنا في السّابق عن مبدأ سيادة الدول، ومنه موضوع نزع الأسلحة والسَّيطرة عليها، الذي يعرّض سيادة الدول لأزمة. أولًا: حدّثنا عن هذا المبدأ، وهل ساعد نزع الأسلحة والسّيطرة عليها على السّلام والأمن الدوليين؟ وكيف كانت هذه المساعدة (إن حصلت)؟

الموضوع الأول: تعرّضت الصورة الكلاسيكية القديمة للسيادة لتغيير جذري في مجالين: المجال الأول هو حقوق الإنسان، والآخر هو مجال نزع السلاح. في المجالين، يمكنك ملاحظة تغيير مفهوم السيادة من السلطة إلى المسؤولية، أي تغيير حقوق الإنسان من شأن داخليّ إلى إدانة غير محصورة في انتهاكها فقط، بل يمكن محاكمة منتهكي حقوق الإنسان في المحاكم الدولية والداخلية وفقًا لأساس مبدأ السلطة العالمية. تسمح السلطة الدولية للمحاكم الدولية بالعمل وفق هذا المبدأ، كما تسمح به السلطة العالمية للمحاكم المحلية. إن التغيير من

السلطة والحصانة إلى المسؤولية والمساءلة، موضوع مهمّ جدًّا، وخصوصًا في مجال نزع السلاح.

بالنسبة إلى هذا المجال (نزع السلاح)، فإنه يُعدّ في بعض الحالات أهمّ من حقوق الإنسان، لأنّه يدخل ضمن أمن الدول. يتحدث ميثاق الأمم المتحدة عن اقتراحات للدول في مجال تحديد الأسلحة، ولكنّنا دخلنا تدريجيًّا في نطاقات أخرى. ففي البداية، أصبحت الدول تحت الرقابة، بحسب إعلان الدّول عن فعالياتها، مثل الـ NPT ونظام الضمانات، ثمّ توسّعت هذه الرقابة اليوم لتصبح رقابة تدخلية، مثل اتفاقية منع الأسلحة الكيميائية، واتفاقية المنع المطلق للتجارب النووية، والبروتوكول الإضافي، وسائر الآليات المتعلّقة بالأسلحة البيولوجيّة، والتي لا تزال قيد الدراسة.

من ناحية أخرى، فإنّنا نرى تدخّل مجلس الأمن عن طريق مؤسَّستي «UNMOVIC»[1] و«UNSCOM»[2] في العراق. في الحقيقة، أسّس مجلس الأمن لهاتين المؤسَّستين دون أيّ اتفاقيّة كقاعدة، بل كسلسلة من الملاحظات السّياسيّة، ولذلك، لا يتوقّف عمل هذه المؤسَّسات عند الرقابة والإشراف فحسب، بل يتعداها إلى التدمير أيضًا.

---

(1) بالإنجليزية:

United Nations Monitoring Verification and Inspection Commission (UNMOVIC).

(2) بالإنجليزية:

United Nations Special Commission (UNSCOM).

هلّا شرحت المزيد عن UNMOVIC و UNSCOM؟

إنّ UNMOVIC هـي لجنـة الأمـم المتحـدة للرقابـة والتحقيـق والتفتيـش. بعـد حـرب العـراق والكويـت، تشـكّلت فـي البدايـة لجنـة باسـم UNSCOM، أي لجنـة مجلـس الأمن الخاصة، وكانت مسـؤوليتها الأصليـة تدميـر أسـلحة العـراق. بعد ذلـك في نهايـة التسـعينيات، ومع سلسـلة مـن التغييـرات الداخليـة ـ والتـي لا تهـمّ القـارئ ـ تحوّلـت إلى لجنـة أخـرى عرفـت باسـم UNMOVIC.

بعـد الهجـوم علـى العـراق وإسـقاط حكومة صـدام، عارضت بعض الـدول الـرأي القائـل بإغـلاق UNMOVIC، معتقـدةً أنّ التّجربـة الحاصلـة مـن UNMOVIC، يجـب أن تُحفـظ ويُسـتفاد منهـا فـي حـالات أخـرى. ومـع تغييـر الآليـات المتفـق عليهـا للرقابـة التدخليـة، نشـأت آليـات سياسـية خاصـة بهـا عـن طريـق مجلـس الأمـن. وفـي الحقيقـة، فإنهـا أصبحـت رسـمية بعـد هـذا التاريـخ. يعدّ هـذا التغيير جذريًّـا فـي مجـال السـيادة، وقـد اسـتمرّ مـع تطـوّر طـرق الرقابـة في المجـال الدولـي.

كان سـؤالك الثانـي حـول مسـتوى نجـاح هـذه الأنظمـة في السّـلام والأمـن الدولييـن. مـن الحتمـي أنّ آليـات نزع السـلاح الدولية سياسـية الجوهـر، شـأنها شـأن سـائر الآليـات الدوليـة، وتحتـلّ الملاحظـات السياسـية فيهـا أولويـة وأهميـة خاصـة. لـذا، عندمـا تسـتوجب مصالـح القـوى العظمـى، تسـتخدم هـذه الآليـات كأدوات للضغـط السياسـي للحصـول علـى الأهـداف التـي قـد لا تكـون مرتبطـة بموضـوع هـذه

الاتفاقيـات. كما تسـتخدم هذه الأدوات للضغط على إيران، ولا يُسـتفاد مـن هـذه الآليـات بالنسـبة إلـى دول أخـرى.

ولكننـي أعتقـد أنّ هـذه الأمـور اسـتثناءات للقاعـدة، وليسـت أصـل القاعـدة، فبشـكل عـام، لـم تكـن الآليـات الدوليـة لنزع السـلاح فاشـلة فـي منـع انتشـار الأسـلحة. عنـد الموافقـة علـى معاهـدة عـدم انتشـار الأسـلحة النوويـة أو الــ NPT، كانـت الـدول النوويـة خمسـة، ويبلـغ عددهـا اليـوم، كحـدٍّ أقصـى، ثمانـي أو تسـع دول تمتلـك سـلاحًا نوويًـا كانـت قـد اختبرتـه. وقـد كانـت الـدول التـي تسـتطيع إنتـاج أسـلحة نوويـة، ولكنّهـا لـم تقـم بذلـك بسـبب وجـود نظام دولـي لمنع انتشـار هـذه الأسـلحة، أكثـر بكثيـر من الـدول الأربع التـي انضمت إلـى الدول النوويـة. لـن أدخـل فـي الحديـث عـن هـدف الاتفاقيـة، وإذا مـا كانت صحيحـة أو لا، ولكـن يمكـن أن نقـول إنّهـا لـم تكـن فاشـلة فـي منـع انتشـار الأسـلحة النوويـة.

نعـم، إنّ نظـام المنع الشـامل للاختبـارات النووية لم يضـع إلى الآن اتفاقيـة ملزمـة التنفيـذ، لأنّ عـددًا مـن الـدول التي يجـب أن تنضمّ إلى الــ CTBT لتصبـح الاتفاقيـة إلزاميـة التنفيذ، لم تنضم إليهـا بعد، ولكن الاختبـارات النوويـة انخفضـت كثيرًا منذ توقيـع معاهدة CTBT.

قـد تقـول إنّ الـدول النووية انضمّـت إلى الــ CTBT في الوقت الـذي لـم تكـن بحاجـة إلـى اختبـارات نوويـة. لا أريـد الدخـول في هـذا الموضـوع، ولكـنّ النقاشـات اليوم في أمريكا تـدلّ على أنّ هذا الـكلام ليـس صحيحًـا تمامًـا. لهـذا، فـإنّ وجود نظـام دولي يعـدّ أحد

الأسباب لانخفاض التجارب النووية، غير أنه ليس السبب الوحيد. وبهذا، لا يمكن القول إنّ هذه الآليات فاشلة تمامًا، ولكنهم لم يصلوا إلى جميع أهدافهم، كذلك، لا يمكن القول إنّهم لم يواجهوا عقبات جذرية سياسيًّا عند التنفيذ.

في موضوع السَّيطرة على التسلّح، نشهد حرية في الانضمام إلى اتفاقيات نزع السلاح والانسحاب منها، ألا يقلّل ذلك من قوّة الاتفاقيّة؟

لا أعتقد بذلك. أولًا، يجب عدم الخلط بين الاتفاقية والنظام. صحيح أنّ الانضمام والانسحاب من اتفاقيات نزع الأسلحة، مثل NPT، حر ـ ولكن الانسحاب منها ليس سهلًا، بل له آثار سيئة ـ والحقيقة هي أنّ نظام منع الانتشار أوسع من اتفاقيته.

في الواقع، إنّ الذين لم ينضموا إلى اتفاقية منع الانتشار يدعمون نظام منع الانتشار، ويُعتبر النظام الصهيوني إحدى القوى التي تصرّ أكثر من غيرها على عدم الانتشار بالنسبة إلى إيران، على الرغم من أنها ليست منضمّةً إليه، ولذلك أسباب خاصة.

لن أناقش هنا الفرق بين النظام والاتفاقية، ولماذا يُعدّ نظام منع الانتشار عالميًّا، بينما تبدو اتفاقيته ضعيفة، ولم تصبح عالمية بعد. لهذا، إنّ الانضمام إلى الاتفاقيات الدولية أو عدم الانضمام إليها، لا يعدّ اليوم حصانة. في الواقع، إنّ ما يخلق الحصانة للبعض هو علاقاتهم السياسيّة.

كمثال على ذلك، لم يكن العراق عضوًا في الاتفاقية الكيميائيّة، ولكنه، بحسب قرار مجلس الأمن، لم يُجبر فقط على تدمير أسلحته الكيميائية، بل حدَّد لها أيضًا آلية أوسع، أكثر تدخّلًا وإجبارًا من آليات المعاهدة الكيميائيّة، وقد أُجبرِ على تنفيذها.

هذا الموضوع ينطبق على مسألة الإرهاب أيضًا. لدينا عدد من الاتفاقيات الخاصة بالإرهاب، ولكن بحسب قرار مجلس الأمن 1373، لا يجب على جميع الدول الالتزام بكل البنود التنفيذية لهذه الاتفاقيات فحسب، بل عليها أن تقدم تقريرًا سنويًّا لمجلس الأمن. لهذا، لا يعدّ عدم الانضمام إلى اتفاقيّة، بمعنى الحصانة، من الواجبات التي تفرضها الاتفاقيّة.

بالطبع - كما ذكرت سابقًا - قد تتغلّب الملاحظات والمعادلات السياسية على هذه المواضيع، بل تعمل أكثر من ذلك، ولكن موضوع العضوية أو عدم العضوية في هذه الاتفاقيات وما تقدّمه، يبقى موضوعًا آخر. كحلّ لبعض الاتفاقيات التي بدأت بالـ CTBT، أعلنوا أنّ انضمام عدد من الدول التي تتمتع بمستوى معين من التقنية ضروري، وأنّ الاتفاقية لن تكون لازمة التنفيذ على أي دولة، ما لم تنضمّ تلك الدول إليها.

حاليًّا، وافق مجلس الشورى التابع لأكثر من 150 دولة على معاهدة CTBT، ولأنّ عددًا قليلًا من الدول، أي تسع دول من أصل 44 دولة عليها الانضمام إلى المعاهدة، لم تنضمّ إليها بعد، فلا تزال المعاهدة غير ملزمة. هذه الملاحظة موجودة في معاهدة NPT

أيضًا، وما دامت الهند وإسرائيل وباكستان لم تنضم إليها، فلن تكون مُلزِمة.

الأمر الآخر في هذا المجال، هو أنّ اتفاقيات نزع السلاح غير مشروطة، أي لا يمكن القبول بها مع شروط. في اتفاقيات أخرى مثل حقوق الإنسان، يمكن أن تقبل بالاتفاقية مع استثناء بعض البنود، ولكن هذا الأمر غير ممكن في اتفاقيات نزع السلاح.

هناك أمر آخر، هو أنّهم وضعوا أحكامًا للخروج من الاتفاقية. أحد الموضوعات الموجودة في الـ NPT، والتي تمّت مناقشتها في اجتماعات مراجعة الاتفاقية، هو شروط الخروج من الاتفاقية وآثار ذلك. بحسب الاتفاقية، عندما يخرج بلد من الاتفاقية، يقدم تقريرًا لمجلس الأمن، ويمكن لمجلس الأمن أن يتخذ الإجراءات اللازمة. حاليًّا، يقومون بوضع أحكام أخرى، منها أنّ الخروج من الاتفاقية لا يعني عدم الالتزام بها. كل هذه الحالات تجعل أنظمة التحكم بالتسلّح عملية أكثر.

لكنّني أكرّر مجددًا أنّهم يغالطون بين أصل الاتفاقية والملاحظات السياسية، فقد تُنتهك كل القوانين بناءً على بعض الملاحظات، وقد لا يتورط المنتهِك، ويشمل هذا الأمر قوانين الإيصالات المصرفية والمرور على إشارة حمراء، وصولًا إلى القوانين الدولية، فلو عبر أحدهم إشارة حمراء، أو قدّم ـ لا سمح الله ـ رشوةً لشرطي المرور، لا يقال أبدًا إنّ الإشارة الحمراء بلا فائدة. وينطبق هذا الأمر على القوانين الدولية أيضًا.

قـد تسبِّب الملاحظـات السياسـيّة غـضّ النّظـر عـن انتهـاك بعـض الـدول لبعـض القوانين الدولية بسـبب سلسـلة من العلاقات السياسـية. فـي هـذه الحالـة، ينبغـي التصـدّي للملاحظـات السياسـيّة، لا للقوانين، كما أنّ على نظام المرور أن يتصدّى للرشـوة لا للإشـارة الحمراء. ولكنّهم مـع الأسـف، يغالطـون بهـذا الشّـكل فـي المواضيـع الدوليّة، ولعـلّ أحد أسـباب سـهولة تأثيـر هـذه المغالطات، هو عـدم وجود سـلطة مركزية.

أتمنّـى أن نتحـدَّث عـن دور الحرب والسـلام قليلًا. فـي رأيك، كيف يمكـن الجمـع بيـن الحـرب والسـلام عنـد الحديث عن شـنّ الحرب بهـدف نشـر السّـلام، أو بعبـارة أخـرى، كيـف يقـوم مبـدأ التدخـل الإنسـاني عسـكريًّا مـن خـلال الحرب؟

أعتقـد أنّ المسـألة غيـر قابلـة للجمـع. فـي الحقيقـة هـي انتهـاك للهـدف، ولهـذا، ليـس للتدخـل الإنسـاني موطـئٌ فـي الحقـوق الدولية، فقـد تـمّ السـعي لإبـرازه بعنـوان جديـد هـو مسـؤولية الحمايـة.

إنّ الموضـوع الـذي يطـرح نفسـه هنـا، هـو أنّ هـدف مسـؤولية الحمايـة شـرعنة الاسـتفادة مـن العنـف. ونظـرًا إلـى مـا ذكرتـه فـي الموضـوع السـابق، وهو الملاحظات السياسـية، فعندما تزيد الاسـتفادة الشـرعية مـن العنـف، سـوف تُطبّق مسـؤولية الحماية فقـط حين تلائم الملاحظـات السياسـية، أي سـيكون الاسـتثناء هـو الأصـل.

لـذا، يجـب تقليـل الاسـتفادة مـن العنـف. لـن يعنـي ذلـك أنّ البلـد الـذي يريـد اسـتخدام العنف، سـيتوقف عن اسـتخدامه، ولكـن الحقيقة هـي أنّ الاسـتفادة مـن العنـف سـتحمّله تكلفـة عـدم الشـرعية، ولهـذا

سيُجْبَر على أخذ سلسلة من الملاحظات بعين الاعتبار ليبرز فعله كنشاط شرعيّ.

لدي مناقشة جذرية بهذا الصدد. في الحقيقة، فقد العنف والعسكرة فائدتهما، كما ذكرت سابقًا، ومنعت الدول الحرب في صلح العام 1928م، بناءً على الإحصائيات والأبحاث التي أثبتت أنّ الحروب فقدت فائدتها للتقدم بالسياسات الخارجية. لهذا، لدى كل الدول التي تلجأ إلى العنف، أمل في أن تكون استثناء من القاعدة، وهذا موضوع طويل.

إنّ نسبة 85% من حروب القرن العشرين، لم تحقق للدول التي قامت بشنّها غاياتها، بل تسبّبت أحيانًا بدمارها أو عرقلة نظامها السياسي. لهذا، فإنّ شرعنة الاستفادة من العنف، بشكل أوسع، وتحت أي عنوان، لن يساعد حقوق الإنسان وسيضرّ النظام الدولي أيضًا.

في الحقيقة، أنت تعتقد أنّ البشرية لن تصل إلى السلام عن طريق الحرب والعنف. هل ترى السلام حالة أكثر من عدم وجود حرب بين الشعوب والدول؟ وما هو طريق خروج البشرية من كل هذه الحروب والعنف والكراهية؟

نعم، أعتقد أنّ العنف فقد فاعليته، وهو في اضمحلال الآن، ولكنّه يشمل أيضًا العنف الهيكلي، وهو انعدام العدل، والتمييز العنصري على أنواعه؛ الإثني والقومي والجنسي، وكذلك الفقر والاستغلال وكلّ مظاهر الظلم وانعدام العدل.

بعبارة أخرى، في العالم القائم اليوم، لا يمكنك أن تفرض عدم الأمن على الآخرين لتصل إلى الأمن، أو أن تفرض التخلف على الآخرين لتحصل على رفاه شعبك وتطوره. إن كلّ نجاح على حساب الآخر هو نجاح غير مستقرّ، لذا قلت بوجوب تغيير نموذج العلاقات الدولية، لتكون نموذجًا للحوار عوضًا عن الإلغاء. لا يعتبر ذلك أمنية خيالية، بل هو ضرورة مفروضة على المجتمع الدولي.

هل تعتقد أنّ الدبلوماسية الإيرانية يمكنها أن تقود نظرية سلام عالمية، من دون أن يتعارض ذلك مع الأهداف المذكورة في الدستور؟

أعتقد أنّ هذه الدبلوماسية هي جوهر أهداف الثورة وروح الدستور ونصه، وهي عمليًّا إحدى أفضل أدوات التمدد وتقليل نقاط ضعف الجمهورية الإسلامية على المستوى العالمي.

كما قلت في الإجابة عن الأسئلة السابقة، أعتقد أنّ الحركة في فترة السيد خاتمي كانت تسير في هذا الاتجاه. كما أن نظام الهيمنة لم يكن يرغب في الحوار الذي قادته إيران، نظرًا إلى ما أوجده لها من قوة ونفوذ في المنطقة والعالم، ولذلك سعى بطرق عديدة، ومنها التحجج بالموضوع النووي، لإبراز إيران في العالم وكأنها خطر على الأمن العالمي، لوقف هذه الحركة وردّها عكسيًّا.

يُقال في تحديد أهداف السياسة الخارجية إنّه يجب تحصيل أمرين هما الثبات والمرونة. هل تؤيد هذه الفكرة؟

هل تقصد بالثبات الاستمرار أو الصّمود؟

أقصد به الاستمرار، أي تتبّع الهدف والاستراتيجية على الأمد الطويل.

نعم، إن الموضوعين مطروحان في السياسة الخارجية. الأول هو ضرورة استمرار السياسة الخارجية، والثاني هو المقاومة في السياسة الخارجية، فهل تقصد الاستمرار أو المقاومة؟

أقصد هنا الاستمرار بشكل أكبر، وأعتقد أنّ السياسة الخارجية الناجحة يجب أن تركّز على الأهداف المنبعثة من مصالح ثابتة، مثل الحقائق الجيوسياسيّة والأرضيّة. لهذا، تتبع كل دولة ـ طيلة التاريخ، إراديًّا أم بشكل غير إرادي، وبغض النظر عن تغيير الحكومات والأذواق ـ أهدافًا بهذا الخصوص.

إنَّ موضوع الاستمرار والمرونة أمر ضروريّ وفي غاية الأهمية للسياسة الخارجية. في الحقيقة، إن المرونة هي القدرة على تتبّع الأهداف نظرًا إلى الظروف، وليس تركها بسبب صعوبة الحصول عليها، بل هي نوع من اليقظة والذكاء لتتبّع الأهداف بناءً على الظروف الفعلية. ولعلّ تتبّع سياسة تكتيكية بشكل غير مدروس، وعدم تتبع سياسة قائمة على استراتيجية أو قيم بحجة الاستمرار، هو الَّذي يؤدي إلى هدم كلّ الأهداف.

لهذا، اختر دائمًا ـ بناءً على الظروف ـ أفضل الطّرق والأساليب للوصول إلى تلك الأهداف، ولا تقدّس الأساليب، لأنّ الأهداف أيضًا ليست بالضّرورة مقدّسة. قد تكون بعض الأهداف مقدسة، ولكن لا شكّ في أنّ أيًّا من الأساليب ليس مقدسًا. لهذا، فإنك ستحتاج إلى المرونة إذا احتجت في ظرف ما إلى تغيير أسلوبك بشكل ذكي.

إن هـذه المرونـة ليسـت رد فعـل، بل هـي مرافقة للابتـكار، فعندما تصرّ علـى الاسـتمرار بسـلوك خاطـئ، سـتكون مجبـرًا علـى العمـل بـردّ فعـل مقابـل العقبـات، ولكـن عندمـا تختـار أسـاليبك بمرونـة مـع الاسـتمرار ضمـن الخطـوط العامـة، فستسـتطيع الابتكار وعـدم التصرّف كـردٍّ فعل.

أعتقـد أنَّ هـذا الموضـوع يُفهـم بشـكل خاطـئ فـي السّياسـة الخارجيّـة، وأنّ اسـتمرار هـذه السياسـة ضـرورة، لأنّـك تقيـم علاقـة مع عـدّة لاعبيـن، ويجـب أن يعلمـوا بالحقائـق الّتـي يواجهونهـا ومـع مـن يعملـون. إن لـم تكـن أهدافـك مسـتمرة، لـن تكـون عاجزًا عـن حيازتك هدفًـا فقـط، بـل سـتفقد المصداقيّـة اللازمـة لتعـاون العمـلاء معـك.

لهـذا، تعـدّ الاسـتمرارية إحـدى قواعد السّياسـة الخارجيـة، حتى إن أكثـر الـدول عندمـا تكـون مجبـرة علـى تشـويه هـذا الاسـتمرار، تقـول إنّهـا لا تـزال علـى موقفهـا السّـابق نفسـه، ثـمّ تقـوم بالتبريـر. وعليـه، فـإنّ الاسـتمرار، وعـدم الازدواجيـة، والأخـذ بالمبـادئ في الأهـداف، هو ضـرورة غيـر قابلـة للإنـكار في السّياسـة الخارجيّـة. أعتقد أنّ الاسـتمرار والمرونـة مقترنـان، ذلـك أن المرونة تحتـاج إلى الاسـتمرار وإلى برنامج هـادف وذكيّ.

أمـا فـي مجـال المبـادئ والأهـداف والمصالـح، وفـي موضوعـات مثـل تصديـر الثـورة، فيجـب أن نقـول: لا يمكـن اليـوم، حتـى بالنظـرة الواقعيـة، أن نفصـل بيـن المصالـح الوطنيّة ومـا يعرف بالقـوى النّاعمة. كانـوا يقولـون: يجـب الاختيـار بيـن المصالـح الوطنيـة أو المصالـح

الأيديولوجيـة، أي أنّهـم كانـوا يضعـون هذيـن الخياريـن فـي مواجهـة بعضهمـا البعـض، ولكـن أعتقـد أنّ المصالـح الوطنيـة والأيديولوجيـة للـدول مرتبطـة ببعضهـا البعـض.

إن التكاليـف التـي تدفعها الولايات المتحدة لأسـر القلوب والعقول، ليسـت أقـلّ ممـا تدفـع لاحتـلال أرض مـا. مـا يجـدر الانتبـاه إليـه هـو حيـازة رسـالة زاهيـة ونمـوذج ناجح ودعـم جادّ ومسـتمر.

مـن أعمـدة السّـلطة فـي العالـم أن تُقبـل قيمـك ومعاييـرك بشـكل إيجابـيّ ـ وضـده أن تكـون قيمـك ومعاييـرك سـلبية ـ فـي الحقيقـة، إن كنـت تريـد تصديـر الثورة، فالاسـتمرار في القيـم والمبادئ مـع المرونة فـي الأسـاليب، هـو الـذي يجعـل منـك لاعبًـا حقيقيًّـا بنظريـة معقولـة ومقبولـة، ولكـن إن قمـت بهـذا بشـكل غيـر عقلائـي وغيـر مـدروس، فسـتصبح قيمـك ومبادئـك شـاذة وغيـر مقبولـة. إن كنـا نريـد الدّخـول فـي علاقـة جـادة فـي العالـم الآن، يجـب أن نفكـر فـي أدوات جديـدة لزيـادة النفـوذ وتقليـل نقـاط الضّعـف.

لـذا، يُطرح موضوع الدبلوماسـيّة القيميّة، أي تصديـر الثّورة والثّقافة الثوريّـة، وكـن علـى يقيـن بـأنّ هـذا الموضـوع ليـس خاصًـا بإيـران، بل إنّ القـوى العظمـى، مثـل أمريـكا وفرنسـا، تتنافـس بشـكل جـادّ فـي هـذا المجـال. صحيـح أنّ لديهـم تداخـلًا فـي بعـض المجـالات القيميّـة والثّقافيّـة، ولكـنْ لديهـم أيضًا تنافـس جادّ، ويسـعى كلّ واحد منهم إلى زيـادة مصـادر اسـتفادته مـن هـذا النفوذ.

لـذا، لا أرى أن الدّبلوماسـية القيميّة تناقـض المصالح الوطنيّة والأمن القومـيّ، بـل هـي ضروريـة لهما، بشـرط أن تكـون عقلانيّـة ومبنيّة على مبـدأ الاسـتمرار والمرونـة، وليـس علـى قاعدة سياسـة جنون الاسـتمرار فـي الأسـاليب الخاطئـة. فعندمـا تصبـح قيمـك ونظرتـك منبوذتيـن في العالـم، وتعمـل بشـكل يسـبب الخـوف والكراهيـة، وتصير غيـر موثوقٍ بـه، ستفشـل دبلوماسـيّتك القيميّة، أو بالعبارة الإيرانيّة «تصدير الثّورة»، وسـتصبح سـببًا سـلبيًّا، أي مضادة للدبلوماسـية القيمية.

تحدّثـت عـن العقلانيـة كشـرط لنجـاح السياسـة الخارجيـة. ينتقـد الكثيـرون منهـج السياسـة الخارجيـة الإيرانيـة فـي تنفيـذ المبـادئ والأهـداف والقيـم مـن ناحيـة، وفهـم الحقائـق مـن ناحيـة أخـرى.

نعـم، أعتقـد بخطـأ تنفيذ السياسـة الخارجيـة في السـنوات الأخيرة، كمـا أعتقـد أنّ مبـادئ السياسـة الخارجيـة للجمهوريـة الإسـلامية تتمتع بعقلانيـة كافيـة. يجـب أن نسـعى ليـرى العالـم قيـم الثـورة الإسـلامية والجمهوريـة الإسـلامية كقيـم مقبولـة، وليصبـح النمـوذج الإيرانـي نموذجًـا يـودّ الآخـرون الاقتـداء بـه. هـذا بالضبـط مـا تقـوم بـه أمريكا، وقـد نجحـت عندمـا تمكّنـت مـن عولمة قيمهـا، علمًا أنّ ذلـك يعني أن القيـم الأمريكيـة قيـم جيـدة، ولكـنّ نجـاح أمريـكا فـي مجال السياسـة الخارجيـة لـم يكـن عـن طريـق المدافـع والدبابـات، بـل عـن طريـق عولمـة قيمها.

لهـذا، لـو تمكّنـت الجمهوريـة الإسـلامية مـن القيـام بهـذا الأمـر، فسـتكون ناجحـة حتمًـا، ويمكـن أن يكـون لهـا دور فـي مجـال النفـوذ

العالمي، كما أنّ الإمام الخميني قال عدة مرات، إن تصدير الثورة ليس بالمدافع والدبابات، وهو يعني بذلك تصدير القيم. ولو انتبهْتَ، فإنّ السيد القائد أيضًا عبر عن هذه الرؤية عدة مرات. ولا بأس بتصدير الثورة من خلال هذه الرؤية، ولكن كما قلت، إنّ التنفيذ الخاطئ للسياسة الخارجية لا يعني خطأ السياسة الخارجية نفسها، إذ يجب أن تكون لدينا علاقة معقولة مع العالم، وأن نقدّم له نظرة واضحة.

من ناحية، يجب أن لا تكون هذه الرؤية ساذجة. ومن ناحية أخرى، يجب أن تكون قائمة على الحقائق السابقة، كما يجب أن تكون نظرة علاقتنا بالدول واقعية، وعلى أساس حاجاتنا الآنية. إن الواقعية ليست بمعنى المدرسة الواقعية وكأمر نظري، بل على أساس الواقع العالمي، والواقع الآن أنّنا نعاني ضعفًا ونقصًا في نظريات العلوم الإنسانية، وخصوصًا في مجال العلاقات الدولية ـ وهو تخصّصي ـ لأنّ الظروف تغيّرت، ولم تعد أي نظرية كافية ومناسبة.

في الحقيقة، يجب أن تعلم أنّنا لا نستطيع تأمين مصالحنا على حساب الآخرين، كما لا نستطيع بناء آمالٍ على صداقات طويلة الأمد. يجب أن نأخذ بعين الاعتبار مجموعة الحقائق، وتشكّل التكتلات الدائمة والمؤقتة، والائتلافات المؤقتة، وبهذا سيكون من الضّروري أن تتعاون مع كلّ من يمتلك نظرة أو مبادئ أو مصالح مشتركة.

من الطبيعي أنّ مصالحنا لن تكون مشتركة بشكل كامل مع الآخرين، ولكنّها لن تكون متضادّة بشكل كامل أيضًا، لأنّنا نعيش في

عالم يمكن أن تتم إبادة مستقبله بقنبلة نووية. لن تكون علاقاتك في جميع الحالات صفر أو مئة، ولن تكون دائمًا 50-50، بل هي منطقة رمادية عليك أن تعرف فيها مصالحك بشكل معقول، بناءً على الرؤى والمبادئ، وأن تتصرف بحسب ذلك.

من هذه الحالات، العلاقة مع أمريكا اللاتينية، فهي معقولة ومنطقية جدًا، كما أنّ العلاقة مع الغرب عقلانية ومنطقية في الكثير من المجالات، ولكن ذلك لا يعني أنّ هذه العلاقة ضدّ تلك العلاقة، فالعالم مرتبط بشكل وثيق، بحيث يمكن أن تخدم العلاقة به بقية العلاقات.

إن مشكلتنا تكمن في رؤيتنا العلاقة على شكل صفر أو مائة، ولكن هل يمتلك الجانب الآخر النظرة نفسها أو أنه يريد تحقيق مصالحه من خلال منطقة رمادية؟ نيأس كثيرًا لأنّنا لا ننتبه إلى أن العلاقات مؤقتة، وأن الائتلافات تكون في مجالات محددة، ونعتقد أن علاقتنا بدولة ما، توجب عليها أن يكون داعمًة لنا بنسبة 100%. عندما ندخل علاقة بهذه النظرة، ويكون الطرف الثاني واقعيًا أكثر منّا، فسنتضرر كثيرًا.

إنّ الكثير من الأسئلة حول قواعد السياسة الخارجية وأسسها ناتج عن أخطائنا المتكررة في التنفيذ، ولهذا يظنّ البعض أنّه لا يمكن تنفيذ القواعد بشكل أفضل، ويشتكون من أسس السياسة الخارجية وقواعدها.

يقال كثيرًا إنّ ايران هي القوة الأولى في المنطقة، أو أنها تريد أن تكون كذلك، علمًا أنّنا حصلنا على قدرات كثيرة في السنين الأخيرة، ولكن يظهر أننا نعاني نقصًا في بعض المجالات. لا أستطيع أن أقول، أو لا أريد أن أظنّ، أنّ الدفاع عن اسم «الخليج الفارسي» أصبح صعبًا علينا، ولكن أريد الإشارة إلى حساسية المجتمع الإيراني، وخصوصًا الجيل الجديد، وسوء ظنه أو شكّه على الأقل في قدرة المؤسسات المسؤولة على حفظ المصالح الوطنية الثابتة وغير المتغيّرة وحراستها. كيف ترى هذا الأمر؟

سأتحدّث عن بعض المواضيع في هذا الصّدد، ذلك أنَّ جزءًا منها مرتبط بسؤالك. عندما يقولون إنّ إيران أقوى قوة في المنطقة، فجزء من هذا الكلام هدفه إثارة قلق الآخرين، ولكن إن تجاوزنا هذا الموضوع، فيجب أن أقول: عندما كنت أتابع السياسة الخارجية عن قرب، أي في نهاية حكومة السيد خاتمي، فقد كان بإمكاني أن أدّعي، وبكلّ جرأة، أنّ بلدنا أصبح في العديد من المجالات اللاعب الأوّل في المنطقة. أما عدم قدرتنا على حفظ مصالحنا، فهو يعود إلى الضّعف التنفيذيّ.

لقد أصبحنا لاعبًا قويًّا في المنطقة، ذلك أنّنا استثمرنا فيها بعد الثورة، وكان هذا الاستثمار في فلسطين ولبنان والعراق، وفي أفغانستان أيضًا. قال البعض آنذاك إنّ هذا الأمر يسبب الضغط على إيران، أي أنّهم كانوا يرونه تناقضًا بين المبادئ والمصالح، أو تناقضًا بين السياسة الثورية والسياسة الوطنية، بينما تمكنت السياسة

الخارجيـة الثوريـة مـن توفيـر فـرص لإيـران، مكنتهـا مـن أن تكـون قوة مؤثـرة فـي المنطقـة بعـد عشـرين ونيـف مـن السـنين.

أمـا الحكومـة الحاليـة، فقد قامت باسـتهلاك كل ما وصلهـا من إرث. ومـع الأسـف، تسـبّب الأمر فـي تراجع تأثيرهـا. في الحقيقـة، قام هؤلاء الأصدقـاء باسـتنزاف القـوة مـن دون إنشـاء بديـل، كمـا قامـوا بخلـق الحساسـية. ولنذكـر هنـا، عندمـا تحصل مشـكلة تنفيذية، مـن الخطأ أن تقـول إنـك لا تسـتطيع حلّها. إن عدم وجود الإمكانيـات، يرجع إلى عدم ذكاء السياسـة الخارجيـة، وليـس إلـى عدم نباهـة مبادئ تلك السياسـة.

هـذه السياسـة تمكّنـت مـن وضـع إيران فـي مرتبة لا يمكن للسـلام فـي أفغانسـتان أن يحـلّ مـن دونها، وقد كانـوا يقولون: لن يحل السـلام فـي العـراق أو فـي فلسـطين مـن دون إيران. إنّ سـبب هـذه القوة هو السياسـة القيمية الذكيّة.

تقـول إنّ الحكومـة الحاليـة خسـرت كل إرث الجمهورية الإسـلامية، ولكـنّ الآثـار السـلبية لحادثة ميكونـوس في السياسـة الخارجية وقعت فـي عهـد حكومـة السـيد هاشـمي رفسـنجاني، كمـا أن الأمثلـة علـى إخفاقـات الحكومـات الأخـرى ليسـت قليلـة. مـن ناحيـة أخـرى، إن مشـاكلنا مـع أمريـكا والغـرب لـم تحـل قبـل هـذه الحكومة.

لا شـكّ فـي أنّ سياسـتنا كانـت تمتلك إيجابيات وسـلبيات في جميع المراحـل. فـي بدايـة انتصـار الثـورة، ارتكبنـا الكثيـر مـن الأخطـاء، نظرًا إلـى الظـروف الراهنـة بعـد الثـورة، مثـل الـكادر الثـوري الشـاب الـذي

يفتقـد إلـى التجربـة. كان بإمكاننـا التبريـر بعـدم وجـود طريقـة سـوى التعلّـم عـن طريـق التجربـة والخطأ، ولكن مـن غير المقبـول تكرار تلك الأخطاء.

ثمـة أمـر آخر مـن الضروري الانتباه إليه، وهو ما أشـرت إليه سـابقًا؛ ففـي الفتـرات الانتقاليـة للعلاقـات الدوليـة، تصبـح الظـروف حساسـة. ومـن خـلال الحسـابات الصحيحـة والقبـول ببعـض التكاليـف القصيـرة الأمـد، فـإنّ فرصـة النجـاح والحصـول علـى دور أكثـر مـن الطّبيعـي سـتكون أكبـر. كذلـك، فـإنّ الخطأ في الحسـابات يمكن أن يكـون مكلفًا جـدًا وخطرًا.

لـذا، تحمّلنـا بعـض المشـاكل والضّغـوط القصيـرة والمتوسـطة الأمد لنحصـل علـى دور فـي المنطقـة، وهـذه الجهود هـي التـي جعلتنا قوة مؤثـرة في أفغانسـتان والعـراق ولبنان في نهاية حكومة السـيد خاتمي. بالطبـع، أتحـدث عـن الجهود المبدئيـة، وليس عن الأخطـاء أو الأحداث والتهـم، مثل ميكونـوس وأمثاله.

لقـد دفعنـا فـي الفترات السـابقة تكلفة تقوية البـلاد. بالطبع، يُمكن أن يدّعـي البعـض الشـيء نفسـه اليـوم، ولكننـي لا أرى ذلـك، بـل أرى صـرف الثـروات السـابقة دون إعـادة بنائهـا. ربمـا أكـون مخطئًـا لأنّنـي أنظـر مـن بعيـد، ومـن خـلال المصـادر الإعلاميـة والعلنيـة، وأتمنّـى أن لا يكـون الأمـر كمـا أراه، لأنّ الكثيـر مـن التكاليـف التي دفعناها سـابقًا كانـت لتمكيـن البلد.

هل كانت تمكينًا لإيران لمقاومة أمريكا؟

لا، كنّا نصنع تأثيرًا، ولم تكن أمريكا ترغب أبدًا في أن يكون لنا تأثير، ولهذا كانت تلقي العقبات في وجهنا، وكانت مخطئة دائمًا. بالطبع، كان هذا ما ذكرته من أخطائنا، ولكنّ كل البلاد قد أخطأت، ولا يوجد بلد مصيب دائمًا، وتبقى المشكلة في أن لا نتراجع عن هذه الأخطاء. في الحقيقة، صرفنا من مخزوننا، ولا نملك الآن زيادة في رأس المال، كما أنّ تواجدنا في أفغانستان والعراق يضعف، ولن أدخل في جزئيات هذا الأمر، لأنّها سريَّة.

هذه الأحداث تدلّ على أنَّ السّياسات تنفَّذ بشكل خاطئ. لقد عانينا دائمًا النّقص في بعض المجالات، وأضيف إليها الآن أننا نعاني أخطاء تنفيذيّة.

هل يمكن من الناحية المنطقية أن نتحاور بذكاء مع جميع القوى، ومنها أمريكا والغرب، مع حفظنا لمبادئنا وقيمنا؟

لا شكَّ في أنَّ هذا الأمر ممكن، فنحن لدينا خلافات أساسيّة مع الغرب وأمريكا، كما تختلف كل الدول مع بعضها البعض بشكل جذري، ولكن ذلك لا يعدّ عداء، فمن الطّبيعيّ أنّ بعض المجموعات بحاجةٍ إلى عدوّ لتتمكَّن من التقدم بأهدافها، وخصوصًا في أمريكا. إنَّ هؤلاء ليسوا أصدقاء لنا، ويجب أن لا نضع بين أيديهم الأدوات والذخائر، ولكن لا يمكن تجنّب نوع ما من الحوار والعلاقة معهم.

إن لم نستطع تحقيق الاستفادة القصوى من كلّ رصيدنا ومزايانا، ومنها ما نشأ من السياسات الذكية بعد الثورة الإسلامية، فيرجع ذلك

إلـى عـدم وجـود حـوار. إنّ الحـوار لا يعني قبـول آراء الطـرف المقابل، أو حتـى إقامـة صداقـة معـه، بـل يعنـي أن لا نسـمح للآخريـن بضـرب مصالحنـا واسـتغلالها لصالحهم.

إنّ فـن الدبلوماسـية هـو أن تسـتطيع الحصـول علـى أكثـر المصالح بأقـل التكاليـف. وفـي هـذا المجال، ونظـرًا إلى تواصـل العالـم حاليًّا، لا يمكـن أن تحصـل علـى أكثـر المصالح عن طريـق الخصومـة. والخلاصة، لكـي نحصـل علـى مصالحنـا، نحتاج إلـى مزيج مـن الاسـتمرار والمرونة والتواصـل والحـوار والثبـات، ويجـب أن يكـون لدينـا رأي مناسـب فـي السياسـة الخارجيـة، وأن نعمـل بنـاءً علـى مبادئنـا، لكـي نمنـع صغـار اللاعبيـن من اسـتغلال عـدم تواصلنا لمصالحهم، ولكن إيران لا تسـتطيع العمـل حتـى ضمـن المنطقة مـن خـلال طريقتنـا الحالية.

فـي الحقيقـة، اسـتغلّ بقيـة اللاعبيـن الإقليمييـن أو صغـار اللاعبيـن فـي المنطقـة، هـذا الظـرف، وتقدّمـوا بأهدافهـم. ولهـذا، لا نسـتطيع الوصـول إلـى مـا نريـد حتـى فـي المنطقـة. فمثـلًا، تدخّلت السـعودية فـي البحريـن، ولكـن إيـران لم تتمكـن من القيـام بأي عمـل، وما حدث فـي البحريـن ليـس نتيجـة سـلوك لاعـب محلّي.

لكـي تصبـح لاعبًـا محليًّـا ناجحًا فـي العالـم الفعلي، عليـك أن تكون أولًا لاعبًـا دوليًّـا ناجحًـا. في الحقيقة، يجب أن تديـر علاقاتك في العالم، وأن لا تسـمح للآخريـن بإدارتـك. يمكـن للآخرين أن يكونـوا دولًا أخرى، أي أوروبـا وروسـيا والـدول العربيـة التـي عملت ضدنا دائمًا، كما سـعى الوسـطاء الأفـراد إلـى أن يحصلوا علـى نصيبهم من هـذه المائدة.

هـل تـرى أن مشـاكلنا مع العالم الغربي فلسـفية وجذريـة أو عابرة وتكتيكية؟

لدينـا مـع الغـرب مشـاكل مبدئيـة وجذرية، ومـن الطبيعـي أن ينتج منهـا مشـاكل مقطعيـة وتكتيكيـة. ولكـن تذكّـر أنّنـا أردنـا أن تكـون الجمهوريـة الإسـلامية نموذجًـا جديـدًا. أعتقـد أنّ هذا النمـوذج الجديد يمكـن أن يكـون أذكـى فـي بعـض الجوانـب، فليـس مـن الضـروري أن نوسّـع دائـرة الأعـداء. فـي الحقيقـة، ليـس مـن مصلحـة إيـران أن تظهر بشـكل أمنـي فـي العالم، ولكـن بعض أعمالنا تسـاعد علـى الظهور بهذا الشـكل، والنتيجـة أنّ هـذه الدائرة تعـدّت أمريكا والغرب، ومع الأسـف صـارت تحـوي بقيـة الدول.

عندمـا تقطـع دولة مثل السـنغال علاقتها بإيران، فهـذه علامة خطر. إنّ إيـران بلـد ذو ميـزات خاصـة، ويمكننا أن نتواصل مـع كل العالم من خـلال هـذه الميـزات، وأن نمنـع تحقّـق أهـداف الذيـن يريـدون صيـد المصالـح فـي المـاء العكر، مـن مثل الحـرب والعداء.

فـي أوائـل عهـد حكومـة أوبامـا، نوقش فـي البيت الأبيـض موضوع افتتـاح قنصليـة أمريكيـة فـي طهران، وأخـرى إيرانية في واشـنطن، ولكـن، ومثـل كل الحـالات، لم نصـل إلى نتيجـة، لماذا؟

لـم تنجـح الإجـراءات التكتيكية في فتـح العلاقة بين إيـران وأمريكا حتـى الآن، ولـن تنجـح فـي المسـتقبل أيضًـا، أي أنهـا لـن تنجـح أبـدًا، لأنّ الإجـراءات التكتيكيـة تسـبب زيـادة سـوء الظـن لـدى الجانبين. في الحقيقـة، يمكـن لإيـران والولايـات المتحـدة القيـام بإجـراءات تكتيكية

لتطوير علاقتهما أو لتأسيس أرضية لذلك بعد توصل إلى اتفاق عام حول مستقبل العلاقة.

إن الرؤية الحالية لمستقبل علاقة هذين البلدين متضادة، فإيران تعتقد أنّ الولايات المتحدة تسعى إلى إسقاط نظام الجمهورية الإسلامية، كما تعتقد الولايات المتحدة أنّ إيران تسعى إلى إسقاط العالم. وما دامت رؤية البلدين إلى بعضهما البعض بهذا الشكل، فلن تصل الإجراءات التكتيكية إلى نتيجة.

فمثلًا، لو افتتحت إيران أو أمريكا قنصلية، ستظن كل منهما أنّها مركز للفساد والتّجسّس. ذكرت سابقًا أنّه من غير الصحيح أن تعتبر بلدًا ما صديقًا، ولكن عندما يعمل بلد ما بأهداف عدائية ضدك، فاعتبر قبل توصلك إلى اتفاق، أنّ كل الأعمال الإيجابية لذلك البلد، ناتجة إما عن الضعف وإما عن خطة شيطانية واستعداد لعمل عدائي آخر، وهاتان النظرتان لن تساعدا في بناء علاقة جيدة. إن كنت ترى العملية ناتجة من ضعف، فستطلب المزيد من المصالح، وإن كنت تراها خطة عدائية، فسيزداد العداء.

لذا، أعتقد أنّ الإجراءات العابرة ليست مهمة في بناء علاقة أمريكية - إيرانية، ولن تصل إلى نتيجة. يجب أن ترى ما يُعرف في العلاقات الدولية بإجراءات بناء الثقة، التي لن تكون مفيدة إلا في أرضية سياسية مناسبة، أي عندما يتوفر تفاهم كلي حول الحد الأدنى من الأمور في النهاية. فمثلًا، اتفقت الولايات المتحدة والاتحاد السوفياتي على أنّهما لا تريدان الحرب، مع هدف من

هـذا النـوع واتفـاق الجانبيـن علـى الوصـول إلـى هـذا الهـدف. قـد تكـون الدبلوماسـية الثقافيـة أو دبلوماسـية كـرة الطاولة فـي العلاقة الأمريكية-الصينيـة مفيـدة، ولكـن فـي كل هذه الأمور، تـمّ أولًا توفير الأرضيـة، أي الهـدف المشـترك. وما دمنا نفتقد إلى الهدف المشـترك، فلـن تسـبّب الإجـراءات العابرة سـوى الضرر.

تجـري العـادة علـى أن تقـرر بعـض الـدول ضمـن التخطيـط الاسـتيراتيجي لسياسـتها الخارجيـة دورًا محليًّـا أو إقليميًّـا أو عالميًّـا. هـلّا شـرحت كيـف يمكـن لسياسـتنا الخارجيـة، مـن دون أخـذ العلاقـات الدوليـة ودور القـوى والعلاقـة معها بعيـن الاعتبار، أن تحصـل علـى الرتبـة الأولـى فـي المنطقـة، بحسـب الأهـداف المذكـورة فـي وثيقـة رؤيـة إيـران فـي العـام 2025م؟ أليـس بيـن هذيـن الأمـر نـوع مـن التضـاد؟

نعـم، تتداخـل كلّ هذه الأمور مع بعضها البعـض، ولا يمكن الوصول إلـى مسـتوى القـوّة الأولى في المنطقة فـي ظلّ تجاهـل الآراء العالميّة والمذكـورة فـي الدّسـتور، كمـا لا يمكـن ذلك فـي ظلّ عـدم التفاعل مع العالـم. هـذه هـي الحقيقة؛ إنّها مذكـورة بوضوح في وثيقـة رؤية إيران بعبـارة «المشـاركة البنّـاءة»، وهـي تعنـي أنّـك لا تسـتطيع ـ وهـذا مـن الأمـور اليقينيـة ـ أن تحقـق أهـداف وثيقة رؤية إيـران دون التفاعل مع العالـم، وهـي أهـداف إقليمية بشـكل عـام، فإيران تـودّ أن تكون الأولى إقليميًّـا، ولكنهـا لا تسـتطيع تحقيـق هدفها من دون التفاعـل العالمي.

وأضيـف هنـا: أعتقـد أنّـه لـن يكـون لنا تواجد فـي الخـارج من دون الأهـداف الثوريـة، وسـنكون كحـدٍّ أقصـى مثـل باكسـتان. مـا يميزنا عن

بقيـة الـدول هـو بـروز الأهـداف الثوريـة، ولكـن كمـا قلـت سـابقًا، إن الوصـول إلـى هـذه الأهـداف بحاجـة إلـى ذكاء، ويجـب أن نتجنـب أي أعمـال تصدّهـا؛ بـأن نتجنّب مثلًا أن نكـون خطرًا بالنسـبة إلى الآخرين، بـدل أن نكـون أمـلًا لهـم، وأن لا نكـون منشـأ خـوف وقلـق، عوضًـا عن أن نكـون مصـدر إلهـام، فعندمـا تصبـح إيـران مصـدر خـوف، لا يمكنها أن تكـون ملهمة.

إذا ادّعينـا اليـوم أنّنـا محبوبـون فـي المنطقـة، فهذه المحبة سـلبية أكثـر مـن كونهـا إيجابيـة، بمعنـى أنّهـم فرحون لأنّنـا نقف ضـدّ أمريكا، ولكنّهـم يروننـا منافسًـا لهـم، بـل خطـرًا عليهـم أيضًـا، ويعتقـدون أنّ اسـتنزاف قوتنـا فـي الصـراع مـع الولايات المتحـدة يصبّ فـي صالحهم. نحـن نظـنّ أنّ هـذه المحبـة الظاهريـة هي أحد أسـباب قوتنـا، ولكنني أعتقـد أنّ هـذا النـوع مـن المحبـة لا يتوافـق مـع الإلهـام، فيجـب أن تكـون محبتنـا إيجابيـة، وأن تنظـر الشّـعوب إلينـا كنموذج.

هـذا مـا يحصـل الآن بالنسـبة إلـى تركيا فـي المنطقة، وقـد كان من الـلازم أن لا يحـدث. يـدلّ ذلـك علـى أنّ تركيـا لا تتبـع أهدافًـا وطنيّـة فقـط. عندمـا كانـت الحكومـة التركيـة تقـف ضـدّ الإسـلام، وتمتلـك أهـداف محـدودة ضمـن إطـار أراضيهـا، لم يكـن لديها هذا الـدور، وقد زادت القـوة التركيـة لأنّها عكسـت في المنطقة رسـالةً تتعـدّى أراضيها.

إنّ التنفيـذ الخاطـئ للأهـداف ـ مـع الأسـف ـ جعلنـا نشـكّك فـي أصلهـا، ولكـن ولـو كان مـا حصلنـا عليه قليـلًا، فإنه ناتج مـن الاتجاهات القيميـة والمبدئيـة التـي جعلـت منّـا قوة يجـب التعامل معهـا. وإن لم

يكـن ناتـج هـذا التعامـل مصالـح ملموسـة، فذلـك بسـبب عـدم تعلّمنا لفـن التعامـل. إنّ التعامـل لا يعني بيع المبـادئ والأهداف، كما لا يعني التنـازل، بـل يعنـي الحفـاظ علـى المبادئ والأهـداف بشـكل عقلاني.

يعتقـد البعـض أنّ السّياسـة الخارجيّـة هـي اسـتمرار للسّياسـة الداخليّـة، ويمكننـا أن نمـارس فـن التعامـل في السياسـة الخارجية عندمـا نتعلّـم هـذا الفـن فـي الداخل بشـكل صحيح، ويصبـح جزءًا مـن التيـار الثقافـي فـي البلاد.

لا أعتقد بالضرورة أن يصبح هذا الأمر من الواجبات الثقافية.

هـل يعنـي ذلك إمكانيـة النّجاح في السّياسـة الخارجيـة دون تعلّم فـن التعامل فـي الداخل؟

لا، إن عـدم تعامـل التيـارات المختلفـة فـي الداخـل مـع بعضهـا البعـض، ليـس بالضـرورة نتيجة لثقافتنـا. هذه الثقافة (التعامل) أنشـأها «مولانـا» مُبـدع الحـوار والتعـاون والتفاهم والتسـامح. لهـذا، ليس الأمر أنّنـا نعانـي عـدم القـدرة علـى التعامل من ناحيـة ثقافية، فـلا توجد في أيّ ثقافـة أسـس للتعامـل والتسـامح، مثـل ثقافتنا.

مشـكلتنا فـي الحقيقـة هي أنّنـا مجتمـع تعـرّض للديكتاتورية لمدة 2500 عـام، وقـد يبـدو الابتعـاد عن هـذه الثقافة صعبًـا، إذ إنّ ثقافتنا لا تعانـي هذه المشـاكل فـي ذاتها.

لـم أكـن أقصـد الثّقافـة فـي جوهرهـا، بل قصـدت: هل يحتـاج فن التعامـل فـي الخـارج إلـى حـد أدنى مـن ثقافـة التعامل فـي الداخل؟

نعم، لا ريب في ذلك.

في هذا المجال، قرأت في كتاب «العبور من الفجوة: حوار الحضارات»، الّذي ألفته مع مجموعة من النُخب العالمية، ملاحظةً اعتقدت أنها طريفة، وهي: «يمكننا تقدير هذا السؤال: نحن ماذا أو من نحن؟ من دون أن نعاني كراهية: لسنا ماذا؟».

أو ما هو الآخر.

نعم، أو «ما هو الآخر»؟ لماذا تفكّر بهذه الطريقة؟

لأنّني أعتقد أنّ هُويّتنا لا تعني إلغاء هُويّة الآخر. إنّ محتوى الكتاب لا يعبرّ كلّه بالضرورة عن رؤيتي، كما أنني لم أكتبه بمفردي، بل هو نتاج عمل جماعيّ، شارك فيه 18 شخصًا من عمر والدي. ربما خصصتُ مع أشخاصٍ آخرين وقتًا أكثر للعمل فيه، نظرًا إلى أهمية الموضوع بالنّسبة إليّ.

كنت أعمل فيه مع أستاذ صيني الأصل في جامعة هارفرد، وأستاذ لاهوت مسيحي من السويس، وعدد آخر من الكُتاب الأصليين، وقد أمضينا في كتابته وقتًا أكثر من الآخرين، ولكن الكتاب يحمل في المحصّلة الرأي الجماعي لثمانية عشر كاتبًا، ويحوي آراء مختلفة.

قد يتضمّن الكتاب نقاطًا لا تعبّر عن رأيي بشكل كامل، أو لا تعبّر عن رأي الآخرين بنسبة 100 %، ولكن ما أريد قوله هو أنّ الأفكار الواردة فيه لا تعبّر بالضرورة عن رأيي، ويجب القبول بآراء الآخرين لإنجاز عمل جماعيّ. هذا الكتاب كان بداية للعبور من الخلاف، حيث اجتمع أشخاص يحملون آراء مختلفة لكتابته. كمثال

علـى ذلـك، كنـت أعتقد بالجمهورية الإسـلامية، في حيـن كان هناك من يؤمـن بالعلمانية.

لا أعلم إن كنتَ قد شاهدْتَ فيلم «حاجي واشنگتن»[1] للمرحوم علي حاتمـي. يحكـي الفيلـم قصة سـفر أول منـدوب سياسـيّ [1888-1889م] لإيـران فـي العصـر القاجـاري إلـى الولايـات المتحـدة الأمريكيـة. يمكـن رؤيـة ضعـف النظام القاجاري وتخلفه وجهله في شـخصية «حسـين قلي خـان»، أو «صـدر السـلطنة»، أو «حجـي واشـنطن»، الذي انتقـل بالقطار إلـى إسـطنبول، ثمّ إلـى أوروبا، ومنهـا بالباخرة إلى واشـنطن.

وصـل حجـي واشـنطن إلـى منصبـه في ظـلّ عـدم وجـود أي إيراني فـي واشـنطن وكل الأنحـاء الأمريكية ليتولّى شـؤونه، وقـد رافقه مترجم لأنّـه لا يتقـن اللغـة الإنجليزيّـة. أمـا ذروة تراجيديـا القصـة، فتتمثـل فـي لقـاء حجـي واشـنطن برئيـس أمريـكا المعـزول فـي حفـل جليـل. ونظـرًا إلـى جهلـه بالأحـداث، يدعـوه ظنًـا منـه أنّـه لا يـزال الرئيـس، ويقـوم بترتيـب ضيافة من الأطعمـة الإيرانية لرئيس الجمهـور المعزول، بعدمـا فصـل كل خـدم السـفارة لعـدم وجـود مراجعيـن، وللاقتصاد في التكاليـف. يصـل الرئيـس السـابق فـي ملابـس غيـر رسـمية، بنيّـة أخـذ حفنـة من الفسـتق.

تحكـي نهايـة القصّـة وحـدة حجـي واشـنطن ومحادثتـه لنفسـه بالهمـوم والشـجون، بمـا فيـه من عتـاب لتخلّـف النظـام القاجاري، وينتهـي الفيلـم برجوعـه المهيـن مـن هـذه المهمة الشـاقة بشـكل

(1) فيلم كوميدي أُنتج في العام 1982م، ومُنع عرضه حتى العام 1998م.

مأساوي، وهو يحمل خسارته السياسية. سؤالي هو: على الرغم من أن المقارنة بين الحال اليوم وما تعرّض له الحاج واشنطن في زمانه، قياس مع الفارق، كيف تقيم تطور سياستنا الخارجية وابتعادنا عن تلك الحالة؟

إنّ تطوّر السّياسة الخارجيّة لا يعني عدم وجود أمثلة من مثل حجي واشنطن اليوم، وخصوصًا مع ضرورات بعد الثورة وتواجد كوادر قليلة التجربة. لهذا، أظنّ أنّ التجربة تكررت نوعًا ما. لكن، وعلى أي حال، خلقت الثورة الإسلامية قدرةً لدى إيران لكي تتبع سياسة مستقلّة. وبالطبع، هذا لا يعني عدم اتباع السياسة السابقة في كل النقاط. إنّ بعض الحقائق الجغرافية ـ الأرضية والجيوسياسية لإيران، وخصوصًا مع جيرانها، كانت في النظام السابق، ولا زالت إلى اليوم، إذ استمرّت السياسة الخارجية الناتجة من المميزات الأرضية لإيران.

مثلًا، إنّ إيران بلد وحيد، وهي من حيث القومية والإثنية والدينية واللغوية، لا تشبه أيًّا من دول المنطقة، بينما يتمتع البقية بالكثير من المشتركات. هذه ميزة مهمّة تحدد نوع اللعب الإيراني في المجتمع الدولي. لذا، لم تكن السياسة الخارجية بعد الثورة بمعزل تام، بل إنّ الكثير من الميزات الأرضية تسببت في استمرار السياسات السابقة. لكن بشكل عام، تغيّرت التحديات بعد الثورة وتغيرت الرؤى.

في الحقيقة، تغيَّرت المُثل ورسالة السّياسة الخارجيّة، ولهذا

دخلنا مجالًا جديدًا لا تجربة فيه. في بداية الثورة، تمّ عزل الكوادر السابقة، ودخلت شخصيات جديدة غريبة عن العلاقات الدولية والهيكل الدبلوماسي. لم يكن معظمهم يتقن اللغة، ولهذا قد تكون حكاية حجي واشنطن سيرة الكثير من دبلوماسيينا، ويبقى الفارق أنّ الدبلوماسيين بعد الثورة كانوا يمتلكون غرورًا خاصًا لم يكن حجي واشنطن يمتلكه.

كنت استثناءً في هذا الظرف، ولعلّي كنت الوحيد الّذي تخصّص في العلاقات الدولية، وذلك عندما التحقت بالعمل، كما أنّني قضيت معظم عمري في الخارج. وكما ذكرت سابقًا، عندما اخترت التخصّص، لم أكنّ أظنّ أنّ أحدًا آخر قد درسه. كان أفضلهم حالًا دارسًا لعلم الاجتماع وأمثاله. نعم، قد يكون لدينا شخص حائز شهادة بكالوريوس، ولكن في مستويات اتخاذ القرار، لم يكن لدينا من درس هذا التخصّص.

عندما أصبحت في العام 1992م معاونًا للوزير، كنت الشخص الوحيد الذي درس العلاقات الدولية في مجلس المعاونين، وكان وزير الخارجيّة طبيبًا، فيما كان بقية المعاونين مهندسين. بالطبع، استفادوا من كوادر سابقة، لكنّها عزلت سريعًا.

هل تجد اختلافًا أو شبه اختلاف بين شخصيّتك وشخصيّة حجّي واشنطن؟ وهل يمكنك تشكيل مقاربة بين شخصيتك وتلك الشخصية؟

ربما يكون الشبه بيننا، أنّني لا زلت أحتفظ بالآداب والتقاليد

الإيرانيـة والإسـلامية، علـى الرغـم مـن قضائـي حوالـى ثلاثيـن سـنة في الولايـات المتحـدة الأمريكيـة، مـع أملي بتعلّـم بعض إيجابيـات الثقافة الغربيـة، مثـل احتـرام الحقـوق واحتـرام وقـت الآخريـن. لكـن بشـكل عـام، لا تـزال الثقافـة الغربيّـة غريبـة علـيّ.

هل شعرت أحيانًا بغربة حجي واشنطن ووحدته؟

لا، لـم أشـعر بهـذه الغربـة بهـذا المعنـى أبـدًا، لأنّنـي رجعـت إلى إيـران بعـد عاميـن مـن ذهابـي إلـى أمريـكا، تزامنًـا مـع بـدء الثـورة، وتزوجـت وعـدت مـع زوجتي. طيلـة فترة وجـودي في أمريـكا، كانت زوجتـي إلـى جانبـي، ووهبنـا اللـه بعـد ذلـك ابنيـن جيديـن، وكنـا نعيـش كعائلـة وثيقـة العلاقـة، وهي «سـكنٌ»[1] لـي، كما يقـول القرآن الكريم.

بالنسـبة إلـى زوجتـي، لسـت أعلـم إذا عانـت الغربـة. ولكـن، وعلى الرغـم مـن أنّنـا كنـا نعيـش ونعمل فـي الولايـات المتحدة منذ الدراسـة الجامعيـة، فقـد كنّـا فـي بيئـة غريبـة، فمثـلًا، كانـت لدينـا ملاحظـات شـرعية في الاجتماعات الدبلوماسـية، ولا أذكر هل كان الحاج واشـنطن يراعـي هـذه الملاحظـات أم لا!

نحـن لا نتنـاول الخمـور، ولا نـأكل اللحـوم غير المـذكّاة، ولا نصافح النسـاء، لهـذا يستشـعر الدبلوماسـي الإيرانـي بأنّه في مـكانٍ غير ملائم. أعتقـد أن هـذه الأمـور لم تؤثر سـلبًا في عملي كدبلوماسـي. قد يتجنّب

(1) سورة الروم، آية 21: ﴿وَمِنْ ءَايَـٰتِهِۦٓ أَنْ خَلَقَ لَكُم مِّنْ أَنفُسِكُمْ أَزْوَٰجًا لِّتَسْكُنُوٓاْ إِلَيْهَا وَجَعَلَ بَيْنَكُم مَّوَدَّةً وَرَحْمَةً إِنَّ فِى ذَٰلِكَ لَـَٔايَـٰتٍ لِّقَوْمٍ يَتَفَكَّرُونَ﴾.

البعض مصافحة النساء بطريقة سيئة، حتى تصبح سمة لشخصيته. وعلى الرغم من أنّني لم أصافح النساء غير المحارم أبدًا، فربما يكون أدنى ما يُذكر من سلوكي هو عدم مصافحة النساء.

ماذا عن اختلافك عن حجي واشنطن؟

أعتقد أنّني أختلف عنه في باقي سماته.

في النهاية، بمَ تعرّف نفسك كدبلوماسي؟ وهل ترى نفسك -مثلًا- دبلوماسيًّا إيرانيًّا مسلمًا شيعيًّا ثوريًّا عصريًّا عالميًّا، أو تعبيرًا آخر يماثله؟

لك الخيار في ما تراه مناسبًا من عناوين، ولأنّك بذلت كرمًا في اختيار هذه العناوين! وبغض النظر عن المزاح والمجاملات، أرى نفسي خادمًا بذلَ كلّ جهده بحسب وسعه، واجتهدَ لئلا يضحّي بمصالح بلده من أجل مصالحه الشخصية، وبذل جهده للرقي بالمصالح الوطنية، وعدم ظلم الآخرين، بل كان ينظر إلى مصالحهم أيضًا.

أعتقد أنّ النجاح المستدام في الدبلوماسية مقترنٌ بمعرفة المصالح المشروعة لبقية اللاعبين واحترامهم، وأنّ النجاح والفشل في المفاوضات والدبلوماسية، موجود في الحديث الإعلامي. لا شكّ في أنّني أخطأت في عملي وتحليلاتي، ولكنني سعيت إلى الحفاظ على القيم الوطنية والدينية بحسب المبادئ التي تحدثت عنها كثيرًا، أي النموذج القائم على الحوار، والشمولية في العلاقات الخارجية، والصدق والصراحة في السلوك المؤسساتي في الداخل.

إنّ الحكم على نتائج عملي ملقًى على عاتق الناس الكرام وذوي البصيرة، آملًا بأن يغفروا قصوري. وبالطبع، يبقى الحكم النهائي لله العليم الكريم، الذي أرجو مغفرته الواسعة أكثر من أي شيء آخر.

الفهارس العامة

ت

غ

ف

ق

ك

ي



experiences and mistakes committed by those who served at the ministry before them. Nonetheless, when speaking of Iran's sovereignty, his success as well as his partners in the defense of national interests, Zarif showed his modest joy for those proud memories. Upon necessity, he also did not hesitate to thoroughly discuss and criticize certain events, including— without feeling ashamed— some linked to his career or the diplomatic corps.

The majority of the meetings with Zarif— except those held at The Islamic Azad University (IAU) — were conducted in his office at the School of International Relations run by the Iranian Foreign Ministry during the period between the winter of 2010 and spring of 2012. The duration of the sessions varied from less than an hour to over three hours. Getting Zarif's approval for conducting these talks was not easy, for he had not accepted to make any public dialogue or speech since his return from his last political mission in New York. His lectures— at the School of International Relations— were strictly academic in analyzing the subjects and events in question. He also agreed to this dialogue on the condition that the discussion of confidential documents and the government's secrets, especially those related to the nuclear talks, remain out of the question. It was in fact challenging to commit to these limitations.

Observing Zarif's personal history, taking into account both the positive and negative aspects of his work, offers a valuable model for studying the actions of Iranian diplomats when dealing with the outside world, within the framework of the Islamic Republic's foreign policy. The general and special features of Iran's relationship with the world, its historical ebb and flow with regards to foreign policy, the geopolitical factor and its effect on Iran's regional power, the revolutionary perspective on international events derived from the principles of Shiism, the distinct attribute of Iranian diplomacy and diplomats compared to international standards, as well as the various levels of both dispute and cooperation are all topics that will accompany the reader throughout his journey through this book.

countries regarding Iran's nuclear activity, the significance of his role in the Bonn Conference on Afghanistan›s future, and then Iraq before and after the US invasion and his membership in the UN Group of Eminent Persons on Dialogue among Civilizations, his heading of many secondary and major decisive missions internationally, his presence in American society and ability to make an impact on its public opinion and media, and many more achievements, put him in the limelight, as his role was appreciated by both kin and foe.

Zarif's dedication to defending the principles and values of the Islamic Republic of Iran and his ability to persuade his counterparts allowed him to gain time and again the appreciation of not only the high authorities in Iran but also many media persons and international figures. The grandiose event at the UN Headquarters and crowds of foreign figures lining up to bid Zarif farewell are witnesses of that. Celebrating him even reached to the extent that the former US Secretary of State Henry Kissinger gave Zarif a copy of his 1994 book Diplomacy, signing it «To Zarif, my respectful enemy."

This lengthy dialogue with Dr. Mohammad Javad Zarif— the diplomat and former Iranian Ambassador to the UN— which stretched over more than forty hours is considered an experience that is unlikely to be repeated. It is a tale of the specifics of Iranian diplomacy told by Zarif, who is without doubt one of the diplomatic scene champions of his time. He truly embodies inimitable simplicity. Zarif is simple because he enjoys a compassionate, humble and straightforward character and this is clearly evident upon getting to know him. He is; however, inimitable because when it comes to his field of specialty, Zarif is serious, devoted, organized and true to the values and beliefs he adheres to.

During the conversations, Zarif was interacting with the events he was recounting, as if they were taking place today. For he expressed frustration when discussing the accounts through which only minor accomplishments were made or voiced his anger when stating how the new employees at the Foreign Ministry failed to learn from past

This book is not an autobiography aimed at recounting the good and the bad and thus concluding the nature and end of the person in question. It is also not a version of the well-known oral history. Despite comprising many of the aspects of both types, the main purpose of this publication is comprehending the foreign policy of the Islamic Republic of Iran based on its historical experience, especially that Iran's foreign relations in modern history have went through sensitive phases and harsh conditions, particularly after the Islamic Revolution's victory.

During that period, while many of the diplomatic staff of the Pahlavi regime were being laid off, it was imperative that the potentials and experiences of a new generation of revolutionary youths be put in good use, and that these youths be immediately employed to the executional and intellectual bodies of the fresh rule.

This book is a vocal account about one of these revolutionary youths, whose political journeys were a building block in the history of Iranian diplomacy. Dwelling on these revolutionaries' exact conduct in fact constitutes one of the best ways to comprehend Iran's foreign policy. This said person is Mohammad Javad Zarif.

Zarif's over two-decade-long presence at the United Nations turned him into a remarkable international figure. At the beginning, during the first years following the Islamic Revolution victory, when he was a doctoral student at Columbia University and the University of Denver, he served as a member of the Iranian Mission to the UN in New York, until he became the Plenipotentiary Ambassador and Permanent Representative there.

Zarif's strenuous endeavours on the international level to retrieve Iran's rights, following the imposed war on the Islamic Republic, talks over UNSC Resolution 598 as well as the discussions with Western

Interviewed by Mohammad Mahdi Raji:

Born in Tehran in 1980. Holds a Bachelor's Degree in Political Science from the Islamic Azad University and a Master's Degree in Regional Studies from the School of International Affairs of Iranian Ministry of Foreign Affairs. He apprenticed at the student journal Assafir until he became its Editor in Chief. He has many articles published in a number of newspapers, mainly Hamshahri Diplomatic, Mehrnameh and Mosalas, and in periodicals such as the International Journal of Political Science.

Translated by Dr. Mohammad al-Attar:

Born in Kashan city, Iran in 1984. Holds a degree in General Medicine from Mashhad University in 2011. He offered a number of articles and lectures in both medicinal and cultural fields.

Mr. Ambassador
«Mohammad Javad Zarif»

A Conversation with Mohammad-Javad Zarif
Iran's former Ambassador to the United Nations

Interviewer: Mohammad Mahdi Raji
Translated by: Dr. Mohammad al-Attar



Book title: *Mr. Ambassador «Mohammad Javad Zarif»*

Interviewer: *Mohammad Mahdi Raji*

Translated by: *Dr. Mohammad al-Attar*

First Edition, Beirut, 2017

www.awalcentre.com | info@awalcentre.com

ISBN 978 - 9953 - 0 - 3548 - 2

محمد جواد ظريف

وُلِد في إيران في 7 يناير/ كانون الثاني من العام 1960، ونشأ في أسرة متدينة.

تلقى تعليمه في المدرسة العلوية الخاصة في طهران.

في سن السابعة عشر، غادر إلى الولايات المتحدة للدراسة.

حصل على شهادة البكالوريوس في العلاقات الدولية في العام 1981، ومن ثم على الماجستير في المجال ذاته من جامعة سان فرانسيسكو في العام 1982.

حاز على الدكتوراه في القانون الدولي والسياسة من جامعة دنفر في العام 1988، وكان عنوان أطروحته: "الدفاع الذاتي في القانون الدولي والسياسة".

تقلب محمد جواد ظريف في عدد من المناصب المحلية والدولية، فكان مستشارًا لوزير الخارجية وكبير مستشاريه، ونائب وزير الخارجية للشؤون القانونية والدولية، وعضوًا بارزًا في مبادرة حوار الحضارات، ورئيس لجنة نزع السلاح التابعة للأمم المتحدة في نيويورك، ونائبًا للشؤون الدولية في جامعة آزاد الإسلامية. مارس التدريس في جامعة طهران العامة في مجالات الدبلوماسية والشؤون الدولية، ونشر عددًا من الأعمال في مجال السياسة الخارجية والقانون والعلاقات الدولية باللغتين الإنجليزية والفارسية.

كان ظريف الممثل الدائم لإيران لدى الأمم المتحدة من 1989 لغاية 1992 ثم بين العامين 2002 و2007.

انضم في العام 2007 إلى مركز الأبحاث الاستراتيجية الذي كان يقوده الرئيس الإيراني الحالي حسن روحاني.

اختاره الرئيس روحاني وزيرًا للخارجية في 15 أغسطس/ آب 2013.

سعادة السفير

محمد جواد ظريف

"أرى نفسي خادمًا بذل كل جهده بحسب وسعه، واجتهدَ لئلا يضحي بمصالح بلده من أجل مصالحه الشخصية، وبذل جهده للرّقي بالمصالح الوطنية، وعدم ظلم الآخرين، بل كان ينظر إلى مصالحهم أيضًا.

أعتقد أن النّجاح المستدام في الدبلوماسية مقترنٌ بمعرفة المصالح المشروعة لبقية اللاعبين واحترامهم، وأن النجاح والفشل في المفاوضات والدبلوماسية موجود في الحديث الإعلامي. لا شكّ في أنّني أخطأت في عملي وتحليلاتي، ولكنني سعيت إلى الحفاظ على القيم الوطنية والدينية بحسب المبادئ التي تحدثت عنها كثيرًا، أي النموذج القائم على الحوار والشمولية في العلاقات الخارجية، والصدق والصراحة في السلوك المؤسساتي في الداخل".

